ألم وأمل

تجربةٌ واقعيّةٌ في سجونِ البحرين

السيّد مرتضى السّنديّ

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأُولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

هوية الكتَاب:

الكِتَاب: أَلَمَ وأمل

تجربة واقعية فِي سجون ثَوْرَة البَحْرَين المظلومة

المؤلف: السَّيِّد مُرْتَضَى السندي

الطبعة: الأُولى

السَّيِّد مُرْتَضَى السندي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ

عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

إهـداء

قِوامُ كُلِّ ثَوْرَةٍ ثَلَاثُ قَطَرَاتٍ...

قَطَرَاتٌ مِن الحِبْرِ، وقَطَرَاتٌ مِن الدَّمْعِ، وقَطَرَاتٌ مِن الدَمِّ.

فَهَذِهِ قَطَرَاتُ حِبْرِي أُصِيغُ بِهَا قِصَّــةَ أَلمٍ، وقِصَّةَ جُرْحٍ مِن جِرَاحِ ثَوْرتِنَا، وتَوْثِيقًا لِبعْضِ آلَامِ شَعْبِي وثَوْرَتِهِ الأَبِيَّةِ.

وقَطَرَاتُ دَمْعِي طَالَمَا ذَرَفْتُهَا علَى أَوْرَاقِ هَذَا الكِتَابِ حِيْنَ أَستَذكِرُ مُعَانَاةَ أَبْنَاءِ شَعْبِي وغُصَصِهِم وآلَامِهِم.

أَمَّا قَطَرَاتُ دَمِّي فأَسْــأَلُ الله –سُــبحَانَهُ وتَعَالَى– أَنْ يَخْتِمَ حَيَاتِي بِشَــهَادَةٍ فِي سَــبِيلِهِ تَكُونُ خَاتِمَةَ خَيْرٍ أُوَاسِي بِهَا أَبنَاءَ شَعْبِي وعَوَائِلَ الشُّهَدَاءِ...

أُهْدِي هَذَا الكِتَابَ إِلَى كُلٍّ مِن:

شُــهَدَاءِ ثَوْرَةِ الرَّابِــعَ عَشَرَ مِنْ فِبرَايِرَ لَا سِــيَّمَا الشُّــهَدَاءِ الَذِينَ

اِسْتَشْهَدُوا تَحتَ سِيَاطِ التَّعذِيبِ وفِي طَوَامِيرِ السُّجُونِ.

وإِلَى كُلِّ الأَسرَى والمُعتَقَلِينَ، وكُلِّ الَذِينَ نَالَتْهُم سِيَاطُ الجَلَّادِينَ، إِلَى الصَّابِرِينَ المُحتَسِبِينَ الَذِينَ يَنتَظِرُونَ لَحظَةَ الفَرَجِ بعَينِ الأَمَلِ.

إِلَى وَالِدَتِي الغَالِيَةِ العَزِيزَةِ الَتِي تَحَمَّلَت مَعَنَا آلَامَ السِّجْنِ والمُطَارَدَةِ والتَّشرِيدِ والغُربَةِ فبَاتَت بَعِيدَةً عَن أَبنَائِهَا الثَّلَاثَةِ صَابِرَةً مُحْتَسِبَةً.

أَسْــأَلُ اللهَ سُــبْحَانَهُ أَنْ يُلْهِمَهَا الصَّبْرَ والثَّبَــاتَ وأَنْ يَجْزِيَهَا علَى صَبْرِهَا أَجْرَ الصَّابِرِينَ المُحْتَسِبِينَ.

إِلَى عَوَائِلِ المُعْتَقَلِينَ والمُطَارَدِينَ والجَرحَى والمُهَجَّرِينَ أُهْدِي هَذَا القَلِيلَ.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ
وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

القصص ١٣

تقريض
سمَاحة آية اللّه
السَّيِّد هَادي المدرسي

بِسْمِ اللهِ الرَحمنِ الرَحِيْم

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ،

والصَلَاةُ على سَيِّدِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٍ وعلَى آلِهِ الطَيِّبِينَ الطَاهِرِينَ.

يَكْتَسِبُ هَذَا الكِتَابُ أَهَمِّيَةً خَاصَّةً لِأَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ:

الأَوَّلُ: إِنَّهُ يُؤَرِّخُ لِفَتْرَةٍ مُعَاصِرَةٍ مِن تَارِيخِ شَعْبِ البحرينِ الَّذِي يُكَافِحُ مُنذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ مِن أَجْلِ حُرِّيَّتِهِ، وكَرَامَتِهِ، واسْتِقلَالِهِ.

الثَّانِي: إِنَّهُ مِن تَأْلِيفِ أَحَدِ قَادَةِ الحَرَاكِ فِي هَذَا الشَّعْبِ الأَبِيِّ.

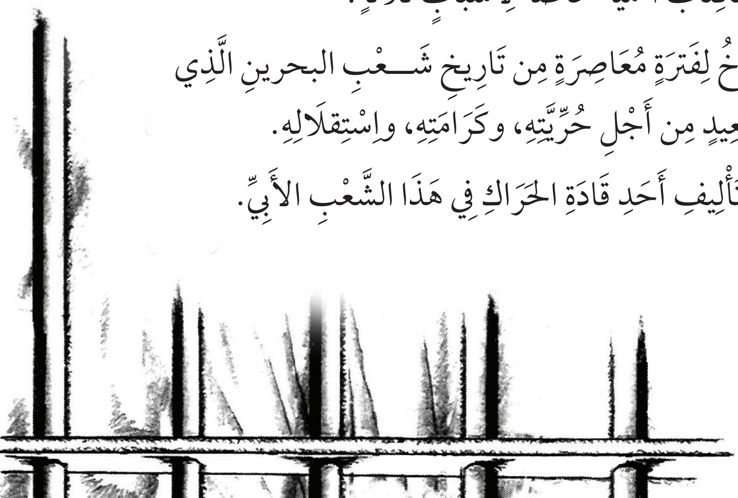

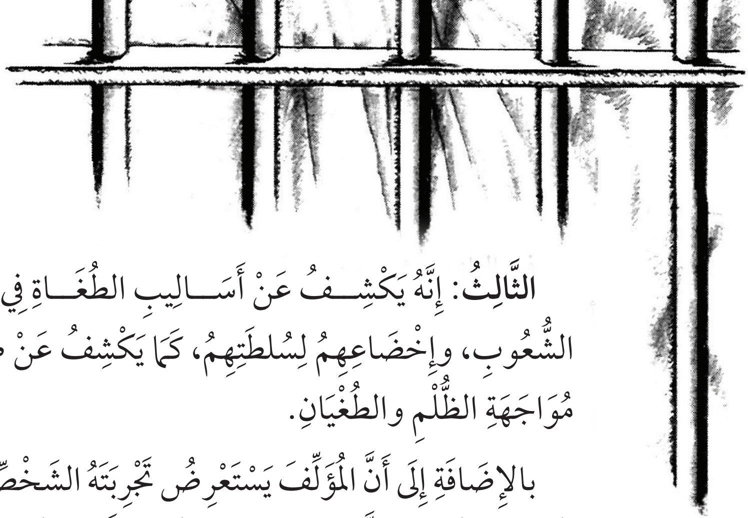

الثَّالِثُ: إِنَّهُ يَكْشِـفُ عَنْ أَسَـاليبِ الطُغَـاةِ فِي مُحَاوَلَتِهِـمْ لِقَهْرِ الشُّعُوبِ، وإِخْضَاعِهِمْ لِسُلطَتِهِمْ، كَمَا يَكْشِفُ عَنْ طَرِيقِ الأَحرَارِ فِي مُوَاجَهَةِ الظُّلْمِ والطُغْيَانِ.

بالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ المُؤَلِّفَ يَسْتَعْرِضُ تَجْرِبَتَهُ الشَخْصِيَّةَ فِي نِضَالِهِ ضِدَّ ظَالِمِيهِ، ولِذَلِكَ فإِنَّ الكِتَابَ بالإِضَافَةِ إِلَى أَهَمِّيَّتِهِ فَهْوَ شَيِّقٌ جِدًّا، فَمَا إِنْ تُمْسِكْ بِهِ حَتَّى تَشْتَاقَ لِقِرَائَتِهِ إِلَى نِهَايَتِهِ.

وفِي الحَقِيقَـةِ فَـإِنَّ الحَدِيثَ عَنْ شَـعْبِ البحرينِ، هُـوَ حَدِيثٌ عَنْ المُوَاجَهَةِ بَيْنَ الحَـقِّ والبَاطِلِ، والخَيْرِ والـشَّرِّ، تِلْكَ التِي بَدَأَت بمُوَاجَهَةِ هَابِيلَ وقَابِيلَ، واسْـتَمَرَّت على مَدَى التَّارِيخِ بَيْنَ المُؤمِنِينَ وبَيْنَ جَلَّادِيهِم، وسَيَسْتَمِرُّ إِلَى نِهَايَةِ الحَيَاةِ.

ولَوْ أَنَّ أَحدًا تَوَغَّلَ فِي مَعْرِفَةِ التَّفَاصِيلِ فَسَوْفَ يَكْتَشِفُ أَنَّ فِي هَذَا البَلَدِ الصَغِيرِ من حَيْثُ الجُغْرَافيَا يَعِيشُ شَعْبٌ كَبِيرٌ بآمَالِهِ وطُمُوحَاتِهِ ودَوَافِعِـهِ وأَهْدَافِهِ، وبِـمَا يُعَانِيهِ مِن ظَالِمِيهِ ومُغْتَصِبِـي حُقُوقِهِ، وبِمَا يَتَحَمَّلُ مِن الآلَامِ من أَجْلِ الخَلَاصِ مِن الطُّغْمَةِ الحَاكِمَةِ فِيهِ.

وبالرُّغْمِ مِن أَنَّ قُوَى الظُّلْمِ فِي العَالَمِ تَدْعَمُ هَذِه السُّلُطَاتِ كَعَادَتِهَا إِلَّا أَنَّنَا وَاثِقُونَ مِن المُسْـتَقْبَلِ، وذَلِكَ لِأَنَّ رَبَّنَـا وَعَدَنَا بِأَنْ يَكُونَ مَعَ المَظْلُومِ ضِدَّ الظَالِمِ، ومَعَ المُؤْمِنِ ضِدَّ المُنَافِقِ فَهُوَ لِلظَالِمِ بالمِرصَادِ، وهُوَ

يَنصُرُ مَن يَنصُرُهُ، وقَد كَتَبَ علَى نَفسِـــهِ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا ورُسُلِي.. ومَنطِقُ التَارِيخِ يُؤَكِّدُ علَى أَنَّ النَّصْرَ لِلشُّعُوبِ، ولَيْسَ لِظَالِمِيهَا.

نَرْجُو مِن اللهِ تَعَالَى أَنْ يَنْصُرَ شَـــعْبَ البحرينِ، ويَنْتَقِمَ مِن الَّذِينَ يَظْلِمُونَهُ.

والله وَلِيٌّ قَدِيْرٌ

هَادي المدرسي

ربيع الثَّانِي ١٤٣٧ هـ

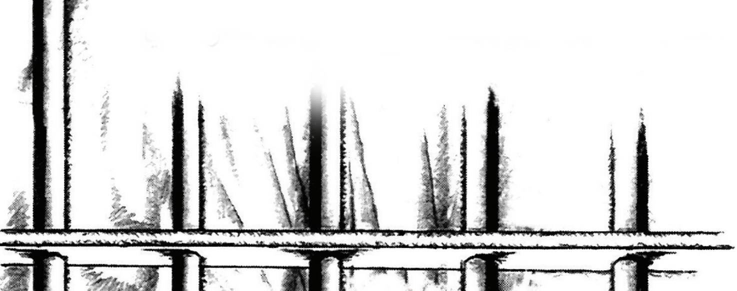

المقَدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2]

القِصَّةُ هِيَ أَحَدُ أَسَالِيب التَّرْبِيَةِ والتَّنْشِئَةِ وغَرْسِ الأَفْكَارِ والإِيديُولُوجِيَّاتِ، وقَد تَعَدَّدَت صُوَرُ عَرْضِ القِصَصِ فِي عَصْرِنَا الحَاضِرِ فَمِنَ الفِّلْمِ والمَسْرَحِيَّةِ والأَفْلَامِ الكَارْتُونِيَّةِ والمُسَلْسَلَاتِ

---

(١) هود: ١٢٠

(٢) يوسف: ٣

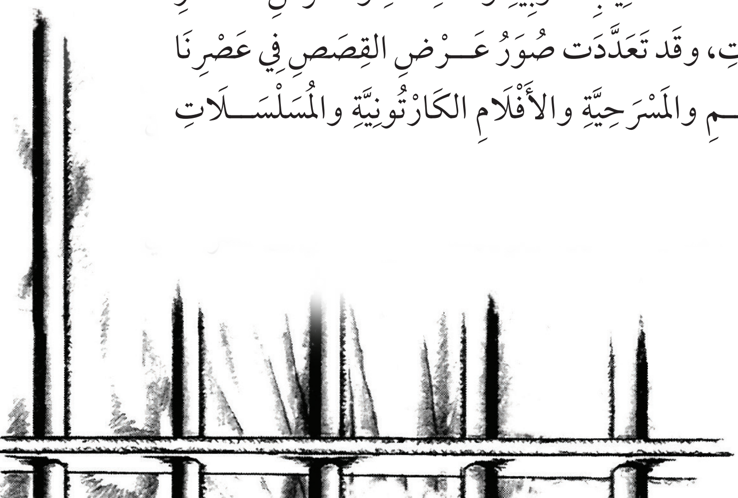

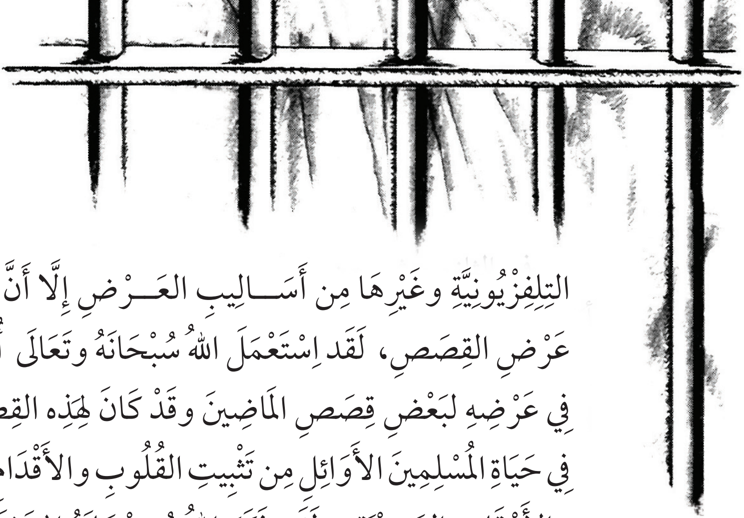

التِلِفِزْيُونِيَّةِ وغَيْرِهَا مِن أَسَـالِيبِ العَـرْضِ إِلَّا أَنَّ لِلكِتَابِ قِيمَتَهُ فِي عَرْضِ القِصَصِ، لَقَد اِسْتَعْمَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أُسْلُوبَ القِصَصِ فِي عَرْضِهِ لبَعْضِ قِصَصِ المَاضِينَ وقَدْ كَانَ لِهَذِه القِصَصِ الأَثَرُ البَالِغُ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ مِن تَثْبِيتِ القُلُوبِ والأَقْدَامِ فِي المِحَنِ الصَّعْبَةِ والأَوْقَاتِ العَصِيْبَةِ، ولَقَد ذَكَرَ اللهُ سُـبْحَانَهُ الهَدَفَ مِن القِصَصِ فِي سِيَاقِ سَرْدِهِ لِقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ والأَوْلِيَاءِ والكَافِرِينَ مِن أَجْلِ اِسْتِخلَاصِ العِبَرِ لِحَيَاتِنَا نَحْنُ السَائِرِينَ عَلَى دَرْبِ الأَنْبِيَاءِ، فَالرِّسَالَةُ وَاحِدَةٌ والأَحْدَاثُ مُتكَرِّرَةٌ والتَّجَارِبُ مُتَشَابِهَةٌ.

هَذِهِ قِصَّةٌ وتَجْرِبَةٌ كَتَبْتُ بَعْضَ أَوْرَاقِهَا دَاخِلَ السِّـجْنِ والجُرْحُ لَمْ يَندَمِـلْ، وكَتَبْتُ بَعْضَهَا وأَنَا مُطَارَدٌ فِي مَخْبَئِـي وأَكْمَلتُهَا وأَنَا مُهَاجِرٌ بَعِيدٌ عَـنْ وَطَنِي، نَعَم قَد يَجِدُ القَـارِئُ العَزِيزُ تَفَاوُتـًا فِي الصِّيَاغَةِ واخْتِلَافًا فِي التَّفْصِيلِ والإِجْمَالِ وسَـبَبُهُ هُوَ أَنِّي حِينَمَا كُنتُ فِي السِّجْنِ كُنتُ قَرِيبًا مِن الحَـدَثِ وتَفَاصِيلُهُ حَـاضِرَةٌ فِي ذِهْنِي وكُنتُ أَعِيشُ الحَدَثَ بِآلَامِـهِ وآمَالِهِ، وقَدْ كُنـتُ خَالِيَ الذِّهْنِ مِن الانشِـغَالَاتِ والمَسـؤُولِيَّاتِ، وفِي جُزْءٍ مِنْهُ حِينَمَا كُنتُ مُطَـارَدًا بَعْدَ خُرُوجِي مِن السِّجْنِ واخْتِبَائِي فِي أَحَدِ الأَمَاكِنِ حَيْثُ شَكَرْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَى تَفَرُّغِي لِكِتَابَةِ القِصَّةِ التِي رَاوَدَتْنِـي فِكْرَتُهَا فِي يَوْمِ الهُجُومِ عَلَى مَيْدَانِ الشُّهَدَاءِ، وقَد كَتَبْتُ بَعْضَ الصَّفَحَاتِ حِينَهَا ولَكِنْ لَمْ تُسْعِفْنِي الظُّرُوفُ عَلَى إِكْمَالِهَا، وبَقِيَّةُ القِصَّةِ كَتَبْتُهَا بَعْدَ مُضِيِّ زَمَنٍ طَوِيلٍ تَعَدَّى ثَلَاثَ سَـنَوَاتٍ ونَيفًا حَيثُ نَسِـيتُ كَثِيرًا مِن التَّفَاصِيلِ والأَحداثِ

وشَغَلَتْنِي المَسْؤُولِيَّاتُ وكِدْتُ أَنْصَرِفُ عَن إِكْمَالِ الكِتَابِ بِشَكْلٍ كُلِّيٍّ مَعَ إِيمَانِي الكَبِيرِ بِضَرُورَةِ أَنْ تُكْتَبَ قِصَصٌ لِتُوَثِّقَ هَذِهِ المَرْحَلَةَ بِكُلِّ آلَامِهَا وآمَالِهَا وتَفَاصِيلِهَا، نَعَم قَد تَكُونُ هَذِهِ الأَسْطُرُ نَظْرَةً مِن زَاوِيَةٍ خَاصَّةٍ وشَخْصِيَّةٍ إِلَّا أَنِّي اُضْطُرِرْتُ أَنْ أَغُضَّ الطَّرْفَ عَن تَفَاصِيل كَثِيرَةٍ وأَنْ لَا أَكْتُبَهَا لِحَسَاسِيَّتِهَا لِأَنَّ زَمَانَ هَذِهِ التَّفَاصِيل لَم يَحِنْ بَعْدُ، وقَد دَفَعَنِي لِمُوَاصَلَةِ المَشْرُوعِ وكِتَابَةِ القِصَّةِ أُمُورٌ عَدِيدَةٌ أَذْكُرُ مِنْهَا:

لَقَد رَأَيْتُ وأَنَا فِي دَاخِلِ السِّجْنِ أَنَّ بَعْضَ الكُتَّابِ المَأْجُورِينَ قَد كَتَبُوا الكُتُبَ مِن أَجْلِ تَحْرِيفِ تَارِيخ الثَّوْرَةِ وأَحْدَاثِهَا، مِن أَجْلِ تَزْوِيرِ التَّارِيخ والتَزَلُّفِ للحَاكِمِ الظَّالِمِ مِمَّا دَفَعَنِي لِأَنْ أُصِرَّ عَلَى فِكْرَةِ الكِتَابَةِ لِتَسْجِيل بَعْضِ التَّارِيخ وحِفْظِهِ مِن التَّزْوِيرِ بِاعْتِبَارِي أَحَدَ الشَاهِدِينَ عَلَى الأَحْدَاثِ وأَحَدَ ضَحَايَا النِّظَامِ الخَلِيفِيِّ المُجْرِم، وقَد دَعَوْتُ العَدِيدَ مِن المُعْتَقَلِينَ لِأَنْ يَكْتُبُوا ويُوَثِّقُوا قِصَصَهُمْ بِاعْتِبَارِهَا جُزْءًا مِن التَّارِيخ الَّذِي يُرَادُ تَزْوِيرُهُ.

لَقَد قَرَأْتُ بَعْضَ التَّجَارِبِ التِي كُتِبَت وهِيَ قَلِيلَةٌ جِدًا، وقَد لَاحَظْتُ فِي بَعْضِهَا ضَعفَ الجَانِبِ الرُوحِيِّ والمَعْنَوِيِّ وخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّجَارِبُ هِيَ الحَاكِيَةُ عَن تَجْرِبَةِ ثَوْرَةِ الرَّابع عَشَرَ مِن فِبْرَايِر، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعرِضَ تَجْرِبَةً أُخْرَى وصُورَةً مُغَايِرَةً لِلتَجَارِب التِي كُتِبَتْ، وأَنَّ بَعضَ المُعْتَقَلِينَ لَم يُسَاوِرْهُمُ اليَأْسُ رُغمَ مَرَارَةِ

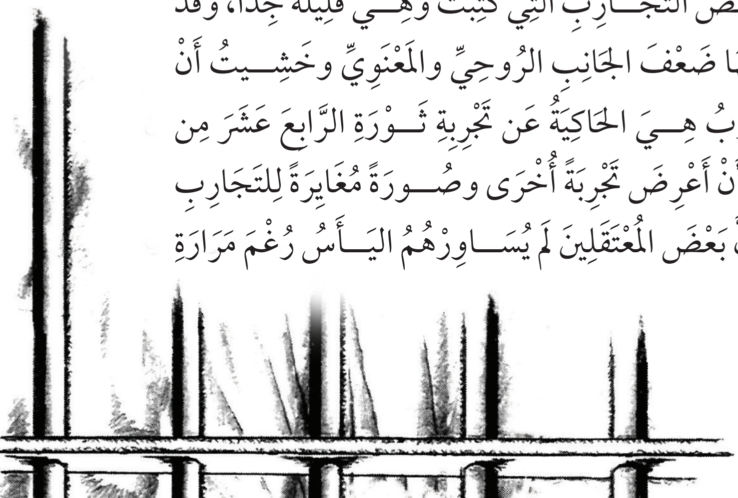

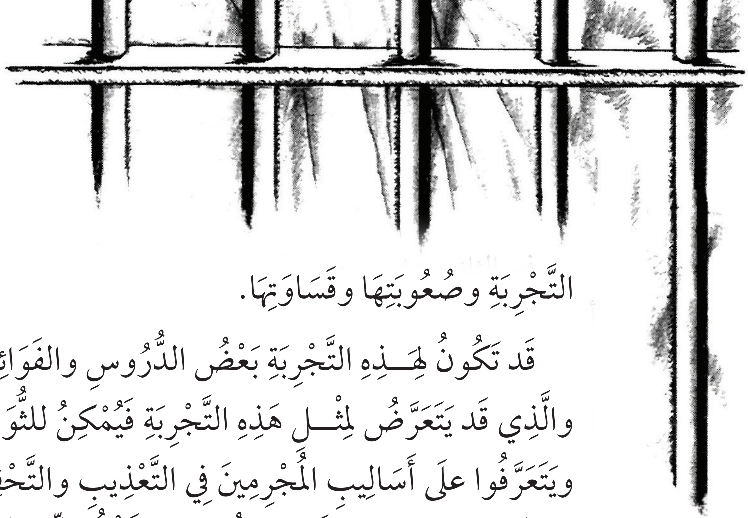

التَّجْرِبَةِ وصُعُوبَتِهَا وقَسَاوَتِهَا.

قَد تكُونُ لِهَـذِهِ التَّجْرِبَةِ بَعْضُ الدُّرُوسِ والفَوَائِدِ لِشَبَابِنَا الثَّائِرِ والَّذِي قَد يَتعَرَّضُ لِمِثْلِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ فَيُمْكِنُ لِلثُّوَارِ أَنْ يَسْتَفِيدُوا ويَتعَرَّفُوا علَى أَسَالِيبِ المُجْرِمِينَ فِي التَّعْذِيبِ والتَّحْقِيقِ، وأَرَدْتُ مِن خِلَالِ عَرْضِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ المُتَوَاضِعَةِ أَنْ أُحطِّمَ القَوْلَ السَّائِدَ بِأَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصمُدَ أَمَامَ التَّعْذِيبِ، بَلْ إِنَّ مِعْيَارَ الصَّبْرِ والصُّمُودِ لَيْسَ قُوَّةُ الجَسَدِ بَلْ قُوَّةُ الرُّوحِ والإِيمَانِ، فَقَد يَكُونُ الجَسَدُ قَوِيًّا ولَكِنَّ الرُّوحَ ضَعِيفَةٌ والإِيمَانَ ضَعِيفٌ فَلَا يَقْوَى علَى التَّحمُّلِ، أَمَّا إِذَا قَوِيَ إِيمَانُ الإِنْسَانِ بِقَضِيَتِهِ فَإِنَّ أَقْوَى أَسْلِحَةِ العَدُوِّ لَا يُمْكُنُ أَنْ تفُلَّ مِن عَزِيمَتِهِ وإِصْرَارِهِ أَوْ أَنْ تَفُلَّ مِن إِرَادَتِهِ.

هِيَ لَكَ أَنْتَ أَيُّهَا السَّجِينُ، نَعم كَتَبْتُهَا لَكَ أَنْتَ... وأَنْتَ خَلْفَ قُضْبَانِ السِّجْنِ وخَلْفَ تِلْكَ الأَسْوَارِ المُحَاطَةِ بِالقُوَّاتِ والأَسْلِحَةِ، أَنْتَ أَقْوَى مِن سَجَّانِكَ، نَعم أَقْوَى مِن سَجَّانِكَ إِذَا ارْتَبطْتَ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، فالسِّجْنُ أَشْبَهُ بِالقَبْرِ كَمَا هُوَ مَأْثُورٌ عَن نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلَامُ (السِّجْنُ مَقْبَرَةُ الأَحْيَاءِ)، فَالقَبْرُ إِمَّا حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ أَو رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وكَذَلِكَ السِّجْنُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَكَانًا لِلتَقرُّبِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، ويَكُونَ مَحَلًّا لِلعِبَادَةِ والتَّعلُّمِ والمَعرِفَةِ وتَربِيَةِ النَّفْسِ وتَهْذِيبِهَا ومَكَانًا لِلعُرُوجِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعالَى والعَيْشِ فِي ظِلِّ فُيُوضَاتِ اللهِ التِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجِدَ مَكَانًا أَفْضَلَ مِن الزِنْزَانَةِ وغُرَفِ التَّعْذِيبِ لِلقُرْبِ مِنْهُ بِحَيثُ تَعِيشُ حَالَةً مِن الرَوْحَانِيَّةِ

والعِرْفَانِيَّــةِ والقُرْبِ مِــن اللهِ وذِكْرِ اللهِ واليَقَظَةِ والبُعْــدِ عَن الغَفْلَةِ والمُلْهِيَاتِ مِن الدُّنيَا.

وقَد يَكُونُ محَلًّا لِلفَسَادِ الأَخْلَاقِيِّ واليَأْسِ والبُعْدِ عَن اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ومَرْتَعًا لِلشَــيْطَانِ والنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّــوءِ، وانْتِشَارِ الرَّذِيلَةِ والفَسَــادِ الأَخْلَاقِيِّ والمَوَادِّ المُخَدِّرَةِ والجَرِيمَةِ، فَقَد يَدْخُلُ الإِنْسَانُ المُجَاهِدُ إِلَى السِّــجْنِ ويَتَعَرَّضُ لِلتَعْذِيبِ الشَّدِيدِ ويَمُرُّ بِالصُّعُوبَاتِ فيَكْفُرُ بِالتَجْرِبَــةِ وبِقِيَادَاتِهَــا ورُوَّادِهَا والفِكْرِ الذِي تَأَسَّــسَ عَلَيْهِ والأُسُــسِ التَي بُنِيَ عَلَيْهَــا ويَعِيشُ حَالَةً مِن رَدِّ الفِعْــلِ التِي تُبْعِدُهُ عَن الهَدَفِ الذِي انْطَلَقَ مِن أَجْلِهِ، وقَد يَكُونُ محَلًّا لِانْتِشَــارِ الرَذَائِلِ الأَخْلَاقِيَّــةِ وغِيَابِ الــوَازِعِ الدِّينِيِّ وخُصُوصًا حِــيْنَ يُفْتَقَدُ المُوَجِّهُ والنَّاصِحُ والرِسَالِيُّ وعُلَمَاءُ الدِّينِ.

فَهِيَ إِلَيْكَ أَخِي وحَبِيبِي أَيُّهَا المُعْتَقَــلُ فَلَا تَيْأَس فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ فِي زِنْزَانَتِــكَ، ومَعَكَ فِي غُرَفِ التَّعْذِيبِ ومَعَــكَ فِي كُلِّ لَحْظَةِ أَلَمٍ، وكُلِّ لَحْظَةِ بُعْدٍ عَن أَهْلِكَ وأَحْبَابِكَ وأَهْدَافِكَ، وكُلِّ لَحْظَةِ غُصَّةٍ تَعِيشُهَا.

أَخِي لَا تَيْأَسْ فَأَنْتَ لَا زِلتَ فِي وَسَــطِ المَعْرَكَةِ ولَم تهزَمْ بَعْدُ، ولَم تَنْتَــهِ المَعْرَكَةُ بِاعْتِقَالِكَ، وإِنَّكَ الرَّقمُ الصَّعْبُ الذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُهْزَمَ إِنْ ارْتَبَطْتَ بِــاللهِ وتَبْقَى الأَمَلَ بَعْدَ اللهِ بِصَبْرِكَ وثَبَاتِكَ لِاسْــتِمْرَارِ الحَرَاكِ والثَّوْرَةِ، فَأَنْتَ الشُّــعْلَةُ المُسْــتَمِرَّةُ التِي تحتَرِقُ لِتُنِيرَ الدَّرْبَ

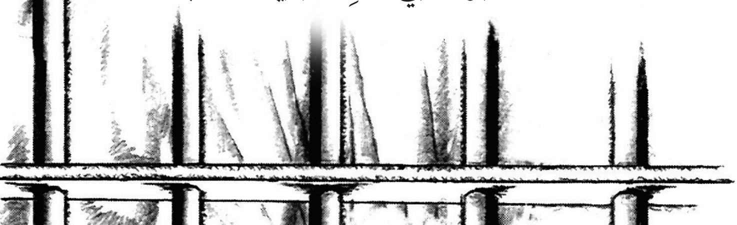

والطَّرِيقَ لِإِخْوَتِكَ مِن أَبْنَاءِ شَعْبِكَ.

خَصْمُكَ يَأْمُلُ أَنْ يَرَاكَ غَافِلًا، ويَأْنَسُ حِيْنَ يَرَاكَ عَاصِيًا، ويَنْتَشِي بِنَشْوَةِ النَّصْرِ حِيْنَ يَرَاكَ يَائِسًا، فَلَا تُعْطِهِ مُرَادَهُ، وكُنْ ذَلِكَ المُؤْمِنَ القَوِيَّ الذِي لَا يَعْرِفُ الهَزِيمَةَ ولَا الِاسْتِسْلَامَ ولَا الخُنُوعَ حَتَّى وإِنْ قَيَّدَ يَدَكَ ورِجْلَكَ، فَأَنْتَ حُرٌّ بِفِكْرِكَ وبِإِرَادَتِكَ وإِيمَانِكَ بِقَضِيَّتِكَ.

* * *

بَدَأَت قِصَّةُ الِاعْتِقَالِ مَعِي فِي العَامِ ١٩٩٧م حِيْنَ كَانَ عُمْرِي ١٤ سَنَةً، حِيْنَ تَوَجَّهْتُ لِمَنطِقَةِ النويدرات لِحُضُورِ مَرَاسِمِ إِحْيَاءِ عَاشُورَاءَ وحُضُورِ مَوْكِبِ العَزَاءِ المَرْكَزِيِّ فِي يَوْمِ السَّابِعِ مِن شَهْرِ مُحَرَّمِ الحَرَامِ، حِيْنَ قَامَتْ قُوَّاتُ الشَّغَبِ بِمُهَاجَمَةِ المُعَزِّينَ بِالغَازَاتِ المُسِيلَةِ لِلدُّمُوعِ والرَّصَاصِ الانشِطَارِيِّ ومُلَاحَقَةِ المُعَزِّينَ واعْتِقَالِ بَعْضِهِمْ، وقَد تَمَّ اعْتِقَالِي مَعَ أَخِي الذِي يَصْغُرُنِي بِعَامٍ وَاحِدٍ- السَّيِّد مُصْطَفَى- وقَد تَعَرَّضْنَا لِلضَّرْبِ الشَّدِيدِ والمُبَرِّحِ جِدًّا، وتَمَّ نَقْلُنَا إِلَى سِجْنِ الأَحْدَاثِ بَعْدَ مُسَلْسَلٍ طَوِيلٍ مِن الضَّرْبِ والإِهَانَاتِ والسَّبِّ والشَّتْمِ التِي تَعَرَّضْنَا لَهَا.

بَقِينَا مَا يُقَارِبُ ٣ أَيَّامٍ فِي سِجْنِ الأَحْدَاثِ وأَحْتَفِظُ فِي ذَاكِرَتِي بِالكَثِيرِ مِن الأَحْدَاثِ والمَوَاقِفِ التِي لَا يُمْكِنُ لِذَاكِرَتِي أَنْ تَنْسَاهَا.

أَمَّا الِاعْتِقَالُ الثَّانِي فَقَد كَانَ بَعْدَ عَامٍ وَاحِدٍ مِن الِاعْتِقَالِ الأَوَّلِ وكَانَ فِي ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٨م الذِي يُصَادِفُ افْتِتَاحَ دَوْرِيِّ كَأْسِ

الخَلِيج فِي البحرينِ، وذَلِكَ بسَــبَبِ كِتَابَتِنَا للشِّعَارَاتِ المُطَالِبَةِ بِعَوْدَةِ العَمَلِ بِدُسْــتُورِ ١٩٧٣ م، وتَفْعِيلِ البَرْلَمَانِ الذِي تَمَّ تَعْطِيلُهُ فِي عَامِ ١٩٧٥م والإِفْرَاجِ عَنِ المُعْتَقَلينَ السِّيَاسِيِّينَ وعَوْدَةِ المُبْعَدِينَ، وكَانَتْ هَذِهِ أَهَمَّ أَهْدَافِ اِنْتِفَاضَةِ الكَرَامَةِ التِي اِنْدَلَعَت فِي أَوَاخِرِ عَامِ ١٩٩٤ م، واِسْــتَمَرَّ اِعْتِقَالِي مَا يُقَارِبُ ١٤ شَهْرًا، تَعَرَّضْتُ فِي هَذَا الِاعْتِقَالِ للضَّرْبِ الشَّدِيدِ وكَانَ عُمْرِي حِيْنَهَا ١٥ عَامًا.

مَثَّــلَ الِاعْتِقَالُ الثَّانِي اِنْعِطَافَةً كَبِيرَةً ومُهِمَّــةً جِدًّا في حَيَاتِي حَيثُ عِشْــتُ الأَجْوَاءَ الإِيمَانِيَّةَ والرَوْحَانِيَّةَ المُنْقَطِعَةَ النَّظِيرِ مِمَّا أَثَّرَ ذَلِكَ عَلى شَخْصِيَّتِي بِشَــكْلٍ كَبِيرٍ، وغَيَّرَ مَسَــارَ حَيَاتِي، وقَد تَعَلَّمْتُ مِن هَذِهِ التَّجْرِبَةِ أَفْضَلَ دُرُوسِ حَيَاتِي إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وهِيَ النِّعْمَةُ التِي أَشْكُرُ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَيْهَا مَا دُمْتُ على قَيْدِ الحَيَاةِ.

وكَانَ الِاعْتِقَالُ الثَّالِثُ بَعْدَ الإِفْرَاجِ عَنِّي بِسَــنَةٍ تَقْرِيبًا حِيْنَ نَظَّمْنَا تَظَاهُرَةً فِي مَنْطِقَةِ كَرْبَابَادَ فِي بِدَايَةِ عَامِ ٢٠٠١م حِيْنَ كَانَ النِّظَامُ يُرَوِّجُ لِمَشْرُوعِ المِيثَاقِ الوَطَنِيِّ، وقَد اِسْــتَنَدْنَا على بَيَانِ سَمَاحَةِ آيَةِ اللهِ الشَّيخِ عيســى قاسم الذِي كَتَبَهُ مِن مَدِينَةِ قُم المُقَدَّســةِ حِيْنَ كَانَ مُبْعَدًا عَنِ البحرينِ مُعْتَبِرًا المِيثَاقَ بَيْعَةً للظَّالِمِ وهِيَ لَا تَجُوزُ، وقَد رَفَعْنَا شِعَارَاتٍ رَافِضَةً للمِيثَاقِ ومُطَالِبَةً بِنَفْسِ المَطَالِبِ التِي تُرْفَعُ فِي اِنْتِفَاضَةِ الكَرَامَةِ ورَفْعِ الحِصَارِ عَن سَــمَاحَةِ الشَّــيخِ الجمري الذِي تَــمَّ إِخْرَاجُهُ مِن

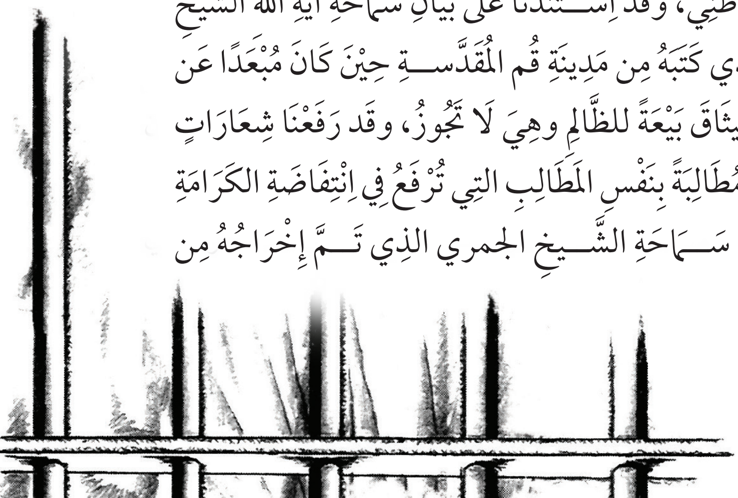

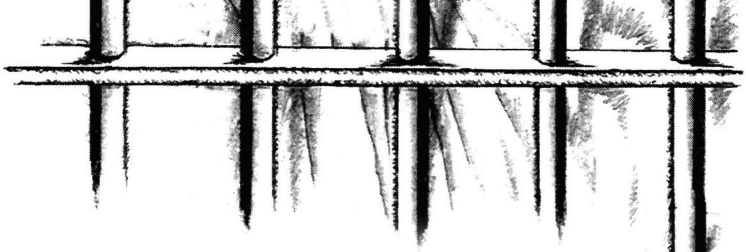

السِّجْنِ ووُضِعَ فِي الحِصَارِ الجَبْرِيِّ فِي مَنْزِلِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ.

و دَاهَمَتْ قُوَّاتُ النِّظَامِ فِي تَارِيخ ٢٣/ ١/ ٢٠٠١ م مَنْزِلَنَا بِشَكْلٍ وَحْشِيٍّ جِدًّا، وقَد تَعَارَكْتُ مَعَ القُوَّاتِ فِي مَنْزِلِنَا، وتَعَرَّضْتُ عَلَى أَثَرِهِ إِلَى الضَّرْبِ الشَّدِيدِ بَعْدَ تَقْيِيدِي ثُمَّ أَخَذَتْنِي القُوَّاتُ إِلَى مَنْطِقَةٍ مَعْزُولَةٍ وتَجَمَّعَت حَوْلِي القُوَّاتُ مِن كُلِّ نَاحِيَةٍ وضَرَبُونِي ضَرْبًا مُبَرِّحًا أَفْقَدَنِي الوَعْيَ وثُمَّ حَمَلُونِي فِي سَيَارَتِهِمُ إِلَى مَرْكَزِ شُرْطَةِ البديع الذِي بَقِيتُ فِيهِ فِي السِّجْنِ الإِنْفِرَادِيِّ وتَعَرَّضْتُ فِيهِ لِلتَّعْذِيبِ القَاسِي والشَّدِيدِ حِيْنَهَا، وتَمَّ عَرْضُنَا لِلمَحَاكِمِ إِلَّا أَنَّ الإِفْرَاجَ العَامَ الذِي صَدَرَ لِكُلِّ المُعْتَقَلِينَ السِّيَاسِيِّينَ فِي تَارِيخِ ٦/ ٢/ ٢٠٠١ م حَالَ دُونَ أَنْ يَصْدُرَ عَلَيْنَا حُكْمٌ بالسَّجْنِ.

الاِعْتِقَالُ الرَّابِعُ كَانَ فِي عَامِ ٢٠٠٣ م، وذَلِكَ حِيْنَمَا كُنَّا نُوَزِّعُ الإِعْلَانَاتِ التَّحْشِيدِيَّةَ لِحُضُورِ مَسِيرَةِ «عِيدُ الشُّهداء» فِي ١٧ ديسمبر التِي تَدْعُو لَهَا لَجْنَةُ الشُّهداء وضَحَايَا التَّعْذِيبِ فِي أَحَدِ الشَّوارِعِ المُهِمَّةِ بالقُرْبِ مِن مُجَمَّعِ السِّيفِ التِّجَارِيِّ، إِلَّا أَنَّ تَدَخُّلَ كُلٍّ مِن السَّيِّدِ جعفر العلوي رَئِيسِ لَجْنَةِ الشُّهداء وضَحَايَا التَّعْذِيبِ آنَذَاكَ ونَائِبِهِ الأُسْتَاذِ مجيد ميلاد والنَّائِبِ فِي البَرْلَمَانِ الشَّيخ عبد الله العَالِي حَالَ دُونَ اِعْتِقَالِنَا بِأَنْ تَمَّ تَوْقِيعُنَا عَلَى تَعَهُّدٍ كَتبِيٍّ بِأَنْ لَا نُوَزِّعَ مِثْلَ هَذِهِ المَنْشُورَاتِ والإِعْلَانَاتِ فِي هَذِهِ المَنْطِقَةِ وتَمَّ الإِفْرَاجُ عَنَّا بَعْدَ تَوْقِيفٍ دَامَ مَا يُقَارِبُ ٦ سَاعَاتٍ.

فِي عَامِ ٢٠٠٤ م خَرَجْتُ مِن البحرينِ مُتَّجِهًا إِلَى قُم المُقَدَّسَةِ طَالِبًا لِعُلُومِ أَهْلِ البَيتِ عَلَيْهِم السَّلَام، وأَبْعَدَنِي هَذَا السَّفَرُ عَن مُجْرَيَاتِ الأَحْدَاثِ فِي البحرينِ جَسَدًا إِلَّا أَنِّي كُنتُ أُتَابِعُ كُلَّ مُجْرَيَاتِ الأَحْدَاثِ أَوَّلًا بأَوَلٍ، وأُحَاوِلُ أَنْ أُسَاهِمَ بِمَا أَسْتَطِيعُ مِن خِلَالِ حُضُورِي فِي فَتَرَاتِ العُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ للمُشَارَكَةِ فِي الفَعَالِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ والاِحْتِجَاجِيَّةِ التِي تُقَامُ وأَنَا فِي البحرين.

في عَامِ ٢٠٠٥ م حَصَلَ اِخْتِلَافٌ كَبِيرٌ حَوْلَ مَوْضُوعِ التَّسْجِيلِ تَحْتَ مِظَلَّةِ قَانُونِ الجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ الذِي أَقَرَّهُ البَرْلَمَانُ المُقَاطَعُ مِن قِبَلِ المُعَارَضَةِ، فَقَرَّرَتْ جَمْعِيَّةُ الوفاق الوطني الإسلامية وبَقِيَّةُ الجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ بَعْدَ مَخَاضٍ كَبِيرٍ وقَاسٍ أَنْ تُسَجِّلَ تَحْتَ مِظَلَّةِ القَانُونِ مِمَّا سَبَّبَ اِنْشِقَاقًا كَبِيرًا فِي أَغْلَبِ الجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ المُعَارِضَةِ، وكُنتُ أَحَدَ الذِينَ تَوَقَّفُوا عَن العَمَلِ والمُشَارَكَةِ فِي العَمَلِ السِّيَاسِيِّ فِي جَمْعِيَّةِ الوفاق الوطني الإسلامية التِي كُنتُ أَنْتَمِي إِلَيْهَا، ولَكِنْ بِسَبَبِ عَدَمِ وُجُودِي فِي البحرينِ لَمْ أَدْخُلْ فِي جِدَالَاتِ التَّسْجِيلِ وعَدَمِ التَّسْجِيلِ الذِي كَانَ يَشْغَلُ السَّاحَةَ آنَذَاك.

تَأَسَّسَتْ حَرَكَةُ حَقٍّ لِلحُرِّيَّاتِ والدِيمُقْرَاطِيَّةِ فِي نَفْسِ العَام وقَد كَانَ شِعَارُهَا «شَرْعِيَّةُ الحَقِّ لَا شَرْعِيَّةُ القَانُونِ» بِقِيَادَةِ الأُسْتَاذ حسن المشيمع نَائِبِ رَئِيسِ جَمْعِيَّةِ الوفاق الوطني الإسلامية سَابِقًا،

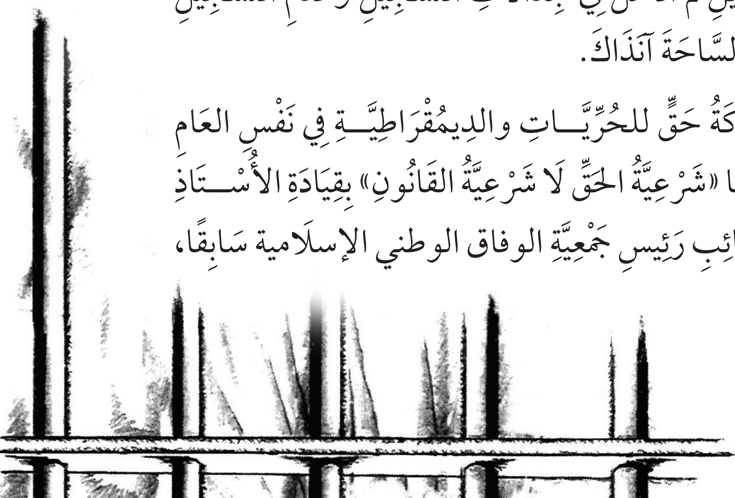

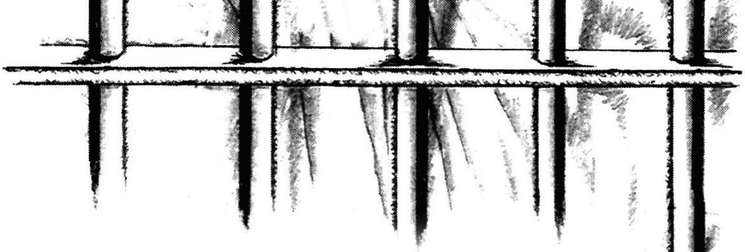

والدُّكْتُورِ عَبْدِ الجليل السنكيس عُضْوِ مَجْلِسِ إِدَارَةِ جَمْعِيَّةِ الوفاق الوطني سَابِقًا، وبِعْضِ النُّخَبِ السِّيَاسِيَّةِ السُّنِّيَّةِ والعَلْمَانِيَّةِ التي انْشَقَّتْ هِيَ الأُخْرَى مِن جَمْعِيَّاتِهِم التِي يَنْتَمُونَ إِلَيْهَا اِعْتِرَاضًا على التَّسْجِيلِ تَحْتَ مِظَلَّةِ قَانُونِ الجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ الذِي يُقَيِّدُ عَمَلَ الجَمْعِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ، ومِن هَذِهِ الشَخْصِيَّاتِ:

-الشَّيْخُ عيسى الجودر عَالِمُ دِينٍ سُنِّيٍّ.

-الدُّكْتُورُ علي ربيعة نَائِبٌ سَابِقٌ فِي بَرْلَمَانِ ١٩٧٣ م.ومُعَارِضٌ سِيَاسِيٌّ لِيبرَالِيٌّ.

-المُحَامِيَةُ القَدِيرَةُ جليلة السَّيِّد.

وغَيْرُهُمْ مِن الشَّخْصِيَّاتِ البَارِزَةِ والمَعْرُوفَةِ.

وقد شَارَكْتُ فِي بَعْضِ المَشَارِيعِ التِي أَقْدَمَتْ عَلَيْهَا حَرَكَةُ حَقٍّ ومِن أَهَمِّهَا العَرِيضَةُ الأُمَمِيَّةُ التِي تُطَالِبُ بِتَنْحِيَةِ رَئِيسِ الوُزَرَاءِ. وقَد كَانَتْ أَكْبَرَ عَرِيضَةٍ شَعْبِيَّةٍ كُتِبَتْ فِي تَارِيخِ البحرينِ آنَذَاكَ.

تَعَرَّضَتْ حَرَكَةُ حَقٍّ وأَتْبَاعُهَا إِلَى ضَرَبَاتٍ أَمْنِيَّةٍ عَدِيدَةٍ، ولَكِنْ بِسَبَبِ تَوَاجُدِي فِي غَالِبِ العَامِ خَارِجَ البحرينِ لَمْ أَتَعَرَّضْ لِلاِعْتِقَالِ حِينَهَا.

فِي عَامِ ٢٠٠٩ تَأَسَّسَ تَيَّارُ الوَفَاءِ الإِسْلَامِيِّ بِقِيَادَةِ الأُسْتَاذِ عَبْدِ الوَهَابِ حسين -الذِي اِنْسَحَبَ مِن جَمْعِيَّةِ الوفاق الوطني الإسلامية فِي عَامِ ٢٠٠٥ مَعَ الأُسْتَاذِ حسن المشيمع إِلَّا أَنَّهُ آثَرَ البَقَاءَ حَبِيسَ

بَيْتِهِ مُعْتَزِلًا العَمَلَ السِّياسِيِّ، وقد كَانَ لَدَيْهِ مُلاحَظَاتٌ نَقْدِيَّةٌ على العَمَلِ السِّيَاسِيِّ يَطْرَحُهَا فِي جَلْسَتِهِ الأُسْبُوعِيَّةِ التِي يَحْضُرُهَا الشَّبَابُ الثَّوْرِيُّ المُتَعَطِّشُ للفِكْرِ الثَّوْرِيِّ والتَّنْظِيرِ الإِسْلَامِيِّ للفِكْرِ المُمَانِعِ، وقَد كَانَتْ مُلَخَّصَاتُ الجَلْسَةِ الأُسْبُوعِيَّةِ تُعْرَضُ على صَفَحَاتِ المَوَاقِعِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ فِي الإِنْتَرْنِت - ونُخْبَةٍ مِن العُلَماءِ الأَفَاضِلِ وعلَى رَأْسِهِم سَماحَة آيَةِ الله الشَّيخ عبد الجليل المقداد، وسَماحَةُ الشَّيخ سعيد النوري، وسَماحَة الشَّيخ عبد الهَادي المخوضر، وسَماحَةُ الشَّيخ فاضل الدهنيم، وسَماحَةُ السَّيِّدِ علوي البلَادي، والنَّاشِطُ الحُقُوقِيُّ الأُسْتَاذُ عبد الهَادي الخواجة، وقد تَبَنَّى تَيَّارُ الوَفَاءِ الإِسْلَامِيِّ مَنْهَجَ الإِمَّامِ الخُمَيْنِيِّ رُضْوَانُ الله تعَالَى عَلَيْهِ فِي العَمَلِ السِّياسِيِّ والدِّينِيِّ.

وقَد كَانَ تَيَّارُ الوَفَاءِ يُمازِجُ بَيْنَ العَمَلِ السِّياسِيِّ والثَّقَافِيِّ فِي حِراكِهِ، وخَاضَ مخَاضَاتٍ صَعْبَةً عَسِيرَةً دَاخِلِيَّةً -أَيْ دَاخِلَ البَيْتِ الشِّيعِيِّ- وخَارِجِيَّةً -أَيْ مَعَ النِّظَامِ- مِن أَجْلِ وِلَادَتِهِ أَعْزُفُ عَن ذِكْرِهَا هُنَا.

فِي عَامِ ٢٠١٠ م كَانَ تَيَّارُ الوَفَاءِ الحَدِيثُ الوِلَادَةِ والتَّأْسِيسِ علَى مَوْعِدٍ مَع ضَرْبَةٍ أَمْنِيَّةٍ قَاسِيَةٍ اِسْتَهْدَفَتْ أَغْلَبَ قِيَادَاتِهِ ونُشَطَائِهِ الفَاعِلِينَ فِي لجَانِهِ.

فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ كُنْتُ أَحَدَ أَعْضَائِهِ الفَاعِلِينِ، ولَكِنْ بِسَبَبِ تَوَاجُدِي خَارِجَ البحرينِ فِي أَغْلَبِ الوَقْتِ لَم أَكُنْ مِن ضِمْنِ المُعْتَقَلِينَ.

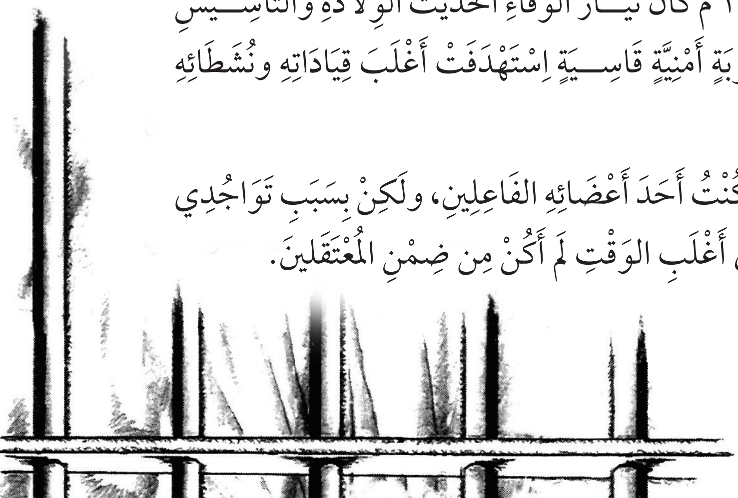

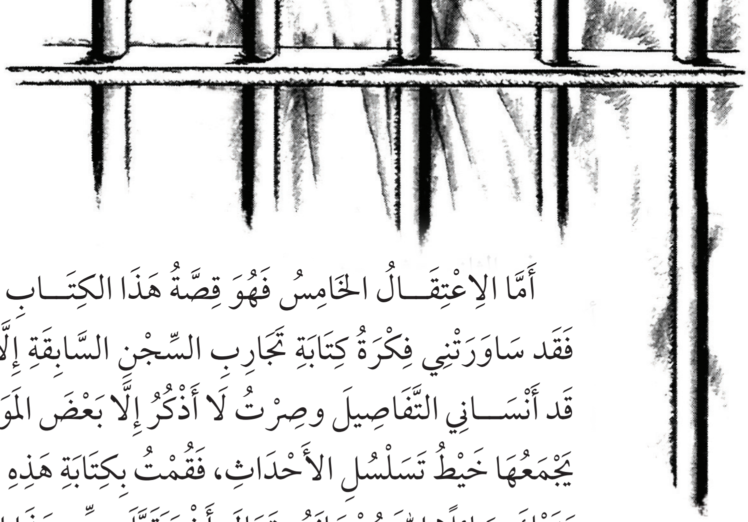

أَمَّا الاعْتِقَالُ الخَامِسُ فَهُوَ قِصَّةُ هَذَا الكِتَابِ الذِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَدْ سَاوَرَتْنِي فِكْرَةُ كِتَابَةِ تَجَارِبِ السِّجْنِ السَّابِقَةِ إِلَّا أَنَّ تَقَادُمَ الزَّمَنِ قَدْ أَنْسَانِي التَّفَاصِيلَ وصِرْتُ لَا أَذْكُرُ إِلَّا بَعْضَ المَوَاقِفِ المُتَنَاثِرَةِ ولَا يَجْمَعُهَا خَيْطُ تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ، فَقُمْتُ بِكِتَابَةِ هَذِهِ الأَوْرَاقِ التِي بَيْنَ يَدَيْكَ سَائِلًا اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا القَلِيلَ وأَنْ يَكُونَ شَافِعًا لِي فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ مَالٌ ولَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وفِي الخِتَامِ لَا يَفُوتُنِي أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ الجَزِيلِ لِكُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِي إِكْمَالِ هَذَا الكِتَابِ خُصُوصًا سَمَاحَةَ آيَةِ اللهِ المُجَاهِدِ السَّيِّدِ هَادِي المدرسي حَفِظَهُ اللهُ عَلَى عِنَايَتِهِ وكِتَابَتِهِ لِمُقَدِّمَةِ هَذِهِ المُذَكِّرَاتِ، وهُوَ أَحَدُ الذِينَ شَجَّعُونِي عَلَى إِكْمَالِهَا، سَائِلًا اللهَ لَهُ دَوَامَ التَّوْفِيقِ.

سَيِّد مُرْتَضَى السَّنَدِي/ قم المُقَدَّسَة

٢٦/ ١١/ ٢٠١٥ م

السَّاعة: ١:٣٥ فجرًا

الفصل الأَول:

فتيل الثَّورَة

المدخل

تفاجأَ العَالَمُ كلُّه بِمَا يجري فِي تونسَ، هبَّةٌ شــعبيَّةٌ كبيرةٌ، بَدَأَت مِن قِصَّةٍ غريبةٍ جِدًّا، شابٌ جامعيٌّ أشعلَ النَّارَ بنفسِه احتجاجًا علَى سوءِ المُعَاملةِ التِي عَاملَهَا إيَاه رَجُلُ الأمنِ التونسيِّ، العجيبُ فِي الأمرِ هو ردَّةُ فِعْلِ رَجُلٍ عربيٍّ اعتَادَ علَى الذُّلِّ والإِهَانةِ كيف ينتفضُ، وعندمَا يَفقِــدُ الحيلةَ يقومُ بحرقِ نفســه؛ لأنَّه يَعتقِدُ أن لَا قيمــةَ للحيَاةِ بلَا كرَامةٍ، ليُعلِنَ أن حيَاةَ الذُّلِّ لَا تُطَاقُ، ولم يَعُدْ يتحمَّلُ أكثرَ من ذلك.

محمد البوعزيزي اســمٌ تردَّدَ فِي كلِّ وسَائلِ الإعلَامِ، كان الاسمَ الأبرزَ فِي تلك الفترةِ، تُوُفِّيَ البوعزيزي متأثِّرًا بحروقِه البليغةِ، فأحيَا بموتِه شَعْبَ تونس الذِي كان يرزحُ تحت الظُّلمِ والاضطهَادِ والذُّلِّ فِي بلدٍ بوليسيٍّ لَا يَعرِفُ إلَّا لغةَ النَّارِ والحديدِ.

ثارَ شَــعْبُ تونس علَى طَاغيــةِ بلدِهم «زيــن العَابدين بن علي»

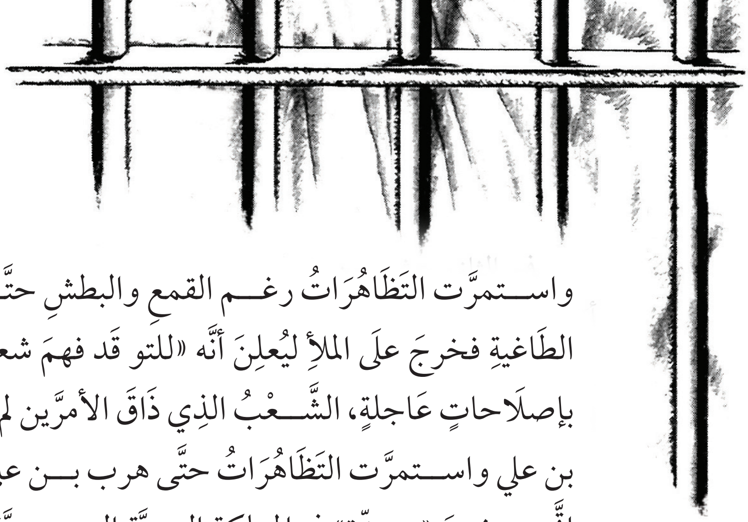

واستمرَّت التَظَاهُرَاتُ رغم القمعِ والبطشِ حتَّى تزَلزَلَ عرشُ الطَاغيةِ فخرجَ علَى الملأِ ليُعلِنَ أنَّه «للتو قَد فهمَ شعبَه»، وأنَّه سيقومُ بإصلَاحاتٍ عَاجلةٍ، الشَّعْبُ الذِي ذَاقَ الأمرَّين لم يقبل بغيرِ رحيلِ بن علي واستمرَّت التَظَاهُرَاتُ حتَّى هرب بن علي علَى متنِ طَائرةٍ اتَّجهت نحوَ «جِدّة» فِي المملكةِ العربيَّةِ السعوديَّةِ بعد أن رَفضَت استقبالَه كلُّ البُلدَانِ الحليفةِ معه، كان للسعوديَّةِ عصا السَبْقِ لنيلِ وِسَامِ العَارِ فِي العَالم باستقبالِها لبن علي.

هربَ بن علي وسقطَ نظامُه، ممَّا حفَّزَ كلَّ الشعوبِ المقهورةِ المضطهدةِ؛ لأن تثورَ علَى طُغاتِهَا المُستعبِدِين لهم، إن النَّارَ التِي أحرقَت البوعزيزي امتدَّت لخارجِ تونس، لتصلَ إلَى البلدَانِ المجاورةِ، وكان أَولُ شَعْبٍ يلحقُ بالرَّكبِ التونسيِّ هو الشَّعْبُ المصريُّ الذِي ذَاقَ مَا ذَاقَ من الاضطهَادِ والظُّلمِ علَى يدِ نظامِ حسني مبارك العميلِ الأكبرِ لسِيَاسَةِ أمريكا والصهيونيَّةِ فِي المنطقةِ.

بَدَأت ثَوْرَةُ مصرَ وانطلقَت دعواتٌ كثيرةٌ فِي عدَّةِ بُلدَانٍ للثَوْرَةِ علَى الأنظمةِ المُتهَالِكَةِ، التِي لم تعرف سوى لغةَ البطشِ والقمعِ والإرهَابِ تجاه شعوبِهَا.

البحرينُ هِيَ إحدَى البُلدَان التِي تحكُمُها عَائلةٌ ظالمةٌ مستبدَّةٌ تحكُمُ بالنَّارِ والحديدِ، منذ اللَحْظَةِ الأُولى لدخولِ العَائلةِ الخليفيَّةِ إلَى البحرينِ وشَعْبُ البحرينِ يُلَاقِي الأمرَّين، لم يَذُق طعمَ الهناءِ

بل مَا يزيدُ الجرحَ إيلَامًا هو أَنَّنَا كلَّمَا سَافرنا إِلَى بلدٍ يحسدوننا لأَنَّنا خليجيون!!!!

ثرواتُ البلدِ كلُّها فِي يدِ العَائلةِ الحاكمةِ، الكلمةُ جَرِيمَةٌ تستحقُّ عليهَا المحاكمةَ وِفْقَ قانونِ الإرهَابِ، الزنزانَاتُ تضجُّ بصرَاخِ المُعَذَّبِينَ وآهَاتِهم، الأحرَارُ من الشَّعْبِ مُلَاحَقون مُطَارَدون ومُعْتَقَلون، النَّاسُ تنَامُ وهي تترقَّبُ هجومَ المُرْتَزَقَةِ الذِين جُلِبُوا من كلِّ أصقاعِ الأرضِ لتَعْذِيبِهم وإهَانتِهم، السواحلُ مُصادَرةٌ، الجيشُ والشُّرْطَةُ ممنوعةٌ علَى طَائفةٍ كبيرةٍ من أبنَاءِ الشَّعبِ، التجنيسُ السِّيَاسِيُّ لَا يتوقَّفُ لتبديلِ التركيبةِ الديموغرَافيَّةِ للبلدِ، والانقلَابُ علَى الدُّستورِ التوافقيِّ وفرضُ دستورٍ من قِبَلِ الحاكمِ فقط، وقائمةٌ لَا تنتهي من المشكلَاتِ الكثيرةِ فِي هَذِهِ الجزيرةِ الصغيرةِ.

كلُّ هَذِهِ المشكلَاتِ وغيرهَا الكثير، كان آخرُهَا اِعْتِقَالَ مجموعةٍ من النُّشطَاءِ الفاعلين فِي شهرِ الله الكريم شهرِ رمضانَ شهرِ الرَّحمةِ والغُفرَانِ الإلهيِّ، ويتحوَّلُ هذَا الشهرُ إِلَى شهرِ عَذَابٍ يَنْصَبُّ علَى شرفاءِ هذَا البلدِ الكريم، وهذَا الشَّعْبِ الطيِّبِ المُسَالمِ، وقامَت السلطةُ بحملةٍ إعلاميَّةٍ كبيرةٍ علَى المُعْتَقَلين فِي التلفازِ والإذَاعةِ والصُّحفِ، وامتلأَت الشوارعُ باليَافطَاتِ التحريضيَّةِ علَى شرفاءِ الوطنِ الذِين يُدَافِعون عَن حقوقِ الشَّعْبِ المسلوبةِ والمُنتهكةِ، امتدَّت يدُ الظُّلمِ إِلَى

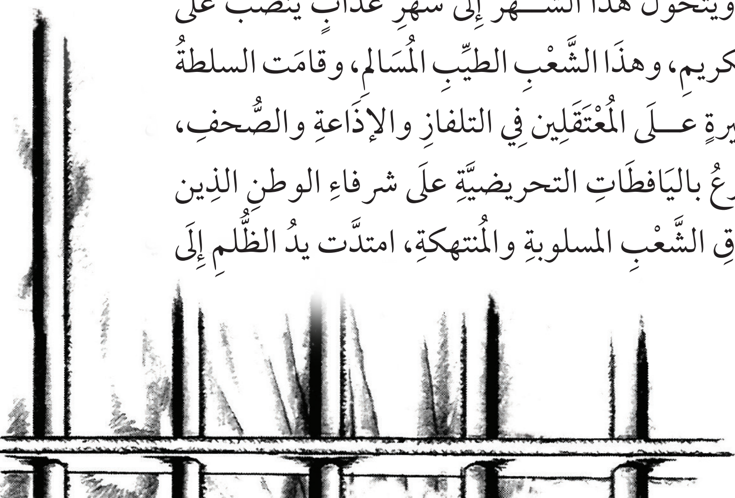

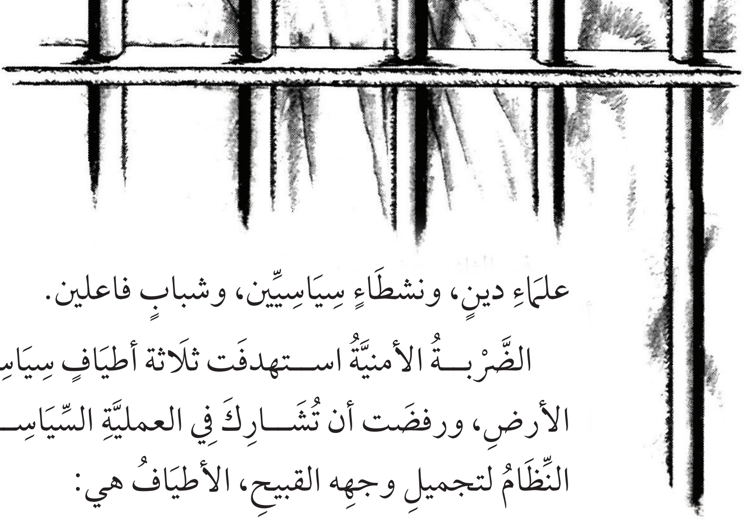

علمَاءِ دينٍ، ونشطَاءٍ سِيَاسِيِّين، وشبابٍ فاعلين.

الضَّرْبــةُ الأمنيَّةُ اســتهدفَت ثلَاثة أطيَافٍ سِياسِــيَّةٍ تنشــطُ علَى الأرضِ، ورفضَت أن تُشَــارِكَ فِي العمليَّةِ السِّياسِــيَّةِ التِي رســمَهَا النِّظَامُ لتجميلِ وجهِ القبيحِ، الأطيَافُ هي:

تيَّارُ الوفاءِ الإسلَاميِّ.

حركةُ الحريَّاتِ والديمقرَاطيَّةِ حقٌّ.

حركةُ أحرَارِ البحرينِ الإسلَاميَّةِ.

هَذِهِ الأطيَــافُ الثلَاثةُ كان لهَا الدورُ الكبيرُ فِي الإبقاءِ علَى الحرَاكِ الشــعبيِّ والتظَاهُرَاتِ فِي البحرينِ، رغــم الضُّغوطَاتِ والضَّرَباتِ الأمنيَّةِ المتكررةِ علَى الشــبابِ الفاعلِ، وكانت هَــذِهِ الأطيَافُ تُمَثِّلُ المظلَّةَ السِّيَاسِيَّةَ للشبابِ المضحِّي، الذِي لم يترك الشوارعَ والسَّاحاتِ ولم يَعُدْ إلَى بيتِه طوالَ فترةِ المشروعِ التخريبيِّ للطَّاغيةِ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم جزيرةِ البحرينِ، لذَلِكَ كان الانتقامُ من هَذِهِ الجهَاتِ انتقامًا شَدِيدًا ويحملُ طَابعَ القسوةِ.

نحن والعَاصفة:

كان لمنزلِ والدي العزيزِ نصيبٌ من الحملةِ الأمنيَّةِ التِي ابتدأَت فِي شــهرِ رمضانَ، فخِلَالَ شهرٍ ونصفٍ تَمَّ مُدَاهمةُ منزلنَا ثلَاث مرَّاتٍ، المرةُ الأُولى كانوا يقصدون ويستهدفون أَخِي الأكبر «سَيِّد علي»، وفي

المرَّةِ الثانيةِ كانوا يطلبون أَخِي الأصغرَ «سَـيِّد قاسم»، وبعدَ الشهرِ الكريمِ قُمْتُ بمغادرةِ البحرينِ لأعودَ إِلَى قم محلِّ إقامتي ودِرَاستي، وأنَا فِي قم تَمَّ مدَاهمةُ منزلنَا ولم يذكروا اسمَ المطلوبِ فِي هَذِهِ المرةِ(١) كنتُ أَنَا المطلوبَ وقَد أخبرونِي بذَلِكَ حِيْنَ اعتقلوني.

قاسَى المُعْتَقَلون فِي أَقْبِيَةِ السُّـجونِ أشدَّ وأقسى أنواعِ التَّعْذِيبِ، كانـت أخبارُهم تصلُ إلينَا عبر محاميهم الذِيـنَ التقوا بهم فِي النِّيَابَةِ العَامَّـةِ، بعدَ فترةٍ مـن الزَّمنِ، وصلَ التَّعْذِيبُ بهم إِلَى التَّحرشـاتِ الجنسيَّةِ بالعلمَاءِ.

كان مَا نسمعُه من أخبارٍ يتُمُّ تنَاقلُهَا عبر مواقعِ الإنترنتِ وغيرهَا، يجعلُنَا نعتصرُ ألمًا علَى أخوتِنَـا فِي الجهَادِ والإيمَانِ والمُطَالبةِ بالحقوقِ، كانـت صرخاتُهم فِي سرَاديبِ القلعةِ تفطرُ قلوبنَا، ولَا حولَ ولَا قوةَ لنَا إلَّا الدُّعَاء لربِّ السَّمَاءِ.

تحوَّلَت البحرينُ إِلَى بلدٍ لَا يُطَاقُ العيشُ فيه، شبابُنَا مطَاردون، ولَا يجدون ملَاذًا يلوذون به، وقُوَّاتُ سـلبِ الأمنِ فِي كلِّ مَكَانٍ وأعدَادُ المُعْتَقَلِين فِي تزايدٍ كبيرٍ، الأَوضاعُ فِي البحرينِ تلتهبُ يَوْمًا بعدَ يَوْمٍ.

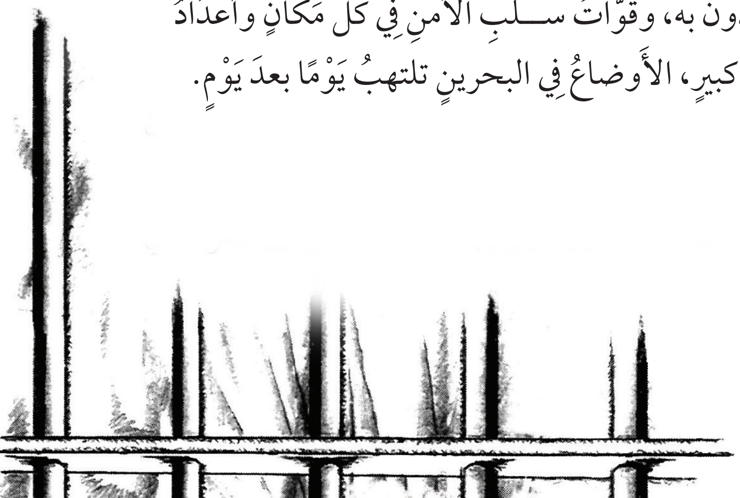

الفصل الثاني:

انكسار القيد

فِي ظِلِّ هَـذِهِ الأجواءِ، وهَـذِهِ الظروفِ حصلَت ثَـوْرَةُ تونس وأسـقطَت بن علي، وحصلَ مَا حصـلَ فِي مصرَ، مِمَّا حَفَّزَ شَـعْبَ البحرينِ لأن يكسِرَ القيدَ الذِي طَالَ بقـاؤه مُقَيِّدًا لأعنَاقِ الأحرَارِ، ومُكَمِّـمًا لأفواهِ النَّـاسِ، وقَد حانَ وقتُ كلمةِ كفـى للذُّلِّ والهوانِ ولِنَعِشْ أحرَارًا أو لِنَمُتْ أحرَارًا.

جاءَت الدَّعواتُ الشـبابيَّةُ للتظاهرِ فِي يَـوْمِ الغضبِ فِي الذِّكرى العَاشرةِ لميثاقِ العملِ الوطنيِّ الذِي حازَ علَى التصويتِ بنَعَم بنسـبةِ ٩٨,٤٪ أمـلًا فِي أن يحصلَ الشَّـعْبُ عـلَى حريَّتِه وانتهـاءِ مرحلةِ الإرهَابِ السُـلْطوِي، إلَّا أن النِّظَامَ كعَادتِـه انقلبَ علَى كُلِّ المواثيقِ والعهودِ التِي أعطَاهَا للشَّـعْبِ فِي الميثاقِ الوطنيِّ الذِي صَوَّتَ عليه الشَّعْبُ، وكلمةُ الشيخِ الجمري رحمه الله ظَلَّتْ تَتردَّدُ فِي أُذنِ التَّاريخ بأن «ليسَ هذَا الذِي صَوَّتْنَا عليه جميعًا، وليسَ هذَا هو البرلَمانُ الذِي نَاضَلَ من أجلِه الشَّعْبُ شيعةٌ وسنةٌ» تَمَّ التحشيدُ للتَّظَاهُراتِ العَارِمةِ

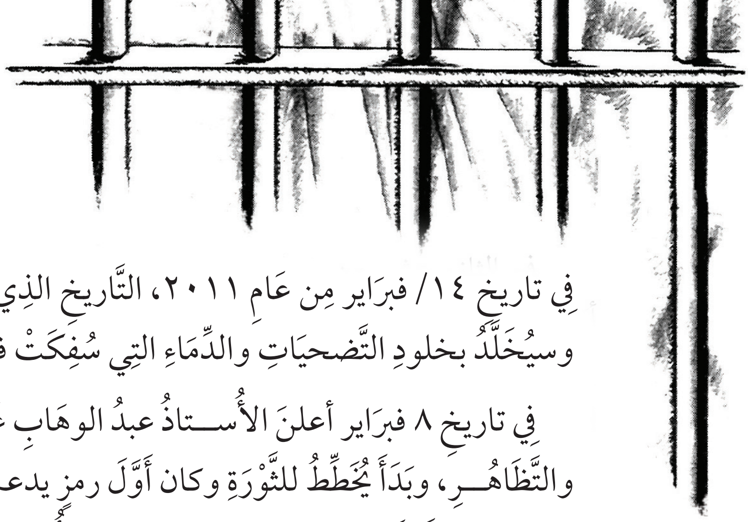

فِي تاريخ ١٤/ فبرَاير مِن عَامِ ٢٠١١، التَّاريخ الذِي حُفِرَ فِي التَّاريخ وسيُخَلَّدُ بخلودِ التَّضحياتِ والدِّمَاءِ التِي سُفِكَتْ فيه.

فِي تاريخِ ٨ فبرَاير أعلنَ الأُستاذُ عبدُ الوهَابِ عَن تَبنِّيهِ للثَّوْرَةِ والتَّظَاهُرِ، وبَدَأَ يُخطِّطُ للثَّوْرَةِ وكان أَوَّلَ رمزٍ يدعمُ الثَوْرَةَ بشكلٍ صريحٍ فِي ذَلِكَ الوقتِ، فِي تاريخ ١٠ فبرَاير أُقِيمَت ندوةٌ فِي سترة «الخارجيّة» بإدَارةِ الشَّهِيدِ علي المُؤْمِن الذِي اِستَشهَدَ بعد ثلَاثةِ أَيَامٍ من انطلَاقِ الثَوْرَةِ المُباركةِ، وقَد نَظَّرَ الأستاذُ عبد الوهَاب حسين للثَوْرَةِ بشكلٍ أكبر وفَصَّلَ فِي طريقةِ بدءِ الحرَاكِ الشعبيِّ وطبيعته.

في ١١ فبرَاير اعتلَى سَماحةُ الشَّيخ عيسى أحمد قاسم منبرَ الجمعةِ وقَطَعَ الطَّرِيقَ علَى المتردِّدِين فِي اللحوقِ بركبِ الثَوْرَةِ بمقولته الشهيرة «الطوفانُ بَدَأَ لَا ليهدَأ»، وكان لِهذَا الخطَاب تأثيرٌ كبيرٌ جِدًّا فِي التحاقِ شرَائحَ كثيرةٍ إِلَى صفوفِ الثائرين.

فِي الثَّانِي عشر من فبرَاير انتصرَت الثَوْرَةُ المصريَّةُ، وأسقطَت أكبرَ عميلٍ فِي المنطقةِ، وأكبرَ حليفٍ لأمريكا وإسرَائيل مِمَّا سَاهمَ فِي رفعِ معَنويَاتِ النَّاسِ وسَاهمَ فِي مشاركةٍ شعبيَّةٍ أوسعَ فِي يوْمِ الغضبِ الجماهيريِّ، وقَد أعطَى سقوطُ مبارك الأملَ الكبيرَ للشُّعوبِ بأن أمريكا مُمكِن أن تتخلَّى عَن عُملَائِهَا فِي حالِ وجدَتهم يترنَّحون أمَامَ ضَرْباتِ الجماهيرِ السِّلميَّة.

مع فجر الرَابع عشر من فبرَاير تقدَّمَ الأستاذُ عبد الوهَاب حسين

أَولَ تظاهرةٍ مع خيوطِ الشَّمسِ المُتسَرِّبَةِ من السَّمَاء، وقَد جُوبِهَت هَذِهِ التَّظاهُرةُ بقمعٍ من قِبَلِ السُّــلطَات. هذَا الأمرُ شَجَّعَ القرى الأخرَى علَى التَّظاهرِ، وكان من أكبرِ التَّظَاهُــرَاتِ فِي ذَلِكَ اليَومِ هِيَ تظاهرةُ جزيرةِ سترة التِي سُــمِّيَت فيَما بعدُ بعَاصمةِ الثَّوْرَةِ وهي المنطقةُ التِي قَدَّمَت أكبرَ عددٍ من الشُّهَدَاء.

باكورة شُهَدَاء الثَّوْرَة:

اســتمرَّت التَّظَاهُرَاتُ إِلَى المَسَــاءِ فِي أنحاءٍ كثــيرةٍ من البحرينِ، وبعدَ صلَاةِ العشائين كان أَوَّلُ شَهيدٍ يهوي علَى تُرَابِ أُوَالَ فِي ثورتِه الجديدةِ ليَروِيَ أرضَهَا بدمِه الطَّاهرَ «علي عبد الهَادي مشيمع» سَقَطَ عــلَى الأرضِ مُضرَّجًا بدمِه علَى بابِ دَارِهم فِي منطقةِ الديه بسَــبَبِ طلقٍ نَاريٍّ «رَصَاصُ الشــوزن» من بُعْدِ مترين أَو ثلَاثة أمتارٍ، حاولَ أهلُ الشَّهيدِ إسعَافَه إلّا أن الأجلَ لم يُسعِفْهُم.

انتشرَ نبأُ اِسْتِشْهَادِ الشَّهيدِ وتَوَجَّهَت أفواجُ النَّاسِ إِلَى المشرحةِ فِي مستشفى السَّلمَانيَّة، وفي تِلكَ الأجواءِ المُلتَهِبَةِ ألقَت أُمُّ الشَّهِيدِ كلمةً ألهبَت فيه قلوبَ الثوارِ الثُّوارِ وضجَّ المَكَانُ بهتافاتٍ حماسيَّةٍ. فِي اليَومِ الثَّانِي لانطلَاقِ ثَوْرَةِ الرَابع عشر من فبرَاير وأثنَاءَ تشــييعِ الشَّــهيدِ الأَول قامَت مجموعةٌ من قُوَّاتِ النِّظَامِ المُرْتَزَقَةِ بمُهَاجمةِ المشــيِّعين بالغازاتِ

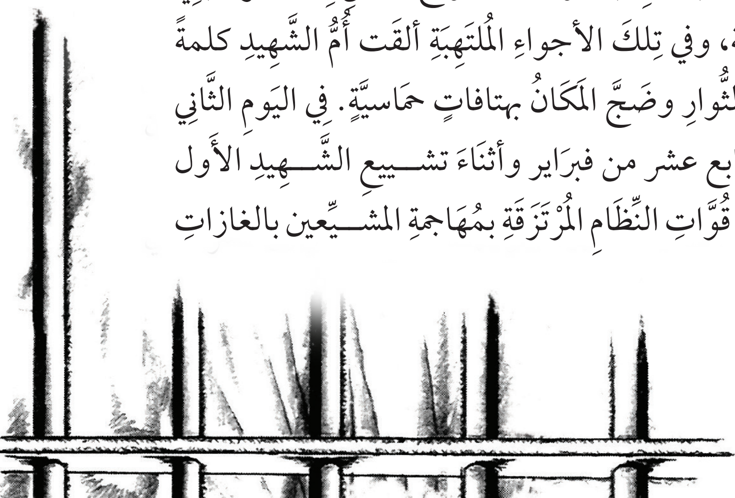

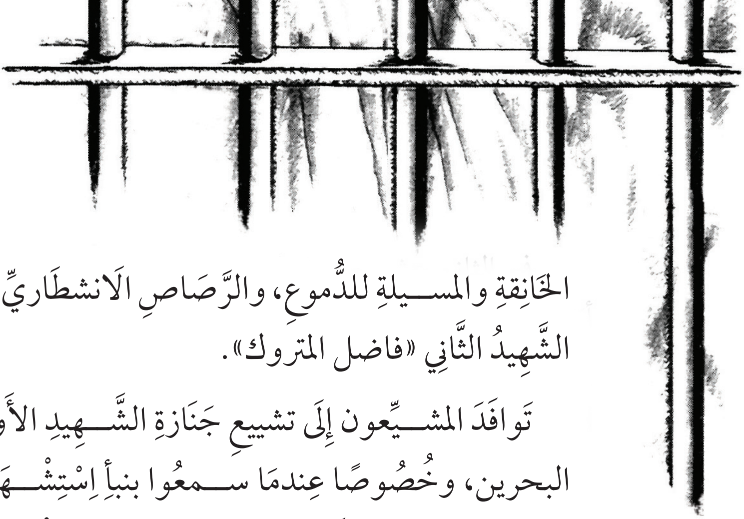

الخَانِقةِ والمسـيلةِ للدُّموعِ، والرَّصاصِ الانشطَاريِّ «الشوزن» فسَقَطَ الشَّهيدُ الثَّانِي «فاضل المتروك».

تَوافَدَ المشـيِّعون إِلَى تشييعِ جَنازةِ الشَّـهيدِ الأَولِ من كُلِّ أرجاءِ البحرين، وخُصُوصًا عِندمَا سـمعُوا بنبأِ اِسْتِشْـهَادِ الشَّهِيدِ فاضل المتروك الذِي سُرْعَانَ مَا انتشرَ خبرُ وصورُ اِسْتِشْـهَادِهِ عبر وسَـائلِ الاتصالِ الحديثةِ تويتر والفيس بوك...إلخ.

ميدَان الشُّهَدَاء:

بعد الانتهَاءِ من تشييعِ الشَّهيدِ تَوجَّه قِسمٌ كبيرٌ من النَّاسِ ليفترشوا الأرضَ فِي دوَّارِ اللؤلؤةِ الذِي عُرِفَ فيمَا بعدُ بـ «ميدَانُ الشُّـهداء». دوَّارُ اللؤلؤةِ هـو أحدُ الأمَاكنِ المُقْتَرَحَةِ للاعتصام الجَمَاهِيريِّ، وقَد تَمَّ تدَاولُ هَذِهِ الفِكْرةِ وعُرِضَت دِرَاسـةٌ كاملةٌ عنه فِي موقع «مُلتَقَى البحرينِ» الذِي كان له الدَّورُ الكبيرُ فِي انطلَاقِ الثَّوْرَة. النَّاسُ تتزايدُ سَـاعةً بعدَ سَاعةٍ وتتوافدُ علَى موقعِ التَّجمُّعِ فِي دوَّارِ اللؤلؤة، النِّظَامُ الخليفيُّ المجرمُ كان يُرَاقِبُ الوضعَ من بعيدٍ ويُعِدُّ اللَّحظاتِ لِيَنْقَضَّ علَى الجموعِ المجتمعةِ هُنَاك.

فِي البدَايةِ قَـامَ تلفزيون «العين الواحـدة» -مُصطَلَحٌ أُطلِقَ علَى التلفزيون الرسميِّ- ببثٍّ مباشرٍ من مسَـافةٍ بعيدةٍ لِيُوهِمَ النَّاسَ أن العددَ المجتمعَ قليـلٌ جِدًّا، وهذَا الفعلُ الغبيُّ قَـد حَفَّزَ النَّاسَ لأن تتَوجَّه بشكلٍ أكبرَ للدوَّارِ. فِي يَوْمِ السَّابعِ عشر من فبرَاير وقبل طلوعِ

الفجرِ قامَت قُــوَّاتُ النِّظَامِ الخليفيِّ المُجرِمِ بمُحاصَرةِ ومُهَاجمةِ دوَّارِ اللؤلؤةِ بشكلٍ عَنِيفٍ جِدًّا، مِمَّا أدَّى إِلَى سقوطِ عددٍ من الشُّهداء وعددٍ كبيرٍ من الجرحَــى واختفاءِ مصيرِ عددٍ كبيرٍ مــن النَّاسِ، ومُحاصرةِ الدوَّارِ من قبلِ الجيشِ البحرينيِّ الذِي لم يَخُضْ أيَّ مُوَاجهةٍ فِي تاريخِه إلَّا مع شعبِه الأعزل.

سُــمِّيَ ذَلِكَ اليَومُ بيَوْمِ الخميسِ الدَّامِي، نَعَم لقَد كان يَوْمًا دمويًا بكُلِّ مَا تحملُه الكلمةُ من معنى، نِسَاءٌ وأطفالٌ وشبَّانٌ ورجالٌ وشيوخٌ يُضْرَبون أَشَــدَّ الضَّرْبِ وأَقسَــاه، وتُوَجَّه لهم البنَــادقُ، ورَصَاصُ الشوزن اخترَقَ أجسَادَ الجميعِ لم يَستثنِ أحدًا، وسَقَطَ فِي ذَلِكَ الحِينِ كُلٌّ من الشَّهيدِ الحاج علي خضير، والشابِ الشَّهيدِ محمود أبو تاكي.

تَمَّ نقلُ الجرحَى والشُّــهداء إِلَى المستشــفَى بصعوبةٍ وانتشرَ خبرُ اِسْتِشْــهَادِهم وخبرُ الهجومِ علَى الميدَانِ فتجمَّعَ النَّاسُ فِي مستشــفى السـلمَانيَّةِ ليتَوَجَّهُــوا إِلَى دوَّارِ اللؤلــؤةِ ليُحرِّرُوه مــن أيدِي القتلِ والبطشِ الخليفيِّ.

وفِي الطريقِ استشهدَ فِي المواجهَاتِ كُلًّا من الحاج الشَّهِيد عيسى عبد الحســن من خلَالِ توجِيه السِّــلَاحِ إِلَى رأسِه من مسَافةٍ أقلِّ من نصــف متر مِمَّــا أدَّى إِلَى تفجيرِ رأسِــه، والتحاقِه بركبِ الشَّــهَادَة. والشَّــهِيد الشــاب علي المُؤْمِن الذِي تَمَّ إطلَاقُ النَّارِ عليه أيضًا من

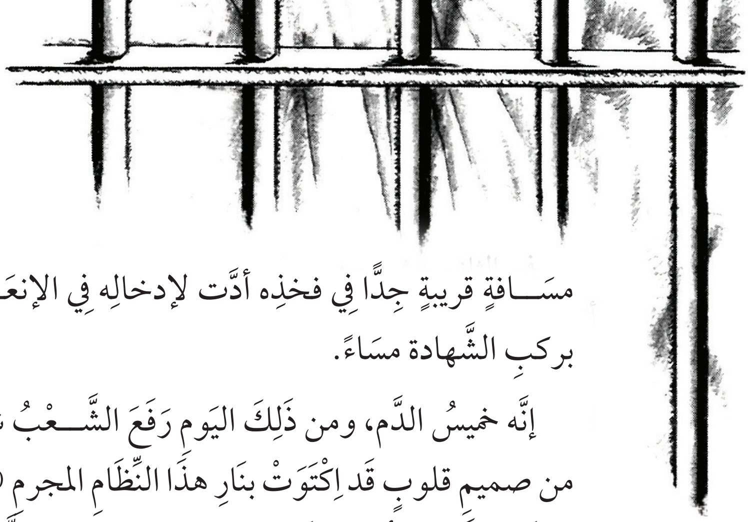

مسَـــافةٍ قريبةٍ جِدًّا فِي فخذِه أدّت لإدخالِه فِي الإنعَــاشِ ثمَّ التحاقِه بركبِ الشَّهادة مساءً.

إنَّه خميسُ الدَّم، ومن ذَلِكَ اليوم رَفَعَ الشَّـــعْبُ شعَارًا كان يخرجُ من صميمِ قلوبٍ قَدِ اكْتَوَتْ بنَارِ هذَا النِّظَامِ المجرم «من يَوْمِ الخميسِ انهينَا الكلَامَ... أقســمنَا يمين نمضي للأمَام... الشَّعْبُ يريد إسْقَاطَ النِّظَام». يَوْمُ الجمعةِ كان يَوْمًا حزينًا، يَوْمُ تشـــييع جثامين الشُّهداء، كُلٌّ فِي منطقتِه، سترة لهَا النصيبُ الأكبرُ، ثلَاثةُ شُهَدَاءٍ فِي يَوْمٍ واحدٍ، والشَّهِيدُ الرَّابعُ فازَت به قريةُ كرزكّان فِي غربِ البحرين.

يَوْمَ السَّبتِ أعلنَت الجمعيّاتُ السِّيَاسِيَّةُ عَن تظاهرةٍ شعبيَّةٍ كبيرةٍ إلَّا أنَّهَا غيَّرت رأيهَا وأجَّلت المَسِيرَةَ إِلَى يَوْمِ الثلثاء، وصادفَ أن ذَلِكَ اليومَ هو يَوْمُ اختتام التعزيةِ للشَـــهِيدِ علي مشيمع، فاجتمعَ النَّاسُ فِي مقـــبرةِ الديه التِي لَا تَبْعُدُ عَن ميدَانِ الشُّـــهداء إلَّا عِدَّةَ كيلو مترَات، فبعدَ انتهَاءِ المَراسمِ العزائيَّةِ تَوَجَّهَ مئاتٌ من الشَّبابِ فِي مَسِيرَةٍ سلميَّةٍ فِي اتِّجاهِ مستشـــفى السّـــلمَانيَّةِ الذِي يحتوِي علَى الكثيرِ من الجرحَى، وعِندَ وصولِ المَسِيرَةِ إِلَى إشــارَاتِ مُفترَقِ الطُّرُقِ إمَّا للسلمَانيَّةِ وإمَّا للـــدوَّار، اتَّجهَت مجموعةٌ كبـــيرةٌ للدوَّارِ غيرَ آبهين بدبَّابـــاتِ النِّظَامِ وجُنُودِه، كانَت لحظاتٍ مليئةً بالحَمَاسِ، يُنَادون «ســـلميّة ســـلميّة»، «حيّ علَى الشَّهَادَة» كان الشبابُ يعلمون أن الذِي يُقابِلُهم لَا دينَ له ولَا مذهبَ سوى الدِّينَار والدِّرهم ومع ذَلِكَ يتقدَّمون.

التمسُّك بالحق:

كانوا يتسَابقون إِلَى الجَنَّةِ، كان هُنَالِك شخصٌ يبرزُ من بينِهم، يُظهِرُ شجاعةً غريبةً تبدو عليه سِيمَاء الفقرَاءِ، إِلَّا أَنَّه أغنَى من فِي الأرضِ لأنه يملكُ حبَّ الله فِي قلبِه، كان يرفعُ لباسَه ويفتحُ صدرَه مُعلنًا استعدَادَه إِلَى الشَّهادَة، كان يُشجِّعُ أقرَانَه، يَتقدَّمُهم ويسيرُ بخطًى مسرعةٍ لَا تردُّدَ فيهَا، عِندمَا اقتربوا من عسَاكرِ النِّظَامِ الخليفيِّ، فتحَ العسَاكرُ أسلحتَهم النَّاريَّة، وسُمِعَ صوتُ الرَّصَاصِ، وسَقَطَ الشَّهيدُ عبد الرضا أبو حميد علَى الأرضِ بعدَ أن اخترقَت رَصَاصةٌ غادرةٌ رأسَه واستقرَّت فيه، سَقَطَ معه جرحَى آخرون، سَالَت الدِّمَاءُ الطَّاهرةُ من رأسِ الشَّهيدِ أبو حميد، ومن جرَاحِ الأخوةِ الذِين معه، رُفِعَ جسدُ الشَّهيدِ علَى الأيدِي وأُخِذَ إِلَى المستشفَى، إِلَّا أنّ عُشَّاقَ الشَّهادة لم يغادروا المَكَانَ، فتحوا صدورَهم ووقفوا أمَامَ دبَّاباتِ العدو الخليفيِّ إعلَانًا منهم أن الدِّمَاءَ فِي سبيلِ الوطنِ عزةٌ وإباءٌ، كانوا علَى استعدَادٍ للشهَادةِ فِي سبيلِ الحريَّةِ والمطَالبِ الحقَّةِ لشَعْبٍ طَالَمَا ذَاقَ الظُّلمَ والاضطهَاد.

خَرَجَ وليُّ العهدِ علَى شاشةِ التِّلفازِ بعدَ أن عَرَفَ إصرَارَ الشَّعبِ علَى انتزاعِ حرِّيَّتِهم ولو كلَّفَهم دِمَاءَهم وحيَاتَهم، ليأمرَ عسَاكرَه

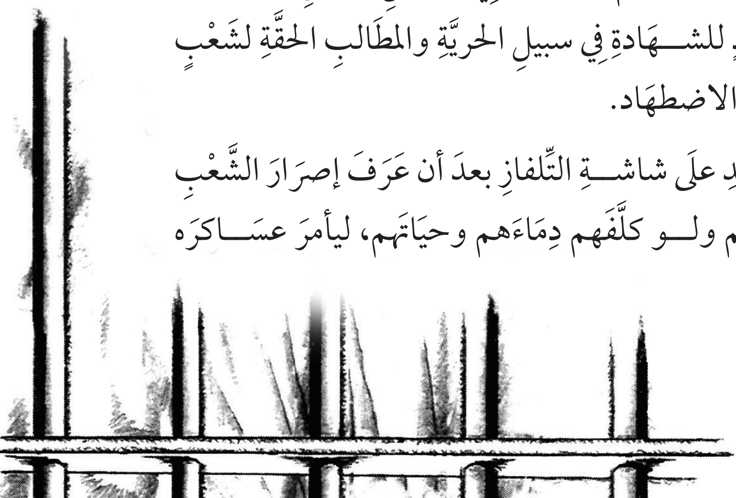

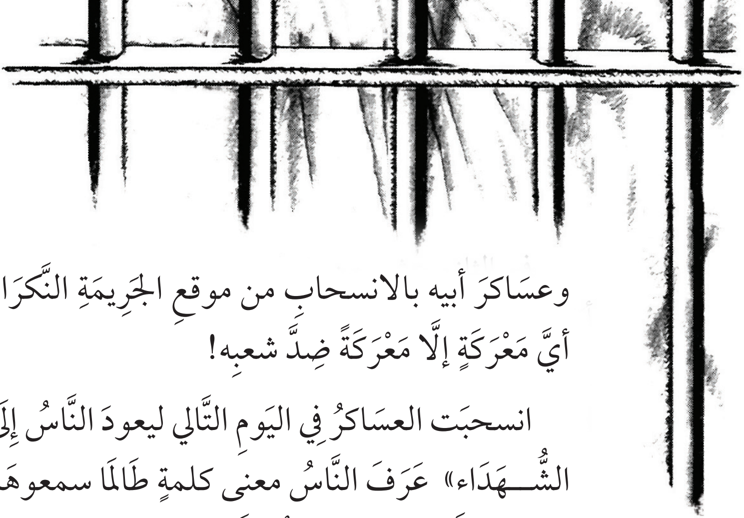

وعسَاكرَ أبيه بالانسحابِ من موقعِ الجَرِيمَةِ النَّكرَاء، جيشٌ لم يَخُضْ أيَّ مَعْرَكَةٍ إلَّا مَعْرَكَةً ضِدَّ شعبِه!

انسحبَت العسَاكرُ فِي اليَومِ التَّالي ليعودَ النَّاسُ إلَى ميدَانِهم «ميدَان الشُّـــهَدَاء» عَرَفَ النَّاسُ معنى كلمةٍ طَالَمَا سمعوهَا كثيرًا «الدَّمُ ثمنُ الحريَّةِ» لأَولِ مــرَّةٍ يَعْرِفُ النَّاسُ المعنى الحقِيقيَّ لهَـذِهِ الكلمةِ حِيْنَ عَادوا إلَى ميدَانهم.

لعبة الودَاعة:

طَلَبَ النِّظَامُ الحوارَ مع أطيَافِ المعَارضةِ وقَد خَلَعَ لِباسَ الذئابِ ليلبسَ لبـاسَ الحَمَلِ الوديع، أَبْعَـدَ الوجوهَ المُجرِمة عَن الشاشـةِ ليسـتبدلَهَا بوجوهٍ طَالَمَا تسـتَّرت بلباسِ الحَمَلِ الوديع، ومَاهي إلَّا تبادلُ أدوارٍ بينهم ليسـيطروا علَى الوضعِ مــن جديد، بعدَ انفلَاتِ زمَــامِ الأمورِ من أيديهم، ولكي يحصلوا علَى فرصةٍ يسـتعيدوا فِيهَا أنفاسَــهم، ليُوجِّهوا الضَّربَةَ القاضيةَ للشَّـعبِ، وهــذَا مَا حَصَلَ، شَـغَلُوا النَّاسَ بين موافقٍ ورَافضٍ للحوار، وحمدٌ يُسَـافِرُ إلَى جارتنَا الكبرى الحائزةِ علَى جائزةِ «العَار الأكبر» فِي التَّاريخِ المعَاصر المملكة العربية السـعودية ليُتِمَّ مشروعَه التآمريَّ علَى شَعْبِ البحرينِ، فبينمَا الجمعيَّاتُ تجتمعُ مع وليِّ العهدِ كانَت أرتالُ الجيشِ السـعوديِّ تُعِدُّ عدَّتَهَا للانقضاضِ علَى الشَّعْبِ المُسَالمِ الأعزل.

كان النَّاسُ فِي ميدَانِ الشُّهداء يستنشـقون عبقَ الحريَّةِ لأَوَّلِ مرَّةٍ

فِي حيَاتِهم، تحوَّلَ الميدَانُ إِلَى أكبرِ منتدًى ثقافيٍّ واجتمَاعيٍّ وسِياسِيّ، اجتمعَ كُلُّ النَّاسِ فِي ميدَانِ العشقِ للشَّهَادةِ، شَعرَ النِّظَامُ بأن الأمورَ تحتاجُ إِلَى تهدئةٍ سريعة، فأَوعزَ إِلَى مواليه أن يتدَاركوا الأمرَ بسرعةٍ كبيرةٍ، أَقَامَ الموالون للنِّظَام والمُستفيدون منه تجمعًا فِي مسجدِ الفاتح لغرضِ التَّشويشِ علَى الرؤيةِ وقَطعِ الطريقِ علَى الأخوةِ السنَّةِ عَن المشاركةِ مع أخوتِهم الشيعةِ، وتصويرِ المسألةِ علَى أنَّهَا خلَافٌ شيعيٌّ سنِّي، وللأسفِ أن هَذِهِ الخطةَ انطلَت علَى الأغلبيَّةِ من أهلِ السنَّةِ من خلَالِ بثِّ الإشاعَاتِ والأكاذِيب، ومن خلَالِ تشغيلِ الآلةِ الإعلَاميَّةِ فِي اتجاه الشَّحنِ الطَائفيِّ عَن طريقِ قنَاةِ العين الواحدة وبعضِ القنواتِ السعوديَّةِ وبعضِ القنواتِ التِي أُسِّسَت علَى عجلٍ لإنقاذِ الوضعِ الخليفيِّ فِي البحرينِ، إذ قامُوا ببثِّ سمومِ الفِكْرِ الطَائفيِّ البغيضِ بين السنَّةِ وصوَّروا الأمرَ بأنَّه خلَافٌ شيعيٌّ سنِّي.

ومن خلَالِ التَّجمعِ المُوالي للنِّظَامِ تَمَّ المطَالبةُ بالإفرَاجِ عَن المُعْتَقَلين السِّيَاسِيِّين لحفظِ مَاءِ وجهِ السُّلطةِ من جهة، وتهدئةِ الوضعِ من جهةٍ أخرى، إلَّا أن الإفرَاجَ عَن الرموزِ المُعْتَقَلين قَد سَاهمَ فِي إصرَارِ النَّاسِ علَى فِكْرةِ إِسْقَاطِ النِّظَام، وخُصُوصًا بعدَ أن تبيَّنَ بشاعةُ مَا تَعرَّضَ له المُعْتَقَلون فِي دَاخلِ السِّجْن، وانقلَبَ السِّحرُ علَى السَّاحر، تَأَجَّجت الثَوْرَةُ أكثرَ من ذي قبلٍ وترسَّخَت فِكْرةُ إِسْقَاطِ

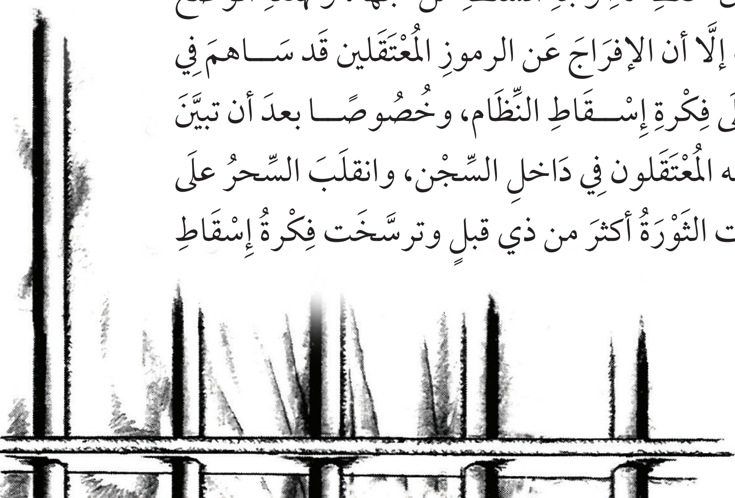

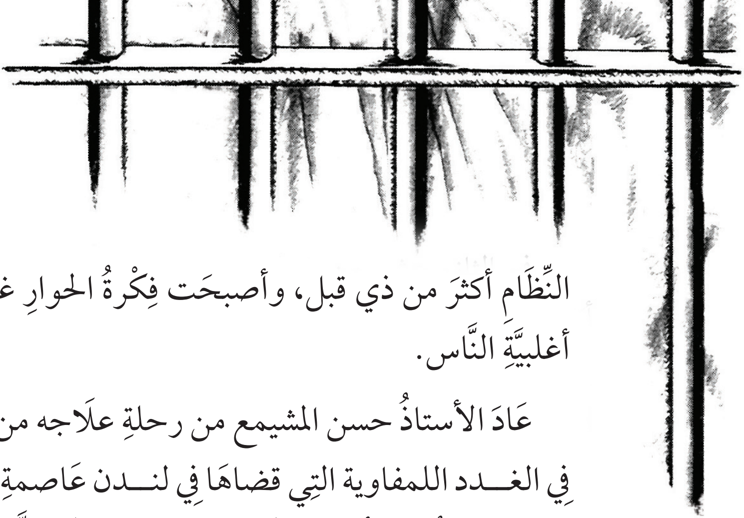

النِّظَام أكثرَ من ذي قبل، وأصبحَت فِكْرةُ الحوارِ غيرَ مستسَاغةٍ عِند أغلبيَّةِ النَّاس.

عَادَ الأستاذُ حسن المشيمع من رحلةِ علَاجه من مرضِ السَّرطَان فِي الغـــدد اللمفاوية التِي قضاهَا فِي لنـــدن عَاصمةِ بريطَانيا، وكانت هنَاك مخاوفٌ كبيرةٌ من اِعْتِقَالِ الأستاذ فِي المطَارِ إلَّا أنه لم يُعتقَل، وقَد لَاقَى استقبالًا كبيرًا جِدًّا، وأُقِيمَ حفلٌ كبيرٌ فِي ميدَانِ الشُّهداء بمنَاسبةِ مجيئه، وقَد انضَمَّ الأستاذُ حسن الذِي يمتلكُ التَّاريخَ الجهَاديَّ الكبيرَ إلَى صفوفِ الثُّوَّارِ وأَصبحَ شِعَارُ إِسْقَاطِ النِّظَام هو الشِّعَارَ السَّائد.

العودة:

كُلُّ هَذِهِ الأَحْدَاثِ كانت تجرِي وأنَا بعيدٌ عَن وطنِي حَيثُ أدرسُ فِي مدينة قم فِي الجمهورية الإســلَاميَّة إيــرَان، كنت أتابعُ الأَحْدَاثَ لَحْظَــةً بلَحْظَةٍ ويعتصرُ قلبــي ألمًا لِمَا يُصِيبُ أحبابِي مــن أبنَاءِ وطني العزيز، لم أكن بجســدي فِي البحرينِ ولكن روحي كانَت ترفرفُ مع النَّاسِ فِي ميدَانِ اللؤلؤة –ميدَان الشُّهَدَاء–، كنت أقضِي أغلبَ وقتي علَى شاشـــاتِ التَّلفزةِ، والانترنت أتابعُ الأَحْدَاثَ والمجريَاتِ أَوَّلًا بأَوّل، كنت أرى الشُّهَدَاءَ يتسَاقطون علَى الأرض، وتتسَاقطُ قطرَاتُ دموعي مع قطرَاتِ دمَائهم، كان حلمِي ولَازال أن أرزقَ الشَّهَادَةَ فِي سبيلِ الله، وهَا أنَا أرى باب الشَّــهادة قَد فُتِحَ فِي البحرينِ، وأنَا بعيدٌ عَنهَا يحبسُني عَن الذهَابِ لهَا دِراستي ونيَّتهم اِعْتِقَالِي حِيْنَ عودتي.

عودةُ الأستاذ حسن مشيمع حفظه الله إِلَى البلدِ وعدمُ اِعْتِقَالِه فِي المطَارِ شجَّعَني علَى لَمْلَمَةِ حقائِبي وقَطعِ دراستي والتَوَجُّهِ إِلَى البحرينِ أرضِ الشَّهادةِ والشُّهداء. حزمتُ حقائبي وأمتعتي واشتريتُ تذاكرَ السَّــفرِ إِلَى البحرين، كانت زوجتي فِي فــترةِ امتحانَات فطلبَت منِّي تأجيلَ الســفرِ لحينِ إكــمَالِ امتحانَاتهَا، ولكنَّ الشــوقَ إِلَى البحرين والشــوقَ إِلَى لقاءِ الله، لم يكُن ليعطيني القوةَ عــلَى تحمُّلِ البقاءِ أكثر بعيدًا عَن البحرين. اعتذرتُ لهَا وقُلتُ لهَا بأنَّنَا ســنعودُ حينَ تنتصرُ الثَورَةُ مباشرةً، ولكنِّي كنت أشعرُ شعورًا خفيًّا بأنِّي قَد لَا أعود.

لم أســتطِع أن أُخبِرَ الآخرين بمَا أشــعرُ به وكنــت أَودُّ أن أُخفِيَ هذَا الإحسَــاس، وأن لَا أُظهِرَه لكــي لَا يمنعني أحدٌ عَن الذَّهَاب، والانضــمَامِ إِلَى صفوفِ المتظاهرين وعشَّــاق الشَّــهَادة، فُتِحَ بابُ الطَّائرةِ لاستنشــقَ هواءَ الحريَّةِ ونسيمَ العزَّةِ الذِي كُنَّا محرومين منه، عدتُ للبحرين بشكلٍ سلسٍ وطبيعيٍّ جِدًّا، لم يوقفني أحد.

نسَائم العزة:

كان فِي اســتقبالي فِي المطَارِ أَخِي مع زوجته، ركبنَا السيَّارةَ واتَّجه بِنَا إِلَى جسرِ مِيناء ســلمَان، وحِينَ مررنَا بسِجنِ الحوض الجَاف قلتُ لزوجتــي ولزوجةِ أَخِــي ممُازحًا لهمَا بأن احفظا هــذَا المَكانَ جيِّدًا،

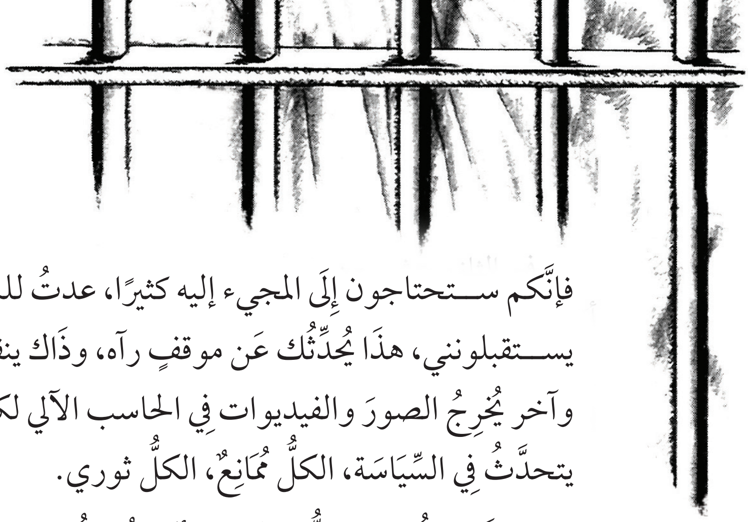

فإنَّكم ستحتاجون إِلَى المجيء إليه كثيرًا، عدتُ للمنزلِ لألقى أهلي يستقبلونني، هذَا يُحدِّثُك عَن موقفٍ رآه، وذَاك ينقلُ قِصَّةً سمعَهَا، وآخر يُخرِجُ الصورَ والفيديوات فِي الحاسب الآلي لكي يرينيهَا، الكلُّ يتحدَّثُ فِي السِّيَاسَة، الكلُّ مُمَانِعٌ، الكلُّ ثوري.

هكذَا تفعلُ دماءُ الشُّهداءِ بالأمَّة، تُوقِظُهَا من سُباتِهَا، تُعِيدُ لها الحَيَاةَ والرُّوح، تُثِيرُ فيهَا القِيَمَ والمَبَادِئَ الإنسانيَّةَ والإسلاميَّة، لم أكن أتوقَّعُ من النَّاسِ كلَّ هذَا الزَّخم الثوري، كثيرٌ من النَّاسِ لم يكن لهم أيُّ دَخلٍ بالسِّيَاسَةِ أصبحوا متحمِّسين للتَّضحيةِ بالغالي والنَّفيس، كنت أستمعُ إِلَى حديثِهم بإنصات إلَّا أن الجميعَ يُرِيدُ أن يتحدَّث، رأيتُ الأملَ يرتسمُ فِي وجوهِ النَّاسِ ونظرَاتهم، قرأتُ الإصرَارَ فِي أعينهم وبسمَات ثغرهم، كلُّ شيءٍ يبعثُ عَلَى التفاؤل، الكلُّ يقولُ إنَّ الثَّوْرَةَ منتصرةٌ، وأنَّ دماءَ الشُّهَدَاءِ ستُثمِرُ قريبًا.

كلٌّ منهم يريدُ أن يأخذَني إِلَى ميدَان الشُّهَدَاءِ ليشرحَ لي، ويُدِلَّني، ويَتكلَّمَ معي، إلَّا أنني اعتذرتُ للجميعِ ولم أذهب فِي اليومِ الأَوَّلِ بل فضَّلتُ أن أجلِسَ فِي البيتِ لاستقبالِ الضُّيوف ولكي آخذَ قِسطًا من الرَّاحة.

استئناف المسير:

فِي اليومِ التالي ذهبتُ إِلَى إدَارةِ الجوازات وقمتُ بتجديد الجوازِ الذِي شارفَ عَلَى انتهاءِ مدَّته، وعدتُ إِلَى البيتِ لأنَّ بعضَ أصحابي

قَد جاؤوا لرؤيتي والسَّلَام عليَّ. أحدُ الإخوةِ أصرَّ علَى أن أذهبَ معه للمشاركةِ فِي المَسِـيرَةِ التِي تُنظِّمُهَا الجمعيَاتُ السِّيَاسِيَّةُ المنطلقةِ من إشارَات القفول إِلَى ميدَانِ الشُّهَدَاء، شــاركتُ فِي المَسِيرَة، وقَد كان واضحًا أن هنَاك تَوجَّهين؛ أُنَاسٌ يرفعون شِـعَارَاتٍ تُطَالِبُ بِإِسْقَاطِ النِّظَام، والمُنظِّمون يحاولون أن يطرحوا مطلبَ إصلَاحِ النِّظَام، الأمرُ لم يكن مفاجئًا بالنِّســبَةِ لِي بل كان متوقعًا، وخُصُوصًا أنِّي كنت أُتابعُ الأخبارَ أَولًا بأَول.

سرتُ مع التَّظاهرةِ المتَوَجِّهةِ إِلَى ميدَانِ الشُّهَدَاء -ميدَان اللؤلؤة- حتَّى وصلنَا إِلَى موضع ســقوطِ الشَّــهيدِ عبد الرضا أبو حميد، وقَد كانَت آثارُ الدِّمَاءِ لَازالت باقية، وقَد وَضعَ الشبابُ الوردَ والشموعَ مَكان ســقوطِ الشَّــهيد، صورُ الشُّــهَدَاءِ تملأُ المَكانَ، ثقافةُ الشَّهَادَةِ هِيَ الثَّقافةُ المســيطرةُ، «أنَا الشَّــهِيدُ التالي» عبارةٌ كُتِبَت علَى الألبسة والأكفان، تَقَدَّمنا قليلًا حتَّى وصلنَا إِلَى ميدَانِ الشُّهَدَاء.

نظرة للميدَان:

كانــت الخِيَامُ تملأُ المَــكَان، أصحــابُ المضائفِ -التِــي تُطعِمُ الحُضُورَ- يتزاحمون للحصولِ علَى قطعةِ أرضٍ لكي يتسنَ لهم خدمة النَّاس وإطعَامهم، والشاي متوفرٌ بكلِّ الأنواعِ والأصنَافِ حتَّى أنَّني

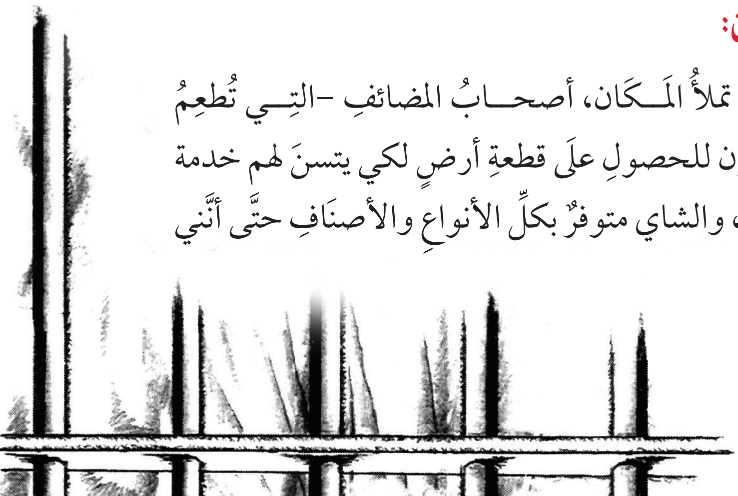

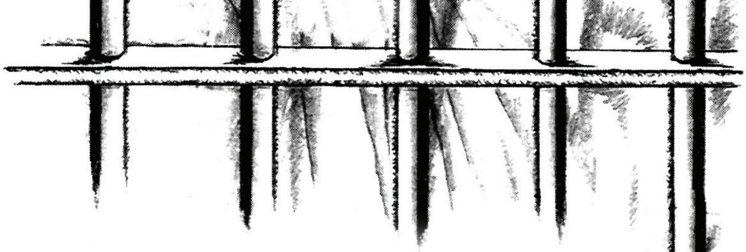

احترتُ من أيٍّ نوعٍ أشرب، فرحتُ لذَلِكَ لأنَّني من عُشَّاق شُربِ الشاي.

قمتُ بجولةٍ بين الخِيَام لأرى أن الخيَامَ بعضهَا لجهَاتٍ سِياسِيَّةٍ، وأخرى لجهَاتٍ حقوقيَّة، وأخرى بأسمَاءِ قرى، وأخرى بأسمَاءِ «مهن»، وأخرى بأسمَاءِ عوائل، شعرتُ أن البحرين بكلِّ أطيَافهَا قَد اجتمعَت فِي مَكَانٍ واحد، وتصافَت القلوبُ حتَّى صارَت كأنَّهَا قلبٌ واحدٌ، وشعَارهم «إخوان سنَّة وشيعة هذَا الوطن مَانبيعه».

ذهبتُ بعدهَا إلَى قلبِ الميدَان لأجدَ المنصَّةَ التِي صنعهَا الشبابُ الثوريُّ كُتِبَ عليهَا عبارةُ «باقون حتَّى إسْقَاط النِّظَام»، فَأَنتَ حِينَ تتجوَّلُ فِي الميدَان تجِدُ الإصرَارَ الكبير، والعزيمةَ الصلبةَ علَى التغيير، كنت أحدِّقُ فِي عيون النَّاسِ ووجوههم فلَا أَجِدُ إلَّا ملَامحَ الصِّدق والتَّفاني.

كلُّ فردٍ يبحثُ عَن خدمةٍ يُقَدِّمهَا للآخرين، بعضهم ينظِّفُ والآخر يُطعِم، والآخر يسقيهم، والآخر قَد سَخَّرَ نفسَه لعلَاجِ المرضى والجرحى، وبعضهم سَخَّرَ نفسَه لحلَاقةِ النَّاس، وغيرهَا الكثير وكلُّ ذَلِكَ بلَا مقابلٍ بل هِيَ خدمَاتٌ مجانيَّة.

صرتُ أذهبُ للميدَان فِي كلِّ يَوْمٍ وافترشُ الأرض، وأتصفَّحُ وجوهَ النَّاس، أغلبُ النَّاسِ لم نكن نرَاهم فِي التَّظَاهُرَاتِ والاعترَاضاتِ علَى النِّظَامِ قبْلَ الثَّوْرَة، ممَّا يَعنِي أن جيلًا جديدًا قَد

قَرَّرَ دخولَ المعتركِ السِّيَاسِيِّ، وأن العملَ السِّيَاسِيَّ لن يَكُونَ محصورًا فِي النُّخبِ السِّيَاسِيَّةِ بعدَ اليوم، بل إنّ هناك جيلًا قد قَرَّرَ أن يَكُونَ له دورٌ فِي رسمِ مُستقبلِه ومُستقبلِ بلده.

الديوان والثوّار:

بَدَأَ الفرزُ يتَّضِحُ بشــكلٍ أكبر، تَشَكَّلَ ائتلَافُ شباب الرَّابع عشر من فبرَاير وبَدَأَ يُنَظِّمُ برامجَ قَوِّيَةً وذَات وَهَج ثوري، مَســيرَةٌ فِي اتِّجاه الدِّيــوانِ الملكيِّ في الرَّفــاع -المنطقةُ المحظورةُ عقاريًّا علَى الشــيعة وأغلبُ سُــكَّانها من آل خليفة- حَصَلَ استنفارٌ كبيرٌ من قِبَلِ النِّظَام، لأنَّ هَــذِهِ الخطوةَ هِيَ فِي اتِّجاه دقِّ أولِ مســمَارٍ فِي نعشِ النِّظَام، فقَامَ بتحريضِ المليشــيَات الســنيَّة المتطرِّفة، وتَمَّ تحشيدُ الكثيرِ من رجال الأمن بلباسٍ مدني، لكي يوحيَ للعَالمِ أن المســألةَ تحوَّلَت إِلَى خلَافٍ سنيٍّ شــيعي، وأن شرَارةَ الحربِ الطَّائفيَّةِ قَد اشــتعلَت، لأَولِ مرةٍ يظهرُ المدنيون مســلَّحِين وفي جوارهم الشُّرطَةُ ورجالُ الجيش، ولَا يقفون فِي وجه المســلَّحِينَ المدنيين. وحَصَلَت اشتباكاتٌ بين رجالِ الشُّرْطَةِ المُرْتَزَقَــةِ والبلطجيَّةِ من جهةٍ والمُتظاهرين المتَّجهين للدِّيوان من جهةٍ أخرى.

كانت هَذِهِ المَســيرَةُ قَد سَــبَّبَت خِلَافًا كبيرًا بين الثوَّارِ فِي ميدَان

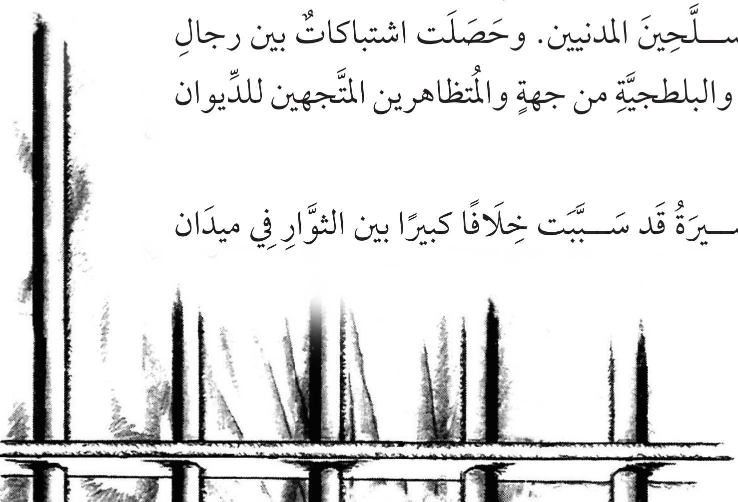

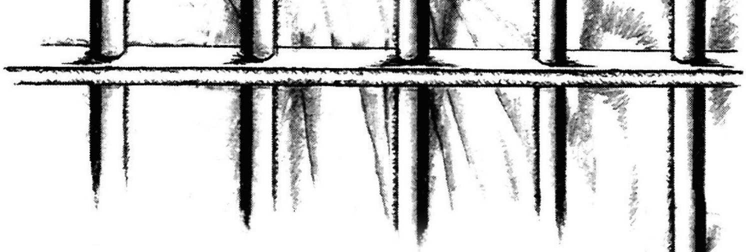

الشُّــهَدَاءِ من جهةٍ والجمعيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ من جهةٍ أخرى، حَيثُ أن الجمعيَّاتَ السِّيَاسِيَّةَ تريدُ أن تقولَ: «إنَّ المشكلةَ فِي رئيسِ الوزرَاء»، والثوَّار يريدون أن يقولوا: «إنَّ المشكلةَ فِي رأسِ النِّظَامِ حمد بن عيسى آل خليفة»، وعلى إثره نَظَّمَت الجمعيَاتُ السِّيَاسِيَّةُ تظاهرةً أخرى فِي نفسِ الوقتِ ولكن فِي اتِّجاه مجلسِ الوزرَاء.

يبدو أنَّ الثوارَ قرَّروا حَسَمَ الموضوع، وخُصُوصًا بعدَ أن أقدَمت الجمعيَاتُ السِّيَاسِــيَّةُ علَى نشرِ مؤيِّديها علَى الخِيَامِ لإقناعِ الشَّــبابِ بخيَارهم السِّــيَاسِيِّ (المملكة الدســتورية) وعدم رفعِ شعَارِ إسْقَاط النِّظَام!

خطوة وموقف:

بعدَ نجــاحِ التَّظاهرةِ الضَّخمــةِ التِي تَوَجَّهــت للدِّيوان الملكي -والتِي فاجأت كلَّ المرَاقبين- نظَّم ائتلَافُ شــباب الرَّابع عشر من فبرَايــر تظاهرةً أخرى متجهةً إلَى قصرِ الطَّاغية حمد بن عيســى قصر الصافريــة الذِي يقعُ فِي المنطقة الشَّــمَالية، والذِي تحيطُه مجموعةٌ من القرى الشيعيَّةِ الثائرة.

فكان النَّجاحُ الباهرُ الذِي فَاقَ كلَّ التوقعَات احتشدَت عشرَاتُ الآلَاف حولَ قــصرِ الصافريَّة هَاتفين «يَا حمد يَا خــوَّان، جينَا إلَكَ بالأكفان»، و«الشَّعْب يريد إِسْقَاط النِّظَام» و«يسقط حمد». ثمَّ ألقَى سَمَاحةُ المُجَاهِدِ الشَّيخ محمد حبيب المقداد كلمةً خاطبَ فيهَا الطَّاغية

بأن يُسرِعَ فِي التَّنحي عَن كرسيِّه وأنَّ الاحتفالَ القادِمَ سيَكُونُ فِي دَاخلِ القصر.

بدَت الأمورُ فِي تسَارعٍ كبير، ولكن لَا نعلمُ هل فِي اتِّجاه الحسم أم فِي اتِّجاه انفلَات الأمور، بَدَأَت المليشيَاتُ تنتشرُ فِي المنَاطقِ السنيَّةِ والمنَاطقِ القريبةِ مِنهَا ويهَاجمون النَّاسَ بالأسلحةِ النَّاريَّةِ والعصي، نصبوا نقاطَ التفتيش علَى مدَاخلِ المنَاطقِ السنيَّةِ فِي إيحاءٍ بأن الشيعة قَد يشنُّون حملَاتٍ علَى المنَاطقِ السنيَّة، واشتغلَت آلةُ الإعلَامِ الحكوميَّة والقنوات الطَائفيَّة السعوديَّة ببثِّ الحسِّ الطَائفيِّ البغيض.

«سفرَاتٌ سريَّةٌ سريعةٌ من وإلَى السعوديَّة، وفودٌ أمريكيَّةٌ عَاليةُ المستوى تأتِي فِي زيَارَاتٍ مستعجلةٍ إلَى البحرين والسعوديَّة، لقاءاتٌ بين وزرَاءِ الخارجيَّة الخليجيين» كلُّهَا خطواتٌ تصعيديَّةٌ من قِبَلِ الحكومة، فِي الوقت الذِي قَامَ بعضُ الثوَّار بقطعِ أكثر الطُّرُقِ حيويَّةً فِي البلَاد «شارع المرفأ المَالي».

الطوفان:

جاءَت قُوَّاتُ الشَّعبِ لفتحِ الشارعِ منذُ الصَّباحِ الباكر جِدًّا، وبأعدَادٍ كبيرةٍ جِدًّا، كانَت هِيَ الخطوة الأولَى من أجلِ قمعِ التَّجمُّعِ فِي دوَّار اللؤلؤة «ميدَان الشُّهدَاء»، تصدَّى الشبابُ إلَى الشُّرطَةِ

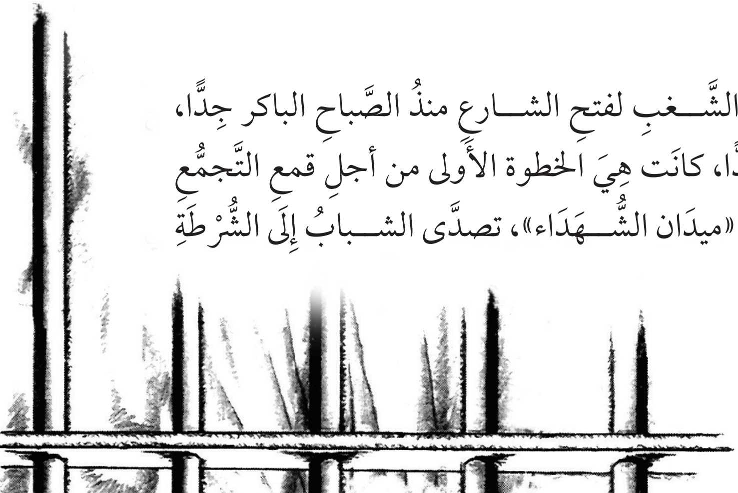

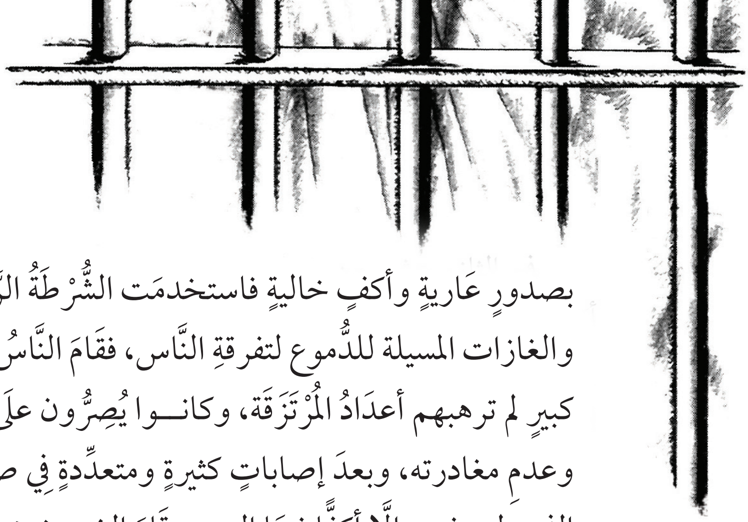

بصدورٍ عَاريةٍ وأكفٍ خاليةٍ فاستخدمَت الشُّرطَةُ الرَّصَاصَ المطَاطيَّ والغازات المسيلة للدُّموع لتفرقةِ النَّاس، فقَامَ النَّاسُ بالتَّجمُّعِ بشكلٍ كبيرٍ لم ترهبهم أعدَادُ المُرْتزَقَه، وكانــوا يُصِرُّون علَى البقاءِ فِي الميدَان وعدمِ مغادرته، وبعدَ إصاباتٍ كثيرةٍ ومتعدِّدةٍ فِي صفوف الشَّــباب الذِي لم يرفــع إلَّا أكفًّا فيهَا الورود قَامَ الشــيخ محمد حبيب المقداد بإلقاءِ كلمةٍ حذَّر فيهَا القُوَّات بأنَّــه فِي حالِ عدم مغادرتهم للمَكَانِ خلَالَ نصف سَــاعة، فإنَّه ســيطلبُ من الجَمَاهِــير الزَّحفَ عليهم. كانت الرِّسَــالة قَوِيةً جِدًّا ممَّا حفَّزَت الشبابَ أكثر، وأدخلَت الرُّعبَ فِي قلوب القُوَّاتِ المُرْتزَقَةِ أكثر، لأن النِّظَامَ كان يترنَّحُ تحت ضَرَباتِ الثوَّار السلمية.

ومَا هِيَ إلَّا نصف سَاعة – تتزايدُ فيهَا أعدَادُ المصابين بشكلٍ كبيرٍ و نصيبي طلقة رَصَاصٍ مطَاطيٍّ فِي كتفي– حتَّى رَكَضَ الثوَّار باتجاه القُوَّاتِ المُرْتزَقَةِ فوَلُّوا هَاربين فِي منظرٍ مخزٍ يُضحِكُ الثكلى.

فقَامَ علَى إثرِ هذَا الأمرِ بعضُ البلطجيَّة بمهَاجمة جامعةِ البحرين، والاعتدَاء علَى الطَّالبات والطلَّاب الشــيعة فِي حرمِ الجامعة بالعصيِّ والحديدِ والحجارة. وَصَلَ الخبرُ إلَى ميدَان الشُّهدَاءِ، فتَوَجَّه قسمٌ من الثوَّار إلَى الحرم الجامعيِّ لإنقاذ الطلَّاب والطَّالبات، وهذَا مَا حصل بعد أن دخلَت المجاميعُ الثائرةُ حَيثُ هَرَبَ البلطجيَّةُ وولُّوا هَارِبين.

اتَّضحَ للنِّظَامِ أنَّهَا هِيَ السَّــاعَات الأخيرة له ولحكمِه، ســيطرةٌ

كاملةٌ من قِبَلِ الثوّار عــلَى العَاصمة المنَامة والمنطقةِ الدبلوماســيَّة، وســيطرةٌ تامَّةٌ علَى الحرمِ الجامعي، بل أغلب الوزارَات والسفارَات تحت سيطرةِ الشَّباب، ولكن الشباب لم يقوموا بالتعدِّي علَى أيِّ شيء.

شبابٌ منتشرٌ فِي أرجاءِ المنَامة يبســطُ سيطرتَه علَى المدَاخلِ وكلُّ شيءٍ عــلَى مَا يُــرَام، إلَّا أنَّ هنَــاك مَا يُحاكُ خلفَ أســوارِ القصور، اجتمَاعَاتٌ طَارئةٌ لاستخدَامِ آخر علَاج وهو «الكيّ».

درعٌ من زجاج:

فِي الثَّالث عشر من شــهر مَارس أجرَت السُّلطةُ اتصالَاتٍ حثيثةً بالسعوديَّة وعلَى وجه الخُصُوصِ مع وزير الدَّاخليَّة نَايف آل سعود، اتَّخذَ قرَارَ التَّدخلِ العسكريِّ فِي البحرين، وهذَا مَا حصَل، قامَت قنَاةُ البحريــن ببثٍّ مباشرٍ لدخولِ أرتالِ الجيش الســعوديِّ إلَى البحرين عبرَ جسر الملك فهد الواصلِ بين البحرين والسعوديَّةِ وهم يرفعون علَامةَ النَّصر!.

فِي اليومِ الأوَّل اقتصرَ الأمرُ علَى دخول جيش درعِ الجزيرةِ الذِي أُسِّــسَ من أجلِ حِمَايةِ دول الخليج من الاحتلَال الخارجي، إلَّا أنَّه لم يُطلِق رَصَاصةً قط للدِّفاع عَن وطنٍ من أَوطَانِ الخليج وقَد جاءَ اليومَ دَاخلًا إلَى جزيرةٍ صغيرةٍ وشــعبٍ أعزلٍ يستعرِضُ قوَّته عليه ويرفعُ

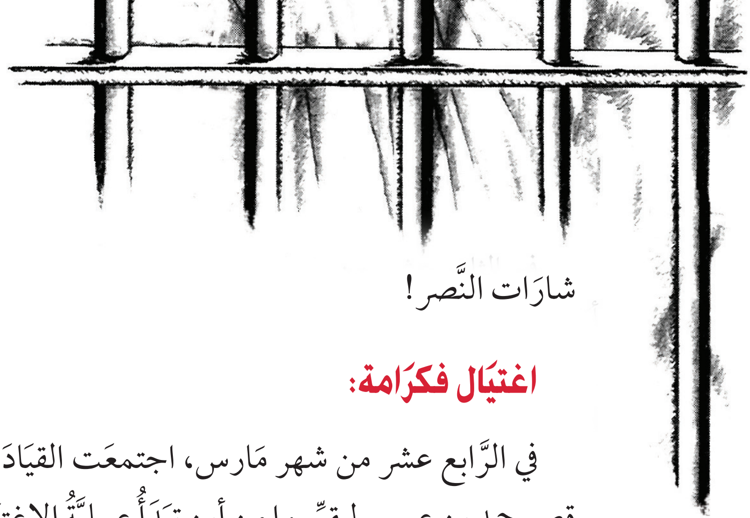

اغتيَال فكرَامة:

في الرَّابع عشر من شهر مَارس، اجتمعَت القيَادَاتُ العسكريَّة فِي قصر حمد بن عيسى ليقرِّروا من أين تبَدَأُ عمليَّةُ الاغتيَال لهذَا الشَّعب، فكان القرَارُ أن يَتُمَّ من قلبِ الثَّورَةِ وعَاصمتهَا «سترة»، سترةُ أرضُ الشُّـــهَدَاءِ والمستضعفين، سترةُ العطَاء، سترةُ الإبَاء والغِيرة. فِي اليَوم التالي، أعلنَ حاكمُ البحرين حمد بن عيســـى قانـــون الطَّوارئ، ليبَدَأَ درعُ الجزيرة وجيشُ البحرين حربَهما الشَّـــعواءَ المشتركةَ الأُولى علَى شَعْبٍ أعزل.

هجمَت أرتالُ الجيشِ الســـعوديِّ والجيشِ البحريني وبمسَاعدةٍ إِمارَاتيَّةٍ وقطريَّةٍ علَى جزيرة ســـترة، التِي لَا يوجدُ فيهَا إلَّا مَنفَذَين تَمَّ إغلَاقُهمَا بإحكام، وأسفرَ الهجومُ عَن اِستِشهَادِ البطلِ التَّاريخيِّ الشَّهِيد أحمد فرحان، حَيثُ تَمَّ إطلَاقُ رَصاصِ الشـــوزن عليه ليتفجَّرَ رأسُه فِي منظرٍ مفجع، ثمَّ تلَاه الشَّـــهِيدُ عيســـى آل رضي، بعد أن أوسعوه ضَرْبًا قاسيًا وتَمَّ تكسيرُ جمجمته وأضلَاعه ورميه فِي أحدِ أنحاءِ سترة الأبيَّة، وتَمَّ دهسُ آســـيويين اثنين وقتلُهم من قبـــل المخابرَات التِي كانت تدعمُ قُوَّاتَ الجيش والشـــغب. فكانَـــت الحصيلةُ أربعةَ قتلى وعشرَات الإصابات وعشرَات الاعتِقالَات.

كانَت ليَالِيَ شَدِيدةَ البرودة، كان الهواءُ شَدِيدًا جِدًّا، النَّاسُ تنسحبُ

من ميدَان الشُّهَدَاءِ رويدًا رويدا، نذهبُ إلَى ميدَان الشُّهَدَاءِ فلَا نرَى إلَّا شبابًا اســترخصوا أرواحَهم من أجل كَرَامَةِ شَعبٍ مؤمن، البردُ القارصُ يشجِّعُ النَّاسَ علَى الانسحاب، أتصفَّحُ وجوهَ الشباب أيُّهم الشَّــهِيد التالي؟، فِي حلقي غُصَّة، وفي قلبــي حُرقَة، وفي عيني دمعةٌ أُخفِيهَا بابتسَامَاتٍ فِي وجوه الذِين ألقاهم فِي ميدَانِ الشُّهَدَاء.

عَلمــتُ أنَّهَا لَحظَةُ الشَّــهَادَةِ فــمَا هِيَ إلَّا ســويعَات تفصلُنَا عَن المواجهــةِ غير المُتكَافِئــة، قبضاتٌ خاليةٌ وحنجــرةٌ تصدحُ بالتَّكبير والتَّهليل مقابلَ دبَّاباتٍ وطَائــرَاتٍ وبنَادقَ وجيشٍ مجهَّزٍ بكلِّ العَتادِ والعدَّة.

كان لديَّ عملٌ يجبُ عليّ أن أنجزَه، أريدُ أن أســلِّم علَى زوجتي، علَى والدتي، علَى أخوتي قبل أن تَدُقَ سَاعةُ الصفر، رجعتُ وأنَا خجلٌ جِدًّا من أن يرَاني الشــبابُ وأنَا أخرجُ من ميدَانِ الشُّــهَدَاء، ذهبتُ لأســلِّم علَى زوجتي التِي كانَت تبحثُ عَن ذرَائعَ لكي أبقَ معهَا ولَا أخرج، لكنَّني قَد صمَّمتُ علَى أن أكونَ من المشاركين حتَّى لو كلَّفني ذَلِك حيَاتي، ولكن بطبيعةِ الحالِ كنتُ لَا أســتطيعُ أن أخبرَهَا بمَا قد عزمتُ عليه، تملَّصتُ من البقَاء، وذهبــتُ إلَى بيتِ والدي، دخلتُ إلَى البيــت، كانَت أخواتِي فِي البَيت، و فَرحَت أمِّي حِينَ رأتني أدخلُ البَيت، ســلَّمتُ عليهم جلستُ معهم قليلًا، إلَّا أن قِوايَ قَد انهَارت

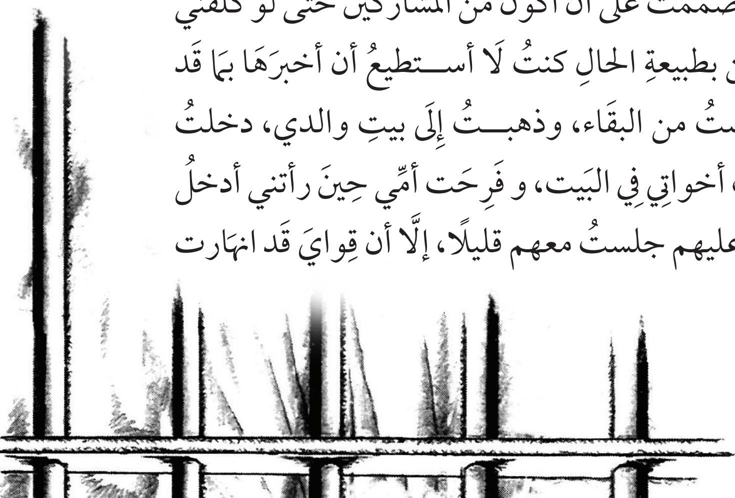

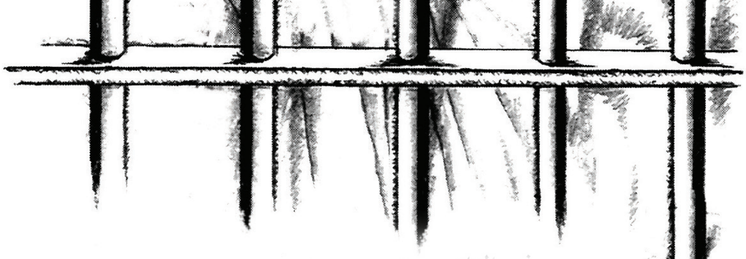

من التَّعبِ ذهبتُ لأنَام، وهَاتفي بجنب رأسِي لكـي أردَّ على أيِّ مكالمةٍ تأتي، العجيبُ أنِّي لم أستقبل أيةَ مكالمةٍ أو رسَالةٍ نصيَّة!.

أَنتَبِهُ فِي كلِّ لحَظَةٍ أنظرُ إِلَى الهَاتف إلَّا أنَّني لَا أجِدُ شيئًا فأُعَاودُ النَّومَ مرَّةً أخرى، وأبقَى فِي قلقٍ حتَّى استيقظَ مرَّةً أخرى حتَّى حانَ وقتُ صلَاةِ الصُّبح استيقظتُ للصَّلَاة وصلَّيتُ، ونظرتُ إِلَى أختي هِيَ الأخرى تنظرُ إِلَى هَاتفِهَا فلَا تجدُ خبرًا، فطلبتُ منهَا أن تُشغِّلَ جِهَازَ الكمبيوتر لنرَى الأخبارَ ففتحنَا صفحةَ البثِّ المباشرِ من ميدَان اللؤلؤة –ميدَان الشُّهَدَاء– فإذَا بِنَا نسمعُ نداءَ استغاثةٍ واستنهَاضٍ ومطَالباتٍ بالتَّوَجُّهِ لميدَان الشُّهَدَاء حَيثُ أن الجيشَ السعوديَّ والجيشَ البحرينيَّ بَدَأَ الزَّحفَ فِي اتِّجاه ميدَان الشُّهَدَاء.

تلبية ودعَاء:

كانَت هَذِهِ الكلمَاتُ كالصَّاعقةِ علَى قلبي، لم أتمَالَك نفسِي، ركبتُ السيَّارةَ علَى عجلٍ من أمري، انطلقتُ بهَا مُسرعًا فِي اتِّجاه ميدَان الشَّهَادَةِ والشُّهَدَاء، كانَت الشوارعُ تبدو لي أنَّهَا خاليةٌ، حِينَ وصلتُ إِلَى منتصفِ الطَّريق تقريبًا وبالتَّحديدِ عِندَ جسر «كوبري» مدينةِ عيسى تفاجأتُ بوجودِ الدبَّاباتِ أمَامِي، والجنودُ يشهرون رشَّاشاتِهم فِي وجهي، فانحرفتُ بسيَّارتِي فِي اتِّجاه المنَامة ولم أُعِرْهُم اهتمَامِي، فِي الطريقِ شاهدتُ عدَّةَ دبَّاباتٍ تنتشرُ فِي الشَّوارعِ الرئيسيَّة، علمتُ أن الحربَ قَد بَدَأَت، وأن قرَارَ القتل العَامِ قَد صَدَرَ، وأن أبوابَ

السَّمَاء قَد فُتِحَت لاستقبالِ قوافلِ الشُّهَدَاء، «اللَّهم ارزقني الشَّهَادَةَ فِي سبيلك» تَمْتَمَتِي ودُعَائِي.

استطعتُ أن أتجاوزَ كلَّ الحواجِز إِلَى أن وصلتُ إِلَى ميدَانِ الشُّهَدَاء، كان النَّاسُ يتقاطرون إِلَى الميدَان بحثتُ عَن موقف للسيَّارة مسرعًا، وتَوَجَّهتُ ركضًا إِلَى الميدَان، وعِندمَا وصلتُ سمعتُ صوتَ التَّكبير والتَّهليل، والتَّضرُعِ والدُّعَاء، نداءٌ يخترقُ القلبَ، ويَهُزُّ الكيَانَ، صرخاتُ استغاثةٍ لربِّ السَّمَاء «يَا مُنتقِم» كانت أكثرَ الأسمَاء مناداةً من قِبَلِ النَّاسِ لله.

اِمتزجَت دموعُ الدُّعَاءِ بدموعِ الألم، كان الهواءُ قَوِيًا وباردًا جدًّا، كانَت الدُّموعُ تتجمَّدُ فِي العيون، أَعْيُنُنَا طَرْفَةٌ نحو السَّمَاء، وطَرْفَةٌ نحو الأعدَاء، كانَت سِتُّ طَائرَاتٍ تحلِّقُ فِي سمَاءِ ميدَانِ الشُّهَدَاء، أربعةٌ منهَا تابعةٌ لقوَّةِ الجيش واثنتان تابعةٌ لوزارة الدَاخلية. أَنْظُرُ إِلَى الميدَانِ الذِي اكتظَّ بالرِّجال والنِّسَاء الذِين لبّوا النِّدَاءَ حِينَ سمعوا صوتَ الاستغاثة.

تقدَّمتُ فِي اتِّجاه الكوبري حَيثُ يتقَدَّمُ الجيشُ لأرَى أعدَادًا كبيرةً من الدبَّابات، المدرَّعَات، سيَّارَات رباعيَّة الدَّفع، وحافلَات نقلِ الجنود، وسيَّارَات حمل السِّلَاح والعتاد، فالجيشُ من أمَامِنَا والميدَان من خلفِنَا والطَّائرَاتُ تُحلِّقُ فوقنَا. كان منظرًا يُذكِّرُ بكربلَاء، لَا نَاصرَ

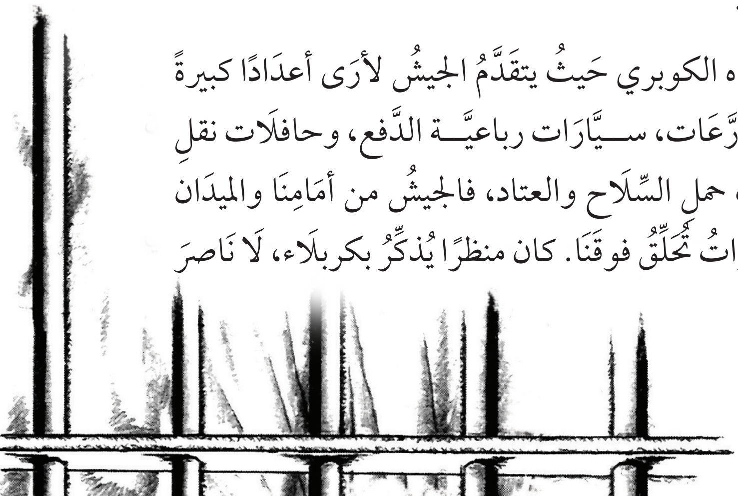

ولَا معين، لَا سلَاح ولَا عتاد، أيدٍ خالية تتضرَّعُ لربِّ السَّماء، وجيشٌ مسلَّحٌ بكلِّ أنواعِ الأسلحة.

مدجج ضد أعزل:

تقدَّمَ بعضُ الشـــبَّان فِي اتِّجاه الدبَّابات والمدرَّعَات، وهم ينزعون ملَابسَهم عَن صدورهم العَارية فِي إشـــارةٍ إلَى استعدَادهم للشَّهَادة والمَوْتِ فِي ســـبيل الكرَامة، كان البعض يحملُ فِي كفَّيه قرآنًا ويصرخُ بـ«الله أكبر» ظنًّا منه أنه قَد يوقـــظُ ضميرًا هنا أو ضميرًا هنَاك، لكن لو استيقظَ جيشُ ابن سعد يومَ عَاشورَاء لاستيقظ هذَا الجيشُ الذِي أتانَا ليستبيحَ دِمَاءنَا، كانوا يقولون للحسين عليه السلام: إنَّنَا نقاتُلك بغضًا لأبيك، واليوم يقتلونَا بُغضًا لأبيه.

تقدَّم الشَّبابُ وكانت قَدمي تتبَعُهم، وكلّما رأيتُ الشبابَ يتقَدَّمون أكثر فأكثر شـــعرتُ بالصَغار، لأنَّهم يتقَدَّمون للشَّهَادة بخطًى ثابتةٍ وأخشَى أن تتلكأَ قَدمي، أطلقوا علينَا بعضَ القنَابل الصوتيَّة لإدخال الرُّعب فينَا، إلَّا أنَّهم تأكَّدوا أنَّنَا عَازمون علَى الشَّهَادَة وغير مبارحِين مَكَاننا، فقاموا بإطلَاق كميَّاتٍ هَائلةٍ من الغازات المســـيلة للدُّموع، وكميَّاتٍ كبيرةٍ من الرَّصَاصِ الانشـــطَاري، فمن استطَاعَ أن يصمدَ أمَامَ الرَّصَاص الانشطَاري، فإنه لم يستطع أن يصمدَ فِي قبال الغازات الخَانقةِ التِـــي ملأَت الفَضاء، بعدهَا جاءَ النِّـــدَاءُ من أحد المدرَّعَات التِي كانت تحملُ مكبِّرَاتِ الصوت عـــلَى متنهَا: «تفرَّقوا حِفاظًا علَى

سلَامتكم، تفرَّقوا حِفاظًا علَى أرواحكم»

ذكَّرني هذَا المشــهدُ بالأمَان الذِي أُعطِيَ للعبَّـاس بن عليٍّ عليه السَّلَام لكي يتخلَّى عَن أخيه الحسين عليه السَّلَام، لم أرَ فِي النَّاس إلَّا العزيمةَ والإصرَارَ علَى مواصلــة التَّحدِّي رغم عَدمِ تكافؤ المعركة، إنَّهم أُنَاسٌ عشقوا الشَّهادةَ ولَا يطلبون عَن الشَّهادةِ بدلا.

عَاودَتْ القُوَّاتُ المشــتركةُ بين الجيش والحرس الوطنيِّ وقُوَّاتِ مكافحةِ الشَّغبِ والشُّرطَةِ والمدنيِّين المنتسبين لوزارة الدَّاخليَّة إطلَاقَ الغازاتِ المسيلة للدُّموع والرَّصَاص الانشطَاري بشكلٍ أكبر، وكان الهواءُ فِي اتِّجاهنَا ممَّا سَــاعدَ القُوَّاتَ علينَا، نَرْمُقُ السَّــماءَ بأنظارنَا ولَا ندري مَا هو مصيرنَا.

اضطررنَا للعــودةِ إِلَى الورَاء قليلًا، وخُصُوصًــا أننَا لَا نملكُ مَا نُدَافعُ به عَن أنفسنَا إلَّا بصيحات التَّكبير والتَّهليل والدُّعَاء، وعدوُّنَا لَا يَعــرِف الرحمةَ أبدًا، الجرحى يتســاقطون فيــمَا بيننَا، فيقومُ بعض الشَّــباب بحملهم إِلَى الصُّفوف المتأخرة، ونحن نعلنُ عَن إصرَارنَا بعدم ترَاجعِنَا عَن مواقعنَا، صعدتُ مع بعض الشبان إِلَى أعلى الجسر لكــي لَا يخنقنَا غازُ الغزاة، ومــن هنَاك حاولنَا أن نَثْبُــتَ فِي أمَاكننَا انتقلَت الغازاتُ إِلَى الميدَان حَيثُ النِّسَاء وكبار السنِّ والأطفال.

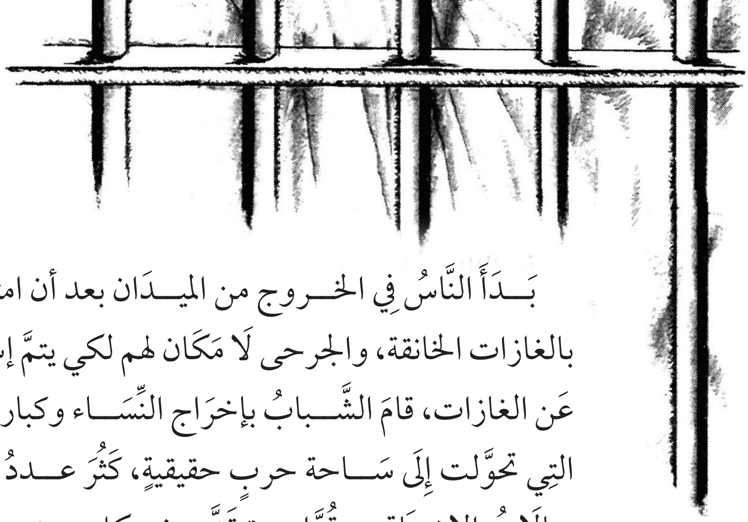

بَــدَأَ النَّاسُ فِي الخُــروج من الميــدَان بعد أن امتــلأَ الفضاءُ كلُّه بالغازات الخانقة، والجرحى لَا مَكَان لهم لكي يتمَّ إسعَافُهم فيه بعيدًا عَن الغازات، قامَ الشَّــبابُ بإخرَاج النِّســاء وكبار السنِّ من المنطقةِ التِي تحوَّلت إِلَى سَــاحة حربٍ حقيقيةٍ، كَثُرَ عــددُ الجرحى وكثُرَت حالَاتُ الاختنَاق، وقُوَّاتهم تتقدَّم بشــكلٍ مــدروسٍ موزَّعين علَى جمَاعَــات، ويأتون من جهةٍ يَكُونُ الهواءُ فِي صالحهم، مع اســتخدَامٍ مفرطٍ للرَّصَاص الانشطَاري(الشوزن).

تفرَّقت الجموعُ رويــدًا رويدا، لم نرغَــب فِي الابتعَاد عَن ميدَان الشَّــهادَةِ، فذهَبنَا إِلَى جهة السُّــوق المركزي وبَدَأنَا نُقاوِم الرَّصَاصَ بالحجر، إلَّا أن كثرةَ العدوِّ وقوَّته الماديَّةِ أَمْكَنَتْهُ من أن يُفرِّقَ شــملَنَا، وأن يضعفَنَا، مشــاهدٌ لَا أكادُ أنسَــاهَا، ســقوطُ الجرحى ودخولُ الغزاة والمُرْتَزَقَةِ إِلَى الميــدَان، وأعمدةُ الدُّخان وهي ترتفعُ من ميدَان الشُّــهَدَاء، واختفاءُ ميدَانِ الشُّــهَدَاء عَن أعيننا، تَوَجَّــهَ الكثيرُ من النَّاسِ إِلَى مستشــفى الســلَمَانيَّة الذِي كان الملجأَ لكثيرٍ من النَّاس، نُقِلَ الجرحى إِلَى المستشفيَات القريبةِ وإِلَى مستشفى السلمَانيَّة، إلَّا أن القُوَّاتَ الغازية بمعيَّة قُوَّاتِ المُرْتَزَقَةِ قامَت بمحاصرة المستشــفيَات واقتحامهَا، وتقييــدِ الأطبَّاءِ ومنعهم من تقديم العــلَاج، واعتِقَال الجرحى، والتَّنكيل بهم فِي دَاخلِ المستشفيَات، واعتِقَال أعدَادٍ كبيرةٍ من الشَّــباب الذِين كانوا يظنُّون أن المستشــفى هو المــكَانُ الوحيدُ الآمن.

أَنَــا و أَخِي وبعض الشَّـــباب تَوَجَّهنَا إِلَى منطقـــة النَّعيم، بعد أن أعوزَتنَا السُّـــبُلُ، وكنَّا نظــنُّ أن هنَاك جولَات أخــرى للعودةِ إِلَى الميـــدَان، بقينَا فِي أزقَّةِ النَّعيم، نريدُ أن نُواجِهَ المُرْتَزَقَةَ إلَّا أن أعدَادَهم كبيرةٌ جِدًّا، واستخدَامَهم للعَنف المفرط والرَّصَاصِ الحيِّ كان يعيقُنَا عَن العودةِ إِلَى الميدَان، حاوَلنَا عدَّة محاولَات لكي نعود إلَّا أنهَا باءَت بالفشل.

إباءٌ ضبابي محاصر:

أنظرُ إِلَى أعينِ الشَّــباب الذِين هم معَنَا، فأرَى فِي أعينهم حزنًا لَا يســعُه هذَا الكون، دموعٌ جامدةٌ فِي العــين يُخفِيهَا كلُّ واحدٍ منَّا عَن أخيه، لكي لَا يتسرَّبَ اليأسُ فِي نفــوس الجَماعة علَى أملِ العودة إِلَى الميدَان، بقينَــا فِي أزقَّة النَّعيم حتَّى دعَانَا أحــدُ الأخوة للدُّخول إِلَى منزلهم، دخَلنَا إِلَى مجلس الضِّيَافة فِي بيتهم الذِي يبدو لكلِّ دَاخلٍ فيه علَامةُ الفقر والاستضعَاف، خشينَا أن نُثقِلَ عليه، لم يقبَل أن نخرج، لم يكن يملكُ مَا يقدِّمُه لنَا من طعَام، إلَّا أنَّه قامَ بطبخ كلِّ مَا لديه من رزٍ مع قليــلٍ من اللَّحم وقدَّمَه لنَا، وكان يتشــاغلُ لكي نأكلَ نحنُ ويبقَى هو بجوعِه مع عائلته.

هذَا الأمر دَفَعَ بعــضَ الأخوة للبحث عَن مــأوَى آخرَ لكي لَا

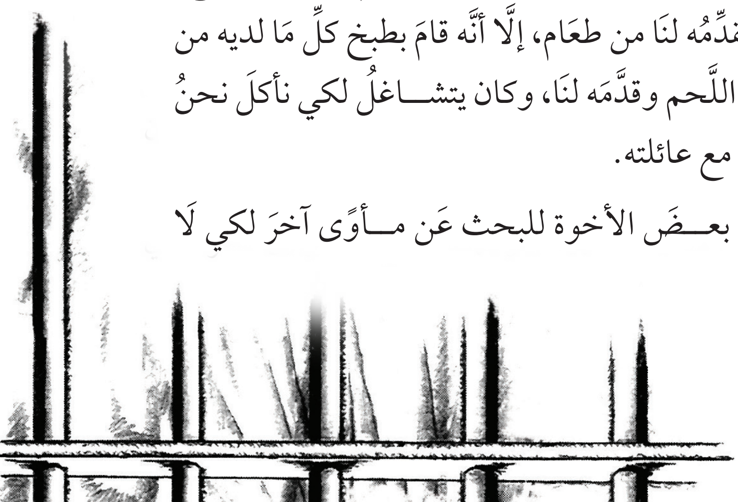

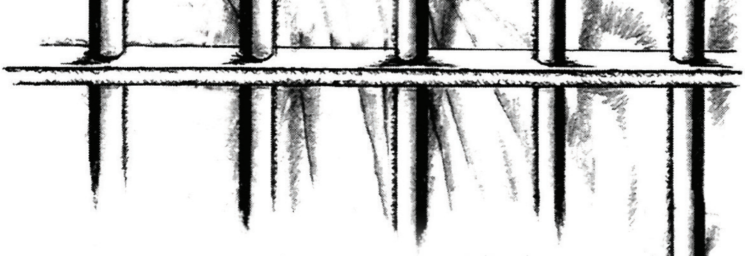

يثقلَ علَى صاحب المنزل، خُصُوصًا أن الأمرَ يبدو أنه ســيطولُ[1] وأن الأَوضــاعَ غير واضحةِ المَعالم، أَنَا و أَخِــي من هؤلَاء الذِين خرجوا للبحــث عَن مَكَانٍ آخر، أَو نبحثَ عَن طريــقٍ للخروج من المنطقة التِي تَمَّ تطويقُهَا بالدَّبابات والمدرَّعَات وبانتشارٍ كثيفٍ لقُوَّاتِ الجيش والمُرْتَزَقَة، تجوَّلنَا قليلًا فِي أزقَّة النَّعيم التِي كانت خالية إلَّا من بعض النِّســاء، أَرَدنَا الخروجَ من المنطقة من نَاحيةِ المقبرة، رأَتنَا القُوَّاتُ من بعيدٍ فنَــادوا فِي مكبرَات الصَّوت التِي علَى متن المدرعَات: «ترَاجعوا ترَاجعوا وإلَّا سنطلق النَّار».

ترَاجعنَا إلَى دَاخــل منطقة النَّعيم، وبقينَا بــين الأزقَّةِ حتَّى رأينَا سيَارةً تمرُّ فِي الأزقَّة تريدُ الخروجَ من المنطقة أَوقفنَاهَا لتحملَنَا معهَا، اتَّضــحَ لنَا أن من فيهَا هو ممرضٌ للتو قَد أُجبرَ علَى الخروج من مركزِ النَّعيم الصحــيِّ لكي لَا يقدِّم العلَاج للجرحــى وهو من منطقتنَا، طلَبنَا أن نصعدَ معه فِي الســيَّارةِ إلَّا أن سيَارته كانت ممتلئةً بالركَّاب، ركبنَا معه فِي السيَّارة علَى بعضنَا البعض مترَاصِّين، خرجنَا من منطقة النَّعيم فِي اتِّجاه المنَامة، كلُ الطُّرق الرئيســيَّة مغلقة، كلَّمَا مررنَا بطريقٍ رأينَا قُوَّاتَ الجيش بدبَّاباتهم وأســلحتِهم يسدُّون الطرقَ ويمنعونَنا من المرور، ويتمُّ تحويلُنا إلَى شــارعٍ آخر ومنطقةٍ أخرى حتَّى وجَدنَا أنفسَــنَا بالقربِ من «ســوق واقــف» بجنب بــوري، كان الجنودُ يمنعونَنا من المرور ولَا ندرِي إلَى أين نذهب، اقترحَ أحدُ الذِين كان معَنَا أن نذهبَ إلَى بيتِ عمِّه القريب من سوق واقف –فِي مدينة حمد–

لنبيتَ تلك الليلة، والصباحُ رباح، وهذَا مَا حصَل، دخلنَا من طريقٍ إِلَى آخر حتَّـى وصلنَا إِلَى بيت عمِّه، نزلَ وطـرقَ البابَ حتَّى فُتِح، واستقبلَنَا أهلُ هذَا المنزلِ بحفاوةٍ قلَّ نظيرهَا، البَيتُ صغيرٌ ومتواضعٌ تعلمُ بنظرتِك الأُولى إِلَى أنحاء المنزلِ بحال أصحابِه الضَّعيف مَادِيًّا، بقينَـا نتبادلُ أطرَاف الحديث نريدُ أن نعلمَ مَـا هِيَ الأخبار، لم يكن للعَائلةِ إلَّا تلفازٌ واحـدٌ فِي غُرفةِ أحد الأبناء، فأخذَنَا إِلَى هنَاك لنرى مَا هِيَ الأخبار فِي هذَا البَيتِ، تعرَّفنَا علَى الإخوة الذِين كانوا معَنَا فِي السيَّارة، سَائقُ السيَّارة وقَد كنَّا نعرفُه من ذي قبل، وابن أخ صاحبِ المنزل، وممرِّضان آخرَان، وأنَا وأخي.

حلَّ المسَـاءُ وأظلمَ اللَّيلُ، يَا لهَا من ظلمـةٍ فِي ذَلِكَ اليَوم، كانَت أقسى وأشـدَّ ظلمةٍ علَى شَعْبِ البحرين، صلَّينَا صلَاةَ المغرب جمَاعةً فِي المنزل، وجُلِبَ لنَا وجبةُ العشـاء، تعشَّـينَا وبقينَا نتبادلُ أطرَافَ الحديث، اتَّصلنَا بأهَالينَا لنطمئنَهم علَى حالنَا.

حيرة:

فِي منتصـفِ اللَّيلِ بَدَأَت أخبارُ السُّـوءِ والشُّـؤم تصلُنَا، وكان أوَّلُهَا مدَاهمةَ منزلِ الأسـتاذ حسـن المشـيمع واعتِقاله، ثمَّ مداهمة منزل الأسـتاذ عبد الوهَاب واعتِقَاله، فاعتِقَال سمَاحة الشيخ سعيد

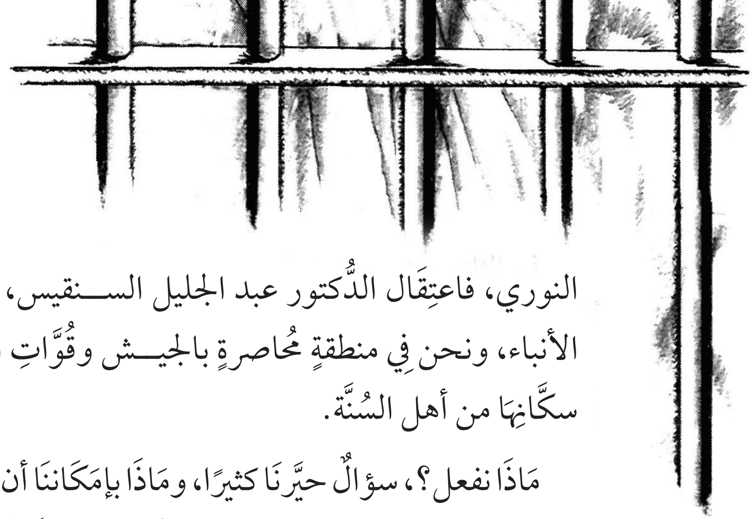

النوري، فاعتِقَال الدُّكتور عبد الجليل السـنقيس، وهكذَا تواردَت الأنباء، ونحن فِي منطقةٍ مُحاصرةٍ بالجيـش وقُوَّاتِ المُرْتَزَقَة، وأغلب سكَّانِهَا من أهل السُنَّة.

مَاذَا نفعل؟، سؤالٌ حيَّرنَا كثيرًا، ومَاذَا بإمكَاننَا أن نفعل؟، لم نكمِل نومَنَا الذِي للتوِّ بَدَأنَاه، بقينَا ننتظرُ الصَّباحَ بعد ذَلِكَ اللَّيلِ الموحِش، أَنظُرُ إِلَى أَخِي بعينٍ ملؤهَا حسرة، و أَخِي يحاولُ إخفاءَ حسرتِه عَنِّي، حتَّى سـمعنَا صوتَ أذَان الصُّبح الذِي طَالَ انتظارنَـا إليه، صلَّينَا صلَاةَ الفجرِ جمَاعـة، دعَونَا اللهَ بقلوبٍ مفجوعـةٍ، جَلَبَ صاحبُ المنزلِ الإفطَارَ لنَا فتنَاولنَـاه وأردنَا الخروج، أَصَرَّ صاحبُ المنزلِ أن نبقَـى حتَّى تتَّضحَ الأمورُ أكثر، إلَّا أننَـا قرَّرنَا أن نخرج، فطلبَ أن نتأخَّرَ قليلًا لكي يخرجَ النَّاسُ فِي الشوارع علَى الأقل، فانتظرنَا قليلًا حتَّى انقشـعَ الظَّلَامُ الموحشُ وخرَجنَا مع خروج النَّاسِ من بيوتهَا، خرَجنَا من بيتِ المضيف لنَا بعد أن سـلَّمْنَا عليه وسلَّمَ علينا سلَامًا حارًا جِدًّا هو وأبنَاؤه وزوجته.

أيـن نذهب؟ إِلَى أين نتَّجه؟ أَنَا اقترحتُ أن نذهبَ إِلَى البَيت، إلَّا أن أخي كانت وجهةُ نظرِه أن نذهبَ لسـيَّارَاتنا ونأخذهَا من المنطقة القريبةِ من ميدان الشُّـهدَاء، كانت مغامـرةً نوعًا مَا إلَّا أَنَّني وافقت أَخِي ووافقَ صاحبُ السـيَّارة علَى ذَلِكَ فذهبنَا إِلَى السـيَّارَات، وفي الطَّريـقِ رأينَا أن السـيَّارَاتِ محطمةٌ ومكسَّرةٌ ومرميَّـةٌ علَى أطرَاف الشَّـوارع، وصَلنَا إِلَى المنطقة التِي فيهَا سـيَّارة أَخِي بحمد الله كان

قَد خبَّأَهَا فِي منطقةٍ سـكنيَّةٍ بجوار أحدِ المَنَازل ممَّا دفعَ الضُّرَّ والأذَى عَنهَا، أَمَّا السـيَارةُ التِي ذهبتُ بهَا فقَد كانت بجوار الميدَان ممَّا يعني أنهَا قَد تَمَّ تحطيمُهَا بشـكلٍ مؤكد، لم نذهَب لمَكَان سـيَّارتي حَيثُ أن المنطقةَ محـاصرةٌ بقُوَّاتِ الجيش والحرس الوطنيِّ وقُـوَّاتِ المُرْتَزَقَه، نقاطُ التَّفتيشِ منتشرةٌ بشكلٍ كبيرٍ جِدًّا فِي كلِّ الشوارعِ الرئيسيَّة.

أَوقفَتنَـا نقطةُ تفتيـشٍ وبينمَا نحـن فِي طَابورِ السـيَّارَات قُمتُ بالبحث فِي السـيَّارةِ علَى عجلٍ فوجدتُ بعضَ الملصقات التِي فيهَا شعَار «إخوان سنَّة وشيعة هذَا الوطن مَا نبيعه» ففتحتُ بابَ السيَّارة وألقيتُ الملصقَ تحتَ السـيَّارة ونحن نتَّجهُ إِلَى التفتيش، جاء دورُنَا طلبوا منَّا بطَاقاتنَا الشـخصيَّة، وطلبوا منَّا فتحَ صندوقِ السـيَّارة، وقاموا بتفتيش السـيَّارة تفتيشًـا دقيقًا، لم يجدوا شـيئًا فسمحوا لنَا بالمرور، ونحن نمرُّ رأينَا أنهم قَد اعتقلوا مجموعةً كبيرةً من الشَّـباب وكبار السـن، وقَد أنزلوهم من سـيَّارَاتهم واحتجزوهم فِي طرفِ الشَّارع، كان الألَمُ يعتصرُ قلبِي علَى إخوَتي من أبنَاءِ شعبي، ولكن لَا حيلةَ لي ولَا وسيلةَ بيدي غير رفعهَا إِلَى ربِّ السَّمَاء.

عودة المودِّع:

عُدنَا إِلَى المنزل فكانَت أمِّي العزيزةُ فِي استقبالنَا بلهفةٍ وحزنٍ يملأُ

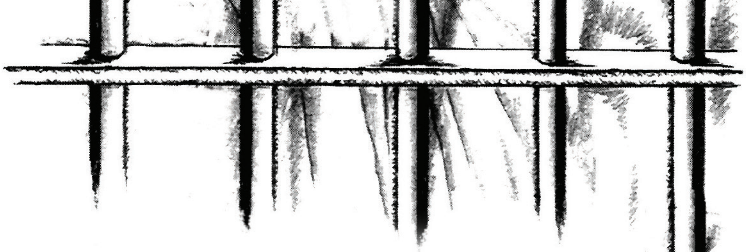

عينيهَا، فَرِحَت لرؤيَتنَا جلَسنَا حولهَا نتحدَّثُ معهَا عمَّا جرى، وكانَت أخـواتي فِي البَيت، اتَّصلَ والدي من عملِـه ليطمئنَّ علينَا، فأخبرَته أمِّي بأننَا قَد عُدنَا للبيت، أرَادَ والدي إلقاءَ التحيَّة علينا عبر الهَاتف، فتحدَّثنَا معه، سمعتُ صوتَ أبي المملوءَ بالحبِّ والخوف، طَلَبَ منَّا أن لَا نخرجَ حتَّى يأتي ليسـلّمَ علينَا، طلبنَا من أمِّي وإخوَتي وأخوَاتي تفريغَ المنزلِ فِي أسرعِ وقت، لعلمنَا أنَّهـم لن يتركوا منزلَنَا من دون مدَاهمة، لَمَلَمْنَا حوائجنَا الضَّرورية، واستأذنَ أبي من عملِه لكي يرَانَا، جـاءَ وإذَا بنَا نُلَمْلِمُ أغرَاضنَا فعلِمَ أنه لن يرَانَا بعد هذَا اللِّقاء، إلَّا أَنْ يكتبَ اللهُ لنَا أعمَارًا جديدةً، ضمَّنَـا إلَى صدره وظَلَّ ينظرُ إلينَا نظرةَ المودِّع كان يشعرُ أنَّهَا لحظاتُ فرَاقٍ طويلٍ قَد لَا يكُون بعده لقَاء، يريدُ أن يعودَ إلَى عملِه وقَدَمَاه لَا تحملَانه إلَى مَا يريد.

خرَجنَا من المنزلِ كلًّا لوجهته طلبتُ مـن أَخِي أن يوصلَني إلَى بيتِ عمِّي لأسـلِّمَ علَى زوجتي وبيت عمِّي، تركَني وذهبَ ليبحثَ له عَـن محلٍ يؤويه. دخلتُ إلَى بيت عمِّـي وجدتُ الخوفَ والحزنَ فِي عيونهم، خوفٌ من المجهولِ الـذِي ينتظرُنَا، وحزنٌ لمَا جرَى علَى أحبَّتنَا من أبنَاء الشَّعب.

أصرَّ أهلُ زوجتي علَى أن أبقَى عِندَهم، ولكنِّي كنتُ أشـعرُ بأنَّه مَـكَانٌ غير آمن، لأنَّهــم إذَا لم يجدُوني هنَاك قَد يلجـأون لبيتِ والد زوجتي، بعد إلحاحِهم بقيتُ فِي ذَلِكَ اليَوم معهم، وعندمَا حان وقت صلَاةِ المغـربِ خرجتُ لأتوَجَّهَ للمسـجدِ القريبِ من بيت عمي،

رأيتُ الشَّارعَ فارغًا من حركةِ السيَّارَات إلَّا من بعض المؤمنين المتَوَجِّهين للمسجد، كان الشارعُ مظلمًا والأنوارُ مطفأةً عدَا أنوار السيَّارَات المتَّجهة للمسجد.

بعد أن صلَّينَا فِي المسجد أعلنَ أحدُ المصلِّين أن هنَاك شَهيدًا من عَالي، وقَد وصل جثمَانه، وهم ينتظرون المشيِّعين لتشييع الجثمَان.

ملحودة وتشييع:

أردتُ أن أتَوَجَّهَ لمقبرة عَالي، لأشارِكَ فِي تشييع الشَّهيد جعفر معيوف الذِي لم أكن أَعْرِفُ سَبَبَ استِشْهَاده بعد، فِي الطَّريقِ توقَّفَت سيَارةٌ وأَوصلَتني للمقبرة، حِينَ وصولي كانَت الجنَازةُ فِي مأتم الحاج حسن العَالي قَد غُسِّلَت وكُفِّنَت، التفتُ يمينًا وشمَالًا فلم أجد صورةً تُرفَعُ للشَّهِيد! كان الرُّعبُ يسيطرُ علَى الأجواء، كان المنظِّمون للتشييع يتحاشون رفعَ أيَّ شعَارٍ سِيَاسِيٍّ، و يردِّدون التهليلَات والتكبيرَات، وكأن المحمولَ علَى الأكتافِ هو متوفًى بشكلٍ طبيعيّ، أغاضَني الأمرُ وتقَدَّمتُ بجوار الجنَازة وبَدَأتُ أرفعُ صوتي بهتافاتٍ ثوريَّةٍ وصرختُ بأعلَى صوتي «المَوْتُ لآل خلِيفة»، «المَوْت لآل سعود» وكان يردِّدُ معي قليلٌ من المشيِّعين.

حُمِلَت الجنَازةُ إِلَى خارج المأتم ووُضِعَت فِي الشَّارع، وصلَّى عليهَا

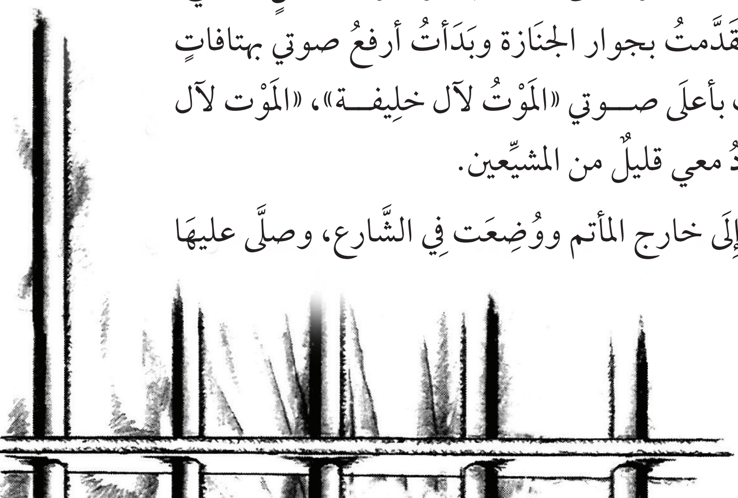

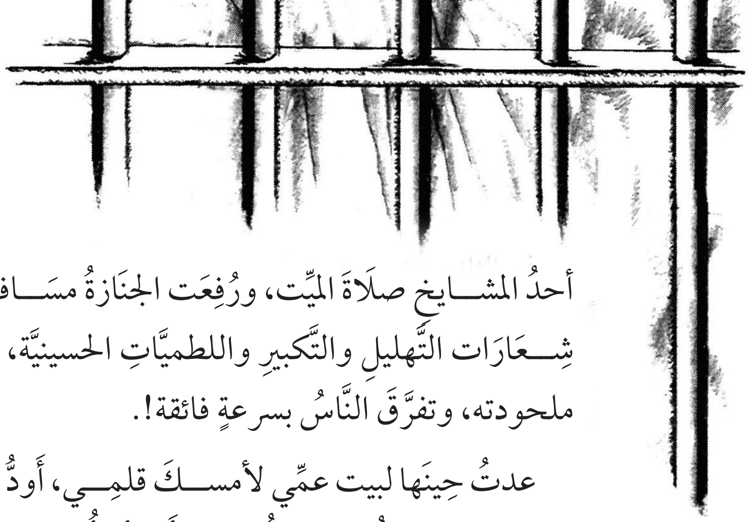

أحدُ المشــايخ صلاةَ الميِّت، ورُفِعَت الجنَازةُ مسَــافةً قصيرةً جِدًّا مع شِــعَارَات التَّهليلِ والتَّكبيرِ واللطميَّاتِ الحسينيَّة، وأُنزِلَ الشَّهيدُ فِي ملحودته، وتفرَّقَ النَّاسُ بسرعةٍ فائقة!.

عدتُ حِينَهَا لبيت عمِّي لأمســكَ قلمِــي، أَودُّ أن أكتبَ وصيَّتي لكن زوجتي لم تكُــن تفارقُني، ولم أَود أن أُعلمَهَا بنيَّتي، فكنتُ آخذُ القلمَ والدَّفترَ وأُرجِعُه مرَّةً أخرى، وهــي تَرَاقِبُني بعينيهَا القلقتين. قمتُ بكِتَابةِ الأمَانَــات المتعلِّقةِ بعُنقِي، هذَا المبلغُ لفلَانٍ وقَدرُه كذَا، وهذَا لفلَانٍ وقَدرُه كذَا، وَزَّعتُ الأموالَ فِي ظروفٍ مستقلَّةٍ وسلَّمتُهَا لزوجتي.

بَــدَأَت فِكْرةُ كِتَابةِ هذَا الكِتَاب فِي تلك اللَّحظات، وقمتُ بكِتَابة بعض مَا رأيت فِي دوَّار اللؤلؤة فِي الدَّفتر، وقرَاءتي لِمَا جرَى ويجرِي فِي عدَّة صَفَحات، لم أُكمِل مَا أكتبُه لأن عمَّتي هِيَ الأخرى تودُّ أن تجلسَ وتتحدَّثَ معي، بقيتُ حتَّى الصَّباح فِي بيتِ عمِّي، وبعدهَا خرجتُ لأذهبَ إِلَى قريَتي، وحِينَ وصلتُ سمعتُ بخبرِ تشييع الشَّهيدِ البَطلِ أحمد فرحان، فتَوَجَّهتُ إِلَى سترة الشُّهدَاء والعطَاء والإباء.

التشييعُ فِي سترة له طعمٌ آخر، التشييعُ لأيِّ شَهيدٍ فِي سترة يُعطِي المشــاركين طعمَ العزَّةِ والإباءِ والتَّحدِّي، وأنت تشــاركُ فِي تشييع الشَّهيدِ الستراوي تشــعرُ أنَّك فِي ثَورَةٍ ملتهبةٍ، وصلتُ سترة فإذَا بي أسمعُ شعَارًا يُرفَعُ علَى نغمِ نشيد:

«من يَومِ الخميس أنهينَا الكلَام... أقســمنَا يمين نمضي للأمَام...
الشَّعْب يريد إِسقَاط النِّظَام»

التشييعُ مهيبُ جِدًّا، المشاركون كُثْرٌ وكلُّهم عزيمةٌ وإرَادةٌ، وأنت فِي سترة المطحونَة، ســترةُ ذَات الغاليَّة الفقِيرة، سترةُ الكَرَم، تشعرُ بــأن كلّ البيوتِ هِيَ بيتك، وكلّ النَّاسِ هُم أهلك، لَا تشــعرُ بأنَّك غريبٌ فِي أوسَاطِهم، خرجَت مَسِيرَةُ التشــييعِ من مقبرةِ واديَان إِلَى مقبرةِ مهزة.

أُودِعَ الشَّــهيدُ البطلُ -الذِي فُضِخَ رأسُه، وأُفرغَت جمجمَته مِن مُحتويَاتِهَــا وتنَاثرَت علَى الأرض- فِي ملحودتِــه وأُهِيلَ عليه التُّرَابُ وسطَ مشــاعرَ حزنٍ وغضبٍ عَارمين. وبقينَا فِي هَذِهِ الأيَّام القلَائلِ من تشييعٍ إِلَى تشــييعٍ فِي النَّهَار، وفي اللَّيلِ نصعدُ علَى أسطحِ المنَازلِ ونؤدِّي شعيرةَ التَّكبير وفي كلِّ يَوْمٍ نسمعُ بنبأِ شَهِيد.

شَهِيدَة:

آخرُ تشييعٍ شــاركتُ فيه هو تشييعُ الشَّــهِيدةِ بهيَّة العرَادي التِي أصابهَا الجيشُ برَصَاصةٍ اخترقَت رأسهَا وهي تقودُ سيَّارتهَا علَى شارعِ البديِّع، كان التشييعُ يحملُ طَابِعًا خاصًّا من الحزن، هَذِهِ أَوَّلُ شَهِيدةٍ فِي الثَّــورَة، كان للمرأةِ حُضُورٌ مميَّزٌ فِي التشــييع، بل فِي كلِّ مفاصل

الثَّوْرَةِ. فالمرأةُ شَــهِيدةٌ، ومُعْتَقَلةٌ، ومفصولةٌ عَن العمل، ومتظاهِرةٌ، ومختنقةٌ بالغازات السَّامة، وهي أمُّ الشَّهِيدِ والمُعْتَقل، وزوجةُ الشَّهِيدِ والمُعْتَقَل، وأختُ الشَّهِيدِ والمُعْتَقَل، وابنةُ الشَّهِيدِ والمُعْتَقَل.

ســمعتُ نبأَ استِشْــهَاد الشَّــهِيدِ هَاني عبد العزيز أثنَاء التشييع، وتَوَجَّهتُ بعد تشــييعِ الشَّــهِيدةِ للبلَاد القَديم لأشــاركَ فِي تشييعِ الشَّهِيد هَاني فلم أرَ مظاهرَ التشــييع، وكان النَّاسُ يمارسون حيَاتهم بشكلٍ طبيعي، سألتُ أحدَهم فقال: إن نبأَ الِاسْتِشْهَاد لم يؤكَّد بعد.

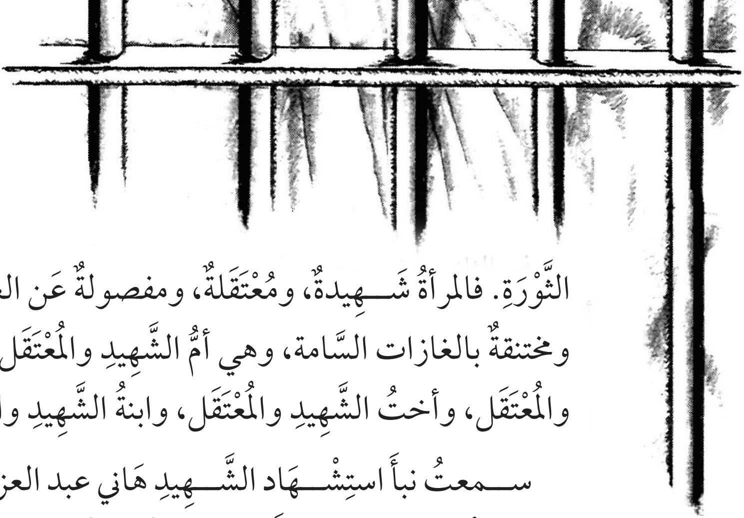

الفصل الثالث:

تنضيد الثبات

للحكاية تتمِّة:

عــدتُ إِلَى قريَتنَا لألتقِي بأهلِي الذِين توزَّعــوا فِي بيوت أقربائنَا، تنَاولتُ معهم وجبَةَ العشــاء، وحَضَرَ فِي هَذِهِ الجلســةِ بعض عمَّاتي وسألنَني هل سننتصرُ؟ فأجبتُهنَّ سننتصرُ ولكن ستكُونُ هنَاك ضحايَا كثيرةً فِي الأيَّامِ القادمةِ ولذَلِكَ ينبغي أن نوطِّنَ أنفسَنَا للتَّضحية.

خرجتُ من عِندهم، كانَت كلُّ الطُّرقِ والشَّــوارع مظلمةً ونقاطُ التَّفتيشِ تملأُ الشَّــوارعَ الرئيســيَّةَ فلَا مَكَان يُمكِننــي الذَّهَاب إليه بدون المرورِ علَى هَذِهِ النُّقاط، فتوَجَّهــتُ إِلَى البَيتِ لأني بحاجةٍ إِلَى الاستحمَام وبحاجةٍ لأن أرتاح.

لَا تهرب..

حِينَ بَدَأَت الحملةُ الأمنيَّةُ ضدَّ النُّشطَاء فِي شهر رمضان أغسطس ٢٠١٠م واُعتُقِلَت القِيَادَات فِي كلٍّ من تيَّار الوفاء الإسلَامي وحركة

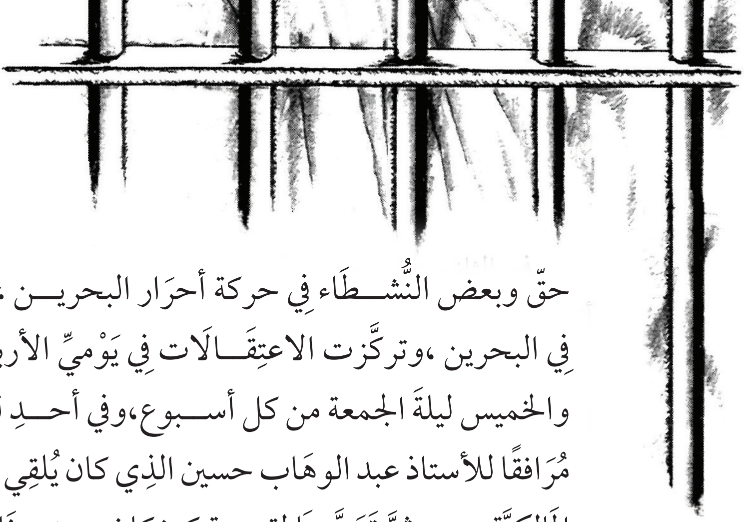

حقّ وبعض النُّشطَاء فِي حركة أحرَار البحرين ، وقَد كُنتُ حِينَهَا فِي البحرين ،وتركّزت الاعتِقَالَات فِي يَوْميِّ الأربعَاء ليلةَ الخميس والخميس ليلةَ الجمعة من كل أسبوع،وفي أحدِ ليَالي الجمعة كنتُ مُرَافقًا للأستاذ عبد الوهَاب حسين الذِي كان يُلقِي محاضرةً فِي منطقةِ المَالكيَّة ،ومن ثمَّ تَوَجَّهنَا لقريةِ كرزكان وبعد برنَامج قريةِ كرزكان طلبتُ من الأستاذ عبد الوهَاب بأن لَا يبيتَ فِي منزلِه وأبديتُ استعدَادِي لاستضافتِه فِي منزِل والدي فِي تلكَ الليلة ، ولكن الأستاذ عبد الوهَاب لم يقبَل الفِكْرةَ،وحِينَ أصرَّيتُ عليه قالَ لِي:إنَّ علَى القيَادَاتِ والعُلَماءِ الذِين يتصدّون للشأن العَامِ أن لَا يهربوا وأن لَا يختبئوا ، وقال إذَا رَغِبتَ فِي التصدِّي للشأن العَام عليك أن لَا تهربَ وأن تتحمَّلَ الضريبةَ والمسؤولية .

هذَا الأمرُ هو مَا دفعَني للعودةِ إِلَى المنزلِ مع علمِي باحتمَال مدَاهمتِه واعتِقَالي،وأذكرُ أن أحدَ الأخوة جائنِي وطَرَقَ البابَ وحِينَ خرجتُ له طَلَبَ منِّي أن أُرجعَ له أمَانةً كانَت له عِندي ، فقلتُ له إن بقيتُ ليَوْمِ غَدٍ ولم يتمَّ اعتِقَالي فإنِّي سأجلبُهَا لكم، وفي حال اعتِقَالي فإنَّ الأمَانةَ لدَى فلَان، فقَد وضعتُ الأمَانَات فِي ظروفٍ وكتبتُ عليهَا أسمَاءَ أصحابِهَا وسلَّمتها للشَّخص المقصود.

فِي حوالِي السَّاعةِ الواحدةِ وخمس وأربعون دقيقة فجرًا، كنتُ أتهيأُ للاستحمَام، سمعتُ صوتَ سيَّارَاتٍ تتوقَّفُ قُربَ بابِ منزلنَا، كان الهدوءُ يعمُّ المَكَان... فُتِحَت أبوابُ السيَّارَات وأُغلِقَت بشكلٍ

عَنيفٍ... فعَرَفتُ مَن القادِمِ!

فتحتُ بابَ الصَّالةِ لأنظرَ إِلَى البابِ الخارجي وإذَا بأحدِهم يدفعُه -يحاولُ فتحَه بالقوَّة- فتأكَّد لي أنَّهم «هم»!

حاولــتُ الفِرَارَ من النَّافذةِ المُطلَّةِ عــلَى الضِّفةِ الأخرى للمنزِل، إلَّا أنَّني رأيتُ مصابيحَ ســيَّارَاتهم كأنَّهَا عيــونٌ حاقِدةٌ تنظرُ لجدرَان البَيتِ شزرًا، فتيقَّنتُ أنَّهم قَد أحاطُوا بالمنزل، جاءَني نِدَاءٌ دَاخليٌّ بأن (لَا تهرُب)، فاســتجبتُ له، وقرَّرتُ عدمَ الفِرَار، مَا هِيَ إلَا لحظاتٌ وإذَا بي أســمعُ صوتَ ضَرَباتٍ قَوِيَّةٍ علَى الباب، حَيثُ كسرُوا البابَ الخارجــيَّ وأتبعُوه ببــابِ الصَّالِة وانتشرُوا فيهــا، وكلُّ مَا يعترِضُ طريقَهم من محتويَاتِ المنزلِ كان مصيرَه التَّحطِيم.

توحش الذؤبان..

دخلُوا الغُرَفةَ وهيَ اللَحظَــةُ الأُولَى التِي أرَاهم بهَا وجهًا لوَجه، حَيثُ كان بعضُهم يلبسُ اللِّباسَ العســكريَّ ويمسكُ فِي يدِه سلَاحَ الرَّشاش، وبعضُهم كان يلبسُ اللِّباسَ المدنيَّ ويحملُ فِي يده مسدسًا «فــرد»، وفي يدِ البعضِ الآخر مصابيحَ «وُجِّهَــتْ» نحوِي مقتحمةً تقاســيمَ وجهِي، بل اخترقَت إشعَاعَاتُهَا عينَاي؛ لكي أُمنعَ من النَّظرِ إليهم... وجَّهوا أسلحتَهم نحوِي وطلبُوا منِّي الاستدَارة، فطرحُوني

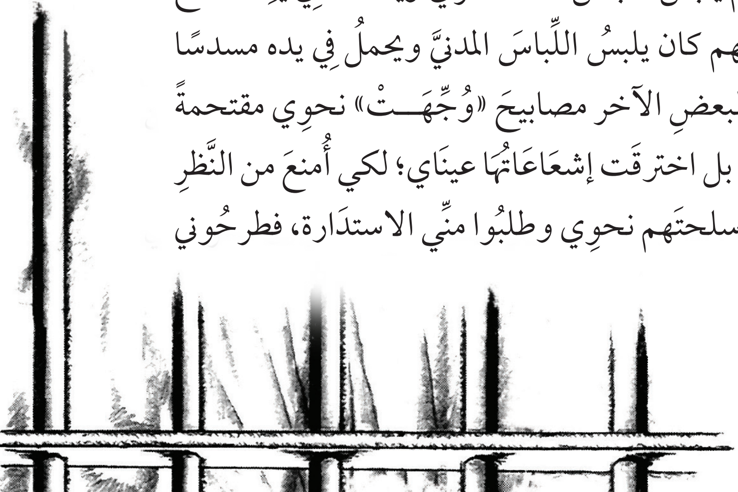

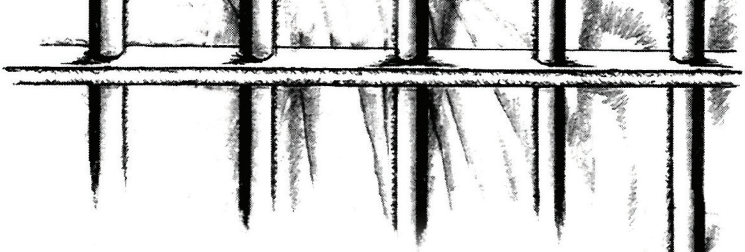

أرضًا وفُوَّهةُ السِّــلَاحِ علَى رأسِي، سألُوني عَن اسمِي فأجبتُهم (سَيِّد مُرْتَــضَى) كبَّلوا يديَّ بالأصفــادِ مِن الخلف، وأنَا أســمعُ أصواتَ تكسيرِهم للأبوَاب، أخذُوا يُعِيثُون فِي المنزلِ الفَسَادَ أكثر فأكثر.

أَوقفــوني فِي الصَّالةِ بالقربِ من البــابِ وكانَت أعدَادُهم تزدَاد، طلبُوا منِّي الالتصاق بالجِدَار حتَّــى لَا أرَاهم، توحَّدتُ مع الجِدَار، لكنني كنتُ أُرَاقبُ أفعَالهم... كانــوا قُرَابةَ الأربعين، الصَّالةُ كادَت أن تضجَّ من أحذيتِهم وصــوتِ رَقْعِهَا للبلَاط، أكثرهم كان بلباسٍ مدنيٍّ، وكلُّهم كانُوا يرتدون أقنعةً تَسْتُرُ قُبْحَ أعمَالهم.

عتمة..

كان مِــن بينهم مصوِّرٌ يصــوِّرُ عمليَّةَ المدَاهمةِ للمنــزلِ وطريقة الاعتِقَال، ويصــوِّرُ كلَّ محتويَاتِ المنــزل، صَرَخَ أحدُهم فِي وجهِي وقال «أَدِر وجهَك يَا...»، والتقطُوا لي صُورة!

ســألنِي أحدُهم: عَلُّوي الوَسِخ وينه ؟! (كان يقصدُ بذَلِكَ أَخِي سَيِّد علي)

أجبته: لَا أعلَم !

قال: ستعلَم...وستتكلَّم!

(ربطُوا عينَاي بعصابةٍ سودَاء)

سألنِي أحدُهم: أين هَاتفك؟

في الغُرْفةِ!

أين مفاتيحُ السيَّارة؟

فوقَ التِّلفاز.

أين محفظتُك؟.

بجانب الهَاتِف «...»

صارَ مِن الصَّعبِ علـيَّ مُرَاقبتهم، لكن سـمعِي كانَ يلتقطُ كلَّ صوتٍ يصـدرُ منهم، جرُّوني إِلَى خارِجِ المنـزلِ وأنَا بملَابسِ النَّوم، حافِي القَدَمين، كنتُ أَسمعُ أصواتَ أجهزةِ الاتِّصالَات (البرقيَّات)، وأصواتَ السيَّارَات، اقتادوني إِلَى سيَّارةٍ مدنيَّةٍ صغيرة، وانهَالوا عليَّ بالسبِّ والشَّتمِ والضَّربِ والرَّكل...

أحدُهم يسأَلُ: هل يوجدُ شخصٌ آخر فِي هَذِهِ المنطقة؟

أجابه آخر: لَا.

ركبتُ السيَّارةَ ومعي أربعةُ أشخاصٍ أحدهم عَن يميني والآخر عَن يسَاري وثالثهم يقودُ السيَّارةَ والرَّابع بجانبه. حاولتُ أن أَعْرِفَ إِلَى أين يقودونني من خلَالِ الطَّريقِ الذِي يسلكُونه، إلَّا أن السَّائقَ كان مسرعًا فِي قِيَادته بشكل جنونيٍّ ويُخيَّلُ لي أنَّه كان يختارُ طرقًا غير مألوفةٍ بالنِّسبةِ لي، ويبدو أنَّه يتعمَّدُ تمويهي، حَيثُ أنه إذَا وصلَ إِلَى

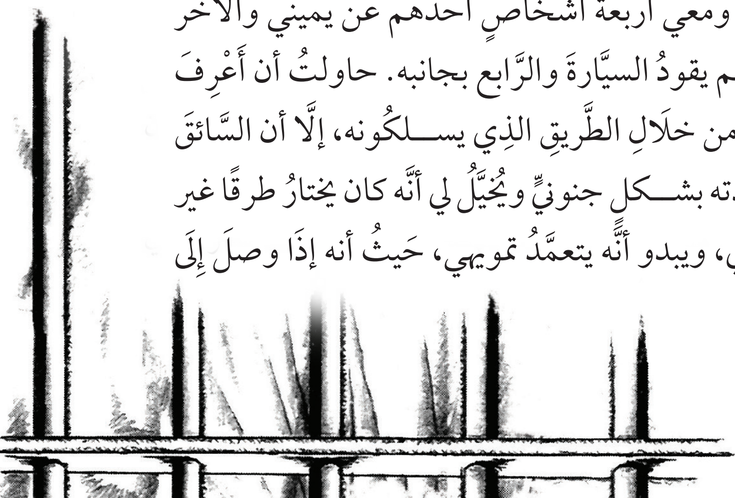

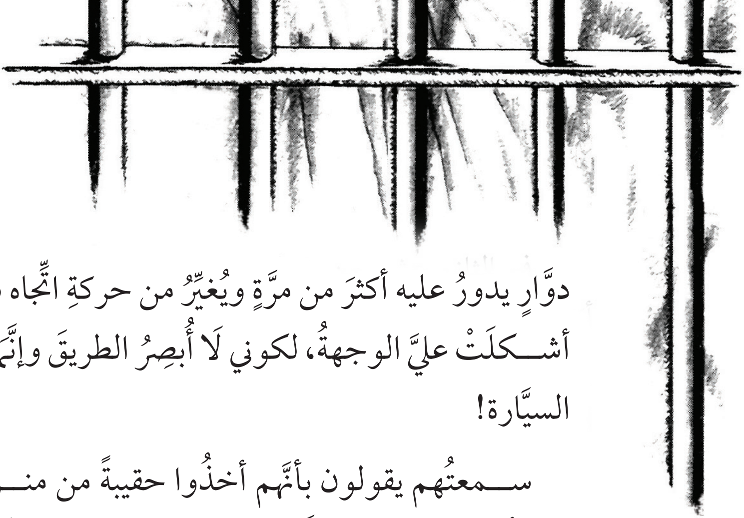

دوَّارٍ يدورُ عليه أكثرَ من مرَّةٍ ويُغيِّرُ من حركةِ اتِّجاه سَيرِ السيَّارة، فقَد أشـــكلَتْ عليَّ الوجهةُ، لكوني لَا أُبصِرُ الطريقَ وإنَّمَا أتحسَّسُه بدورَان السيَّارة!

ســـمعتُهم يقولون بأنَّهم أخذُوا حقيبةً من منـــزلِي يعتقدون بأنِّي جهَّزتُهَا للهرب... وتحدَّثوا عَـــن طبلٍ وجدوه فوقَ المنزل، متَّخذين عصـــاه أداةً يضربونني بهَا عـــلَى رأسِي وهم فِي طريقهـــم إِلَى مَكَانِ الاعتِقَال... بَدَأتُ أُتمتِـــمُ بذكرِ الله عزَّ وجلَّ، مِمَّا أفاضَ عليَّ اطمئنانًا وسكينة.

مصيرٌ مجهول..

بعد خمس وعشرين دقيقة تقريبًا، وصَلنَا إِلَى البوَّابة، أطلقَ السَائقُ بوقَ السيَّارة علَى زئيره، فُتِحَ البابُ ودخلَتْ السيَّارة، طوالَ فترةِ سيرِ السيَّارة لم يتوقَّفوا عَن سبِّي وشتمي... قالَ أحدُهم للسَّائق: أَسمِعْهُ الأغانِي لأنَّهَا آخر أغنيةٍ سيسمعُهَا فِي حيَاته...!

توقَّفَتْ الســـيَّارة، أنزلوني منهَا عُنفًا وضَرْبًـــا، اقتادُوني إِلَى مَكَانٍ لَا أستطيعُ تمييزه، أجلســـونِي علَى كرسيٍّ هنَالك يتيم، وجاءَ طبيبُهم ليُجرِيَ لي بعضَ الفحوصات الطبيَّة.

سألني: هل تعَاني من مرضٍ مَا؟

فأجبته: لَا.

رَفَعَ جهَازَ فحصِ الضَّغط عَنِّي، وأشارَ إليهم بأخذِي، عرفتُ فيمَا بعد، أن هذَا الطبيبَ تابعٌ لعيَادة القلعة، أَخَذَ تِلك الفحوصاتِ لكي يَعرِفـوا مدَى تحمُّلي لأنواعِ التَّعْذِيب. اقتادوني مرةً أخرى للســيَّارة وهم يكيلون عليَّ السبابَ والشتائِم، ويسحبونني بشكلٍ غير إنسَاني؛ ظنًّا منهم أنَّهم سينَالون من قوَّتي وثباتي.

أدَارَ السَّائقُ السيَّارةَ ومشينَا ثلَاثَ دقائق تقريبًا بالسيَّارة، أنزلوني من الســيَّارة وأخذوني إِلَى مَكَانٍ مَا تحت الأرض، عرفتُ فيمَا بعد أنه سردَابٌ فِي القلعة. أوقفوني مقابلًا للجِدَار مكبَّلَ اليدين إِلَى الخلف، ومربوطَ العينين. وصلنَا إِلَى السردَاب وهنَا بَدَأَت قِصَّةُ الألم.

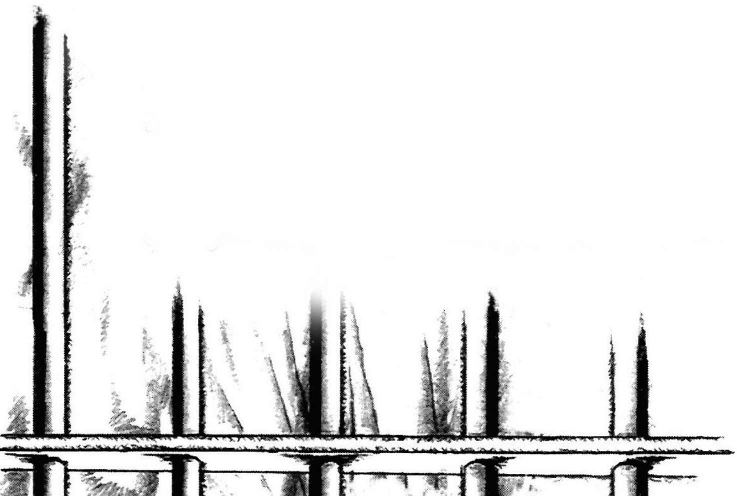

الفصل الرَابع:

أسفار عهد مؤلمة

١- سردَاب المحنة..

أَدْخلُونِي السِّردَابَ، لَم أَكُن أرَى شـــيئًا، ولكنِّي أَتحَسَّسُ كلَّ شَيء، أَتحَسَّسُ السُـــلَّمَ وهُم يُنزِلُونني علَيه، أَتحَسَّسُ أَرضيَّةَ السِّردَابِ التِي كانَت مفروشةً بفرشٍ من «مطَاط» يشبه البلَاط وفيه دوائرُ صغيرةٌ. كنتُ أَتحسَّـــسُ الأرضَ بقَدمي الحَافِيتَين، كان الهُدوءُ مُوحشًا لَحظَة وُصولِي.

عِلِمتُ من الحَسِيس الحَذِر، أن فِي تِلكَ اللَّيلَةِ اعتقلُوا آخرين معي ولم أكُـــن الوحِيد، أَوقفونِي وعينَاي مغمضتـــان بقمَاشٍ مُحكمِ الرَّبط، مكبَّلُ اليدان من الخلف، كان المكيِّفُ باردًا، وكان جســـمِي يتصبَّبُ عرقًا، لم أكُن أعلمُ بمكَان اعتِقَالي، كنتُ أُخمِّنُ أنِّي فِي قاعدةٍ عسكريَّةٍ، بعد سَاعةٍ من وقوفِي جاءَني أحدُهم يهمسُ فِي أذني:

مَا اسمك؟

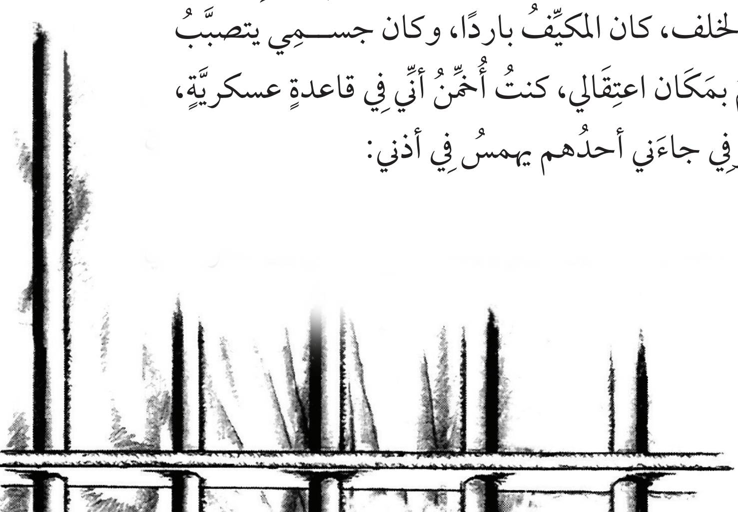

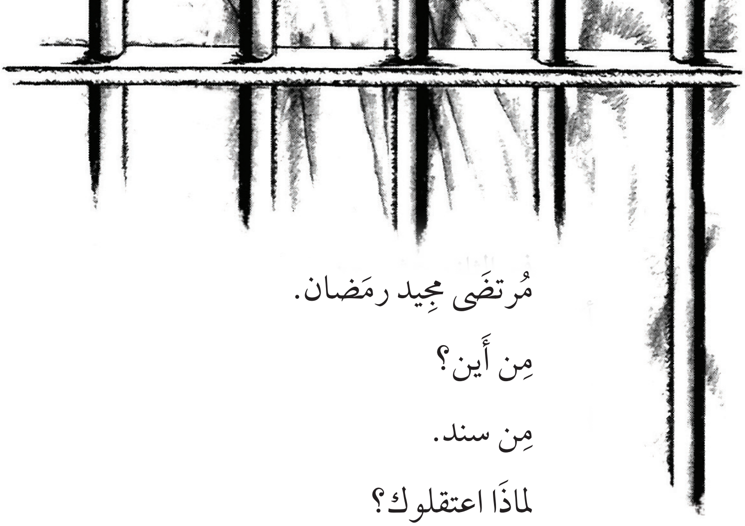

مُرتضَى مجِيد رمَضان.

مِن أَين؟

مِن سند.

لماذَا اعتقلوك؟

لَا أدري.

ستعلمُ فِي الصَّباح وستتكلَّمُ حِينها.

سَـكتُ وأطرقتُ برأسِي، تركَنِي وذهبَ لغيرِي يسـألُه، سمعتُه يهمسُ فِي آذَانِ الآخرين بجنبِي، لم أكُن أسـمعُ مَا يقولون إلَّا هَمْهَمَةً مُبهَمَةً. بعد سَاعةٍ جاءَني آخرُ يسألُنِي نفس الأسئلة، وأجبتُه الإجابة ذَاتها، وذَهبَ ليسـألَ آخرين. اسـتمرَّ بنَا الحالُ هكذَا إِلَى أن تبدَّلتْ «نوبة العمل» فِي الصَّبـاح، علمتُ أنَّهم جلبُـوا الإفطَارَ ولكنَّهم لم يعطونِي شـيئًا، أدركتُ حِينهَا بفواتِ وقتِ الصَّلَاة، ولم يُسـمَحْ لنَا بأدَائها، كنتُ أظنُّ أنَّهم سـيوقفونني ثلَاث سَـاعَات، وسيتركونني أرتاحُ قليـلًا وهكذَا دواليك، كمَا حصـلَ لي فِي مركزِ البديع فِي عَام ٢٠٠١م، عِندمَا كنتُ مُعتَقلًا آنذَاك، إلَّا أنَّهم لم يسمحُوا لي بالجُلوسِ أبدًا، عِندَ السَّـاعة الثامنة والنِّصف صباحًا تقريبًا سـمعتُ صوتَ الأبوابِ تُفتَحُ وتُغلَقُ وكان العملُ قَد بَدَأ، وهَاهم يبدَأون جلسَـاتِ التَّحقيق.

٢- فضاء التحقيق الأَول..

عِند حوالي السَّاعة التَّاسعة صباحًا جاءَ دورِي فِي التَّحقيق، جاءَني أحدُهم يسألُني عَن اسمِي أجبتُه: مُرتضَى مجِيد رمضان، كنتُ أتعمَّدُ أن لَا أقولَ «سَيِّد» لأنني معروفٌ بـــ«سَـــيِّد مُرتضَى» قلتُ فِي نفسِي لعلَّ هناَك اعترَافاتٍ عَنِّي من هنَا أو هنَاك فلَا يلتفتون إليهَا.

سرتُ بين يديــه فِي ممرٍّ تَئِـــنُ جدرَانُه بأصـــواتِ المُعذَّبين، وهُم يصرخُون بأعلَى أصواتِهم، دخلتُ معه فِي مكتـــبٍ يُؤَدِّي إِلَى أبوابٍ متواصلة، دَخلنَا معًا، إِلَى أن خَفَّفَ من مشيتِه وقَالَ:

«الآن ستدخلُ علَى الشيخ أجِب علَى كلِّ الأسئلة بصرَاحة وتكلَّم بمَا لديك وإلَّا ستندم كثيرًا»

دخلتُ الغُرفةَ، سألَنِي:

مَا اسمك؟

مُرتضَى مجيد.

لماذَا أَنتَ واقِف؟، تعَال اجلس علَى الكرسِي، «أَجلِسُوه» موجِّهًا الكلَامَ لهم.

قَالَ لِي: مَاذَا تعمَل؟

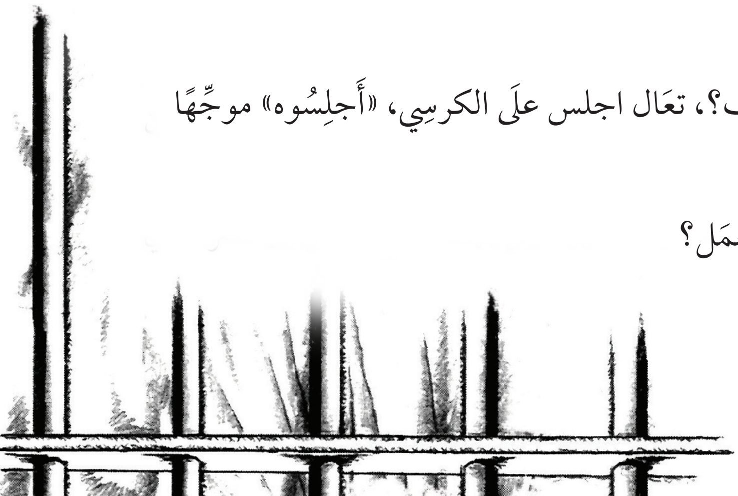

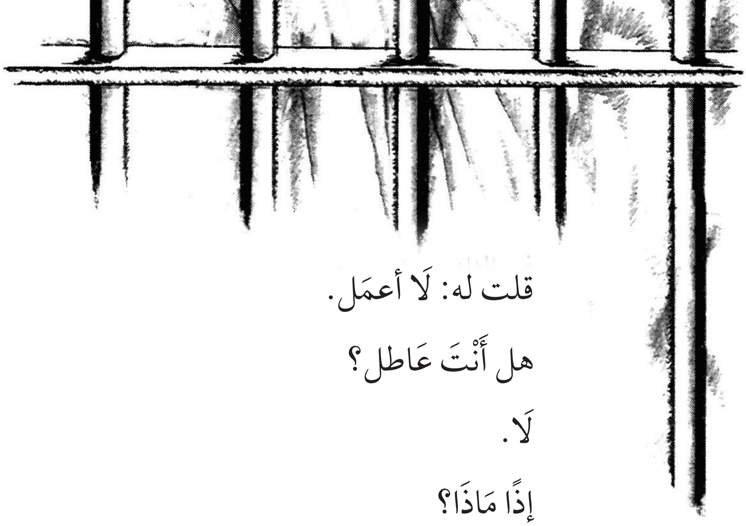

قلت له: لَا أعمَل.

هل أَنْتَ عَاطل؟

لَا.

إذًا مَاذَا؟

قلت له: أدرس.

فقال: ومَاذَا تدرس؟

قلت: عُلوم دينيَّة.

سألني: أَنتَ شيخٌ مُعمَّم؟

أجبت: أَنَا طَالب علومٍ دينيَّة ولكن لست معمَّمًا.

هل تدخِّن؟

قلت: لَا.

هل تشربُ الشاي؟

قلت: نَعَم.

«مخاطبًا جلَاوِزته»: اسكبُوا له الشـــاي. (سكبوا شايًا وأعطوني إيَّاه)

قلت له: كيف أشربُ الشايَ ويدَاي مقيَّدتان من الخلف؟!

«خاطبهم مجدَّدًا» فُكُّوا قيدَه.

فَكُّوا الأصفادَ، وضَعوهَا مــن الأمَام، وعينَاي مَازالتا مربوطتان بإحكَام، وضعَ أحدُهم كأسَ الشَّــاي فِي يَدِي، كان مَلمَسُ الكأسِ قرطَاسيًّا. واصلَ المحقِّقُ كلَامَه معِي قائلًا:

تَحدَّثْ معِي عَن حيَاتِك، كيف تَقضِي يَوْمَك؟

قلــتُ له: أَنَا طَالبُ علــومٍ دينيَّة، أخرجُ مــن الصَّباحِ لدروسِي وأعودُ ظهرًا عِند السَّــاعة الثانيةِ والنصف، أتنَاولُ وجبةَ الغذَاءِ مع عَائِلَتي، فأرتاحُ قليلًا حتَّى السَّــاعة الرَابعــة والنصف، بعدهَا أتهيأُ لدرس السَّــاعة الخامســة عصرًا، أعودُ للمنزلِ بعــدَ أذَان المغرب. أجلسُ مع أهلِي، وبعــض الأَيَّام أذهبُ لتســجيلِ حلقاتٍ حواريَّةٍ بقنَاةِ المعَارف الفضائيَّة، وبعض الليَــالِي أذهبُ لبعض المحاضرَاتِ والنَّدوات الثقافيَّة، بطبيعةِ الحال...اهتِمَامَاتي ثقافيَّة.

سألني: هل أَنتَ مُتزوِّج؟

أجبته: نَعَم

قال: هل لديكَ أبنَاء؟

لَا.

هل تحبُّ زوجتك؟

بالتَّأكيد.

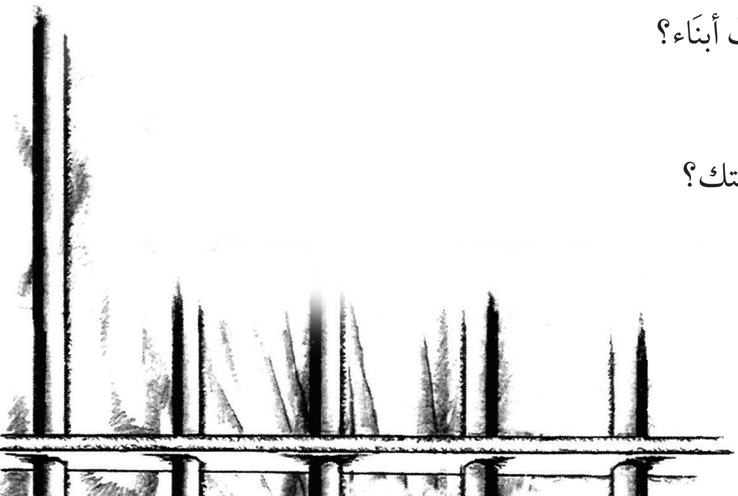

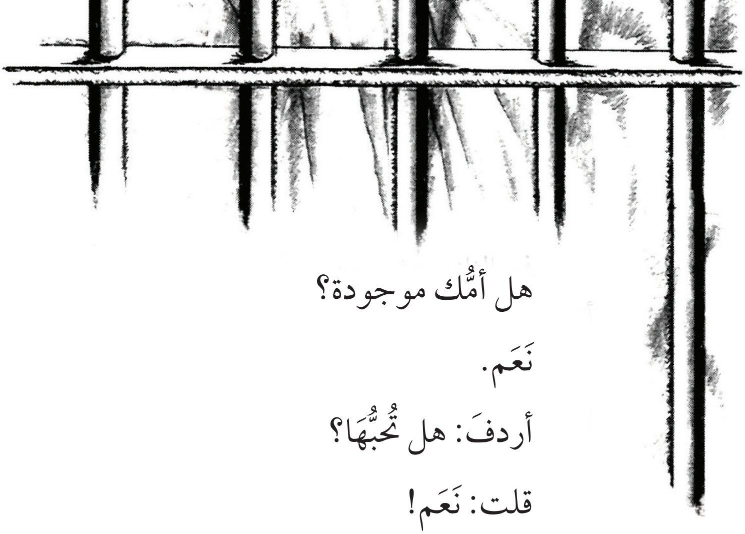

هل أمُّك موجودة؟

نَعَم.

أردفَ: هل تُحبُّهَا؟

قلت: نَعَم!

قال لِي: أكمِل.

قلت له: أَنتَ تسألُ وأَنَا أَجِيب.

سألني: فِي أيِّ حوزةٍ تدرس؟

جامعةُ أهل البَيت.

وأين تقعُ؟

في قم.

قال لِي: إذًا أَنتَ تدرسُ فِي إيرَان؟ «وكأَنَّمَا وقعَت يدُه علَى فريسةٍ»

قلت: نَعَم!

هل تنتمِي إِلَى جهةٍ سِيَاسِيَّة؟

الآن، لَا.

وسَابقًا ؟!

نَعَم

مَا هِي؟

جمعيَّة الوفَاق!

ولِمَ خرجتَ مِنهَا؟!

العملُ السِّيَاسِيُّ ليس من اهتمَامَاتي.

ومتى خرجتَ ؟

بين عَامي ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ م.

ومَا سَبَبُ خروجك؟

قلت: لأنَّ العملَ السِّيَاسِيَّ ليس من اهتمَامَاتي، فاهتمَامَاتي ثقافيَّة، والوفاق جهةٌ سِيَاسِيَّةٌ!

سألني: إذًا لِمَ اشتركتَ؟

في بدَايةِ التأسِيس الكلُّ شاركَ فِي الجمعيَّات السِّيَاسِيَّة، وأنَا واحدٌ منهم!

قال: سأقولُ لك شيئًا يَا سَيِّد مُرتضَى!...تفاجأتَ من منَادَاتي لكَ بسَيِّد...صَح؟.

قلتُ: ولِمَاذَا أتفاجأ؟

قال: لأَنَّك تحاولُ أن تخفيَ اســمكَ الحقيقي، تظنُّ أننا لَا نعرفُ عَنك شيئًا!

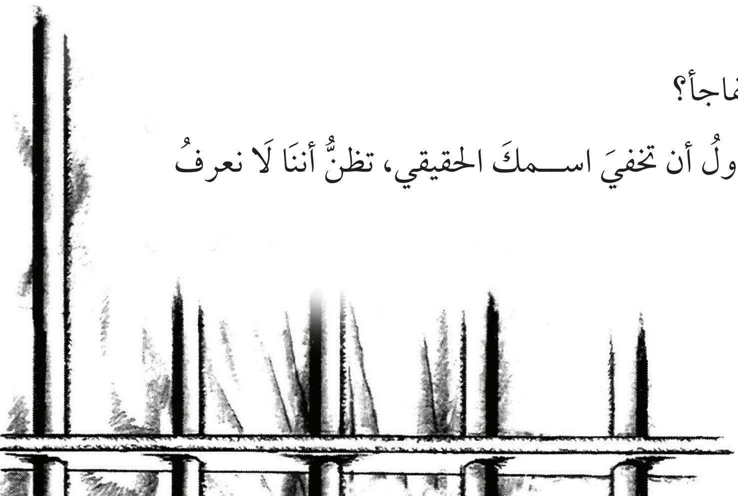

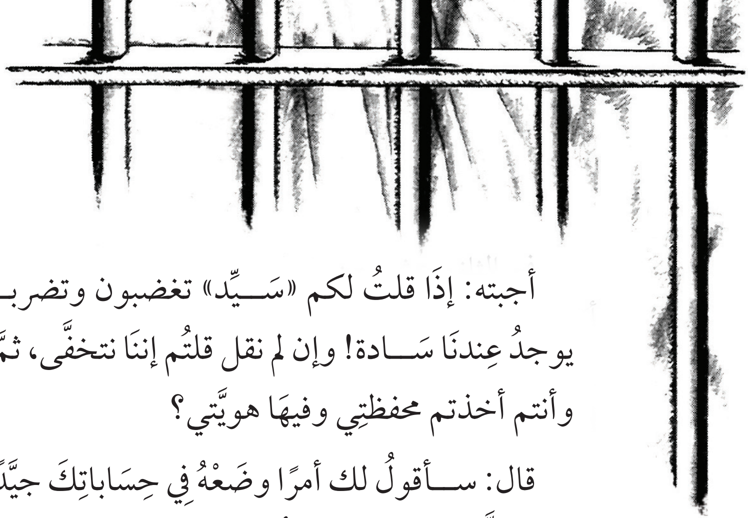

أجبته: إذَا قلتُ لكم «سَـيِّد» تغضبون وتضربـون وتقولون لَا يوجدُ عِندنَا سَـادة! وإن لم نقل قلتُم إننا نتخفَّى، ثمَّ كيف سـأتخفَّى وأنتم أخذتم محفظتِي وفيهَا هويَّتي؟

قال: سـأقولُ لك أمرًا وضَعْهُ فِي حِسَاباتِك جيِّدًا وهو أنَّنَا نعرفُ عَنك كلَّ شيء، ولكن نريدُ أن نسمعَ مِنك. نحنُ لم نأتِ بك من فرَاغ، لم نأتِ بك إلَّا ونحن نعرفُ عَنك كلَّ صغيرةٍ وكبيرة. وأردفَ قائلًا: وإذَا لم تتكلَّم معِي بالطيب فإنَّك ستنتقلُ إلَى غُرفةٍ أخرَى يُعَاملونَك بطريقــةٍ مُختَلِفة، تكلَّمْ من غير أن نحتــاجَ لتعَاملٍ آخر معك، «بنبرةٍ يشوبُهَا التخوِيف» قِفْ علَى قَدميك وتكلَّم، أَنتَ لَا تستحقُّ الجلوس.

قلــت له: وأنَا تكلَّمتُ مَعَكَ بِمَا عنــدي، دون التفافٍ أَو تملُّص، وإذَا كانَت لديك أسئلةٌ سَلْهَا وسأُجيب.

٣- فضاءات التحقيق الثاني..

فِي المسَــاء، أظنُّهَا السَّــاعة الثانية عشرة بعد منتصــف الليل، تَمَّ اســتدعَائي مرةً أخرى إلَى غُرفةِ التَّحقيق، هَا أَنَا ذَا أمرُّ فِي الممرِّ ذَاته، وهَا هِيَ أبوابٌ تُفتَح، وأخرى تُغلَق، وأنَا أنقادُ من قِبَل أحدِ الجلَاوزةِ الذِي كَرَّرَ عليَّ العبارةَ ذَاتهَا بأن أقولَ كلَّ شيءٍ وإلَّا سأندَم.

أدخلونِي الغُرفةَ، صَاحَ الشَّــخصُ الذِي أدخلني «سلَام سَيِّدي» وبعدمَا ردَّ سلَامه قال:

مَا اسمك؟

سَيِّد مُرتضَى.

اسمكُ بالكامِل.

سَيِّد مُرتضَى مجيد رمضان.

أينَ تعمَل؟

أدرسُ لَا أعمل.

ومَاذَا تدرس؟

علوم دينيَّة.

أنت شيخ إذًا.

لَا، أَنَا طَالب علومٍ دينيَّة.

هل أَنتَ معمَّم؟

لَا.

هل أَنتَ خطيب؟

لَا.

إذًا مَا هو نشاطك؟

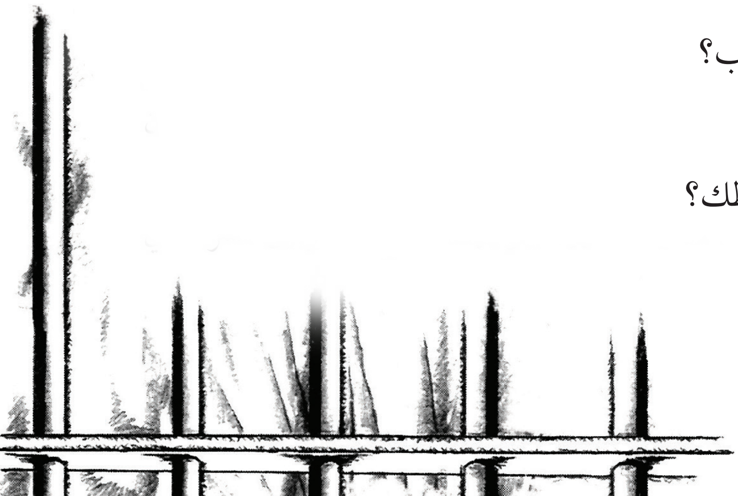

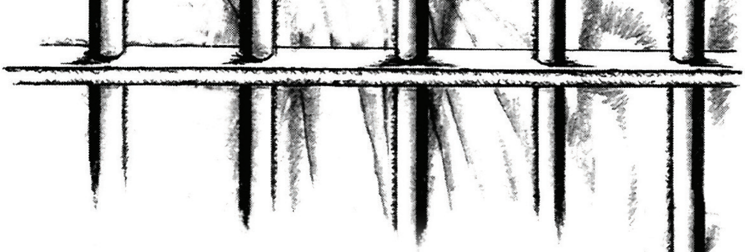

أصلِّي جمَاعة، أدرِّسُ فقه، عقائد، قرآن.

لَا تُلقِي خطب؟

لَا.

ولِماذَا؟

أنَا طَالبٌ مبتدئ، وعَادةً الخطبُ يُلقِيهَا العُلَمَاءُ الكبار، وأنَا لست إمامًا، بل أغطِّي النَّقصَ فِي حالِ عدمِ وجوده.

أين تصلِّي؟

فِي سند، مدينة عيسى، جدعلي...إلخ.

مَا يربطك بعبد الوهَاب حسين؟

لَا تربطُني به علَاقةٌ خاصَّة.

مَاذَا تقصِد بعلَاقةٍ خاصَّة؟

أَعْرِفُــه ويَعْرِفُني، أحترمُه ويحترمُني، لكن لَا توجد بيني وبينه أيَّةُ علَاقةٍ خاصَّة!

لِماذَا يحترمُك؟

باعتبارِي طَالبَ علوم دينيَّة.

وكيف تريدُ إقنَاعي بأنَّه لَا توجدُ علَاقةٌ خاصَّةٌ بينك وبينه وأنت تنظِّمُ برنَامجًا فِي منزله؟

بكلِّ بسَــاطةٍ هو لم يطلبْ منّي وإنَّما الذِي طلبَ منِّي هو ســعيد النوري.

مَا علَاقتك بسعيد النوري؟

سعيد النوري أستاذِي بالحوزَة.

ومَاذا طَلَبَ منك؟

طَلَبَ منّي أن أُنظِّمَ برنَامجًا ثقافيًّا فِي شــهر رمضان فِي مجلسِ عبد الوهَاب حسين.

ولِماذَا طَلَبَ منكَ أَنتَ علَى وجهِ الخُصُوص؟

باعتبار أنَّه يعلمُ أن اهتمَامَــاتِي ثقافيَّةٌ وأنا أعملُ فِي الحقلِ الثقافي، وبالإمكَان أن أخدمَه فِي هذَا المجالِ أكثرَ من غَيرِي.

يعني أَنتَ عضو فِي تيَّار الوفاء؟

لَا.

إذًا كيف تُوكَلُ إِلَيكَ مهَامٌ وأنت لستَ عضوًا فيهَا؟

أَنَا أعملُ مع الجميع ولَا فرق عِندي فِي العملِ الثقافيِّ بين الجهَات المتصدِّية للسَّاحة.

ومَا هِيَ الجهَاتُ المتصدِّية للسَاحة؟

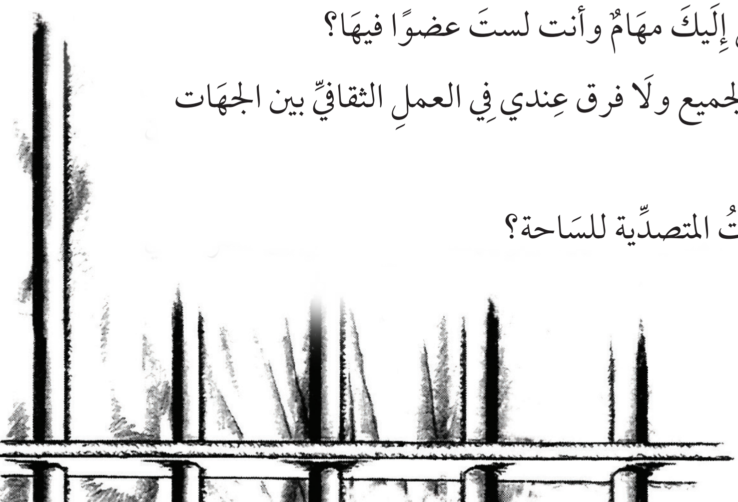

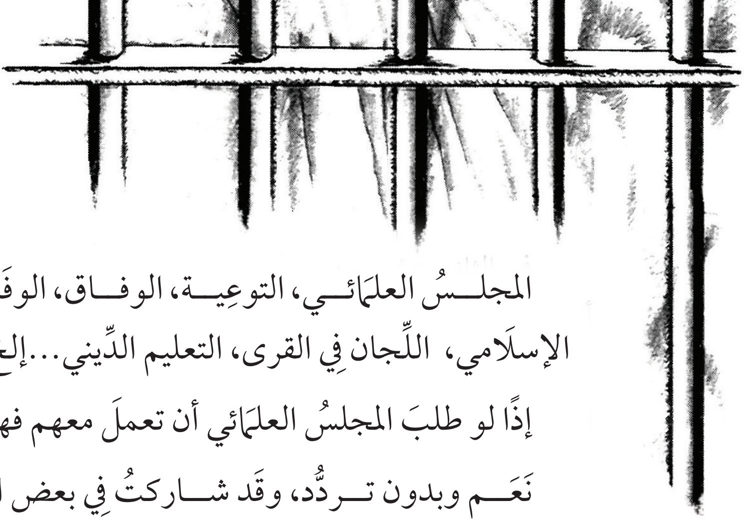

المجلسُ العلمَائي، التوعِية، الوفَاق، الوفَاء، حق، العَمل الإسلَامي، اللّجان فِي القرى، التعليم الدِّيني...إلخ.

إذًا لو طلبَ المجلسُ العلمَائي أن تعملَ معهم فهل ستعمَل؟

نَعَم وبدون تردُّد، وقَد شاركتُ فِي بعض البرَامج الثقافيَّة للمجلِس.

مثل مَاذَا؟

البرنَامجُ الرمضانيُّ للمجلس العلمَائي الذِي هو عبارةٌ عَن دروسٍ قرآنيَّة فِي القرى.

وأين شاركتَ؟

في قريةِ العكر.

نعودُ للبرنَامج الثقافيِّ فِي بيت عبد الوهَاب، من شاركَ فِي البرنَامج؟

شاركَ عددٌ من العلمَاء.

مثل من؟

الشيخ مجيد التوبلَاني، الشيخ عبد الجليل المقداد، سعيد النوري، شيخ محمد علي، أستاذ عبد الوهَاب، الشيخ الدقاق، أستاذ حسن مشيمع، شيخ السلمَان، عبد الغني خنجر، محمد التاجر...وغيرهم لَا أذكرهم الآن.

لِماذا هؤلَاءِ بالذَّات ؟

ليس لهم خُصُوصيَّة فِي ذَاتِهم فقَد دعونَا الكثيرَ من العلمَاءِ ولكنَّهم اعتذروا ولم يقبلوا الدَّعوة.

مثل من؟

مشَايخُ المجلسِ العلمَائي.

أريدُ أسمَاء.

سَيِّد مجيد مشعل، شيخ فاضل الزاكي، سَيِّد محسن الغريفي، سَيِّد محمد الغريفي، السَّيِّد عبدَالله الغريفي وغيرهم.

ولِماذَا لم يُشارِكوا؟

لَا أعلم.

مَاذَا كانوا يجيبونكم؟

البعـــضُ يتعذَّرُ بانشـــغالٍ فِي أمورٍ أخرى، والبعضُ لَا يســـتطيعُ للتزامِه بمواعيد أخرى، والبعضُ قالَ صرَاحةً أنَّه لَا يشاركُ فِي بيت عبد الوهَاب.

ولِماذَا؟

لوجودِ اختلَافاتٍ بينهم.

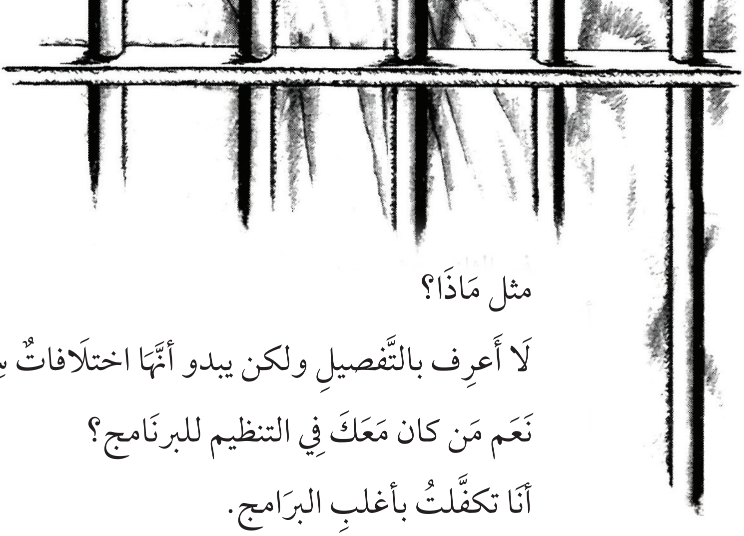

مثل مَاذَا؟

لَا أَعرِف بالتَّفصيلِ ولكن يبدو أنَّهَا اختلَافاتٌ سِيَاسِيَّة.

نَعَم مَن كان مَعَكَ فِي التنظيم للبرنَامج؟

أنَا تكفَّلتُ بأغلبِ البرَامج.

كيف تقولُ أنَّه برنَامجٌ ثقافيٌّ وأنتم تعَالجون فيه مســتقبلَ العلَاقةِ بين حركةِ حقّ وتيَّار الوفاء هل هذَا برنَامجٌ ثقافي؟

بطبيعةِ الحالِ لَابد من وجودِ بعض المحاضرَاتِ السِيَاسِيَّة ولكنَّهَا ليسَت من تنظيمِي بل هِيَ من تنظِيم نفس التِيَّار وطلبوا منِّي إدرَاجهَا فِي الجدول.

ومن الذِي طَلَبَ منك؟

سعيد النوري.

ولِمَاذَا استجبتَ له؟

البرنَامجُ برنَامجهم، وأنَا مجرَّدُ منظِّم.

هل طَلَبُوا منك الانضمَام لتيَّار الوفاء؟

نَعَم.

ومن طلبَ منك؟

سعيد النوري.

ومَاذَا أجبتَه؟

قلتُ له إن اهتِمَامَاتي ثقافيَّة ولَا أريدُ أن أعملَ فِي السِّيَاسَــة، وأنَا غير موجــود فِي البحرين، لذَلِــكَ لَا فائدةَ مِــن انضمَامي معكم فِي التيَّار، ولكن بالنِّسبة إلَى النَّشاطِ الثقافيِّ فأي وقتٍ تحتاجونني فيه فأنَا بخدمتكم كمَا أنَّني بخدمة الجميع!

اسمع يَا هذَا (تحاذقك) لَا ينطِلي علينَا، نريدكُ أن تمشِيَ علَى صرَاطٍ مستقيم لَا تُخلِف خطواتَه لكي لَا نتعَاطى مَعَكَ ضَرْبًا.

أنَا لَا (أتحاذق) إنمَا أجيبُكم علَى الأسئلةِ بكلِّ صرَاحة.

أنت يَا هذَا، أطَالتكَ يدُ الجلَّاد أم لم تصِل إليك؟

بلى، طَالتنِي يدُ الضَّرْب.

ضَرْبوك كثيرًا؟

نَعَم.

هل تعلم أنَّك لم تتجاوَز إلَّا المرحلة الأُولى من الضَّرْب والتَّعْذِيب؟ وأن هنَاك مرَاحل ومحطَات عدِيدة لم تَعرِفْ عَنهَا شــيئًا إلَى الآن وقَد تستمرُّ إلَى أجلٍ غير مسمَّى، إن لم تتعَاون معَنَا.

أنَا متعَــاونٌ معكم وأجبتُكم علَى كلِّ أســئلتِكم، إن كان لديكم

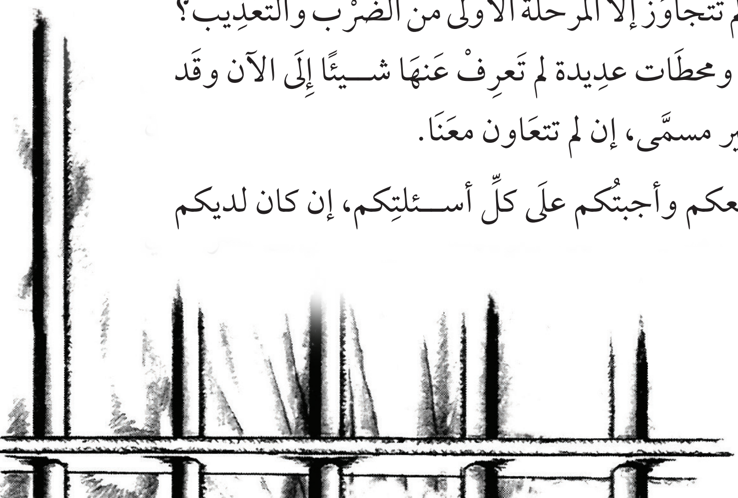

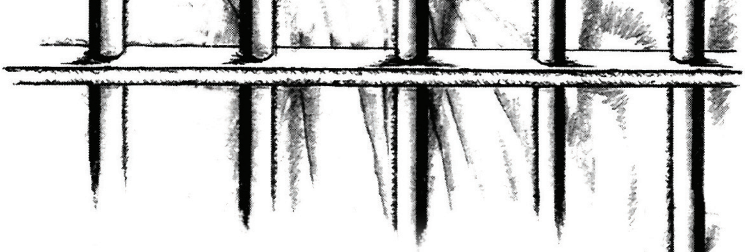

المزيد سلْنِي وسأُجِيب.

٤- انتهَاكات مؤلمة:

وَجَّهَ كلَامَه إلَى من يحيطون بي قائلًا: «ابطحُوه أرضًا كي يتكلَّم». فأمسكَني شخصان وطرحاني أرضًا علَى بطنِي، وقامُوا بربط قدمَي بقطعةِ قماش، وبدَأوا يضربونني بسيَاطهم علَى باطِن القَدمِ وكنتُ أتلوَّى من شدَّةِ الألَم، فما كان منِّي إلَّا التَّقلبَ علَى الأرض، فصعدَ أحدُهم علَى ظهري محُاولًا تَثبيتِي لكي أكفَّ عَن الحركة، وبادرَ آخرون بضَرْبي بالسِّيَاط علَى كلِّ جسدي، ولكنَّ الضَّرْب كان يتركَّزُ فِي أغلبِه علَى الجزءِ السُّفلي من الجسد. بعد ثلثِ سَاعةٍ تقريبًا أمَرَهُم بتعلِيقي «الفيلقة» وهذَا مَا حصلَ بالفِعل.

قامُوا بتقييدي وتعليقِي (الفيلقة) استمرَّ الحالُ بي هكذَا لمدَّة سَاعة ونصف تقريبًا، وحِينما لم يجدُوا تجاوُبًا منِّي بعدمَا استَأسدُوا عليَّ ضَرْبًا وشتمًا، هدَّدوني بالاغتِصاب، وقالَ المحقِّقُ «شيخهم»: بأنه سيتركني مع الجلَّادين لكي يفعلوا بي مَا يشاؤون، فِي حالِ لم أتكلَّم، كنتُ أصرخُ بأعلَى صوتِي وهم يتحرَّشون بي، قمتُ بالصُّرَاخ، صرَاخي هزَّ أرجَاء المكَان، فقامَ أحدُهم بتمزيقِ «ملبسي الدَاخلي» وتهديدي بالاغتصاب، أمَّا السِّردَاب فقَد ضجَّ من صرَاخي، رجعَ المحقِّق، وسألَني عَن رغبتِي فِي الاعترَاف فقلتُ له: «لو كان عِندي مَا أقوله لقلته، لكي أخلِّصَ نفسي ممَّا أنَا فيه». فأمرَهم بالتوقُّفِ عَن التحرُّشِ

بي واكتفَى بإعطَاءِ أَوامِره بضَرْبِي فقَط.

استمرُّوا علَى ذَلِكَ مدَّة خمسة عشر دقيقة، ثم أنزلوني من الفيلقة، وأنَا منهـكُ القوى، لَا طَاقـةَ لي علَى شيء، أمرَهـم بإيقافِي لأنِّي لَا أقوَى علَى الوقوف، وقامَ بتوجِيـه بعض اللَّكمَاتِ وبعض الرَّكلَات إلَى صدري فِي إشـارةٍ منه إليَّ علَى أنَّه خبيرٌ فِي الفنـونِ القتاليَّة. كلَّمَا أَوقفوني انهَارَ جسـدِي مرَّةً أخرى، فأمرَهم حِينهَا بإخرَاجي وإيقافِي حتَّى أعترف.

بقيتُ واقفًا، ولَا يُسمَحُ لي بالصلَاة، وآلَام قَدمي تطغَى علَى آلَام سَـائرِ الجسد المنهَار خائر القوى، كلَّمَا اقتربتُ من الجِدَار جاءَني أحدُ الجلَاوزة لينهرَني بضَرْبة علَى رقبتي ويطلبَ منِّي الابتعَادَ عَن الجِدَار.

أشرقَت الشَّـمسُ، وأنَا أتمتمُ بذكـر الله (اللهم أفرغ علينَا صبرًا، وثبِّت أقَدامنَا، وأنصرنَا علَى القوم الظالمين، ربنَا لَا تسـلِّط علينَا من لَا يخافك ولَا يرحمنَا وأبعد أيدي الظَّلمة أن تصل إلينَا، إنك علَى كل شيء قَدير، ربنَا إنك غني عَـن عَذَابنَا ونحن فقرَاء إلَى رحمتك ففرج عَنَا يَا أرحم الرَاحمين).

كان هذَا أغلـب ذكرِي فِي فترَاتِ التَّعْذِيب، كنتُ أسـتمدُّ القوَّةَ والصَّبر والثبات من هذَا الدعَاء الذِي لم يفارق لسَـانِي وقلبِي حتَّى

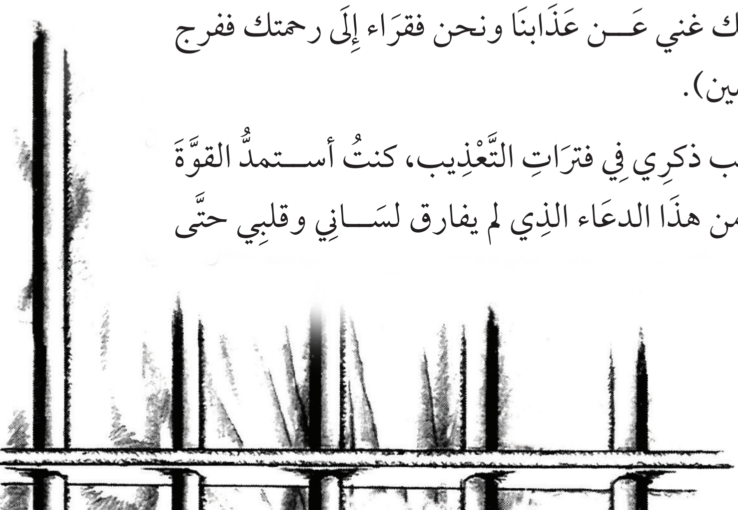

وأنَا معلَّق «الفيلقة».

٥- تيَّارٌ.. جسدي الاجتيَاح:

عِندمَا تبدَّلتْ نوبةُ العملِ اللَّيلي إِلَى الصَّباح، تَمَّ استدعَائي مرَّةً أخرى للتَّحقيق، بعد المرور فِي عدَّةِ ممرَّاتٍ ودخول عدَّة أبواب، دخلتُ فِي غُرفةٍ يوجدُ فيهَا عدَّةُ أشخاصٍ فسألني المحقِّق:

إِلَى أيِّ مرحلةٍ من مرَاحل التَّعْذِيب وصلت؟

قلت: لَا أدري.

قال: هل جرَّبتَ الكهرباء؟

قلت: لَا.

أردف: أَتُحِبُّ أن تجرِّبهَا؟

أجبتُ: لَا.

قامَ بوضعِ سلكين كهربائيين يتلَامسَان وسمعتُ صوتَ الشَّرَار يتطَايرُ وكان الصَّوتُ عَاليًا ينبئُ عَن قوَّة التيَّار الكهربائي فيهمَا، عرفَ الخوفُ طريقَه إِلَى قلبِي، بل سيطرَ علَى كلِّ مشاعري، للمرَّةِ الأُولى فِي حيَاتي سأجرِّبُ مَا يسمَّى بـ«الصَّعقِ الكهربَائي».

قال: هل ستتكلَّم أم تحبُّ أن تجرِّبَ الكهرباء؟

لقَد قلتُ كلَّ مَا لدي، ولَا أحبُّ أن أجرِّبَ الكهرباء.

قال مخاطبًا حاشـــيته: يبدو أنه يريدُ أن يفكِّرَ قليلًا، اتركوه يفكِّر، واجلبوه بعد نصف سَاعة، فكِّر، فكِّر جيدًا إن كنت لَا تحبُّ الكهرباء، فَكِّر جيدًا.

أخذوني إِلَى الممَــر، أَوقفوني، كانَت فَرَائِصي ترتعــدُ خوفًا وألَمًا، فدَارَ حديثٌ بيني وبين نفسِي مفاده: «المقداد ومن معه كلهم صُعِقُوا بالكهربــاء وهَاهم أحيَاء عــلَى قيد الحَيَاة، وحتَّى لــو أدَّى ذَلِكَ إِلَى المَوْت فمَا هِيَ إلَا الشَّــهَادَة التِي نتمنَاهَا وندعو الله أن يرزقنَا إيَاهَا، هــل خفت منهَا عِندمَا اقتربت منك؟ عــلَيَّ أن أصبر حتَّى يحكمَ الله بيننَا وهو خير الحاكمين، اتَّخذتُ قرَارًا فيه مجازفة أبيَّة وهو أن أجرِّبَ الصَّعق الكهربائي، حتَّى لو أدَّى ذَلِكَ إِلَى موتي».

كان لهَذِهِ الكلمَاتِ التِي كنتُ أشــجِّعُ نفسي بهَــا أثرٌ كبيرٌ فِي رفعِ معَنويَّــاتي وإمــدَادي بالصَّبر رغم قســوةِ الظُّروف وشــدَّة الآلَام والمِحَن. بعد نصف سَــاعة تقريبًا تَمَّ استدعَائي مجدَّدًا، أدخلوني علَى المحقِّق ذَاته ولكن فِي غُرفة أخرى.

فســألني: هل فَكَّرتَ جيدًا؟ وهل ســتتعَاون أم تريدُ أن تجرِّبَ الكهرباء.

قلت له: أَنَا متعَاونٌ معكم وأجيبُ علَى كافَّةِ أسئلتكم.

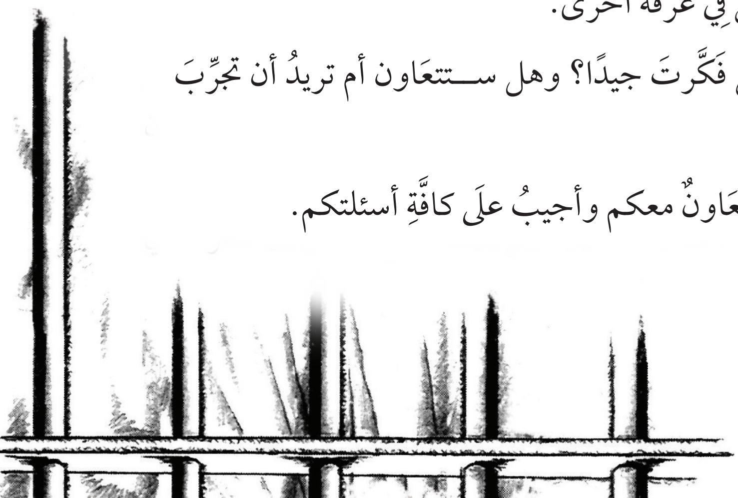

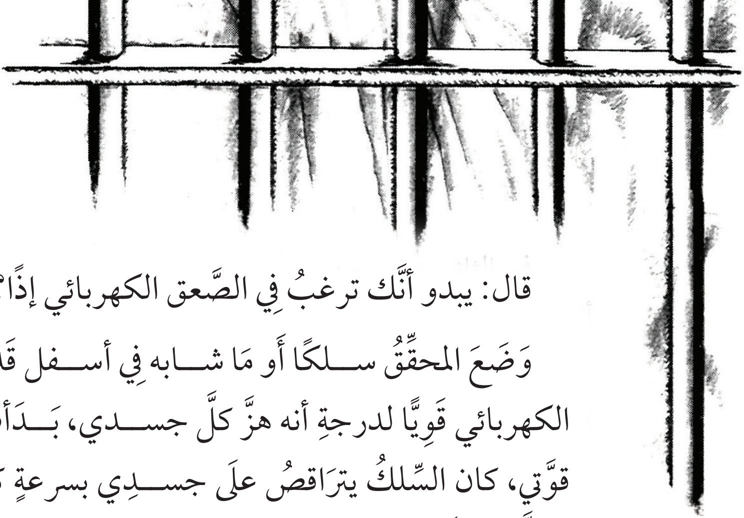

قال: يبدو أنَّك ترغبُ فِي الصَّعق الكهربائي إذًا؟

وَضعَ المحقِّقُ سلكًا أَو مَا شابه فِي أسفل قَدمِي، وكان التيَّارُ الكهربائي قَوِيًّا لدرجةِ أنه هزَّ كلَّ جسدي، بَدأتُ بالصُّرَاخ بكلِّ قوَّتي، كان السِّلكُ يترَاقصُ علَى جسدِي بسرعةٍ كبيرةٍ لكي يُبقِيني أتعذَّبُ حيًّا.

سألني: هل ستعترفُ أم مَاذَا؟

قلت: ومَاذَا تريدون منِّي أن أقول؟

مَا هِيَ علَاقتك بعبد الوهَاب حسين؟

لَا علَاقــةَ خاصَّة بيني وبينه، إنَّمَا هِيَ علَاقةُ احترَامٍ متبادلٍ لَا أقلَّ ولَا أكثر.

يبدو أنَّك عَنِيدٌ ولَا تريدُ التَّعَاون.

وَضَعَ السِّلكَ الكهربائي هَذِهِ المرَّة فِي صدرِي وبَدَأتُ أصرخُ، جلجلتُ المَكَان بصوتي، ومَا كان منه إلَّا أن وضعه فِي رأسي وأنَا مكبَّلُ اليدين وواقفٌ علَى قَدميَّ المتورمتين من شدَّة الضَّرب، كرَّرَ الصَّعقَ برأسي، فيدي، ثمَّ فخذي، وأتمَّهَا بصعق أعضائي التنَاسلية وأنَا أصرخُ بأعلى صوتي «ربَّاه عبدُك بين يديك».

ظننتُ أنه اكتفَى، لَا، بل عَاودَ وضعَه فِي رجلي مرَّة أخرى، رميتُ بنفسي علَى الأرض تفاديًا لصعقِهم إيَاي فِي المَنَاطق الحسَّاسة، دَاسوا

علَى رأسِي وظهرِي محاولين تثبيتِي وصعقِي، وأنَا أتقلَّبُ علَى الأرض ذَات اليمين وذَات الشمَال، وهكذَا استمرَّ بي الحالُ نصف سَاعة تقريبًا، ومن ثم أمرَهم بتعليقِي علَى الفيلقة، أمسكونِي وسكبُوا المَاءَ البارِدَ علَى جسمِي وربطونِي.

قال: هل ستتكلَّم؟

مَاذَا تريدون منِّي أن أقول؟

مَا هِيَ علَاقتك بعبد الوهَاب حسين.

أقسمُ بالله لَا علَاقة خاصَّة بيني وبينه.

يبدو أنَّك تحبُّ العَذَاب.

أمر جلَاوزته قائلًا: «علِّقوه».

الفيلقةُ مرَّةً أخرى، اغتالوا أسفل قَدمِي ضَرْبًا، وكان المحقِّقُ ينهَالُ عليَّ صعقًا بالكهرباء، وأنَا أصرخُ، كم كنتُ أتمنَّى لو أفقَد وعيي؛ لأرتاحَ ممَّا أنَا فيه، كنتُ أتحرَّكُ بكلِّ قوَّتي، وأحاولُ أن أرمِي بنفسي من الكرسي الذِي كنتُ معلَّقًا عليه، ولكنَّهم كانوا يمسكون العصا التِي أُعلَّقُ بهَا لكي لَا أسقطُ منه، قمتُ بضَرْبِ رأسي بالأرض بقوَّة، وعَاودتُ ذَلِكَ مرَارًا رغبةً منِّي فِي أن أغيبَ عَن الوعي لكي أرتاحَ من العَذَاب، وَضَعَ أحدُهم قَدمَه تحت رأسي لكي لَا أضرب

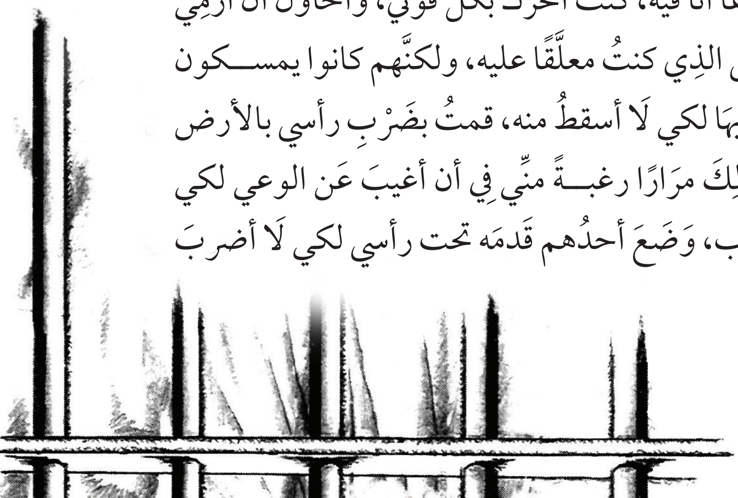

الأرضَ برأسِي فرضضتُ قَدمه برأسِي.

استمرَّ الضَّرْبُ بلَا رحمةٍ منهم، بَدَأتُ أشعرُ وكأنَّ الدُّنيَا تنطفئُ فِي عينيَّ المعصوبتين، شعرتُ بدوارٍ فِي رأسي. بَدَأتُ أفقدُ الشعورَ بالألَمِ، خَفتَ صوتي، قُلتُ فِي نفسي ربَّما هَــذِهِ أَمارَات الموت تذكَّرتُ أمِّي، زوجتِي، إخوتِي، أخواتي، أصدقائي، تلفَّظتُ الشَّـــهَادتين (أشهدُ أن لَا إله إلَا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا رسول الله).

أنزَلــوني من الفيلقةِ وطلبوا منِّي الوقوف، كنتُ أســـمعُ صوتَهم ولكن لم أكُــن أقوى علَى التَّجــاوب معهم، ضَربــوني لكي أقف، ولكنني لَا أقوى علَى الحرَاك، سكبُوا المَاء علَى وجهي وطَلَبَ أحدُهم من البقيَّةِ الابتعادَ عنِّي، لكي أستنشقَ الهواء، قاموا بحملِي إِلَى خارجِ الغُرفةِ، أنزلوني أرضًا وجرُّوني من يدي إِلَى حمَّامَات السباحة، طلبوا منِّي أن أســـتحم، لم تكُن لديَّ قوةٌ للاستحمَام، تركوني أرتاحُ قليلًا، عادَت أنفاسي نوعًا مَا، ولكن قواي لَازالت خائرة.

تركوني حوالي نصف سَاعةٍ ملقًى فِي حمَّامِ السِّباحة وهم يرَاقبوني، بَــدَأَ الحسُّ يدبُّ فيَّ من جديــد، طلبتُ منهم مَــاءً لأشربَه، أمروني بالوقوف عــلى قَدمِي، أجبتُهم بأنِّي لَا أســـتطيعُ ذلــك. جلبُوا المَاءَ وأسقانِيه شخصٌ أعتقدُ أنَّه باكستاني الجنسيَّة وذَلِكَ من لهجته!

شربتُ قليلًا من المَاء، حاولتُ أن أستعيدَ أنفاسِي، ذهبَ الجلَّادون وطلبوا من الباكستاني أن يأمرَني بالوقوف حتَّى أعترِف..

قال: اِعترِفْ بِمَا لديك.

قلتُ: اِنتظِرْ حتَّى أستعيدَ قوَّتي.

أَوقفني فِي الممرِّ الذِي يُجبِرون فيه المُعذَبين والمسلوخة جلودهم تحت سِيَاط الجلَّادين -الذِين لا يَعرِفون الرَّحمة- علَى الوقوف وعدم السَّمَاح بالجلوس أَو النوم، الضَّرْبُ علَى ثلَاثِ فترَاتٍ صباحًا وعصرًا ومسَاءً، فِي مثل ذَلِك اليَوم أُضيفَ برنَامجٌ تَعْذِيبيٌّ جديدٌ وهو منعِي من الطعَام بالإضافة إِلَى المنعِ من الصَّلاة.

هَا هِيَ قواي تنهَارُ وتضعفُ، لكن عزيمتِي لم يستطعْ أحدٌ النَّيلَ منهَا بالهوان والضَّعف فهي مَا زالت قَوِيَّةً صامدة!

٦- استجدَاء رأفة:

أخذونِي فِي منتصفِ اللَّيلِ وأبرحوني ضَرْبًا، أَوسعوني صعقًا، والأسئلةُ مع إجاباتي «هي، هي» متكرِّرةٌ. بعد ثلَاث سَاعَاتٍ من الضَّرْبِ أخرجوني إِلَى ممرِّ الوقوف، جفَّ حلقي من شدَّة الصُّرَاخ، ضَعَفَ جسدِي عَن الوقوف لعدم تناولِي الطَّعَام لمدَّة يَومٍ ونصف.

خَرَجَ الجلَّادون والجلَاوزةُ ليدَاهموا منَازلَ الآمنِين وبقينَا مع الشُّرْطَة الباكستانيِّين دون وجود البحرينيِّين منهم، وأنَا أتأوَّهُ ألمًا،

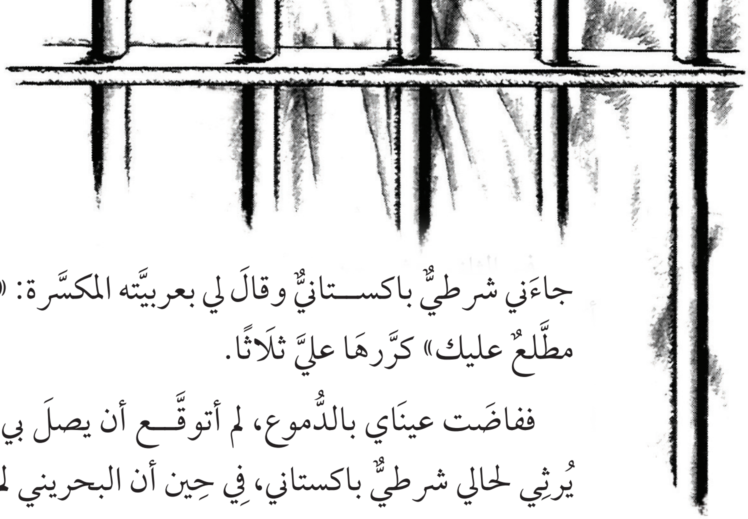

جاءَني شرطيٌّ باكستانيٌّ وقالَ لي بعربيَّته المكسَّرة: «اِصبرْ قليلًا، فالله مطَّلعٌ عليك» كرَّرها عليَّ ثلاثًا.

ففاضَت عينَاي بالدُّموع، لم أتوقَّع أن يصلَ بي الحال لدرجةٍ أن يُرثِي لحالي شرطيٌّ باكستاني، فِي حِين أن البحريني لم يأبه لحالي.

أجلسَني الشُّرطيُّ الباكستانيُّ علَى الأرضِ وجَلَبَ لي وجبةَ طعَام وطَلَبَ منِّي أن آكُلَ بسرعةٍ قبل أن يعودَ الجلَّادون إِلَى عرينهم، كنتُ آكلُ وتخنقُني العَبْرَةُ، طَلَبَ منِّي الشُّرطي أن أُسرِعَ أكثر لإِنهَاءِ طعَامي والوقوفِ من جديد، وبالفعلِ أسرعتُ فِي تناولِ العشاء، شربتُ المَاءَ ووقفتُ علَى قَدمِي من جديد.

فِي موقفٍ منفصلٍ – آخر – نَاديتُ الشُّرطيَّ البحريني لكي يفكَّ قيدِي من الخلف ويضعه فِي يدي من أمَامـي وذَلِكَ لأنِّي لمدَّة أربعة أيَام متواصلةٍ كان القيدُ من خلفي ممَّا أثَّر علَى كتفي كثيرًا، وسَبَّبَ لي ألَمًا شَديدًا، مَا إن طلبتُ منه ذَلِكَ حتَّى بَصَقَ فِي وجهي، ووجَّه لي بعضَ اللَّكمَاتِ علَى وجهي وصدري. قال لي: «اعترف يَا حيوان وخلِّص نفسك» ولم يتعَاون معي أبدًا.

أمَّا الشُّرطي الباكستاني فقَد جاءَني حِينَ خَرجَ الجلَّادون والجلَاوزةُ والبلطجيَّةُ للهجوم علَى المَنازل كعَادتهم فِي تلك اللَّيلة وفكَّ قيدي من الخلف وقيَّدني إِلَى الأمَام، قامَ بذَلِكَ الفعلِ دون أن أطلبَ منه ذلك.

فِي حادثٍ – آخر – كنَّا قَد مُنِعنَا من الصَّلَاة، خُصوصًا من قِبَل

الشُّرْطَةِ البحرينيَّة، الذِين تشــبَّعوا من (التَّفريق والشَّحنِ الطَّائفي)، فكانوا يضرِبونَنَا بسَبَبٍ ومن غير سَــبَب، وفي حال وجودِ أَوامرَ أَو عدم وجودهَا، فمــن ضِمن الأمور التِي كانــوا يضيِّقون علينَا فيهَا هِيَ حرمَانُنَــا من الحَمَّام والصَّلَاة. بعد مرور عــدَّةِ أَيَّام من وجودنَا فِي السِّرداب قامَ أحدُ الشُّرْطَةِ «باكســتاني الجنســيَّة» بالتعَاونِ معَنَا ومسَاعدتنَا وذَلِكَ من خِلَال السَّمَاح لنَا بالذَّهَاب إِلَى الحَمَّام والسَّمَاح لنَا بالصَّلَاة، والأكثــر من ذَلِكَ كان يجلبُ لِي قطعــةً من القرطَاس لأسجدَ عليهَا.

في المقابل فإنَّ رجالَ الشُّرطَةِ البحرينيِّين كانوا يمنعوننَا من الصَّلَاة وأحيَانًا نضطرُّ لخدَاعهم فعِندمَا يســمحون لنَــا بالذهَاب إِلَى الحَمَّام كنَّا نتوضَّأُ هناك، ولكن عِندَ عودتنَا لَا يســمحون لنَا بأدَاء الصَّلَاة، وإن قمنَا لهَا يقوموا بتوجيهنَــا إِلَى جهةٍ تخالفُ تجاه القِبلة باعتبار أنَّنَا معصوبِي الأعين.

في يَــوْم من الأَيَّام طلبــتُ من الشُّرطيِّ البحرينيِّ أن يســمحَ لي بالصَّلَاة فأرشــدَني إِلَى اتِّجاه زاويةِ الجِدَار موهمًا إيَايَ بأنَّهَا جهةُ القبلة فحِينَ هويتُ للرُّكوع صدمتُ برأسي زاويةَ الجِدَار، وآلمني ذَلِك كثيرًا وهو قامَ بالضَّحِكِ بصوتٍ عَالٍ مستهزئًا بي وبحالي.

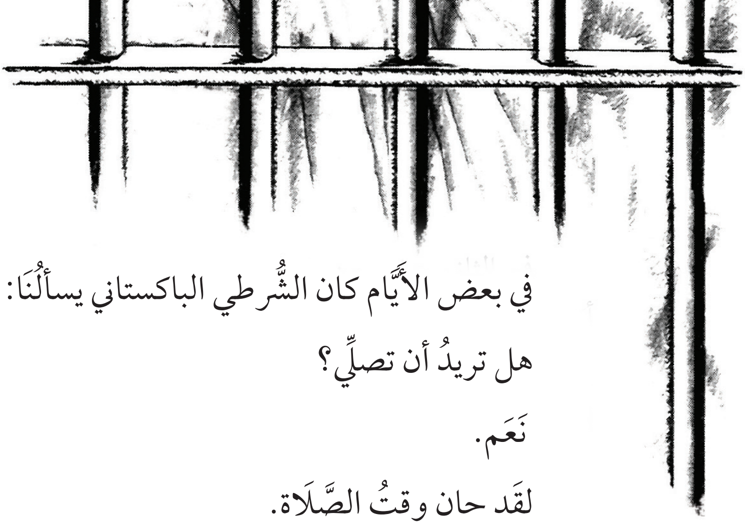

فِي بعضِ الأَيَّام كان الشُّرطي الباكستاني يسألُنَا:

هل تريدُ أن تصلِّي؟

نَعَم.

لقَد حان وقتُ الصَّلَاة.

فيأخذنَا إِلَى الحَمَّام ويسمح لنَا بالصَّلَاة، سمعتُ بعضَ الشُّرْطَةِ البحرينيِّين يشاجرونه لذَلِكَ وهو يُصِرُّ علَى السَّمَاح لنَا بالصَّلَاة.

فِي موقفٍ آخَرَ منفصل، فِي آخِرِ ليلةٍ قضيتُهَا فِي سردَاب القلعة قبل نقلي إِلَى سِجْن الحوض الجاف، تَمَّ استدعَائي إِلَى غُرفةِ التَّحقيق كعَادتهم وكان المحقِّقُ بحرينيًّا.

قالَ لي: سأُرِيكَ صورةً وأريدُ أن تقولَ لي من هو ومَا علَاقتك به!

قلتُ: إن شاء الله!

وجَّهني إِلَى الجِدَار ونزعَ العِصابةَ عَن عيني، ووضعَ ورقةً فيهَا صورةٌ لسيِّدٍ شابٍ معمَّم، لم أكُن أعرِفه، سألَني عَن اسمه، فلم أكُن أَعرِفُ الجَوَاب، ربطَ عيني وضَربنِي.

قالَ: هو فِي نفسِ عمرِك ويجبُ أن تعرفَه.

قلتُ: صحيحٌ هو من عمرِي لكن ليس شرطًا أن أَعرِفه.

طَلَبَ من الشُّرطيِّ الباكستانيِّ أن يُعلِّقَني، ووضعَ عصًا خلفَ

عنقي ورفعَ يديَّ إِلَى مســتوى العصا بحَيــثُ يَكُونُ المرفق أعلى من العصا ويرفعُ العصا فتضغطُ العصـا علَى رقبتي وتضغطُ علَى كتفي ممَّا يتسَبَّبُ لي بألم فضيع، والباكستانيُّ يرفعُ يديَّ المكبلتين إِلَى الأَعلى، ويضغطُ بالعصاً علَى النُّخاعِ الشَّــوكيِّ الممتدِّ مــن الرأسِ إِلَى الظَّهر مرورًا بالرَّقبة، كنتُ أَئِنُ من شدَّةِ الألم، وهو يأمرُ الباكستانيَّ بالضَّغط أكثر وأكثر، يريدُ أن يَعرِفَ منِّي اسمَ ذَاك الشَّخص وعلَاقتي به، ولله الحمــدُ أنِّي لَا أَعْرِفه فِي ذَلِكَ الوقت، بعد نصف سَــاعة أنزلني وقامَ بصفعِي وركلِي وتهديدِي بالفيلقة والصَّعق الكهربائي إن لم أعترِف، قلــتُ له أنِّي لم أرَه قط، ولَا أَعْرِفُــه، وهو ليس من طلَّابِ قم، حِيْنهَا أعتقَدُ أنَّــه اقتنعَ بكلَامي، فأمرَ بإخرَاجــي وإجبارِي علَى الوقوف، وهنَا برزَ دورُ الشُّرطي الباكستاني، حَيثُ شَعَرَ بأنَّني مظلوم، فعِندمَا خَرَجَ الضَّابِطُ وجلَاوزتُه جاءَني وطَلَبَ منِّي أن أستريح.

قالَ لِي: فِي حال دخول أحدهم، عليك بالقيَام فورًا، وأنَا سأقول لك (قف جيِّدًا) وهي كلمةُ السرِّ بيني وبينك.

وهذَا مَا حصلَ بالفعل، جعلنــي أرتاحُ إِلَى أن جاءَ الصَّباحُ، عند تبديلِ نوبةِ العمل طَلَبَ منِّي الوقوفَ ليسلِّمَني إِلَى شرطيٍّ آخرَ غيره، عرفتُ حِينهَا أنَّ الله معنَا فِي كلِّ الظُّروفِ والمحن، بحَيثُ أرســلَ لنَا هذَا الشُّرطيَّ ليعطفَ علينَا فِي أشدِّ الأمَاكن، وأسوأهَا، وأقسَاهَا علَى

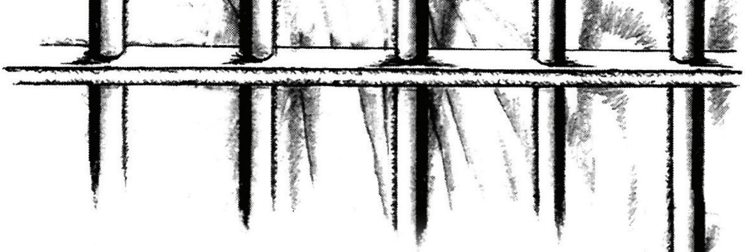

العبد ظروفًا، فشكرًا لله علَى نِعَمه التِي لَا تعدُّ ولَا تُحصَى!.

٧- مكالمَات شاهد غير مشهود:

الهَاتفُ المحمـولُ - الموبايل - نَعمَةٌ للتَّواصل فقَد سَـهَّلَ أمورًا كثيرة، ولكن قَد يتحوَّلُ هذَا الهَاتفُ إلَى جاسوسٍ مقرَّبٍ للإنسَان لَا يفارقُه، يرَاقبُ كلَّ كلمَاته ويُحصيهَا عليه، يُوصِلُهَا إلَى خصومه لينَالوا منه فِي لَحْظَةِ غفلةٍ من صاحبه.

بدَايـةَ التَّحقيق معي لم يَكُونوا يمتلكـون معلومَاتٍ كافيَةً عنِّي، ولذَلِـكَ طلبوا منِّي أن أتكلَّمَ بِمَا لـديّ، وأن أعرِّفَهم بنفسي وعملِي ونشاطَاتي ومحلِّ سكني...إلخ. بعد ذَلِكَ قاموا بالبحث فِي الإرشيف الـذِي يجمعون فيه كلَّ معلومـةٍ قَد تنفعُهم فِي يَوْمٍ مـن الأَيَّام، من الواضـحِ أنَّ إرشـيفَ المعلومَـاتِ لديهم كبيرٌ جـدًا، ولكن كيف يستفيدون من هذَا الإرشيف الضَّخم؟ هنَا مربطُ الفرس.

بعد أيَّامٍ من التَّحقِيق والبحث لم يحصلوا علَى أيِّ معلومَاتٍ تفيدُهم فِي إدَانتي فقامـوا بعرضِ بعض المكالَمَات الهَاتفيَّـة التِي كانت بيني وبين النَّاشـطين والمتصدِّين للعمل السِّيَاسِيِّ، من الواضح أنَّ هَاتفي الخاصَّ لم يكُن مُرَاقبًا ولكن هواتفُ بعضِ النَّاشـطين كانت مُرَاقبةً، كنتُ علَى اتِّصالٍ بهم فسـجَّلوا بعضَ المكالَمَاتِ التِي أجريتُهَا معهم، عَرَضَ الضَّابِطُ عليَّ مكالمَةً بيني وبين الشيخ عبدالجليل المقداد، وهي أَولُ مكالمَةٍ تُعرَضُ علـيَّ، المكالمَةُ كانت مكتوبةً ويقرأُ المحقِّقُ منهَا مَا

مفاده أنَّني أطلبُ من الشـــيخ أن يُشـــارِكَ فِي البرنَامج الثقافيِّ لشهر رمضان فِي منزل الأســـتاذ عبد الوهَاب حسين منذ سنتين، خِلتُ أنَّ الضَّابِطَ يعتقدُ بأنَّه دليلٌ قاطعٌ علَى إدَانتـــي، ويُثبِتُ ارتباطي الوثيقَ بكلٍّ من الأستاذ عبد الوهَاب حسين وتيَّار الوفاء.

أجبته: ومَا المشكلة فِي الاتصال، وطلبتُ منه إلقاءَ كلمةٍ فِي برنَامجٍ ثقافيٍّ؟!

هذَا دليلٌ علَى انتمَاءك للتيَّار، ودليلٌ علَى أنَّ علَاقةً وطيدةً تربطك بعبد الوهَاب حســين، وإلَّا فكيف له أن يُكلِّفَــك بمهمةٍ كهذه، ولِمَ أَنتَ دون بقيَّةِ النَّاس، لمِ أَنتَ بالذَّات؟!

أَوَّلًا: مَن طَلَبَ منِّي أن أُنظِّمَ البرنَامجَ هو الشـــيخ سعيد النوري، وقَد قلتُ لكم هذَا الكلَامَ فِي تحقيقٍ مُســبق، وثانيًا: إنَّ تكليفي بهَذِهِ المهمَّةِ لأنَّ اهتمَامَاتي ثقافيَّة، وهو يعلمُ بذَلِك فكلَّفني بهَذِهِ المهمة وهو أستاذِي بالحوزة العلميَّة!

مَا هِيَ علَاقتك بعبد الجليل المقداد؟

هو أســـتاذِي فِي الحوزة العلميَّة، وله احترَامُه فِي الوسطِ العلمي، وأنَــا طَالبٌ صغيرٌ فِي الحـــوزة، بطبيعة الحال أنَــا أحترمُه، وأحاولُ الاستفادةَ منه كلَّمَا سنحت لي الفرصةُ بذلك.

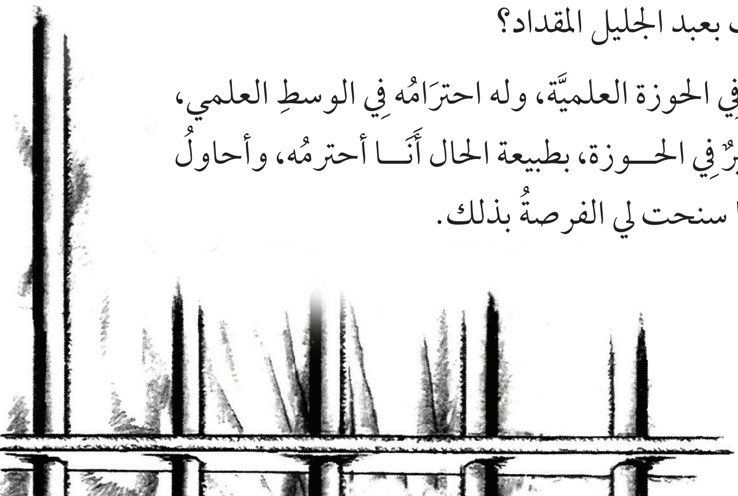

عَرَضَ المحقِّقُ دليلَه الثَّانِي وهي مكالمةٌ أخرى كانت بين الشــيخ عبد الجليل المقداد وبين الشيخ عقيل رضي، حَيثُ طَلَبَ الشيخ عبد الجليل من الشيخ عقيل أن يُهيئَ له سكنًا فِي قم عند زيَارته إليهَا فقال له الشيخ عقيل بأنَّه سيطلبُ منِّي أن أُهيئَ له سكنًا.

سألني: مَا هِيَ علَاقتك بعقيل رضي؟

عقيــل رضي طَالبٌ فِي قم وأنَا كَذَلِك، نلتقــي فِي الحَرَمِ وبطبيعة الحال هنَاك معرفــةٌ فيمَا بيننَا باعتبار أَنَّنا ندرسُ فِي مدينةٍ واحدةٍ لعدَّةِ سنوات، وهو أستاذٌ فِي الحوزة.

لِماذَا قالَ سيطلبُ منك أن تُهيئَ سكنًا لعبد الجليل المقداد؟

ربَّما لأنني أمتلكُ ســيَّارةً وهو لَا يمتلكُ سيَّارة فمن السَّهلِ عليَّ أن أبحثَ عَن ســكنٍ إِلَى الشيخ أَمَّا هو فصعبٌ عليه وذَلِك لصعوبةِ التَّنقل.

وهل وفَّرتَ سكنًا لعبد الجليل؟

نَعَم، استأجرتُ له غُرفةً فِي فندق.

مَا اسمُ الفندق؟

فندق الزهرَاء.

طيب، مَا هِيَ علَاقتك بحامد عَاشور؟

الشيخ حامد درَّسَني فِي قم، ولي معرفةٌ عَامَّةٌ به.

هل يوجدُ بينك وبينه اتصال؟

في الغالب لَا.

لدينَا مكالمةٌ بينكمَا تتحدَّثان فيهَا عَن أفريقيَا وأمورٍ أخرى.

قرأَ المكالمةَ علَى مسَامعي ثمَّ قُلتُ:

نَعم، هَذِهِ المكالمةُ قَديمة، عِندمَا كنتُ أريدُ السَّفرَ إِلَى غانَا.

ولِماذَا سَافرتَ إِلَى غانَا؟

لقَد قرأَتَ المكالمةَ، من أجلِ التَّبليغ.

يعني تريدُ أن تحوِّلَ أهلَ السُّنةِ إِلَى شيعة؟

لَا دَاعي أن أحوِّلَ السُّنةَ إِلَى شيعة، لأن شيعةً كُثرًا هنَاك، وإذَا كنتُ سأحوِّلُ أحدًا فالمسيحيون أكثر من السُّنة وهم أَولى بالتحويل.

من الذِي يموِّلُ سفرَكَ إِلَى التَّبليغ؟

لَا أحد، وإنَّمَا أُسَافرُ علَى حسَابي الخاص.

كم كلَّفك؟

حوالي ٩٠٠ دينَار.

تريدُ أن تقنعَني أنَّك تصرفُ أموالًا من جيبك من أجل التَّبليغ؟

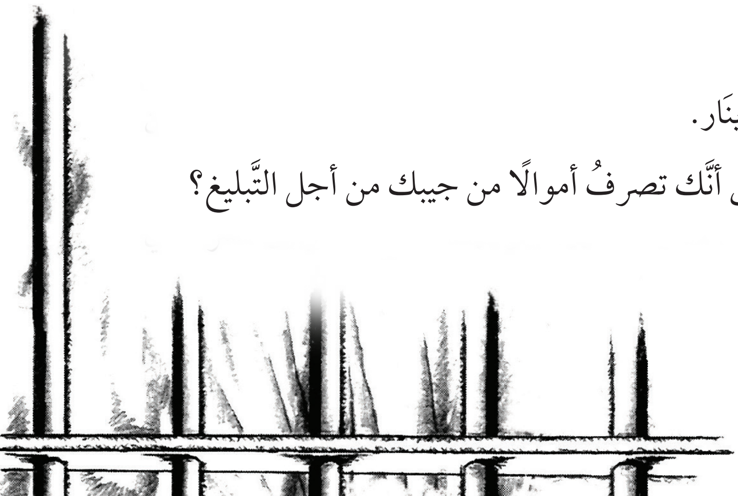

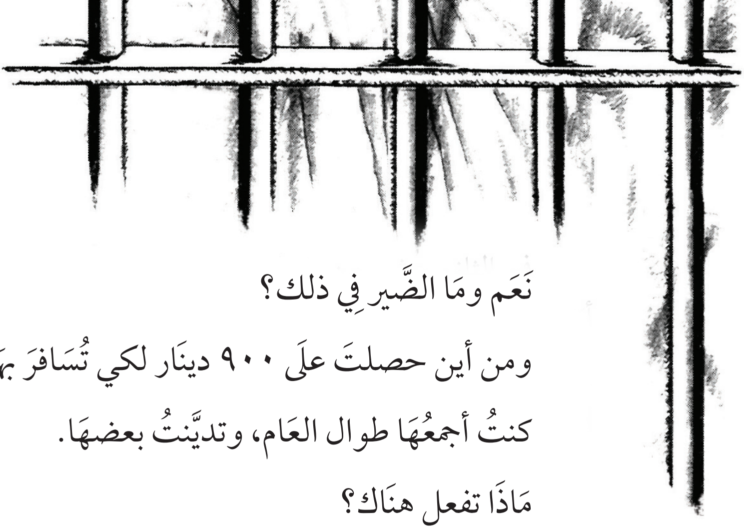

نَعَم ومَا الضَّير فِي ذلك؟

ومن أين حصلت علَى ٩٠٠ دينَار لكي تُسَافر بهَا؟

كنتُ أجمعُهَا طوال العَام، وتديَّنتُ بعضهَا.

مَاذَا تفعل هنَاك؟

أُلقِي المحاضرَات وأَلتقِي بالنَّــاس وأُحدِّثهم عَن الدِّين، ولديَّ فِكْرةُ إقامةِ مكتبةٍ عَامَّةٍ لكي يستفيدَ منهَا النَّاسُ هنَاك.

وهل أقمتم هَذِهِ المكتبة؟

نَعَم أرسلنَا كتبًا كثيرة، والآن نحن فِي طور بِنَاء مقرٍّ دَائمٍ لهَا.

ومن أين لكم المَال؟

المتبرِّعون كثرٌ باعتبار أنَّها صدقةٌ جارية.

ولِمَاذَا سَافرتَ إِلَى أثيوبيَا؟

أثيوبيَا محطةُ ترَانزيت، ولم أبقَ فيهَا إلَّا سَاعتين فِي المطَار.

لم تدخل أثيوبيَا؟

لَا، لَا حاجة لِي هنَاك.

٨- استفزاز سَاقط:

اِنتقَلَ من هذَا الموضوعِ ليدخلَ فِي آخرَ ألَا وهو «المتعة».

مَا رأيُكَ فِي المتعة؟

ومَا دَخْلُ المتعة فيمَا نحن فيه ؟!

أُحِبُّ أن أتعرَّفَ علَى المتعة ورأيك فيهَا.

المتعةُ من حَيثُ المبَدَأُ هِيَ حلَال، وقَد تمتَّعَ الصحابةُ علَى زمنِ النَّبي «ص» كثيرًا، بل يظهرُ أن هنَاك تشجيعًا علَى ذلك، واستمرَّ الحالُ إِلَى زمن خِلَافة عمر، فقالَ كلمتَه الشَّهيرة «متعتان كانتا علَى زمن رسول الله وأنَا أُحرِّمهمَا، متعة الحج ومتعة النسَــاء». ونحن نَعتقِدُ بأن عمرًا لَا صلَاحيَّةَ له فِي تحريمِ مَا أحلَّه الله ورســوله، لذَلِكَ نحن من حَيثُ الفتوى والــرأي الفقهي نُجيزُه، ولكن من حَيــثُ التطبيقُ نرى فيه إِســتغلَالًا من قِبلَ البعض لهذَا الحُكمِ الفقهي، ونرى سوءَ التَّطبيق فلَا نُشجِّعُ عليه.

هل تمتَّعتَ فِي الدوار؟

لَا يوجدُ متعةٌ فِي الدوار.

بل يوجدُ كثيرًا.

أنَا لم أرَ، ولم أسمعْ عَن ذلك، ولَا أُصدِّقُ مَا يُقالُ فِي هذَا الجانب.

نحنُ لدينَا أدلَّةٌ تُثبتُ ذلك.

إذَا حَصَــلَ شيءٌ من ذَلِكَ فإنَّه يُعدُّ تصرُّفًــا فرديًّا، وليس ظاهرةً موجودةً فِي الدَّوار.

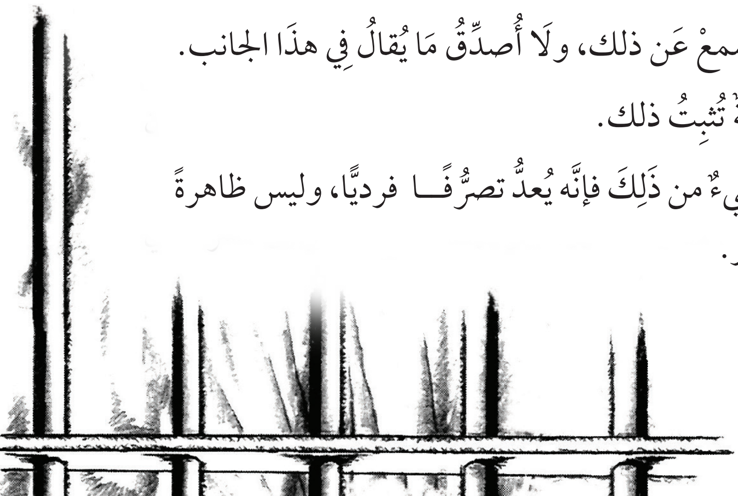

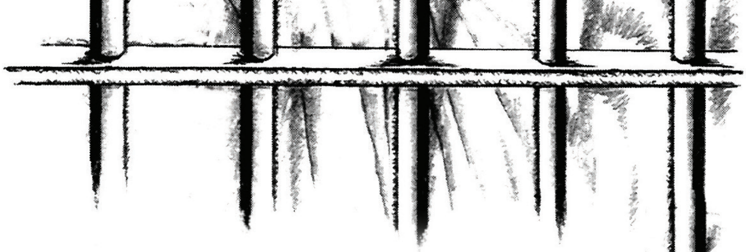

وبَدَأَ حِينَهَا يستفزُّني بأسـئلةٍ وقحةٍ لَا يليقُ بقلمي أن يكتبَهَا وأنَا ألتزمُ الصَّمْتَ، وأقولُ فِي نفسي (وكل إنَاء بالذِي فيه ينضح) ثم عَاودَ السؤال عَن المتعة.

هل تمتَّعت فِي حيَاتك؟

لَا.

ولِماذَا وأنت تقول بأنَّ هنَاك حثًّا عليهَا من قبل الشَّريعة؟

لستُ بحاجةٍ ولَا أرغبُ بذلك.

٩- بحثٌ يتخبَّط الوفاق:

يبدو أن أسئلته عَن المتعة قَد انتهت فأخذَ يتمتم، وبدَا وكأنَّه يقلِّب أورَاقًا بين يديه واختارَ ملفَ جمعيَّة الوفاق باعتبار أن اتصالَاتٍ كثيرةً كانـت تردني من هَاتف الجمعية، أو من هواتف نُشـطَاء فِي الجمعية وكان هنَاك الكثير من المكالَمات مُسجَّلة.

قال: مَا هِيَ علَاقتك بجمعيَّة الوفاق؟

علَاقتي طيِّبةٌ معهم.

أقصد مَا هِيَ نشاطَاتك والتزامَاتك معهم؟.

كانت عندي عضويةٌ معهم ولكن مُنذ أن تركتُ العملَ السِّيَاسِيَّ لم أجدِّد عضويتي معهم.

مُنذ متى؟

تقريبًا مُنذ عَام ٢٠٠٤م

يعني مع انشقاق حركة حقّ؟

لَا، أَنَـا لم أكُن فِي البحرين حِينَ انشـقَّت حركةُ حقّ عَن الوفاق، يبدو لي أنَّ انشقاقهَا كان فِي عَام ٢٠٠٥م.

ولِماذَا انشقَّت حركةُ حق؟

لَا أَعـرِفُ التَّفاصيل، لكن يبدو أنَّ السَّـبَب هو تسـجيلُ جمعية الوفاق تحت قانون الجمعيَّات السِّياسِية.

وأنت مَا رأيك؟

أنَا لَا رأي لي، وخُصُوصًا حِـينَ تفرَّغتُ للعمل الثَّقافي، وتركتُ النَّشاطَ السِّياسِيَّ.

بَـدَأ يقرأُ لي بعض المكالَمَـات الهَاتفيَّة بيني وبين بعض النُّشـطَاء فِي الوفـاق، وكان فِي المكالَمَات بعضُ الدَّلَائلِ علَى عملٍ مشـتركٍ أَو نشاطٍ فيمَا بيننَا، أتحفَّظُ عَن ذكرِ الشَّخصِ وفحوى المكالمةِ حفاظًا علَى الشَّخص نفسه.

مَا علَاقتُك بفلَان؟ «هو نفسُ الشَّخصِ الذِي قرأَ لي نصَّ المكالمة

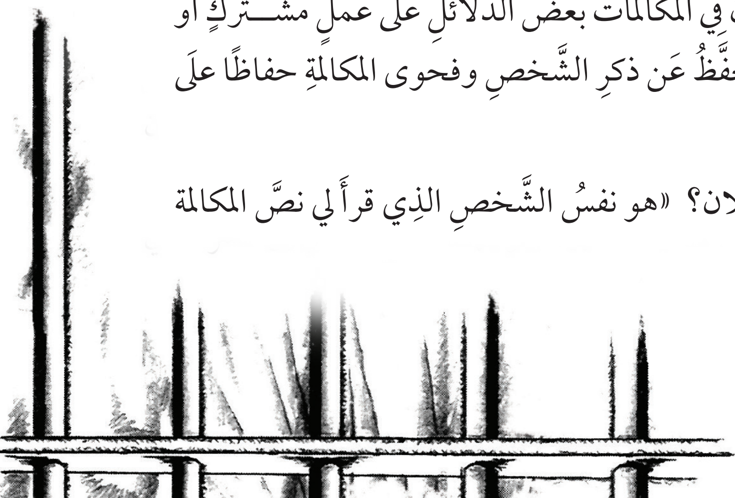

عَنه»

هو صديقٌ قَديمٌ ولي نشاطَاتٌ ثقافيَّةٌ عديدةٌ معه.

مَا هو دورُه فِي جمعيَّة الوفاق؟

لَا أعلمُ بالتَّفصيل، ولكن يبدو أنَّه نَاشطٌ مع الجمعيَّة.

صديقُك ولَا تعلمُ عَنه؟!

نَعَم لَا أعلم، لأنَّني في أكثرِ وقتي لا أكون فِي البحرين، ولَا أتدخَّلُ فيمَا لَا يَعنِيني، عملُه فِي الجمعيَّة لَا يَعنِيني.

ثمَّ سَرَدَ لي المحقِّقُ وظيفةَ صاحبي فِي الجمعيَّة، أرَادَ أن يقولَ لي بأنَّه يعلمُ السرَّ ومَا يخفى، بالرُّغم من أنَّ صاحبي يعملُ فِي «العلن وليس فِي الخفاء». ثم عرَّجَ يسألُ عَن ميرزا القطري رئيس لجنة الرَّصد والتَّوثيق فِي جمعيَّة الوفاق.

مَا هِيَ علَاقتك بميرزا القطري ؟

لَا علَاقةٌ خاصَّةٌ تربطني به، التقيتُ به مرةً واحدةً علَى وجبةِ عشاءٍ فقط، ولم أكن أَعرِفه من قبل، ولم أتواصل معه فيمَا بعد.

يبدو أنَّك لَا تحبُّ أن تتعَاون معنَا.

ولِماذَا لَا أتعَاون؟

إنَّك لَا تقولُ الحقيقة.

أنَا لَا أقولُ غيرَ الحقيقة.

وإذَا ظَهَرَ لنَا خلَافُ مَا تقول؟

افعل مَا تشاءُ وِفقَ الأُطُرِ التِي يرسمُهَا القانون.

قال: القانـــون! (ضحك سَـــاخرًا) القانونُ تحـــتَ أيدينَا، نحن القانون، نحن فوقَ القانون، أَتعلمُ أنَّك فِي فترةِ السَّلَامةِ الوطنيَّة، مِمَّا يعني أنَّ بإمكَانِنَا أن نقتلَك ولَا قانونَ يُحاسِبُنَا.

عليك أن تتعَاونَ معَنَا وإلَّا تعَاملنَا معك معَاملةَ الحيوانَات.

أنَا أجيبُ علَى أسئلتكم بكلِّ صرَاحةٍ، ولَا يوجدُ عِندي مَا أُخفيه.

طيِّب، مَا هِيَ علَاقتك بشورى الوفاق؟

لَا علَاقة لِي بهم.

لَا تعرفُ أيَّ أحدٍ منهم؟

أَعرِفُ بعضهم ولكن لَا توجدُ لِي علَاقةٌ مع الشـــورى ولَا توجدُ بيني وبينهم علَاقةُ عملٍ، بل معرفةٌ سطحيَّة، أَنَا لَا أَعرِفُ كلَّ أعضاء الشورى.

من تعرفُ منهم؟

سَيِّد عباس هَاشم، سَـــيِّد جميل كاظم، السَّيِّد حيدر الستري،... هذَا مَا أتذكَّره.

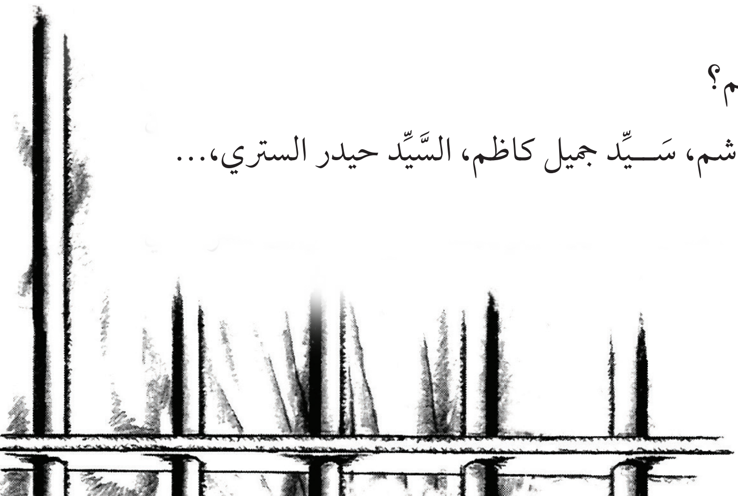

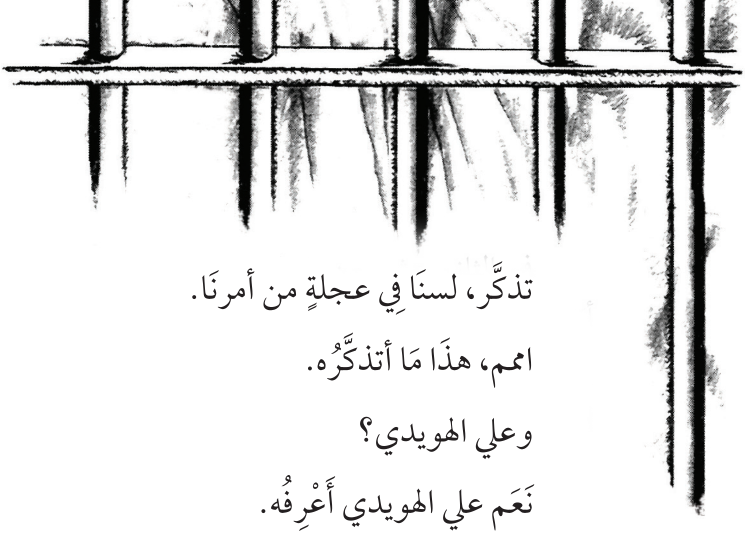

تذكَّر، لسنَا فِي عجلةٍ من أمرنَا.

اممم، هذَا مَا أتذكَّرُه.

وعلي الهويدي؟

نَعَم علي الهويدي أَعْرِفُه.

لِماذَا لم تتذكَّره؟

نسيتُه، ونسيتُ أنَّه فِي شورى الوفاق.

مَا هِيَ علَاقتك بالهويدي؟

لديَّ علَاقةٌ عَامَّةٌ به، لَا تربطني به علَاقةٌ خاصَّةٌ.

مَا هِيَ علَاقتك بلجنة الشُّهَدَاءِ فِي الوفاق؟

لجنةُ الشُّــهَدَاءِ تُقَدِّمُ بعض الهدَايَا والمسَاعدَات لعوائل الشُّهَدَاء، أحيَانًا يطلبون منِّي إيصالهَا لتلك العوائل.

ولِماذَا أَنتَ بالذَّات؟

أنَا كغيري من النَّاس، لَا توجدُ خُصُوصيَّةٌ لي، وأنَا أحبُّ الأعمَال التِي فيهَا بُعدٌ إنسَانيٌّ مثل مسَاعدةِ المحتاجين والفقرَاء. لِذَا فصاحبي «عضو فِي لجنة الشُّهَدَاء» يطلبُ منِّي أحيَانًا أن أَتفقَّدَ عوائلَ الشُّهَدَاء، وأن أُقَدِّمَ بعض المسَاعدَات لبعض عوائلِ الشُّهَدَاء.

من هِيَ العوائل التِي زرتهَا؟

زرتُ بعض العوائل، مثل...(أخبرتُه بهَا)

قال: حسنًا! مَا هِيَ علَاقتُك بحسين الديهي؟

نَعَم! أَعْرِفُه ولكن لَا توجدُ بيني وبينه علَاقةٌ خاصَّةٌ.

هل أَنتَ علَى اتصالٍ معه؟

لَا، لَا يوجدُ بيني وبينه أيُّ اتصال.

١٠- غابة تهديد وتَعْذِيب:

في إحدى جلسَات التَّحقيق سألني المحقِّق:

هل أَنتَ مُتزوِّجٌ؟

نَعَم.

هل لديك أبنَاء؟

لَا.

وهل أمُّك علَى قيدِ الحَيَاة؟

نَعَم.

هل تُحِبُّ أمَّك؟

ومن لَا يُحِبُّ أمَّه؟

وهل تُحِبُّ زوجَتك؟

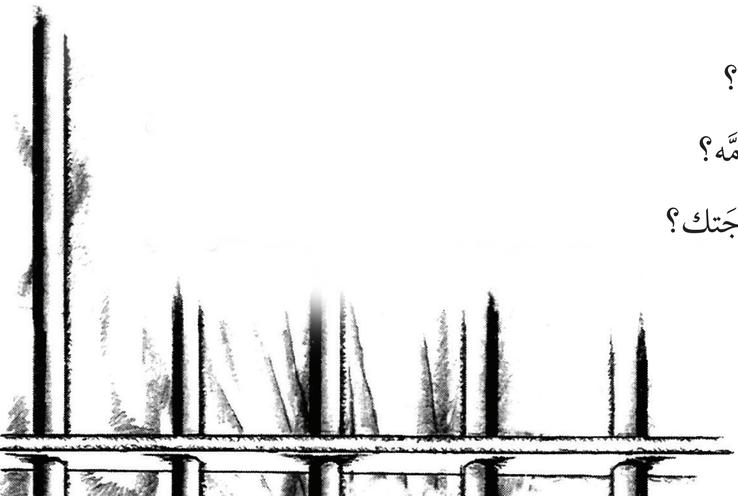

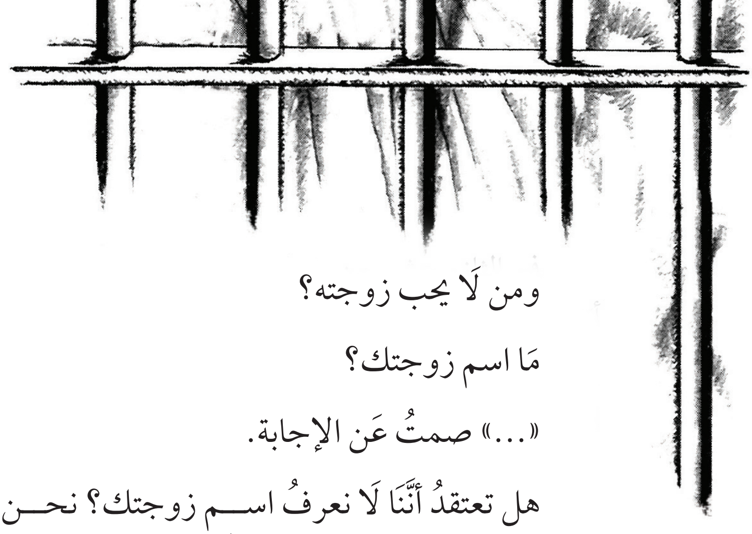

ومن لَا يحب زوجته؟

مَا اسم زوجتك؟

«...» صمتُ عَن الإجابة.

هل تعتقدُ أنَّنَا لَا نعرفُ اســم زوجتك؟ نحــن نعرفُ عَنك كلَّ شيءٍ، مُنذ وِلَادتــك إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَة، نحن لدينَا أجهزةٌ تُعرِّفُنَا عَنك كلَّ شيءٍ، وتُعرِّفُ فيمَا إذَا كُنتَ صادقًا أم كاذبًا.

أردفَ آمرًا: تقدَّم أربعَ خطوات، ارفَع يديك، اِلمس الجِهَازَ الذِي أمَامــك، هل تَعرِفُ مَا هذَا؟، إنه جهَــازٌ يُعَرِّفُنَا صدقَك من كذبِك، ولكــي أُؤكِّدَ لك أنَّنَا نَعــرِفُ كلَّ شيءٍ عَنك، أليس اســمُ زوجتِك «فُلَانَة»؟.

لقَد كُنتُ علَى علم من أنَّهم عرفوا اســمهَا من بِطَاقتهَا التِي كانَت فِي محفظتي، لأنَّهم صوَّروا كلَّ شيءٍ.

أجَبتُه: نَعَم.

ينبغي لكَ أن تقولَ لنَا كلَّ شيءٍ وإلَّا سنجلبُ زوجتَك وأمَّك إلَى هنَا حتَّى تتكلمَ حِينهَا.

أنَا قلتُ كلَّ مَا لــديَّ، وأُجِيبُكم علَى كلِّ أســئلتِكم، ولَا يُوجدُ عِندي مَا أُضِيفُه.

إذًا لن تتكلمَ مَا دُمنَــا نُعَامِلُك مثل البشر، لَابُدَّ وأن نُعَامِلَك مثل

الحيوانَات لكي تتكلَّم.

رَفَـعَ صوتَـه مخاطبًا جلَاوزتـه «علِّقوه»، علَّقـوني - الفيلقة - وصَعقُوني بالكهرباء مُجددًا فِي كلِّ أنحاءِ جَسـدِي، وهم يَضرِبُونني بسِـيَاطِهم، يَضرِبُني الجلَّادُ منهم حتَّى يتعبَ وأَسمعَ شهيقَه وزَفيرَه المُتعَـالِي، فيتبدَّلُ الجلَّادُ إِلَى آخر، ويخرجُ الأَولُ خارجَ غُرفةِ التَّعْذِيب لكي لَا أَعْـرِفَ أنَّ الجلَّاد قَد تَعِبَ، ولكن عِندمَا يُفتَحُ البابُ ويُغلَقُ ويَخِفُّ صوتُ الشَّـهيقِ والزَّفيرِ أعلمُ أنَّه قَد تبـدَّل الجلَّاد، كلُّهم لَا رحمَةَ فِيهم، أرفعُ صوتِي بذكرِ الله، لعلَّ يستيقظُ ضميرُ أحدِهم عِندمَا يسـمعُ صوتِي بذكر الله، ولكن لَا حيَاةَ لمن تُنَـادِي، قلوبٌ تحوَّلت أقسى من الحجرِ الأصم، كيف لَا وهم لَا يفتئون عَن حديثِ الملَاهي وأَوكارِ الدَّعَارةِ وشُربِ الخمور واللَّيَالي الحمرَاء؟، فأيُّ مَكَانٍ فِي هذَا القلبِ بقيَ لذكرِ الله.

بعد ثلَاثِ سَـاعَاتٍ تقريبًا، أنزلوني وأنَا خائرُ القوى، سـقطتُ علَى الأرض، لَا يُسـمعُ منِّي إلَّا أنينٌ خافتٌ لَا يَكادُ يُسمَع، والعرقُ يَتصبَّبُ من كلِّ جسـمي، لَا أسـتطيعُ تحريكَ أيِّ عضوٍ من أعضاءِ جسـدي وكعَادتهم قامُوا بركلي وضَرْبِي بسيَاطهم، يأمرونني بالقِيَام ولكن أنّى لجسدٍ مُنهكِ القُوى أن يَقُومَ ؟!

حملَني شـخصان أحدُهمَا من ذرَاعي وطلبا مِنِّـي أن أمشيَ علَى

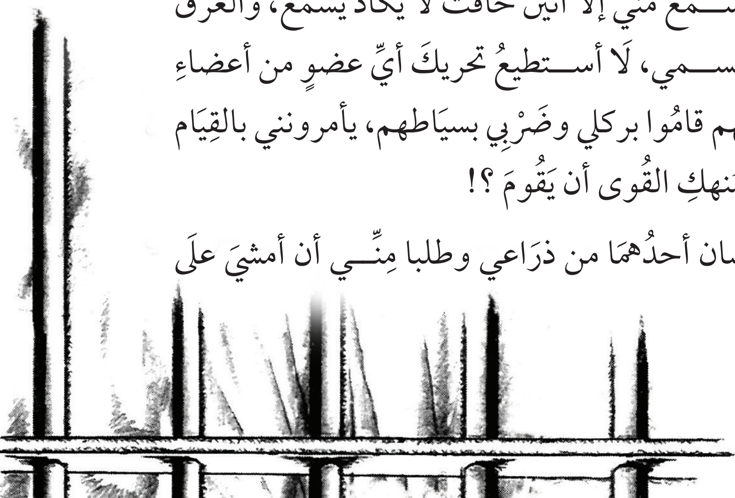

قَدَمــيَّ لكي لَا تتورمَا، لم أَكُن أَقوَى عــلَى رفعِهمَا، كانتا تزحفان علَى الأرض، مررنَا بعدَّة ممرَاتٍ ومن ثُــمَّ أَلقَيَا بي علَى الأرضِ، حاولتُ أن أستعيدَ أنفاسي، هُمَا يُرَاقِبَاني، ويَرصُدَان كلَّ تحرُّكاتي، مَا إن رأَوني أتحرَّكُ وأُدَلِّكُ قَدَمي حتَّى أمرَاني بالقيَام.

١١- لعب بالبيضة والحجر:

مشهدٌ آخرٌ من الوقوفِ يَتكرَّر، استمرَّ إِلَى وقتِ العصر، ثُمَّ تَبيَّنَ لي أنَّ هَــذِهِ الفترةِ الزَّمنيَّةِ نُقطَةَ تَحوُّلٍ جديدةٍ فِي ميدَان مُجَاهدةِ التَّعْذِيب، لقَد تَمَّ استدعَائي لغُرفةِ التَّحقيقِ مُجدَّدًا، سَأَلنِي المُحقِّق:

مَاذَا قُلتَ هل ســتَعترِف؟ أم أَنْتَ بحاجةٍ إِلَى أن تنتقلِ إِلَى المرحلةِ الثَّالثةِ من التَّعْذِيب؟

أنَا قلتُ كلَّ مَا لديَّ وأجبتُكم علَى كلِّ أسئلتِكم.

هل تعلمُ من معنَا فِي غُرفةِ التَّحقِيق؟

لَا.

معنَا من تُحِبُّ (فتقَهْقَهَ سَــاخِرًا) يبدو أنَّــك تُحِبُّهَا، ولَا تريدُ أن يُصِيبَهَا مكروه، صحيح؟ (كَرَّرَ ضَحكَاتِه الخبيثة).

الصَّمْتُ كان جَوَابي، ذَلِكَ أنِّي لم أُصدِّقه، ولكن هؤلَاء المجرمين يفعلون كلَّ شيءٍ!

سألني: مَاذَا قُلتَ، هل ستتكلَّمُ أم مَاذَا؟ الأمورُ إِلَى الآن مَا زالت

تحت سيطرَتي، ولكنَّهَا ستنفلتُ منِّي إن لم تتكلَّم، سأُسَلِّمُ حبيبتَك إِلَى من لَا يرحمون، وحِينَهَا ستعرفُ كم أَنَا رحيمٌ معك.

كان الصَّمْتُ جَوَابي، ومَاذَا عسَاي أن أقولَ فِي مثل هذَا الموقف؟

أردفَ سَائلًا: هل ستتكلَّمُ أم أرفعُ يديَّ عَنك؟

لقَد قُلتُ كلَّ مَا لدي.

(خاطبهم) أَخرِجُوه، (ثم خاطبني) ولكن لَا تقل أَنَّني لم أتعَاون معك، الآن أَنْتَ السَــبَبُ فيمَا ســيجري علَى من تُحب، بِصَمتِكَ هذَا ستجني عليهم.

أمسكتني أَيَادٍ غِلَاظٌ شِدَاد، وأرَادت إخرَاجي من الغُرفة، أَوقفني ثم قال:

هَذِهِ آخرُ فُرصَةٍ لك، هل ستتكلَّمُ أم مَاذَا؟

لقَد قُلتُ كلَّ مَا لدي، لَا يوجدُ عِندي مَا أقوله.

(خاطبهم) أَخرِجُوه، عليه أن يتحمَّلَ العواقب.

أَخرَجَني الجلَّادون من غُرفةِ التَّعْذِيب والتَّحقِيق، حاولَ أحدُهم أن يأخذَ دورَ النَّاصِحِ المُشفِقِ علَى حالي.

فقــال: اِعترِف وخلِّص نفســك مِمَّا أَنْتَ فيه، إنَّ دَائــرةَ العَذَابِ

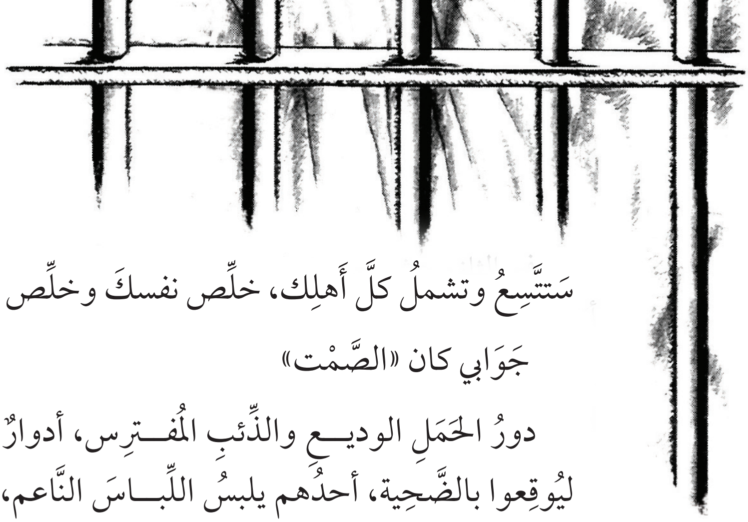

سَتتَّسِعُ وتشملُ كلَّ أَهلِك، خلِّص نفسكَ وخلِّص أهلَك.

جَوَابي كان «الصَّمْت»

دورُ الحَمَلِ الوديعِ والذِّئبِ المُفترِس، أدوارٌ تبادَلهَا الجلَّادون ليُوقِعوا بالضَّحِية، أحدُهم يلبسُ اللِّباسَ النَّاعم، يتكلَّمُ بالكلماتِ المعسُولة، يُبدِي خوفَه عليك، وأنَّه لك نَاصِحٌ أمين، فِي المُقابلِ شخصٌ آخرُ يلعبُ دورَ الجلَّاد القاسِي الذِي لَا يَعْرِفُ الرَّحمة ولَا طريقَهَا، يَعْرِفُ كيف يسلخُ جِلدَ ضحيته، ودَائمًا يُكشِّرُ عَن أنيَابه، يتبادلُ الجلَّادون هذَا الدَّورَ مع كلِّ ضحيَّةٍ تَمرُّ عليهم حتَّى ينسَ بعضُهم أيَّ دورٍ هو يلعب، فترَاه تارةً جلَّادًا قاسيًا، وتارةً أخرى مشفقًا رحيمًا، وكلَّمَا زادَ عددُ الضَّحايَا، كلَّمَا ضاعت عليهم اللُّعبة، ونَسِيَ كلُّ فردٍ منهم دورَه!

١٢- عزَّة لؤلؤة:

زوبعةُ تحقيقٍ جديدةٍ ولكنَّهَا علَى حجمِ الدوَّار، سألَني المُحقِّق:

هل ذهبتَ للدوَّار؟

نَعَم.

كم مرَّةً ذهبتَ؟

حوالي ثلَاث مرَّات.

فقط؟

نَعَم.

كيف تُريدُنِي أن أُصدِّقَ؟

أنَا لستُ فِي البحرين، جِئتُ إِلَى البحرين مُتأخِّرًا، ولم أبقَ إلَّا قليلًا وكُنتُ مشغولًا جِدًّا، لَا وقت عِندي للذَّهَابِ للدوَّار.

هل شاركتَ فِي تَظَاهُرَاتٍ؟

نَعَم.

فِي أيٍّ مِنهَا شاركت؟

شاركتُ فِي تظاهرةِ الجمعيَاتِ السِّيَاسِيَّةِ من القفولِ إِلَى الدوَّار.

وهل هُنَاك غيرهَا؟

نَعَم، مَسِيرَةُ وزارةِ الإعلَام.

ولِمَاذَا شاركت فِي مَسِيرَةِ الإعلَام؟

لأنِّي كُنتُ أرَى أنَّ الدَّورَ الذِي يلعبُه تلفزيون البحرين يُضِرُّ باللُّحمةِ الوطنيَّة ويُثِيرُ الفِتنةَ الطَّائفيَّة والحِقدَ الطَّائفيَّ البَغيضِ، فخَرَجنَا للتَّظاهرِ لنُعبِّرَ عَن رفضنَا لهَذِهِ السِّيَاسَة.

وكيف ترَى دورَ قنَاةِ المنَار والعَالم؟

هُمَا أيضًا لَعِبَتا دورًا سلبيًّا.

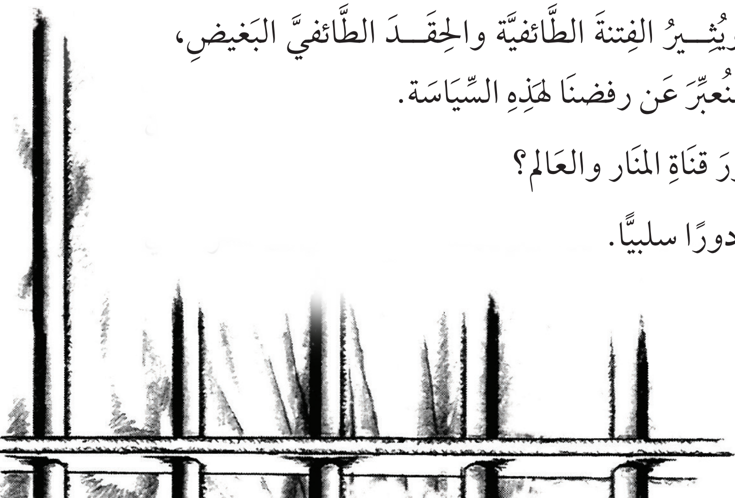

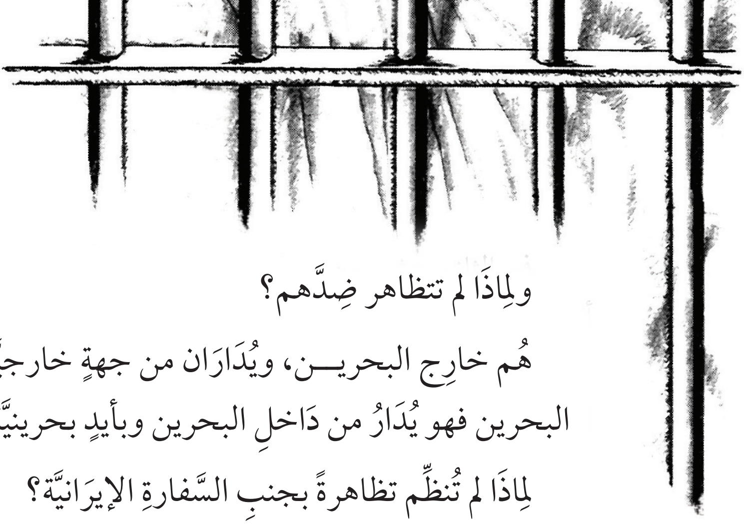

ولِماذَا لم تتظاهر ضِدَّهم؟

هُم خارِج البحريــن، ويُدَارَان من جهةٍ خارجيَّــة، أَمَّا تلفزيون البحرين فهو يُدَارُ من دَاخلِ البحرين وبأيدٍ بحرينيَّة.

لِماذَا لم تُنظِّم تظاهرةً بجنبِ السَّفارةِ الإيرانيَّة؟

أنَا لستُ مُنظِّمًا للتظَاهُرَات، أنَا مشاركٌ فقط.

لِـماذَا لم تطلب مـن المنظِّمين أن يُنظِّموا تظاهرةً بجنب السَّـفارة الإيرَانيَّة، ضِدَّ قناةِ العَالَم؟

ليس من شـأني أن أطلبَ من المُنظِّمين أن يُنظِّموا التظَاهُرَاتِ ولَا أعْرِفُ المُنظِّمين الذين يُنظِّمون التظَاهُرَات.

حسنًا، مَا هِيَ التظَاهُرَات الأُخرى التِي شاركتَ فيهَا؟

شاركتُ فِي التَّظاهرةِ المُتَّجهةِ إِلَى السَّفارةِ السُّعودية.

ولِماذَا شاركتَ فِي هَذِهِ التَّظاهرة؟

احتجاجًا علَى إدخال الجيشِ السُّعودي إِلَى البحرين.

نَعَم، ومَا هِيَ التظَاهُرَات الأُخرى؟

هَذِهِ فقط.

لم تُشارِك فِي تظاهرةِ وزارةِ الدَّاخلية؟

لَا.

ولَا تظاهرةِ الدِّيوان؟

لَا.

ولَا تظاهرةِ الصَّافرية؟

لَا.

ولِمَاذَا لَم تُشارِك فيهم؟

لم أكن مقتنعًا بهم، ولم أَودَّ الذَّهاب.

نَعَم، نعود للدوّار، مَاذَا كُنتَ تفعلُ فِي الدوَّار؟ وأين كُنتَ تذهب؟ ومن رأَيت؟

كُنتُ أَذهبُ كمَا يذهبُ الجميع، كُنتُ أَستمِعُ للمتحدِّثين وأتمشَّى بين الخِيَام.

من رأيتَ فِي الدوَّار؟

كان هُنَاك أُنَاسٌ كثيرون.

من مثلًا؟ أُرِيدُ أسمَاءً.

في الحقيقةِ أنَا لَا أَعْرِفُ كلَّ من ذَهَبَ للدوَّار.

لم أَطلِب منك كلَّ من فِي الدوَّار، الذِين تعرفُهم ورأيتَهم هنَاك.

رأيتُ السنكيس يَخطِب، والمقداد.

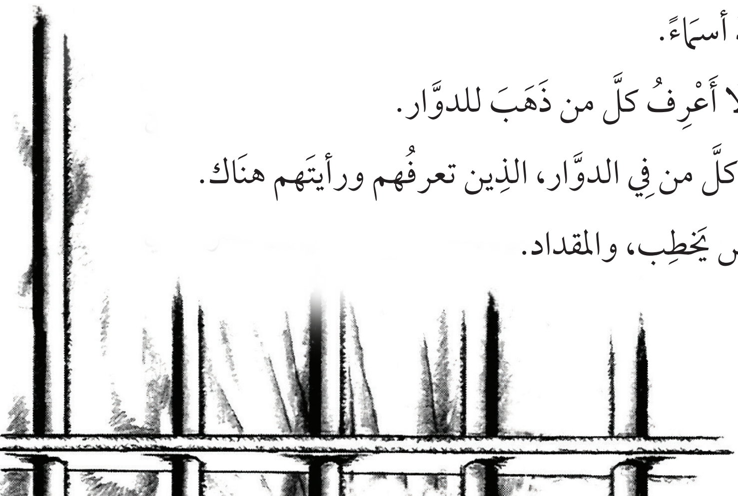

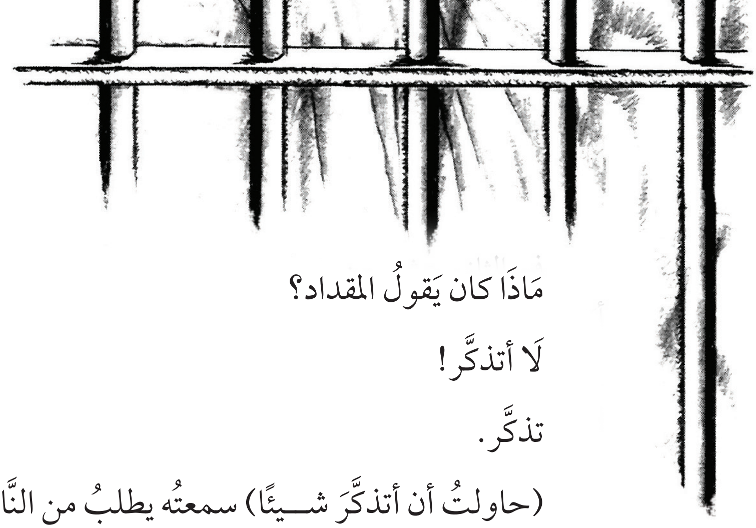

مَاذَا كان يَقولُ المقداد؟

لَا أتذكَّر!

تذكَّر.

(حاولتُ أن أتذكَّرَ شـيئًا) سمعتُه يطلبُ من النَّاسِ أن لَا يتخلَّوا عَن سلميَّتهم، وطَلَبَ من بعض الذِين حملوا العِصيَّ بأن يُنزِلُوهَا.

ضَرْبَــةٌ وُجِّهتْ إليَّ من الخلفِ علَى عُنقِــي، رَكلَةٌ أخرَى، تَوَالتِ الصَّفعَاتُ والرَّكلَاتُ قيلَ لي:

لَا نُريدُ أن نسمعَ منك هذَا الكلَامَ مرةً أُخرى المقدادُ مجرمٌ ومُخرِّبٌ ومُحرِّضٌ علَى العُنفِ لَا نريدُ أن نسمعَ غيرَ هذَا، فَهِمتَ؟

نَعَم، فهمتُ.

إذًا قُل لي مَاذَا سمعتَه يقولُ أيضًا؟

هذَا مَا سَمعتُه، لم أسمع شيئًا آخر.

هل تمتَّعت فِي الدوَّار؟

لَا.

لِمَاذَا لم تتمتَّع فِي الدوَّار؟

لَا يوجدُ فِي الدوَّار مُتعة، وأنَا لَا أحتاجُ إلَى المُتعة.

يوجدُ فِي الدوَّار مُتعة، لقَد رأينَــا كلَّ شيءٍ ولدينَا أدلةٌ كثيرةٌ علَى ذلك!

أَنَا لم أرَ أيَّة مظاهر للمتعــةِ فِي الدوَّار، وحتَّى لو كان هُنَاك فأنَا لَا أُريدُ التمتع.

لِمَاذَا لم تتمتَّع؟ أَوليس هو حلَالٌ كمَا تقولون؟

ليس كلُّ حلَالٍ ينبغي أن أفعلَه، أَو يجبُ عليَّ فعله!

حسنًا، مَاذَا رأيتَ فِي الدوَّار أيضًا؟

هنَاك خِيَامٌ كثيرةٌ ويوجدُ منتديَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ ومُضِيفاتٌ كثيرةٌ، علَى المِنصَّةِ شاشةُ عرضٍ يُعرَضُ عليهَا قنَاةُ المنَارِ والعَالمِ وخِطَابَاتُ السَّيِّد هَادي المدرسي.

من الذِي كان يُشرِفُ علَى هَذِهِ الأُمور؟

لَا أدري ولَا يَعنِيني أن أَعْرِف.

من الذِي كان يموِّل الدوَّار؟

لَا أدري ولكنَّني أرى صنَاديقَ تَبرُّعَاتٍ يتبرَّعُ فيهَا النَّاس.

إيرَان هِيَ التِي تُموِّلُ الدوَّار عَن طريقِ بعض التُّجار التابعين لهَا؟

لَا أعلم، ولكنني كنــتُ أرَى صنَاديقَ للتَبرُّعَاتِ فِي كلِّ مُضِيف. وكانت النَّاسُ تَتبرَّعُ بسخاءٍ.

مَاذَا كان يفعلُ محسن المقداد؟

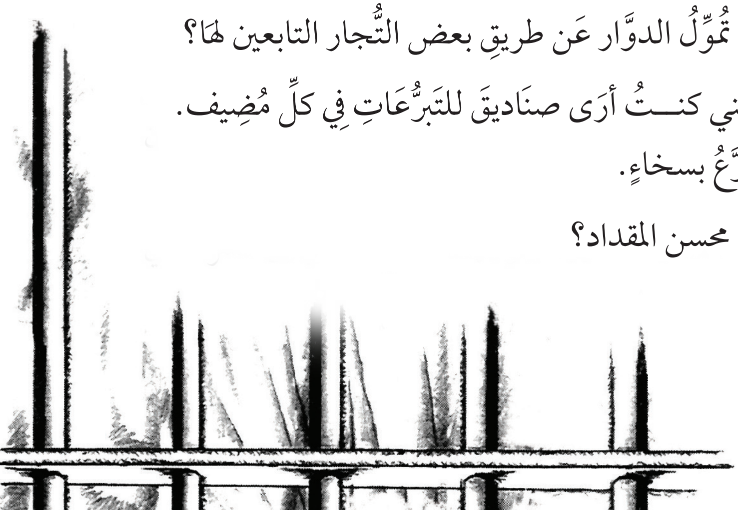

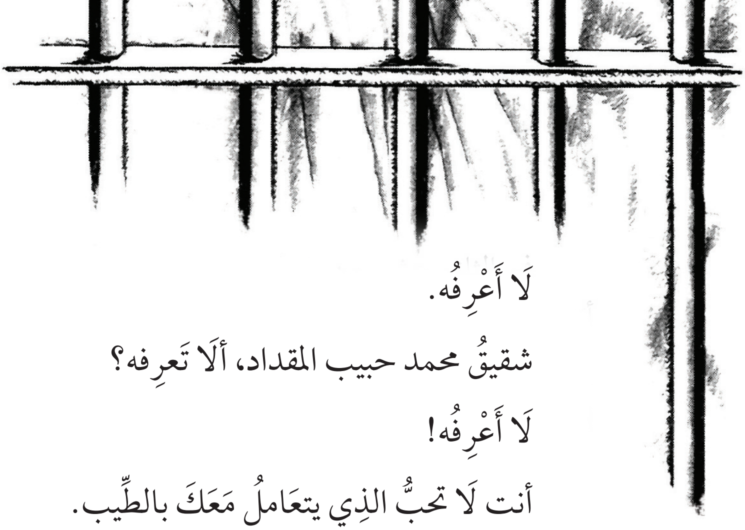

لَا أَعْرِفُه.

شقيقُ محمد حبيب المقداد، أَلَا تَعرِفه؟

لَا أَعْرِفُه!

أنت لَا تحبُّ الذِي يتعَامَلُ مَعَكَ بالطِّيب.

أَنَا أَتحدَّثُ مَعَكَ بِمَا أَعْرِفُ وأقولُ لك مَا أَعْرِف.

أنــت لَا تقولُ الحقيقــةَ، كلَامُك كلُّه كذب، وسَــأجعلُك تقولُ الحقيقة، (خاطبهم) علِّقوه الفيلقة.

تَمَّ تعليقــي وضَرْبي ضَرْبًا مُبرحًــا. ظللتُ هكذَا قُرَابةَ سَــاعة ونصف، وأنَا أصرخُ بكلِّ ذرَّةٍ من جسمي من شدَّةِ الألم، وهُم حولي يَضرِبونني بِسيَاطهم الغليظة، ويتلفَّظون بالكلِمَات الفاحشةِ فِي حَقِّي وحقِّ أُسرتي، وفي حقِّ الرموز، والعلمَاء، وفي حقِّ التَّشيع وإيرَان.

بعــد أن تَعِبَ الجلَّادون، ورأوا أن وقتَهم يضيعُ بلَا فائدةٍ أنزلوني وقَدمَاي قَد تورَّمت زرقةً وخضرةً وحمرةً. اقتادوني إِلَى الممرِّ وكعَادتهم يطلبون منِّي أن أتمشَّى علَى قَدمِي وثُمَّ أجبروني علَى الوقوف.

طــوال فترةِ وجــودي فِي سِرداب القلعةِ التِي امتدَّت إِلَى خمسة عشر يَوْمًا بليَاليِهَا كُنتُ أسمعُ صُرَاخَ المُعذَّبين تهتزُّ لهَا جدرَان القلعة المنيعة، اهتــزَّت كلُّ الجدرَان إلَّا جدرَان صدورِ الجلَّادين فقَد كانت تحتوي علَى قلوبٍ جَلفاءَ أَشدُّ قَسوة من الحجارة، لم نكن نُعَامَلُ بأي

درجةٍ من الإنسَــانيَّة، كُنَّا نُعَاملُ كأسرى حربٍ أَو أشــدَّ من ذلك، كان الحِسُّ الطَّائفيُّ البغيضُ مُهيمنًا علَى المشــهدِ كلِّه، النَّاسُ تصرخُ فِي الشَّارع (أخوان سنة وشــيعة هذَا الوطن مَا نبيعه)، وا أسفاه علَى إخوةِ يوسفَ الذِين كانوا يحملون فِي صدورهم حِقدًا علَى أخيهم، لم تســعه الأرض فكيف بصدورِ الآدميِّين، كُنَّا نقرأُ فِي القرآنِ أنَّ قابيلًا قَد قتَلَ هَابيلًا حسدًا وحِقدًا عليه، وأنَّ هَابيلَ قَد امتثلَ لأعلَى مرَاتِبِ السِّــلم حَيثُ أجابَه جَوابًا يهزُّ كِيَان البَشرِ حَيثُ قال ﴿لَئِنْ بَسَــطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِــطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[١] وأن تقرأ شــيئًا تشــعرُ بألَمِ القِصَّة، والحادثةُ تختلفُ تمامًا عِندَ عيشِ تلك الأَحْدَاثِ والانغمَاسِ فِي مرارتهَا. آهٍ تِلوَ الآه من أيامٍ قاسية بكلِّ مَا تحملُه الكلمةُ من معنًى عِشنَاهَا فِي سِرَادب القلعة.

١٣- شمَّاعة باسم «إيرَان»:

كلمةُ إيرَان لوحدهَا كانت تهمةً كبــيرةً يَتَعَرَّضُ جرَّاءهَا المُعْتَقَلُ المِســكينُ إلَى شــتَّى صنوفِ التنكيلِ والتَّعْذِيب، والإهَانةِ، والشَّتمِ، والتعريةِ، والتَّحرشِ الجنســيّ، وكلِّ مَا يخطرُ و مَا لَا يخطرُ علَى قلبِ بشر، فكيف بشــخصٍ يَعِيشُ فِي إيرَان، ويدرسُ فيهَا، بل وقَد سَافر

(١)سورة المائدة : ٢٨

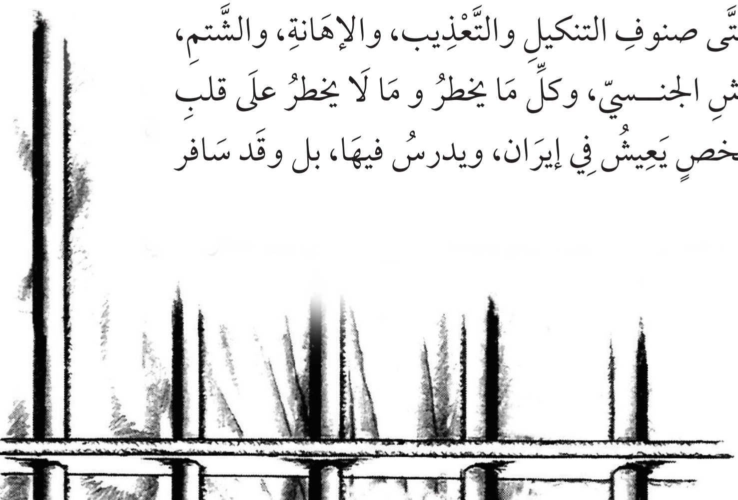

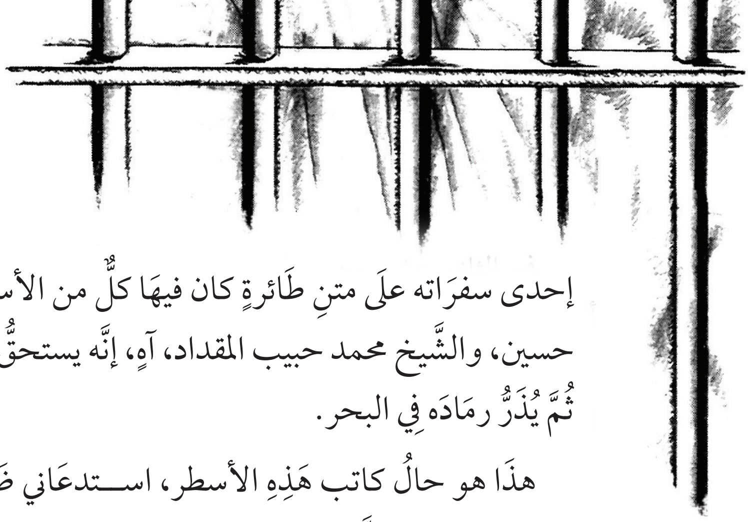

إحدى سفرَاته علَى متنِ طَائرةٍ كان فيهَا كلٌّ من الأستاذ عبد الوهَاب حسين، والشَّيخ محمد حبيب المقداد، آهٍ، إنَّه يستحقُّ المَوْتَ ثُمَّ الحرق ثُمَّ يُذَرُّ رمَادَه فِي البحر.

هذَا هو حالُ كاتب هَذِهِ الأسطر، اســتدعَاني ضَابِطُ التَّحقيقِ فِي إحدى جلسَات التَّحقيقِ وقال لي:

لقَد حَصَلنَا علَى الدَّليلِ يَا مُرْتَضَى الذِي لَا يُمْكِنك إنكاره.

«جوَابي كان صمتًا وحذر».

كم مرَّةً سَافرتَ إِلَى إيرَان؟

كثير، لَا أستطيعُ عدَّهَا.

نَعَم، وكم مرَّةً كُنتَ ذَاهِبًا لهَا لإنجازِ مهَامٍ سرية؟

ولَا مرَّة.

إذًا مَاذَا كُنتَ تفعلُ فِي إيرَان؟

مُنذُ البدَايةِ قُلتُ لكم بــأنِّي أدرسُ فِي إيرَان، بل أَنَا مُقِيمٌ فِي إيرَان مُنذُ سبعةِ أعوامٍ تقريبًا.

مَاذَا تدرسُ فِي إيرَان؟

أدرسُ علومًا دينيَّةً فِي قم.

فِي أيِّ جامعة؟

فِي جامعةِ آلِ البيت العَالمية.

ولِمَن هَذِهِ الجامعة؟

هي لعَالِمٍ سُعوديٍّ اسمه الشيخ عبد الهَادي الفضلي.

ومن يُدِيرُهَا؟

توجدُ إدَارةٌ من علمَاء السعودية المقيمين فِي قم.

مَاذَا تدرسُ بالضَّبط؟

أدرسُ الفقه والأصول والفلسفة والعقائد والتفسير ودروسًا أخرى.

من هم مدرِّسوك؟

أغلبُهم من السعوديَّة والعِرَاق.

لِماذَا لَا تدرسُ عِندَ البحرينيين؟

أنَا ملتزمٌ بجامعةٍ وهي التِي تُهيِّئُ الأسَاتذةَ وأنَا أستفيدُ من هؤلَاء الأسَاتذة.

مَاهو برنَامجك اليَومي فِي إيرَان؟

برنَامجي يبدَأُ من الصَّباحِ الباكرِ حَيثُ استيقظُ للصَّلَاة، وأحضرُ دروسي الصَّباحية من السَّاعة السَابعة إلَى الحادية عشر والنِّصف ظهرًا، ومن ثُمَّ أبدَأُ عملي فِي نفسِ الحوزةِ التِي أدرسُ فِيهَا إلَى السَّاعة

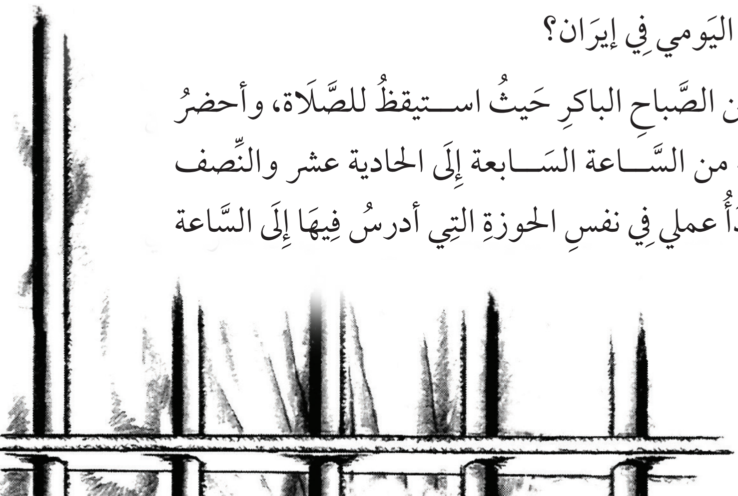

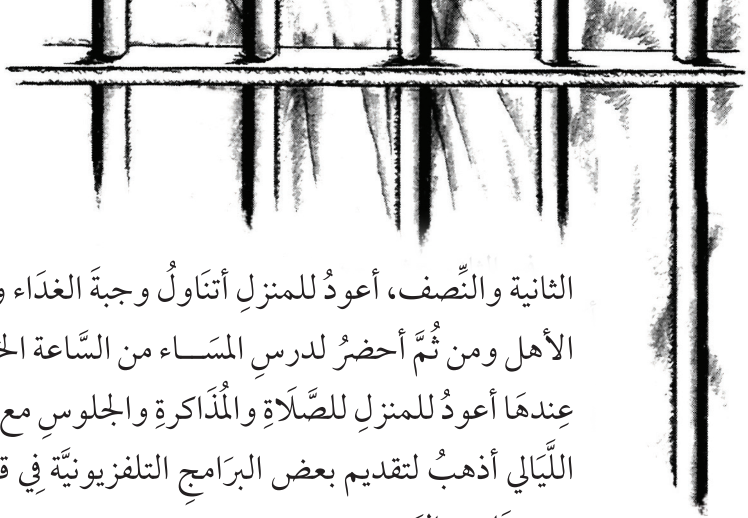

الثانية والنِّصف، أعودُ للمنزلِ أتناولُ وجبةَ الغدَاء وأجلسُ قليلًا مع الأهل ومن ثُمَّ أحضرُ لدرسِ المسَــاء من السَّاعة الخامسة إِلَى الأذَان، عِندهَا أعودُ للمنزلِ للصَّلَاةِ والمُذَاكرةِ والجلوسِ مع الأهل، فِي بعض اللَّيَالي أذهبُ لتقديم بعض البرَامجِ التلفزيونيَّة فِي قنَاةِ المعَارف، هذَا هو برنَامجي اليَومي.

نَعَم ومَاذَا تعملُ فِي الحوزة؟

أعملُ مسؤولًا لشؤون المكتبة.

مَاهي وظيفتُك بالضَّبط؟ وكم رَاتِبك؟ ووو...

أســئلةٌ كثيرةٌ وجَّهها عَن طبيعةِ العملِ وتفاصيله هنَاك، ومن ثُمَّ عَرَّجَ علَى قنَاة المعَارف، قائلًا:

من صَاحِبهَا ومُموِّلها؟

الشيخ حبيب الكاظمي.

آه هذَا الذِي يدعمُه الحرسُ الثوريُّ فِي إيرَان؟

لَا أعلــمُ إن كان يدعمُــه أَو لَا، ولكنَّه لَا يهتمُّ بالسِّيَاسَــةِ وقنَاتُه لَايوجَــدُ فِيهَا أيُّ شيءٍ متعلقٌ بالسِّيَاسَــة، هِيَ تهتــمُّ بنشرِ المعَارف الإسلَاميَّة فقط.

إذًا من أين له التمويل؟

لَا أدرِي، اسأله هو، أنَا لَا علم لي.

كيفَ تعملُ فِي جهةٍ لَا تعلمُ أين مصدرُ تمويلهَا؟

أنَا واثقٌ من أنَّ الشيخ لن يصرفَ أموالًا مُحرَّمةً علَى عملٍ لله وهذَا يكفيني.

هل التمويلُ من الخمس؟

لَا أدري.

مَا هِيَ جِنسيَّةُ هذَا الشيخ؟

أظنهَا إيرَانية.

نَعَم هو كَذَلِكَ، المرتبطُ بالحرسِ الثوريِّ الإيرَاني.

دَائمًا يُضخِّمون الأمورَ لكي يحصلَ فِي قلبِ المُتَّهمِ الرعبُ ويتكلَّمَ عَن أشيَاء أخرى يعترفُ عَنهَا.

قال: نَعَم، مَا هِيَ علَاقتُك بالمخابرَات الإيرَانية؟ وكم مرَّةً التقيت بضُبَّاطٍ من المخابرَاتِ الإيرَانية؟

لَا توجدُ أيَّةُ علَاقةٍ لي بهم ولم ألتقِ بأيِّ أحدٍ منهم.

إسْمَعْ نحن لدينَا كلّ المعلومَات المفصَّلةِ عَنك ولكنَّنا نُحِبُّ سمَاعهَا منك، قُلِ الحقيقةَ بهدوءٍ وسلَامٍ أَفْضَلَ من أن تقولهَا بعد أن تذوقَ طعمَ المهَانة. (كرَّر السؤال) من مِنهُم التقيته هنَاك؟ وكم مرَّةً

وأين التقيتَ بهم؟

لم ألتقِ بأحدٍ منهم، ولَا علَاقةَ لي بهم لكي ألتقيَ بهم.

سـنجعلُك تتكلَّم، ولكن الآن وَاصِل، هل يسألُك بعضُهم عَن أخبارِ البحرين؟

في الغالبِ لَا ولكن فِي حال عرضِ برنَامجٍ فِي التِّلفازِ عَن البحرين يسألُ البعضُ مُستفهِمًا.

من أيِّ الجِنسيَات يسألون؟

ليس هنَاك جنسـيَّةٌ محدَّدة، الـكلُّ حِيْنَ يظهـرُ شيءٌ فِي الإعلَام يسألون.

نَعَم ولكن مَا جِنسيَّةُ من يسألون؟

هنَاك سـعوديون وأفارقة وعرَاقيون ومن كلِّ الجنسـيَات الذِين يدرسون معَنَا.

هل هنَاك من يُكثِرُ السؤال؟

لَا.

هل يسألك الإيرَانيون؟

نحن لَا ندرسُ مـع الإيرَانيين، ندرسُ مع العـربِ وبعضِ من يتكلَّمُ العربيَّة.

لَا يوجدُ إيرَانيون يتكلَّمون العربية؟

يوجدُ ولكن لهم جامعَاتهم المختلفة عَنَّا، وجامعتنَا لَا تقبلُ الإيرَانيين.

نَعَم، أين تدرَّبتَ علَى السِّلَاح؟ ومَا هي علَاقتُك بالحرسِ الثوري؟

لم أَتدرَّب علَى السِّلَاح، ولَا عَلَاقةَ لي بالحرسِ الثوري.

إذًا مَا هي قِصَّةُ الذِين أرسلتَهم ليتدرَّبوا فِي إيرَان؟

لم أُرسِل أيَّ شخص، ولم أتكلَّم مع أحدٍ فِي شأنِ هذَا، وإذَا كان لديكَ شاهدٌ بهذَا الخُصُوصِ اجلبه لي.

إذَا جلبنَا لك أشخاصًا اعترفوا بأنَّك أرسلتَهم لكي يتدرَّبوا مَاذَا نفعلُ بك؟

افعل مَا يحلو لك، أنَا متأكدٌ من أنَّني لم أرسل أحدًا، ولَا يعنيني هذَا الأمر.

في أيِّ المُعسكرَات تدرَّبت؟

لم أتدرَّب، وهل من يتدرَّبُ يترهَّلُ جسمه كجسمي.

ألَا تُمَارسُ الريَاضة؟

لَا وقت لديَّ للريَاضة.

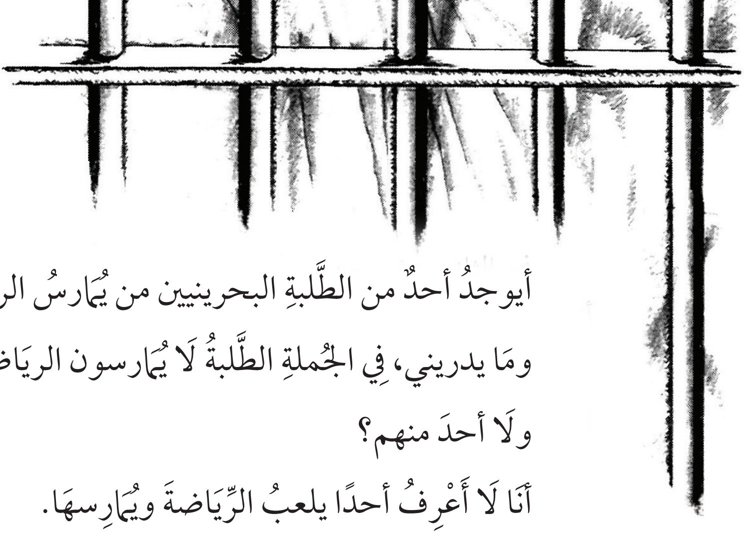

أيوجدُ أحدٌ من الطَّلبةِ البحرينيين من يُمارسُ الريَاضة فِي إيرَان؟

ومَا يدريني، فِي الجُملةِ الطَّلبةُ لَا يُمارسون الريَاضة.

ولَا أحدَ منهم؟

أنَا لَا أعْرِفُ أحدًا يلعبُ الرِّيَاضةَ ويُمارِسها.

فِي شهرِ إبريل العَام المَاضي مع من سَافرت إِلَى إيرَان؟

مع زوجتي.

(يبدو أنَّه أخذَ الكشفَ لركَّابِ الطَّائرة التِي كُنتُ علَى متنهَا)

مَا اسمُ زوجتك؟

«ذكرتُ له اسمَ زوجتي».

نَعَم، (تَأكَّدَ أَنَّهَا كانت معي) فأردف: ومن أيضًا؟

لَا أذكرُ بالضَّبطِ ولكنّي لَا أَعْرِفُ كلَّ ركَّاب الطَّائرة.

من كان مَعَكَ مِمَّن تَعرِفُهم؟

فِي الحقيقة لَا أذكُر.

لَا تَذكرُ عبد الوهَاب حسين ولَا محمد الصفاف؟

نَعَم تَذكَّرتُ، كانوا معي فِي الطَّائرة.

نحن علَى علمٍ بأنَّك جِئتَ لهم برسَــالةٍ من خامنئي لتدعوَهم إِلَى لقائه.

(ضحكتُ)، أَنَا أجيءُ برسَــالةٍ من خامنئي؟!، أَنَا جِئتُ لزواج عديــلي حَيثُ أنَّ زوجتِي طَلَبَــت منِّي المجيءَ لــزواج أُختِهَا، بَقِينَا لمدَّةِ أسـبوعٍ وعُدنَــا إِلَى إيرَان وصَادَفَ أن كان مَعَنَــا فِي الطَّائرةِ كلُّ من عبد الوهَّاب حسـين ومحمد حبيب المقداد. ولم أَجلِب لَا رسَالةً ولَا غيرهَا، بل إنِّي طوال الأسبوعِ كُنتُ مشغولًا للغايةِ مع تجهيزات الزَّواجِ وأُمورِ النِّسَاء.

(هَدَّدَ قائلًا) الآن لَا تتكلَّم، ولكن ستتكلَّم فيمَا بعد، وستقولُ كلَّ شيء.

نَعَــم مَا رأيك فِي الانتخاباتِ التِي جرت فِي إيرَان وأنت تُؤيِّدُ من أحمدي نجاد أَو موسوي؟

بَــدَا لي السـؤالُ غريبًا بعض الــشيء، ولكن ينبغي الحــذرُ عِندَ الإجابة.

لَا أُؤَيِّدُ أيًّا مِنهُمَا ولَا يَهمني كِلَاهمَا، وليس من شــأنِي أن يفوزَ هذَا أَو ذلك، أَنَا أدرسُ فِي قم وهي لَا تتأثَّرُ بمن يفوزُ فِي الانتخابات، وأَنَا لســتُ إيرَانيًا، لذَلِكَ لَا يهمني فازَ هــذَا أَو ذَاك، إنَّ الأمر لَا يعنيني البتَّة.

مَاذَا يوجدُ من خِلَافاتٍ ومُشكلَاتٍ فِي إيرَان؟

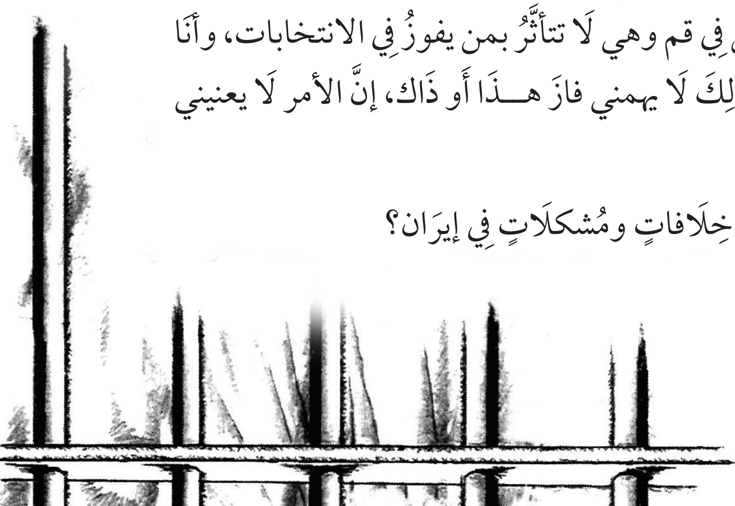

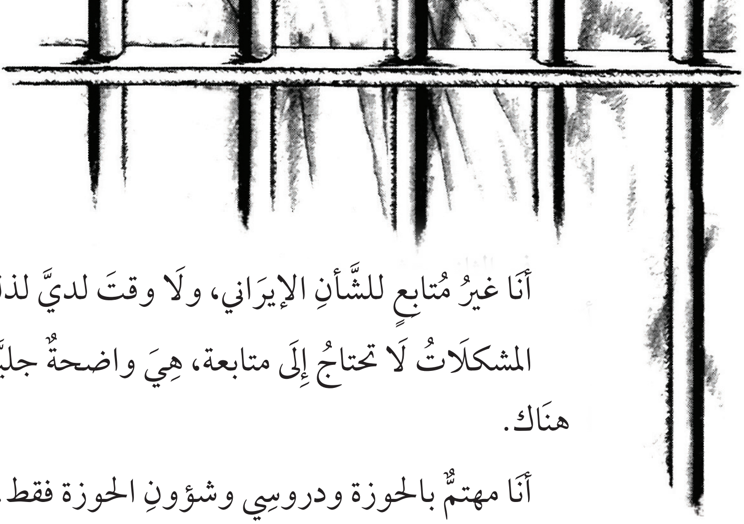

أنَا غيرُ مُتابعٍ للشَّأنِ الإيرَاني، ولَا وقتَ لديَّ لذلك.

المشكلَاتُ لَا تحتاجُ إلَى متابعة، هِيَ واضحةٌ جليَّةٌ لكلِّ من يَعِيشُ هنَاك.

أنَا مهتمٌّ بالحوزة ودروسِي وشؤونِ الحوزة فقط.

الحوزة، هل توجدُ فيهَا مشكلَات أَو لَا؟

كلُّ مَكَانٍ تتواجدُ فيه مشكلَاتٌ واختلَافاتٌ فِي وجهَات النَّظر.

مَاهي المشكلَاتُ التِي تُعَانيهَا الحوزة؟

هنَاك مشــكلةٌ واختلَافٌ فِي وجهَات النَّظر حول استبدَال المنهج الدرَاسيِّ وتجديدِ المنَاهج، فهنَاك جمَاعةٌ تُؤيِّدُ ذَلِكَ وهنَاك من يرفضُ ذلك، وتُوجدُ مشكلةٌ أخرى فِي مسألةِ الوحدةِ الإسلَاميَّة.

من يؤيِّد الوحدةَ الإسلَاميَّة؟

الدولةُ والعلمَاءُ القريبون من الدولة يؤيِّدون الوحدةَ الإسلَامية.

ومن لَا يؤيِّد إذًا؟

بعضُ العلمَاءِ البعيدين عَن الدولةِ وشؤون السِّياسة.

اذكر لِي أسمَاءً.

لَا توجدُ أســمَاءً واضحةً وبارزةً لكن هنَــاك فعَاليَّاتٌ ونشرَاتٌ وكتبٌ تَصُبُّ فِي هذَا الاتِّجاه.

فِي أيِّ اتجاه؟

فِي اتجاهِ الفرقةِ والفتنةِ الطَائفيَّة.

قُلتَ لي، أين تدرَّبتَ علَى السِّلَاح؟

قُلتُ لك إنِّي لم أتدرَّب علَى السِّلَاح.

وسَأَلنِي حِينَهَا عَن أحدِ المشايخ البحرينيين المقيمين فِي قم، وعَن نشاطِه، وعَن معَارِفه. وكان جَوَابي أنِّي أَعرِفُه معرفةً سطحيَّةً عَامَّةً، ولَا أَعْرِفُ معَارِفه، نَعَم أرَاهُ فِي قم، ولكن لَا تَربطُني به علَاقة.

١٤- لحظاتٌ لفخرَاوي:

فِي يَوْمٍ من الأَيَّامِ بينَمَا كنتُ واقفًا فِي الممرِّ مربوطَ العينين، مُكبَّلَ اليدين من الخلف، سمعتُ صُرَاخَ الجلَاوزةِ علَى أحدِ المُعَذَّبين، الذِي قَدِ انهَارت كلُّ قواه، وسقطَ علَى الأرض، لَا يستطيعُ أن يُحرِّكَ أطرَافه، فتجمَّعَت عليه مجموعةٌ من الجلَاوزةِ يَضرِبونه ويصرخون عليه، يطلبون منه الوقوف، ظنًّا منهم أنَّه يُمثِّلُ عليهم لكي يرتاحَ قليلًا، فمَا كان منهم إلَّا أن أَوسعوه ضَربًا وشتمًا وصُرَاخا، وسمعتُ أحدَهم يطلبُ من الجلَاوزة والجلَّادين المسَاعدة، وشعرتُ أن هنَاك شيئًا مَا قَد حصل، مَا هِيَ إلَّا لحظات وأنَا لَا أُبصِرُ إلَّا من أسفل القُطعةِ التِي تُغطِّي عينيَّ فأرى أقدامي وأقدامَ من يَمرُّون بجنبي فقط، فِي هَذِهِ اللَّحظاتِ عرفتُ أن عِندَهم شخصًا لَا يقوى علَى

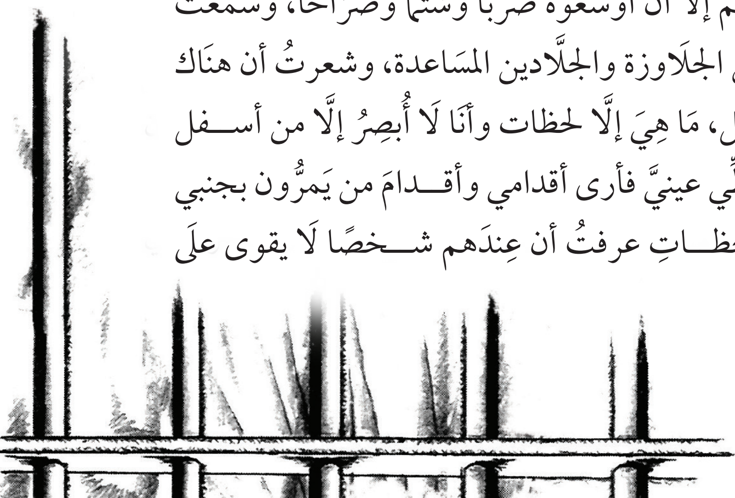

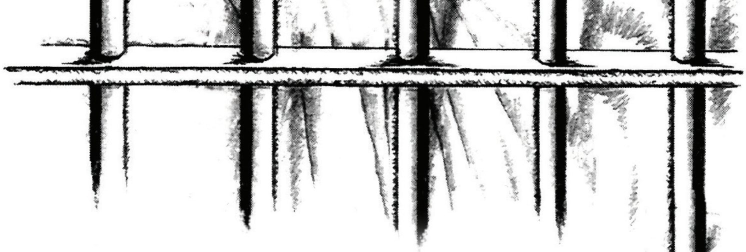

النهوض، فهم يجرُّونه علَى ظهره إِلَى حمَّامِ السِّــباحة لكي يسكبوا المَاءَ علَى جسده عدَّة مرَّاتٍ لكي يلتقطَ أنفاسَــه ويعودَ له النَّشاط، وهم يجرُّونه علَى ظهره مرُّوا به بالقربِ منِّي، فقمتُ باختلَاسِ النَّظر، كلُّ مَا رأيتُ أن هذَا الذِي يجرُّونه هو ضخمُ الجثَّةِ نوعًا مَا، بحَيثُ أتعبهم وهم يجرُّون جســدَه بالقربِ من حمَّام السباحة، أنزلوه وانهَالوا عليه بوابلٍ من السَّــب والشــتمِ وتلفَّظوا معه ببعض الكلِمَاتِ الفارسيَّة (بُلند شُــد) يأمرونه بالوقوف، عرفتُ أنَّه من العجم، بعد ربعِ سَاعةٍ وهم يحاولون معه لكي يقفَ علَى قَدميه لم يكن ليجيبهم.

سمعتهم يقولون: «لقَدِ اتسخنَا بسَببَه»، أَعتقِدُ أنَّه تقيَّأَ أو تغوَّط، لأنِّي سمعتُ أحدَهم يطلبُ من الآخرِ تنظيفَ المكَان، قاموا بإدخالي فِي غُرفــةٍ قريبةٍ من المكَان الــذِي كنتُ أقفُ فيه، فكنتُ أســمعهم يصرخون عليه، ولكــن لَا أَعرِفُ مَا هِيَ الكلِــمَاتُ التِي تُقال إليه، وجــرُّوه بعد ذَلِــكَ إِلَى دَاخلِ الحمَّام، وهنَاك انهَالــوا عليه بالضَّرْبِ والسبِ والشتم.

أَمَّا أَنَا فكنتُ أُتمتِمُ بالدُّعَاءِ لــه للخلَاصِ والفرج، لم أكن أَعْرِفُ من هو، ولكن أشعر بأن جِرَاحَه هِيَ جِرَاحي، وأن آلَامه هِيَ آلَامي. بعد أن نقلونَا إِلَى سِــجْنِ الحوضِ الجاف بشهرٍ ونصفٍ تقريبًا جاؤوا لنَا بأحــدِ الذِين تمَّ اِعتِقَالهــم مُؤخَّرًا فأخبرنَا بنبأِ اِستِشْــهَادِ الحاج عبدالكريم فخرَاوي تحتَ التَّعْذِيب. ومن ضمنِ الأمور التِي أحتفظُ بهَا فِي ذَاكرتِي هِيَ أنه فِي اليَومِ التالي تَمَّ استدعَائي من قبلِ مُحقِّقٍ أردنيٍّ

وفي طيَّاتِ تهديدَاته قال: لقَد قتلنَا شخصًا للتوِّ فإذَا أردتَ أن نُلحِقك به فلَا مَانعَ لدينَا. رَحِمكَ اللهُ يَا حاج كريم ورَحِمَ اللهُ شُهدَائنَا جميعا.

١٥- صلَاح..رفعةٌ وسموٌّ خلق:

في اليَــومِ الخامس كانت قِوايَ كلُّهَا مُنهَــارةً، فأَخذُونِي للتحقيقِ معي إلَّا أنَّهــم وجدوني لَا أقوى علَى المشي، ولَا علَى الحركة، جرُّوني إِلَى غُرفةِ التَّحقِيق، لم أكن أســتطيعُ أن أتفاعلَ مع أســئلةِ التَّحقِيق. خمسةُ أيَّامٍ لم أَذُقْ طعمَ النَّومِ فِيهَا، خمسةُ أيَّامٍ لم أجلس، ولم أطوِ رُكبتِي إلَّا فِي الفيلقةِ أَو الحمَّام.

عِندمَا أَدخلــونِي إِلَى المُحقِّق أدركَ أنِّي قابَ قوســين أَو أدنى من المَوْت، فطلبَ من الجلَّادِ الذِي جلَبني أن يأخذَني لأَستحِم، فأخذوني وسمحوا لي أن أستحمَّ ولكنَّهم كانوا يُرَاقِبوني وأنَا أستحم، أَدخلُوني الحــمَّام، فلم أَجِد نفــسي إلَّا وأنَا ملقًى عــلَى الأرض، لم أعِ مَا يجري حولي، فتحوا المَاء علي، بَدَأتُ أســتفيقُ ولكن جســمي كتلةٌ من أَلَمٍ شــقيق، خُصُوصًا أَلَم ظهــري، وقَدمَاي الزرقاوتــين، ذهبَ الجلَّادُ البحريني ليتحدَّثَ مع مســؤوله، وأحــضرَ لي ملَابس وقال: «لقَد توسَّــطتُ لك لكي يسمحوا لك بالجلوس، فبعد استحمَامك سوف نجلبُ لك فِرَاشًا لكي ترتاح».

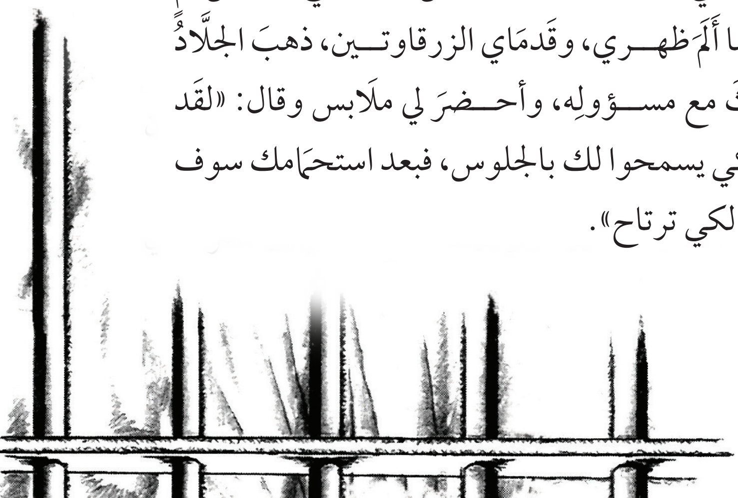

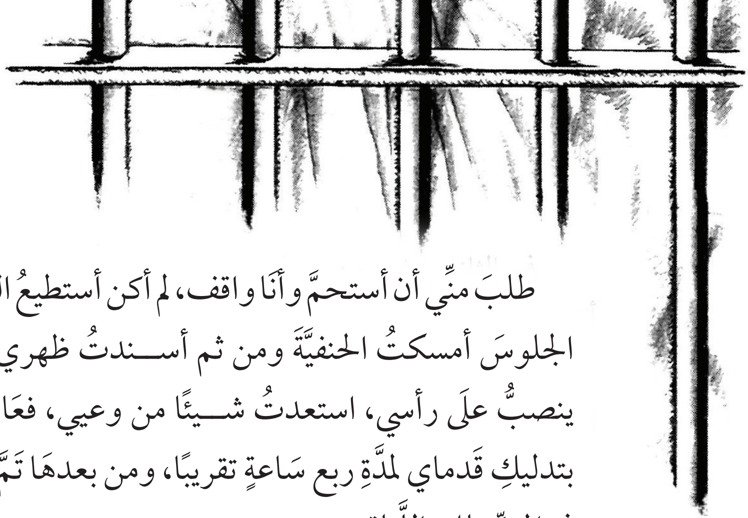

طلبَ منِّي أن أستحمَّ وأنَا واقف، لم أكن أستطيعُ الوقوف، حاولتُ الجلوسَ أمسكتُ الحنفيَّةَ ومن ثم أســـندتُ ظهري إِلَى الجِدَار والمَاء ينصبُّ علَى رأسي، استعدتُ شــيئًا من وعيي، فعَاودنِي الألَمُ فقمتُ بتدليكِ قَدماي لمدَّةِ ربع سَاعةٍ تقريبًا، ومن بعدهَا تَمَّ السمَاحُ لي بالنَّومِ فِي الممرِّ تلك اللَّيلة.

وأنَا نَائمٌ جاءتنِـي ركلَاتٌ من أحدِ الضُّبَّاطِ الذِين شــاركوا فِي التَّحقِيق معي، وأيقظَني من النَّومِ قائلًا:

من سمحَ لك بِالنَّوم؟

الضَّابِطُ الآخر.

(لم يُصدِّقني) هيَّا، قِف علَى قَدميك.

لَا أستطيعُ الوقوف.

أَلَمْ تسمع مَا قلتُ لك، قِف.

(حاولتُ الوقوفَ فلم أَستطِع إِلَى ذَلِكَ سبيلًا)

قال: سأســألُك بعض الأســئلةِ فإن كذبتَ فســيَكُون عَذَابُك وعقابُك عسيرًا.

بعد نصف سَــاعةٍ جاءنِي وطلبَ منِّي الاعترَافَ علَى أن يُدخِلَني زِنْزَانَةً لكي أنَامَ وأرتاح، أقسمتُ له بأنَّني قلتُ كلَّ مَا لدي. قال: إنَّك لم تقل شــيئًا بعد. حاولَ أن يُسَاوِمَني علَى رَاحتي، فلُذتُ بالصَّمْتِ،

فأدخلُوني غُرَفةً صغيرةً علمتُ من الأصواتِ أن فيهَا شخصين وأنَا ثالثهمَا.

في اليَوم التــالي جاؤوا لنَا وأخذوا أحدنَا ولم أَعْرِف اســمه، ولَا منطقته، ولَا أي شيءٍ عَنه، أَمَّا الثَّانِي فبقي فِي الزِّنْزَانَة، ظللتُ استرقُ الســمعَ كُلَّمَا تكلَّم لعــلِّي أَعْرِفُ صوتــه، لأنِّي لَا أزالُ مقيَّدَ اليدين، ومعصوبَ العينين، أســمعُه يُنَادِي الجلَاوزةَ بكلماتٍ طيِّبةٍ فأتعجَّبُ له، يُحاوِلُ أن يتحبَّبَ لجلَّاديه فــأزدَادُ عجبًا، بل يُلَاطِفهم، وهو يَئِنُّ من جرَّاء سِــيَاطهم، فمَا كان لي إلَّا أن أصررتُ علَى معرفته، لقَد كان مريضًا بعدَّةِ أمرَاض.

وكان يطلــبُ الذَّهاب إلَى الحَمَّام كثــيرًا، وكان يطلبُ الدَّواءَ من الجلَاوزة، فحِينًا يُجيبونَه بالشَّــتم، وحِينًا يأتون بالــدَّواء، وحِينًا لَا يُجيبونَه البتَّة، وعِندمَا يُجيبونَه يُعَــاوِدُ مُلَاطفتَهم، ولكن مع كلِّ هَذِهِ الأخلَاق العَاليةِ التِي يتعَاملُ بهَا مع جلَّاديه لم يستطع أن يُلَيِّنَ قلوبَهم التِي هِيَ كالحجارةِ بل أشدُّ قسوة.

في أحدِ المرَات سألَه أحدُهم عَن اسمه لكي يُعطِيه الدَّواءَ الخاصَّ به، فأجابه: صلَاح، صلَاح الخواجة. إذَا عُرِفَ السَّببُ بَطَلَ العَجَبُ، إنَّه أستاذ صلَاح الخواجة، أســتاذ صلَاح شخصٌ متواضعٌ وطَيِّب، وذو أخلَاقٍ رَفيعة، وهو ابن المآتمِ والحُســينيَّات، فلَا عَجَبَ من أن

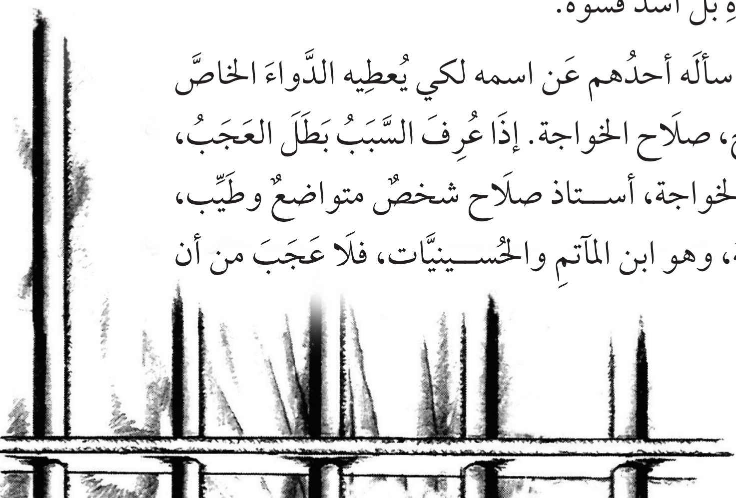

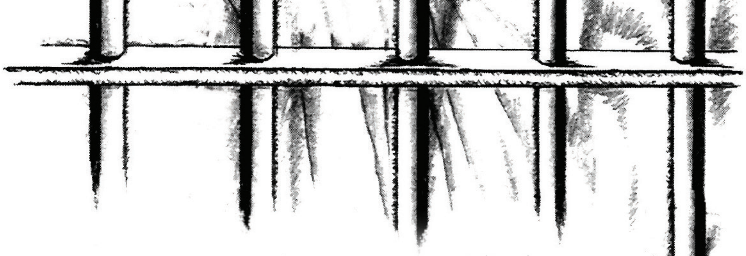

يُعَامِلَ جلَّادِيه بهَذِهِ المعَاملةِ الرَّفيعة.

كان حِيْنَ يُصلِّي يَرفعُ صوتَه حِيْنَ الصَّلَاة، فيَكُون ذكرُ الله بلسانٍ جِرَاحِي، يدعو فِي قُنوتِه (اللّهم أدخِلني فِي كلِّ خيرٍ أَدخلتَ فِيه محمدًا وآلَ محمد، وأَخرِجنا من كلِّ سوءٍ أَخرجتَ منه محمدًا وآلَ محمد) فيعطيني هذَا الدُّعَاءُ طمأنينةً وصبرًا وقوة.

فِي أحدِ الأَيَّامِ جاؤوا له، وأخذُوه للتَّحقِيق، وبعد سَاعةٍ ونصف أو سَاعتين أعَادوه، ولكنِّي لم أسمع مِنه إلَّا كلمةَ (آه). ظلَّ طوال يَوْمِه يَئِنُّ حتَّى أنَّه لم يتنَاول وجبةَ الغدَاء، ولم يقم لأدَاءِ صلَاةِ الظُّهر والعصر، بدَا لي وكأنَّ حالتَه سيئةٌ جدًّا. كلَّما سمعتُ كلمةَ (آه) تأَوَّهتُ فِي قلبي، كانت الـ(آه) التِي تنطلقُ منِّي أهونَ علَى قلبِي من أن أسمعهَا من أحدِ أفرَادِ هذَا الشَّعْبِ المظلُوم المُضطَهد.

وفِي المسَاءِ عِندمَا جلبوا وجبةَ العشاء، انتبهوا لحالِه بأنَّه لَا زال يتأوَّه، فتركوا وجبةَ العشاءِ بجواره وطلبوا منه أن يأكلَ ولكنَّه يُجِيبُهم بالـ(آه).

بعد العشاءِ جاؤوا يأخذون الأَوسَاخَ فوجدوا صلَاحًا لم يأكل شيئًا، فسألوه عَن سَببِ ذلك، فأجابَهم ويبدو التَّعبُ عليه بأنَّه يحتاجُ إلَى المستشفى، قالوا له: كُلْ أولًا، ومن ثم نَنظرُ فِي أمرِ المستشفى، أجابَهم بأنَّه لَا يقوى علَى الطَّعَامِ وهو فِي حاجةٍ للطبيب، سَارع الشُّرطِي إلَى الضَّابِط، وبعد بضعِ دقائقَ جاءَ الضَّابِطُ ليأمرَ صلَاحًا

بالأكل. أجابَه بعدمِ قُدرتِه علَى الأكل، فقالَ الضَّابِطُ: مَاذَا تُرِيدُ إذًا؟ قال صلَاح: المستشفى، أريدُ الطَّبيب، فأنَا مُتعب.

قال الضَّابِط: كُل الآن، لن نستطيعَ أخذك إِلَى المستشفى، غدًا صباحًا سنأخذُك، الآن عليك أن تَأكُل. ظلَّ صلَاحٌ يتأَوَّهُ وأنَا أُنصِتُ لَمَا يدورُ بينهما. بعد كلَامٍ طَويلٍ أكَلَ صلَاحٌ قليلًا من الطَّعَامِ وأعطوه دواءَ السكلر ونَامَ تلك اللَّيلة.

في الصَّباحِ الباكرِ جاؤوا لأخذِه، وأعَادوه عِندَ اقترَابِ وقتِ صلَاة الظُّهر، عرفتُ أنَّهم قَد أخذُوه للمستشفى من سؤالِهم إيَّاه عَن الأدويةِ التِي وُصِفَتْ له من قِبلِ المستشفى. فِي إحدى اللَّيَالي جاؤوا للأستاذ صلَاح، وسألُوه عَن شخصٍ اسمُه مهدي سَيِّد هَادي، فنفى عِلمَه بمَكَانِه، فقالَ له السَائلُ مُهدِّدًا إيَّاه:

تريدُ أن تُضرَبَ لكي تتكلَّم؟ من يَدُلُّ مَنزِله؟

ربمَا شقيقه السَّيِّد عدنَان.

أين سَيِّد عدنَان؟

في البَيتِ الذِي اعتقلتُموني فيه.

زوجتُك هل تَدُلُّ منزِله؟

ربمَا.

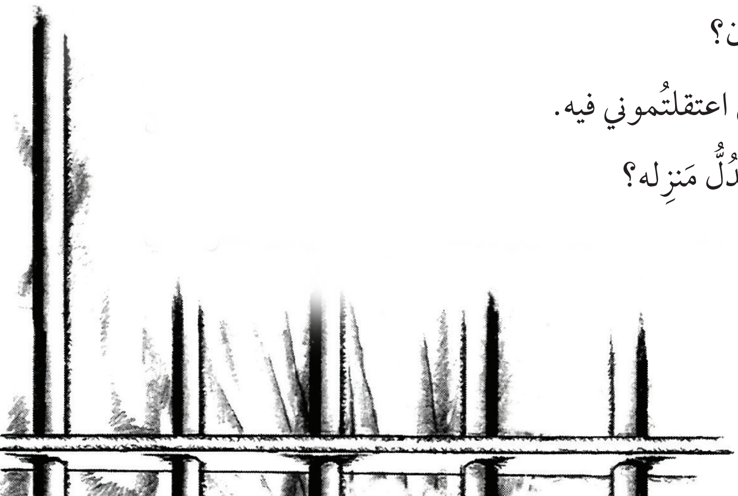

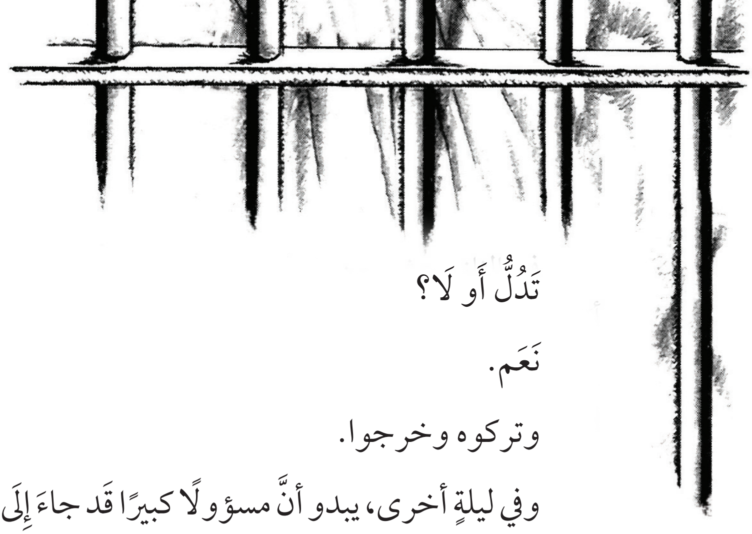

تَدُلُّ أَو لَا؟

نَعَم.

وتركوه وخرجوا.

وفي ليلةٍ أخرى، يبدو أنَّ مسؤولًا كبيرًا قَد جاءَ إِلَى زِيَارةِ السِّردَاب، فجاءَ إِلَى الأستاذ صلَاح، وعِندَ دُخولِهم إِلَى الزِّنْزَانَةِ أَمرُونَا بمواجهةِ الجِدَارِ مع أَنَّنَا معصوبِي الأعين، جاءَ هذَا المسؤولُ ليسأَلَ الأستاذ صلَاح:

هل أَنْتَ صلَاح الخواجة؟

نَعَم.

مَاذَا يقربُ منك عبد الهَادي الخواجة؟

إِنَّه أَخِي.

أَبشِرَا أنتمَا الاثنَان إذًا، سيَكُونُ حِسَابُكمَا عسيرًا.

وذهبَ مع جلَاوزته، عرفتُ فِيمَا بعد أَنَّه رئيسُ جهَازِ الأمنِ الوطني، وقَد جاءَ لتهديدِ الشَّيخ محمد حبيب المقداد والتَّشفِّي منه، وإعطَاءِ الأَوامرِ لتعْذِيبه.

١٦- شجرةُ أرزٍ شائكة:

في الأَيَّامِ الأخيرةِ تَمَّ البحثُ عَن سفرَاتي فعلموا أَنِّي سَافرتُ إِلَى

لبنَـــان، وعلى هذَا الأَسَــاسِ فقَد تَمَّ توجيه عدَّةِ تهـــمٍ لي، التهمُ التِي يُوجِّهونَهَا لنَا ليســـت مبنيَّةً علَى دليلٍ أَو برهَان، بل هِيَ مأخوذةٌ علَى مَحملِ الشكِّ والاحتِمَال، فيتمُ تَعْذِيبُ المتهمِ حتَّى يُقِرَّ بالتُّهمة، وأول تهمةٍ تُوجَّه إِلَى شــيعيٍّ مُسَــافرٍ إِلَى لبنَان هِيَ الانضمَامُ إِلَى حزب الله، وكأَنَّ حزبَ الله ينتظِرُ المتطوِّعين يأتونه من أقطَارِ الأرضِ ليجنِّدهم. سألني المُحقِّق:

لِماذَا ذهبتَ إِلَى لبنَان؟ وكم بقيتَ هنَاك؟

ذهبتُ مرَّةً واحدةً لمدَّة خمســـة أَيَام، وذَلِكَ مـــن أجلِ أُمورٍ تتعلَّقُ بدرَاستي، (قلتُ له بالتَّفصيلِ المُملِّ عَن طبيعةِ درَاستي وغرضِي من السَّفر).

يبـــدو أَنَّه لم يقتنع بمَا قلتُ، وهو دَائمًا يُظهِـــرُ للمتَّهمِ أَنَّه لم يصدِّقه وقالَ بلهجته الأردنية:

«بلِّش كذب»، قُل لِي مع من التقيتَ من أعضاءِ حزب الله؟

لم ألتقِ بأحدٍ منهم.

هل التقيتَ بجهَاتٍ أَو شخصيَاتٍ سِيَاسِيَّة؟

لم أذهب لألتقيَ مع أحدٍ منهم، ولم ألتقِ بأحدِهم، ذهبتُ لغرضٍ من أجلِ الدِّرَاسةِ وعدتُ.

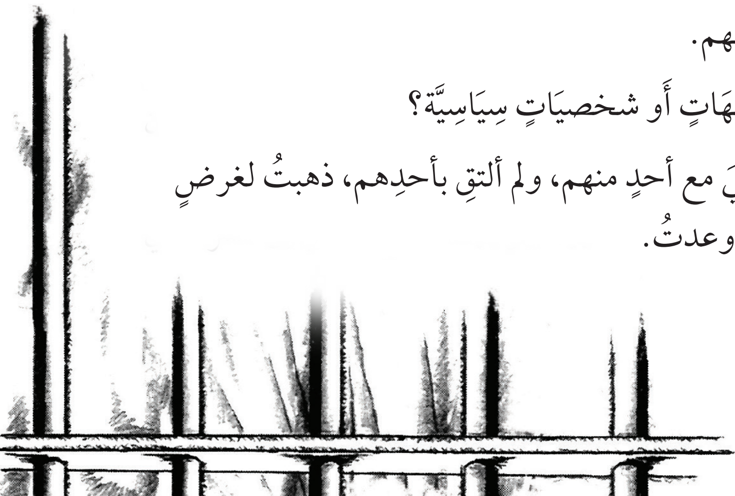

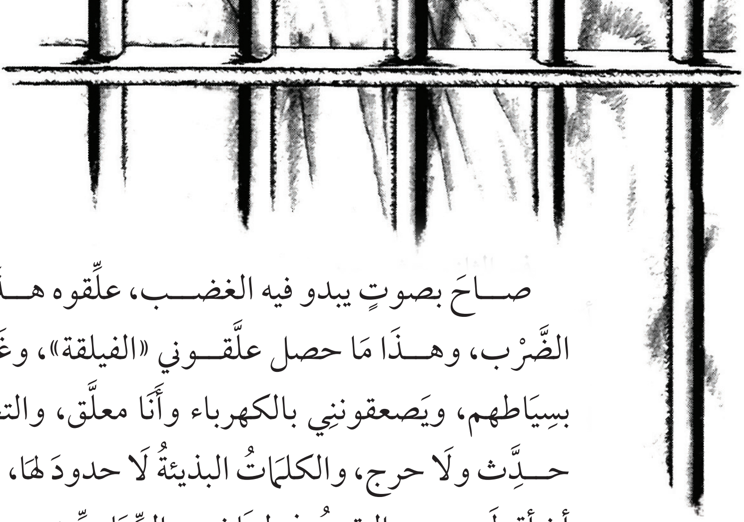

صـــاحَ بصوتٍ يبدو فيه الغضـــب، علِّقوه هـــذَا لَا يفهمُ إلَّا لغة الضَّرْب، وهـــذَا مَا حصل علَّقـــوني «الفيلقة»، وغَـــدَوا يَضرِبُونني بسِيَاطهم، ويَصعقونِني بالكهرباء وأَنا معلَّق، والتحرُّشات الجنسيَّة حـــدِّث ولَا حرج، والكلِمَاتُ البذيئةُ لَا حدودَ لهَا، وهم يطلبون منِّي أن أقولَ مع من التقيتُ فِي لبنَان من السِّياسِيِّين.

أصررتُ علَى كلَامِي، وهم لَا يَعْرِفون كلمةً فِي قاموسِهم جذرهَا (رحم). اســـتمرَّ الضَّرْبُ والتَّعْذِيبُ مِقْدار سَاعتين ونصف، لم يَجِد الجلَّادُ إلَّا كلَامًا واحدًا، فأَنزلونِي ولكن علَى أيِّ حال؟، لَا أقوى علَى الحرَاكِ وأَئِنُّ أنينًا تَتقطَّعُ له القُلوب، ولكن مَا للقومِ من قلوب، كنتُ أظنُّهم بشرًا، ولكن مَا هَذِهِ فِعَالُ بشر.

أَوقفوني كعَادتهم واســـتمرَّ التحقِيقُ معي عَن السَّـــفر إِلَى لبنَان حوالي أربعة أَيَّامٍ متواصلـــةٍ فِي كلِّ يَوْم يأخذونني لغُرفةِ التحقِيق بل التَّعْذِيبِ ويُعيدون نفسَ الأســـئلة، إلَّا أنَّهم زادوا علَى التُّهمةِ الأُولى عدَّةَ تُهمٍ وهي:

التدرّبُ علَى السلَاح.

إيصالُ رسَائلَ إيرَانيَّةٍ وبحرينيَّةٍ لحزب الله.

إرسَالُ متدرِّبين لحزب الله.

وجَّهوا إليَّ تهمةَ العملِ مع المُخابرَاتِ السُّوريَّة، ولكن لم أتعرَّض للضَّرْبِ أَو التَّعْذِيبِ لأجلهَا وإنمَا وُجِّهت إليَّ عدَّةَ أسئلةٍ واتهَامَاتٍ لم

يكن عليهَا أيُّ دليل.

وكلُّ تهمـــةٍ من هَذِهِ التهمِ لَا يوجدُ عليهَا أيُّ دليلٍ علَى الإطلَاق، ولَاقيتُ بسَبَبِهَا عَذَابًا وتَعْذِيبًا يصعبُ علَى البشرِ تَحمُّله، لم أكن أَعْرِفُ متى ســينتهي هذَا العَذَاب، وأنَا لَا أســتطيعُ الصَّبرَ أكثر من ذلك، فلَابدَّ من أن أقولَ لهم شــيئًا يُدِينُني لكي يُــرضِيَ غرورَهم ويكفُّوا عَن تَعْذِيبي، فاخترعتُ لهم قِصَّةَ إرسَـــالِ سِيديَّات إِلَى قناةِ العَالم من أجل نَشرِهم فِي التلفاز، لرفع مظلوميَّة شَعْبِ البحرين. وكان ينبغي أن تحضرَ إجاباتٍ تفصيليَّةٍ لكلِّ ســؤال، فنســجتُ القِصَّةَ فِي ذهني وعِندمَا أخذوني للتَعْذِيبِ مرةً أخرى تركتُهم يَضرِبونني قليلًا، ومن ثم طلبتُ منهم التوقفَ لكي أعلنَ لهم بأنَّني سأعترفُ لهم وقلتُ إنِّي سَافرتُ من أجلِ إيصالِ سِيديَّات لقنَاة العَالم كانت تحتوي علَى أفلَامِ فيديو وأنَاشيدَ وصورٍ عَن الثَّوْرَة. كنتُ قَد اشتريتهم من الدوَّار من بسطَاتٍ تُبَاعُ فيهَا السِيديَّات.

وعِندهَا فقط هدأَ روعُهم وشــعرُوا بنشــوةِ الانتصار، وأَوقفُوا التَّعْذِيــب، وأعَادُوا التَّحقِيقَ معي حوالي أربع مرَّاتٍ أَو خمسٍ للتأكُّدِ من عدم تَغيُّرِ أقوالي. وحِيْنَهَا تركوني وسُجِّلت ضِدِّي تهمةُ التجمهر وتهمةُ بثِّ إشاعَاتٍ كاذبةٍ عَن طريقِ إرسَالِ السِيديَّات لقنَاة العَالم.

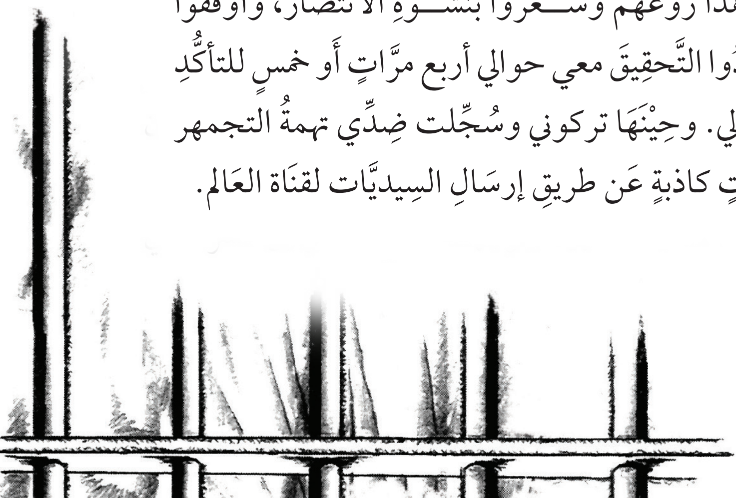

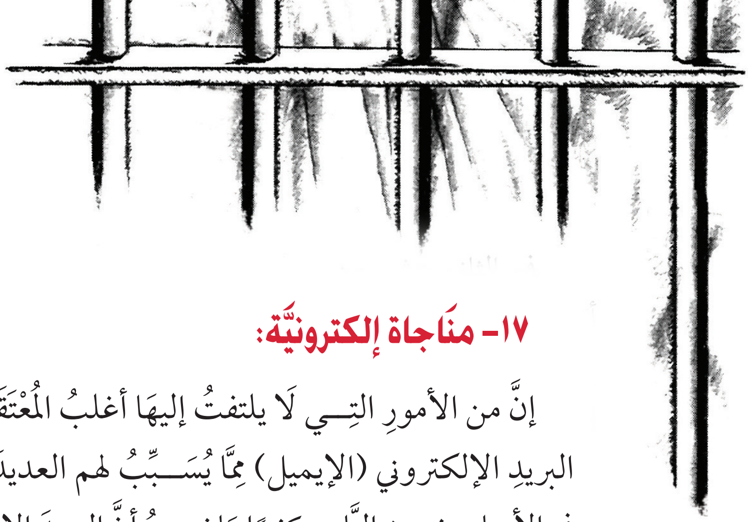

١٧- منَاجاة إلكترونيَّة:

إنَّ من الأمورِ التِـي لَا يلتفتُ إليهَا أغلبُ المُعْتَقلِين هِيَ مسـألةُ البريدِ الإلكتروني (الإيميل) مِمَّا يُسَـبِّبُ لهم العديدَ من المشكلَات، فِي الأحاديثِ بين النَّاسِ كثيرًا مَا نسمعُ أنَّ البريدَ الإلكتروني مُرَاقب، إلَّا أنَّنَا لَا نعيرُ له اهتمَامًا ولَا نتخذُ إجرَاءاتٍ وقائيَّة حيَال ذلك.

إنَّ من الأمورِ التِـي حصلت لِي وللكثيرِ من الأخـوة الذِين تَمَّ اِعْتِقَالهـم هو أن يطلبوا البريدَ الإلكـتروني للمُعْتَقَلِ مع كلمةِ السرِّ الخاصَّة به، وذَلِكَ للإستفادة من أيِّ معلومةٍ قَد يُقَدِّمُهَا البريدُ لهم من الرَّسَائلِ المُرسلة، أَو الرسَـائلِ المحذوفة...إلخ، بل يتمُّ الدخولُ إلَى حسَـابك فِي مواقعِ التَّواصلِ الاجتمَاعي مثل: (الفيس بوك، وتويتر) والبحثُ فيهمَا عَـن كِتَاباتك وتعليقاتك وعلَاقاتِـك وتوجُّهَاتِك السِّيَاسِـيَّة. وعليه فإنَّهم يسـتفيدون من أيِّ معلومةٍ سواء للتحقِيق مع المُعْتَقَلِ أَم لإدَانتـك فِي فترةِ التَّحقِيق أَم تقديمهَا دليلًا للمحكمةِ ضِدَّك.

وأيضًا يتمُّ مصادرةُ كلِّ أجهزةِ الحواسـيبِ القريبةِ منك سـواء كانت ملكك أَو ليسـت كَذَلِك. ويتمُّ البحـثُ فِي كلِّ ملفَّاتِهَا ويتمُّ البحثُ فِي (History) لمعرفةِ المواقعِ التِي تشاهِدُهَا وتشارِكُ فيهَا، والبحثُ عَن أيِّ شيءٍ يدينُ المُعْتَقَلَ حتَّى لو كان تعليقًا صغيرًا علَى أحدِ المواضيـعِ فِي الانترنت. ويتمُّ مصادرةُ أيَّ مخـزَّنٍ للمعلومَات

ســواء كان (Hard Disk أَو Flash memory) أَو أيَّ شيءٍ آخر بحَيثُ يُمْكِنهم من خِلَاله البحث عَن أيِّ شيءٍ يُدِينُ المُعْتَقَل.

أَمَّــا أَنَا فقَد ســألوني عَن بريــدي الإلكتروني فنفيــتُ معرفتي للكمبيوتر وكيفيَّةِ استخدَامه، وخُصُوصًا أنَّهم لم يحصلوا علَى أيِّ شيءٍ فِي منزلنَا يُثبِتُ أنَّ لديَّ كمبيوتر، ولكنَّهم لم يُصدِّقوا قولي هذَا باعتبار «من فِي هَذِهِ الأَيَّام لَا يُوجَدُ لديه بريدٌ إلكتروني، فقاموا بضَربِي ضَرْبًا شَدِيدًا لمعرفةِ بريدي ولكن بعد فترةٍ من الضَّربِ أعطيتهم بريدًا كنتُ قَد استخدمته فترةً من الزَّمنِ إلَّا أنَّني لَا استخدمُه فِي هَذِهِ الفترة.

طلبُــوا منِّي كلمــةَ السرِّ كنتُ قَد نســيتهَا، مِمَّــا جعلهم يزيدون فِي ضَرْبي، ولأنَّنــي لم أكن اســتخدمه منذ فترة لم أتذكَّــر كلمةَ السرِّ ولم يحصلــوا عليهَا، حِيْنَهَا قامــوا بضَرْبي يطلبون منِّــي بريدًا آخر، وكأنَّهم واثقين بــأنَّ لي بريدًا آخر، ضَربُوني ضَرْبًا كثيرًا بنفس الطُّرُقِ والأَسَــاليبِ التِي شــبعوا منهَا لمعرفةِ بريدي الإلكتروني الأول، لم يكن لديَّ بريدٌ آخر لأعطيَهــم إيَّاه، بعد الضَّرْبِ والتَّعْذِيب قال لي: سأجلبُ بريدَك ونحن علَى معرفةٍ به، ولكن نُريدك أن تقولَه لنَا أَنْتَ وحِيْنَ نأتِي به سيَكُون حسَابك عسيرًا جِدًّا معنَا.

لم يحصلوا علَى مبتغاهم من البريد، ولكنَّهم قَد حصلوا علَى الكثيرِ

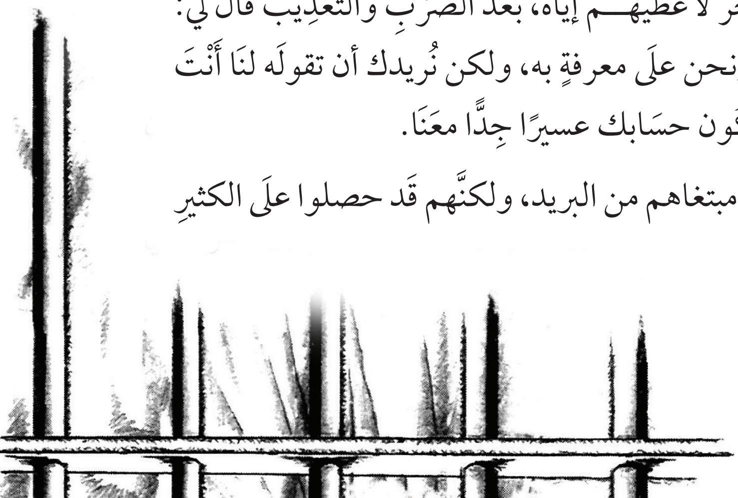

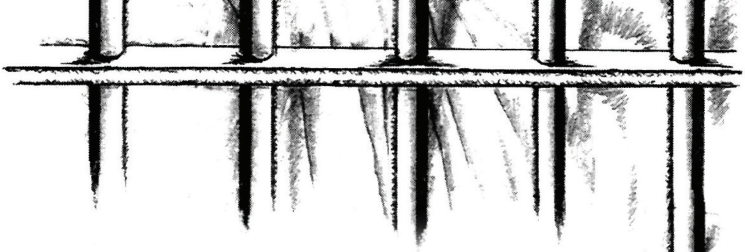

مِمَّا يدين الأخوةَ الذِين كانوا معَنَا فِي السِّــجْن، فقط لأَنَّهم أرســـلوا رِسَـــالةً فيهَا صور الأَحْدَاثِ أَو الشُّـــهَدَاء أَو تَظَاهُرَات أَو أيِّ شيءٍ آخر. وتمَّ الاستفادةُ مِنهَا كدليلٍ ضدَّ المتهمين فِي المحكمة.

ثَلَاثُ سَاعَاتٍ بل أربع، من كلِّ يَوْم، تحقيقٌ، تَعْذِيبٌ، استجْوَابٌ، لمدَّة أســـبوعين كاملين، الأســـئلةُ هِيَ هِيَ، والإجاباتُ ذَاتهَا، وهَذِهِ قطرةٌ من طوفانِ الألَمِ الذِي يحصلُ فِي مبنى وزارة الدَّاخلية (القلعة).

١٨-سوس القضية:

فِي أحدِ الأَيَّامِ تَمَّ اســتدعَائِي لغُرفـــةِ التَّحقِيق، وكان الذِي يُحقِّقُ معي أُرْدُنِي اللَّهجة، فسألني عَن مَدخولِي الشَّهرِي فِي الحوزةِ فأجبته، فقال هذَا لَا يكفيك طبعًا؟

الحمد لله يكفيني.

لِماذَا لَا تُحسِّنُ وضعك الاقتصادي؟

أنَا بحمد الله أســعى لذلك، ولكن حســبَ إِمكَانـــاتي وقُدرَاتي المُتواضِعة.

هل تريدُ أن تدرسَ فِي لبنَان؟

كنتُ أريدُ أن أدرسَ فِي لبنَان.

والآن هل تريد؟

الظروفُ لَا تسمح حاليًا.

نحنُ مُستعدُّون بأن نتكفَّلَ بمصاريفِ دِرَاستك هنَاك وتهيئةِ كلِّ الظُّروفِ لك.

والمقابِلُ مَاذَا؟

مقابل أن تعملَ معَنَا.

أعملُ معكم ؟!

نَعَم تعمــلُ معَنَــا، نريدُك أن تقتنــصَ العلَاقةَ بــين حزب الله والبحريــن، وتعرفَ لنَا من يعملُ معهم، ومَــا هِيَ مُخطَّطَاتهم، ومن يَزورُهم ومن هَذِهِ الأُمور.

لَا، أَنَا لَا أَنفعُكم.

ألا تريدُ أن تخدمَ بلدك؟

أَنَا أخدمُ بلدي بالطريقِ الذِي أَرَاهُ مُنَاسبًا، وهو غيرُ هذَا الطريق، أَنَا غيرُ مُستعدٍ أن أدخلَ هذَا العمل.

نَعَم، لأَنَّك حِمَار، وخَائِــن، وابن متعة، لَا فَائِدةَ فيك، لَا تريدُ أن تُخلِّصَ نفسك.

سأخدمُ بلدِي بالطريقةِ التِي أرَاهَا مُنَاسِبة.

(خاطبهم) علِّقوه، هذَا حيوانٌ لَا يَستحِقُّ التعَاملَ معه كإنسَان.

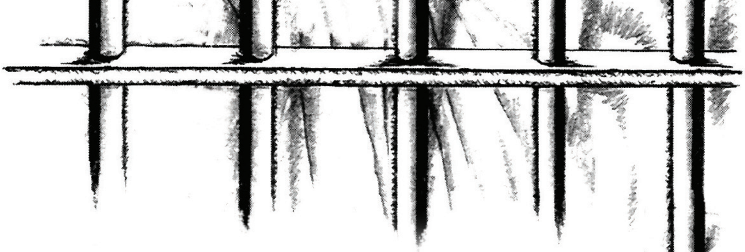

وتـــمَّ تَعليقِي (الفيلقــة) وضَرْبي وصَعقِي بالكهرباء، ومشـــهدُ التَّعْذِيب ذَاته يتكرَّر. عَلِمتُ فِيمَا بعد أنَّ هذَا الطلبَ (العملُ معهم) يُطلَبُ من أغلبِ مُعْتَقَلِي جِهَاز الأمنِ الوطني، فكان بعضُ الشَّـــبابِ يرفضُ ذَلِكَ رفضًـــا قاطعًا، ويحصلُ لهم كمَا حصل لي، وهنَاك بعضُ الشَّبابِ قَد سَايرهم لكي يُخرِجوه من السِّجْن، ولَا أعلمُ هل استمرَّ بعضُهم بالتَّواصلِ معهم أم لَا.

الفصل الخامس:

وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي

وطني آمنٌ بأهله:

في إحدى جَلسَــاتِ التَّحقِيق والتَّعْذِيب، بعــد أن عجز المُحقِّق من انتزاع مَا يريدُ من اِعترَافات، أَخَذَ يُهدِّدني بأنَّه ســيكثِّفُ الضَّرْبَ والتَّعْذِيب، وأنَّه فِي حالِ عدمِ تعَاوني معه سيضطرُّ إِلَى إِرسَالي للجيش ليقومَ بدورِ التَّحقِيق معي.

وعــلى إِثره قامَ بلصقِ مُلصــقٍ علَى ظهرِي لَا أَعْــرِفُ مَا مُحتَواه، ولكنَّــه قالَ بأنَّه مُلصقٌ يُبيِّنُ للجلَاوزةِ أنَّ هذَا المُتهمَ يَجِبُ التَّشَــدِيدُ عليه، وإرسَــاله إِلَى الجيش. كلُّ هذَا الــكلَامِ كان من أجلِ إرعَاب المُعْتَقلِ وتخويفه.

بعد وضعِ المُلصقِ أرســلَ بعضَ جلَاوِزتــه ليَضرِبوني فِي فترَاتِ وقــوفي أيضًا، ولكن غباءُ أحدِ جلَاوِزته كشــفَ مَا كان مكتوبًا علَى المُلصق. جاءَني وقالَ لي ردِّد (ســتبقَى البحرينُ واحةَ أمنٍ وســلَام،

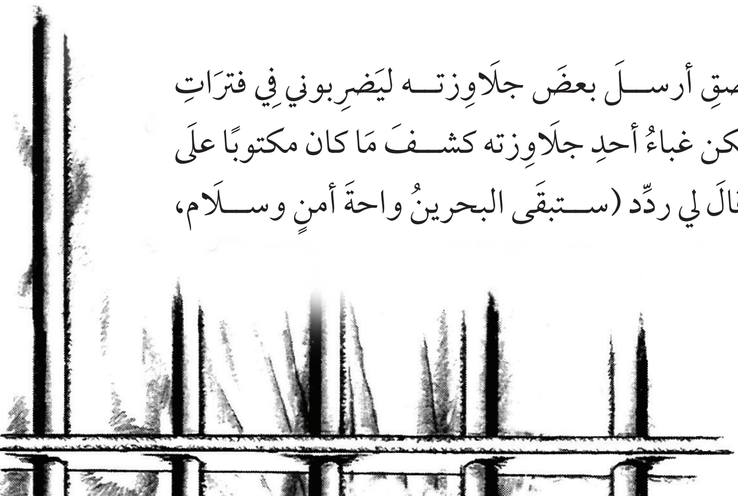

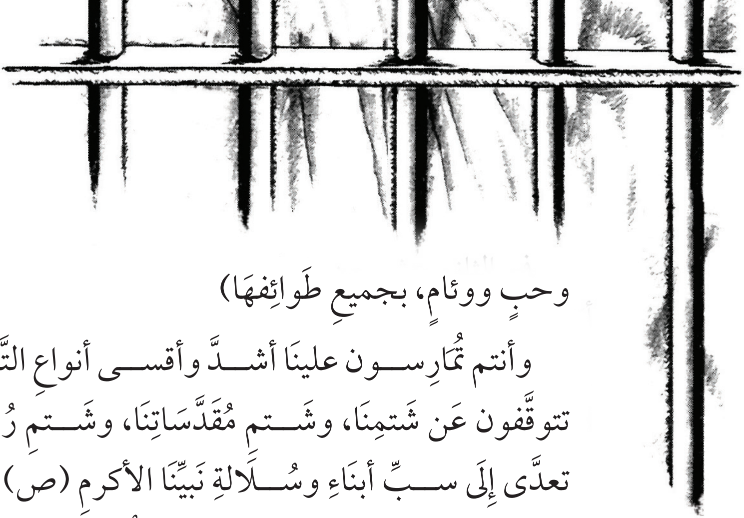

وحبٍ ووئامٍ، بجميعِ طَوائِفها)

وأنتم تُمَارِسون علينَا أشدَّ وأقسى أنواعِ التَّعْذِيب!، وأنتم لَا تتوقَّفون عَن شَتمِنَا، وشَتم مُقَدَّسَاتِنَا، وشَتم رُموزِنَا الدِّينِيَّة، بل تعدَّى إِلَى سبِّ أبناءِ وسُلَالةِ نَبيِّنَا الأكرم (ص) وعترته الطَّاهرة، من أجلِ إغضابنَا واستفزازنَا، كيف يَكُون ذلك؟، وأنتم تتحرَّشون بِنَا جنسيًّا، وتُهينوننَا، وتنزعون ملَابِسنَا لأَيَّام، من أجلِ الحطِّ من كَرامتِنَا، لو أنَّكم توقَّفتم عَن اِعتدَاءاتِكم، وتوقَّفتم عَن انتهَاكاتِكم، لصدَّقكم بعضُ البُلَهاء، فكيف وأنتم فِي الحِيْنِ الذِي تُمَارِسون فيه كلَّ هَذِهِ الانتهَاكاتِ تتلفَّظون بِهَذِهِ الألفاظ!

جاءَنِي أحدُهم كعَادتِه وسألَني:

مَا اسمُك؟

سَيِّد مُرْتَضَى.

قِف، وشَدَّنِي من يدي، وقَالَ لي أَنْتَ رقم (٢٤) فاهِم؟

حسنًا

جرَّني ظننتُ أنَّه سيأخذُني إِلَى غُرَفِ التَّعْذِيب مرَّةً أخرى، إلَّا أنَّني استشعرتُ طريقًا مُختلِفًا غيرَ الذِي نسلكُه فِي كلِّ مرَّةٍ منذ حَلَلْنَا ضيوفًا فِي هذَا المَكَانِ المُوحِش. وصلتُ إِلَى دَرَجٍ سبقَه بابٌ يُفتَحُ بِجهَاز، دخلتُ فِي مَكَانٍ علمتُ أنَّ فيه مُعْتَقَلِين آخرين معي فِي نفسِ المَكَان، فقَد سألوهم عَن أرقامِهم، وصلَ السَّائلُ لي فقلتُ له (٢٤).

من الرمضاء إِلَى النَّار:

أَعطَـاني نعلًا، لأولِ مـرَّةٍ بعد (١٥) يَوْمًا ألبـسُ النِّعَال، ولكن بسَـبَبِ تورُّمِ قَدمَاي وانتفاخهما كان النعــلُ ضَيِّقًا جدًا. وكان لِبسُ النَّعلِ يُؤذِيني ويُؤلمُني، طلبَ منِّي شرطيٌّ باكستاني اللَّهجةِ أن أُمسِكَ حاجزًا علَى جنبِ الــدَّرج، وأصعدَ إِلَى أعلى، وأن يَكُونَ هذَا الحاجزُ دليلي إِلَى طريقي، ذَلِكَ أنِّي لَا أرى شيئًا لأنِّي معصوبُ العينين.

ركبتُ إِلَى أعلى الدَّرج، استلَمني آخرُ وسألَني عَن رَقمِي فأجبته، أَخذَني إِلَى فضاءٍ مفتوح، شعرتُ بهواءٍ طبيعيٍّ يُدَاعِبني، ونَسيم الهواءِ يُواسِـيني، إنَّهَا رَائِحةُ الحُرِّية، ولكنَّنَا لَا زِلنَا فِي السِّـجْن، عَلِمتُ أن هنَاك سيَّارَاتٍ كثيرةً فِي المَكَان، وهنَاك مُعْتَقَلِين آخرين معي، وهنَاك شُرْطَةً وبَلطَجِيَّةً كثرًا معنَا. جَرَّنِي أحدُهم، وأَركَبنِي حافلةً وأَجلَسنِي علَى كُرسِي، وكان بجانبي سـجينٌ آخر، هدَّدونا بأن لَا نتحدَّث مع بَعضِنَا البعض، وأنَّهم لَا يريدون أن يسمعُوا لنَا نفسًا.

لم نكن نعلمُ إِلَى أين نَتَّجه وإِلَى أين يأخذوننَا، ربمَا إِلَى النِّيَابة، وربمَا إِلَى الجيشِ الذِي طَالمَا هدَّدونَا به، وربمَا إِلَى ربِّهم الجديد «السـعودية» الذِي مَا فَتِئوا بتهدِيدنَا بإِرسَالِنَا إِلَى هنَاك.

إِكتَملَ العددُ فِي الحافلَاتِ التِي سـتقلُّنَا، تَمَّ تشـغيلُ المُحرِّكات،

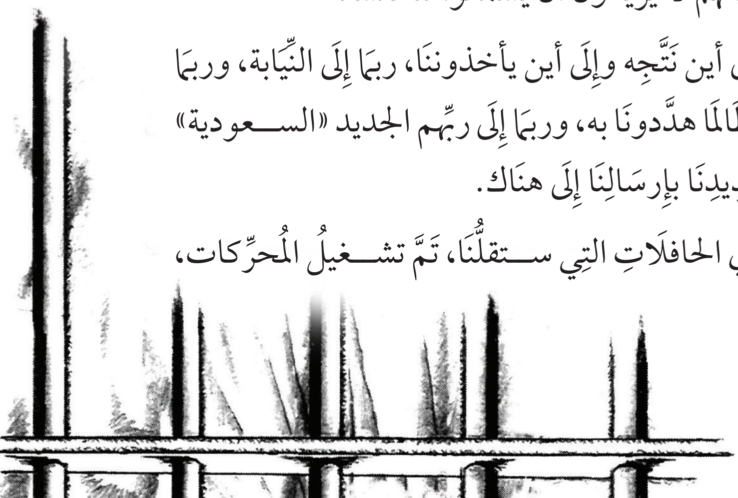

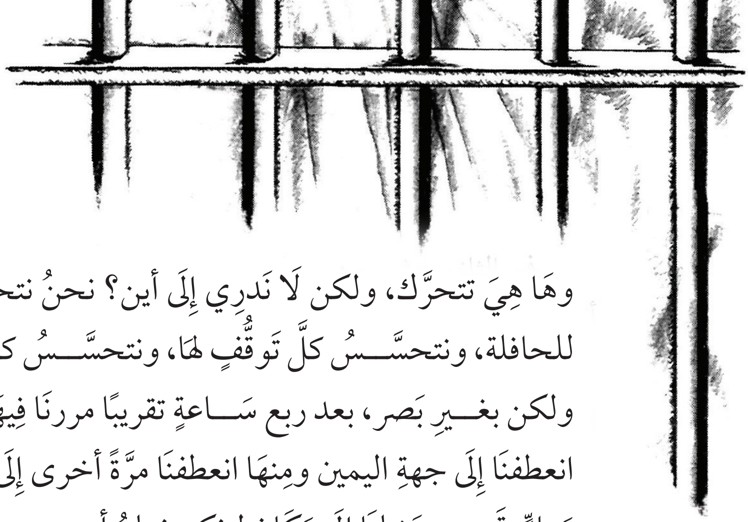

وهَا هِيَ تتحرَّك، ولكن لَا نَدرِي إِلَى أين؟ نحنُ نتحسَّسُ كلَّ انحنَاءٍ للحافلة، ونتحسَّسُ كلَّ تَوقُّفٍ لهَا، ونتحسَّسُ كلَّ طريقٍ نَمرُّ فيه، ولكن بغيرِ بَصر، بعد ربع سَاعةٍ تقريبًا مررنَا فِيهَا علَى جسرٍ ثم انعطفنَا إِلَى جهةِ اليمين ومِنهَا انعطفنَا مرَّةً أخرى إِلَى اليمين فِي طريقٍ رَملِيٍّ قَصِير، دَخلنَا إِلَى مَكَانٍ لم نكن نعلمُ أين هو، وقفَت الحافلَات، وقاموا بإنزالِ الموقوفين، يسألون كلَّ موقوفٍ عَن رقمِه ويُنَزَّل.

أذكرُ أنَّنَا طوال الطَّريقِ كُنَّا نسمعُ إِذَاعةَ البحرين، تُذِيعُ بعضَ البرَامجِ التِي تُحرِّضُ علَى قَتلِنَا، وتَصفِيَتِنَا، وسمعتُ قصيدةً يقول مُلقِيهَا: «لَا ينفعُ معهم إلَّا حدُّ السُّيوفِ وطَلقُ البنَادق»، وكان الشُّرْطَةُ يسخرون مِنَّا طوال الطَّريق، عِندمَا بَدَأُوا بإنزالِ الموقوفين من الحافلةِ كان الشُّرْطَةُ يقفون صفًّا ليضربوا الموقوفَ إِلَى أن يصلَ إِلَى البابِ ويسألونه عَن اسمه ويعطونه رقمًا جديدًا.

وصلَ دوري نزلتُ من الحَافِلة، استَلمتنِي الرَّكلَاتُ والصَّفعَاتُ والشتائمُ إِلَى أن أَوصلتني إِلَى البابِ، سُئِلَ من هو قبلي:

مَا اسمُك؟

حميد الصافي.

رقم (٩).

وأنت مَا اسمك؟

سَيِّد مُرْتَضَى مجيد.

رقم (١٠).

اقتادني أحدُهــم ولَا زلتُ معصوبَ الأعــين، ولَا زال القيدُ فِي يــديّ، ولَازال مصيري مجهــولًا. أَدخلونِي مَكَانًا بــاردًا، والأرضُ مُبلَّطة، أَجلســونِي علَى الأرض، وأَســمعُ بين الحِينِ والآخرِ أنَّهم قَد جلبوا أحدًا آخر، ويُجلِسونه بالقربِ منِّي.

لقاء بعد هجرة:

عِندمَا تَمَّ توزيعُنَا، جاؤوا ليســجِّلوا أســمَاءَنا ومنَاطِقَ سَــكنِنَا ومعلومَاتٍ عَامَّةً عَنَّا.

سُئِلَ أحدُهم: مَا اسمك؟

محمد رضا علوي.

سألني مَا اسمك؟

سَيِّد مُرْتَضَى مجيد رمضان.

أنت مَا اسمك؟

(س.ق).

وأنت؟

(س.ش).

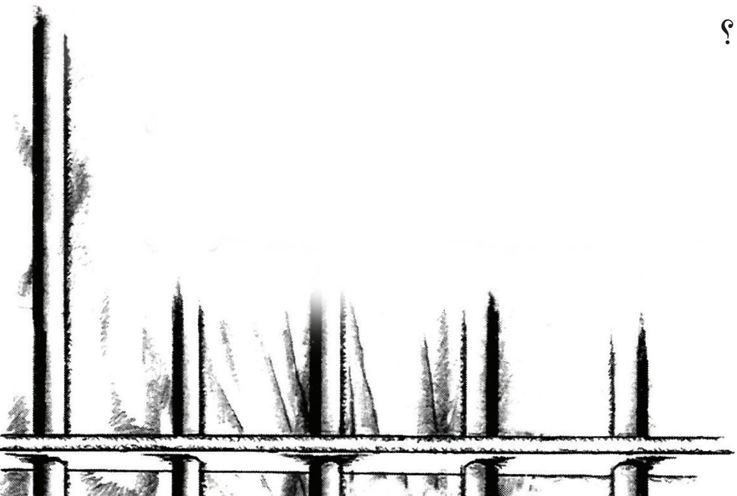

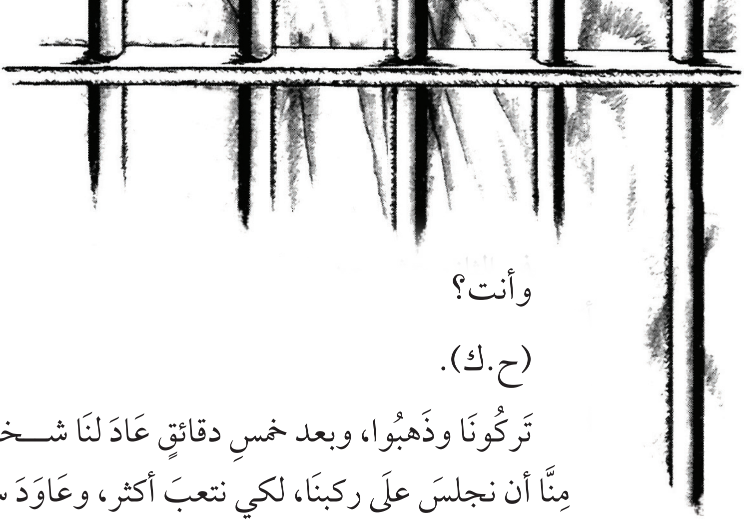

وأنت؟

(ح.ك).

تَركُونَا وذَهبُوا، وبعد خمسِ دقائقٍ عَادَ لنَا شــخصٌ آخر، وطَلَبَ مِنَّا أن نجلسَ علَى ركبنَا، لكي نتعبَ أكثر، وعَاوَدَ سؤالنَا عَن أسمَائِنا ومنَاطِقَ سكنِنا ووظائِفنا.

مَا اسمك، ومن أيِّ منطقةٍ، ومَاذَا تعمل؟

محمد رضا علوي، من سترة، أعملُ فِي شركةِ المؤيد.

وأنت؟

سَيِّد مُرْتَضَى مجيد، من سند، ولَا أعملُ بل أَدرُسُ.

ومَاذَا تَدرُس؟

أَدرُسُ دِين.

انقضَّ عليَّ بالضَّرْبِ ومَسَكَ لحيتي وشَــدَّهَا بقوَّةٍ قَائِلًا: سأنتفُ لحيتَك شعرةً شعرة. أين تَدرُسُ؟

في قم.

إيرَان؟

نَعَم.

يعني أَنْتَ مُتدرِّبٌ علَى السِّلَاح؟

لَا.

ستتكلَّمُ قريبًا وستقولُ الحقيقة.

نَادَى بعــضَ رُفَقَائِه، وجــاؤوا يَضرِبونني، ويســحبون لحيتي ويقولون اعترف فِي أيِّ مُعسكرٍ تَدرَّبت؟

لم أَتدرَّب لَا علَى ســلِاحٍ ولَا غيره، أَنَا أَدرسُ دِرَاسَاتٍ إِسلَاميَّةً فقط.

(ضَربونِي) ومن ثمَّ واصلوا سؤالَهم: وأنت؟

(س.ق)، من سترة، أعملُ فِي معهد.

وأنت؟

(س.ش)، من المرخ، أعملُ فِي وزارةِ الكهرباء.

وأنت؟

(ح.ك)، من بني جمرة، أعملُ فِي وزارةِ الزرَاعة.

لَا زِلنَا معصوبي الأعين، تَركُونَا، وبعد نصف سَاعة تقريبًا سمعنَا أصواتَهم تَقترِبُ مِنَّا، صرخَ أحدُهم هيَّا قوموا.

قُمنَا فاقتادونَا إِلَى حمَّامَاتِ السِّباحة، وطلبوا مِنَّا أن نستحمَّ بسرعةِ الــبرق، أدخلونَا الحمَّامَات وطلبــوا مِنَّا أن نَنزِعَ مَــا يُغطِّي أَعينَنَا فِي

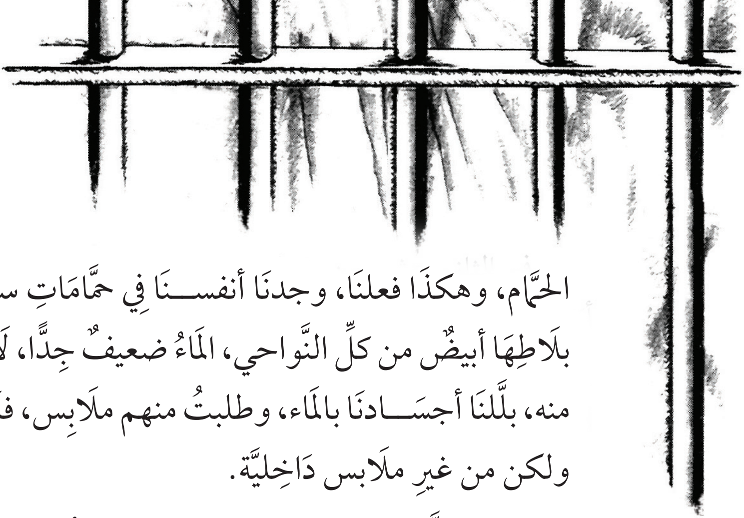

الحَمَّام، وهكذَا فعلنَا، وجدنَا أنفسـنا فِي حَمَّامَاتٍ سباحةٍ ضيِّقة، لون بلَاطِهَا أبيضٌ من كلِّ النَّواحي، المَاءُ ضعيفٌ جِدًّا، لَا يكادُ يصب المَاء منه، بلَّلنَا أجسَـادنَا بالمَاء، وطلبتُ منهم ملَابِس، فأعطوني ثوبَ نومٍ ولكن من غيرِ ملَابس دَاخِليَّة.

رُمِيَت الثَّـوبُ من أعلَى الحَمَّام، اضطررتُ إِلَى لبسِ نفسِ الملَابس الدَّاخِلية، وطرقتُ بابَ الحَمَّام، فطلـبَ مِنِّي أن ألبسَ العصابةَ علَى عيني، لبسـتهَا ومن ثمَّ اقتادني أَحدُهم إِلَى مَكَانٍ مَا، وأَجلسنِي علَى البلَاط، كنتُ أعلمُ بوجودِ آخرين معي، يُصِيبُهم مَا يُصِيبُني، تركونا وخرجوا عنَّا.

يبدو أنَّهم يأخـذون بقيَّـةَ المُعْتَقَلِين لنفسِ العمليَّـة، بعد خمسٍ وأربعين دقيقة تقريبًا سـمعتُ صوتَ الأذَانِ يعلو، جاءَ الملثمون من رجالِهم، وفكُّـوا مَا علَى أعيننا، وخَرجُوا وطَلبُوا مِنَّا أن لَا نلتفتَ إِلَى الورَاء، بل علينَا أن نواجه الجِدَار، سمعتُ البابَ يُغلَقُ أَدرتُ رَأسِي وإِذَا بِي أرى شـبابًا يَجمَعُنِي معهم جِدرَان زِنْزَانَة، منذ خمسـة عشر يَوْمًـا، لم أرَ بشرًا، فرحتُ جِدًّا، وفَرِحَ الأخـوةُ الذِين معي، أسرعنَا نُقبِّلُ بعضنَا بعضًا، ونَضمُّ بعضنَا بعضًا، نُصبِّرُ بعضنَا بعضًا بكلمَاتِ (منصورون بإذن الله)، (اصبرُوا إنَّ الله لن يُخيِّبَ تضحيَاتنَا)، (الحمد لله علَى السلَامة)، ولَكنَّهَا فرحةٌ لم تدم طويلًا، كان أحدُهم يُطِلُّ علينا من فَتحـةٍ فِي الباب، أَسرَعَ لأَصحابِه ليُخبِرَهـم بجَرِيمتنَا الكُبرى، وهي أَنَّنَا سلَّمنَا علَى بَعضِنَا البعض!.

جاؤوا كَالكِلَابِ المسعورة، وفَتحُوا الباب، وانقضُّوا علينَا ركلًا، وصفعًا، وسطوًا بسِيَاطِهم، وقامُوا بسبِّنَا، وشَتمِنَا، أخذَ أحدُهم برأسي وظلَّ يَضرِبُ بِه عرضَ الحَائِط، كنتُ أقلَّ المضروبين فقَد أَوسعُوا أخوتي الجدد، -المُعْتَقَلِين مَعِي فِي الزِّنْزانَة- ضَرْبًا قَاسِيًا، وأخبرونَا بأَوَّلِ قانونٍ فِي هذَا المَكَان: «أن الكلَامَ ممنوعٌ مع بَعضِنَا البعض».

ابتسَامنَا الأَول:

خرجوا من الزِّنْزَانَةِ وظلَّ أحدُهم يُرَاقِبُ حركتنَا من فتحةِ الباب، إلّا أنَّه لم يحصل علَى أيِّ سَببٍ ليُعَاوِدَ ضَربنَا، لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَّا قَد أعطى ظهرَه للآخر، ولم يُكلِّم أيٌّ مِنَّا الآخر، بعد دَقائق دَخَلَ أحدُهم وطَلبنَا منه الصَّلَاة، وسَألنَاهُ عَن جِهةِ القبلة، فأَرشَدَنَا بالإشارةِ ولم يُكلِّمنَا.

صلَّينَا صلَاةَ المغربِ والعشاءِ ورجعَ كلُّ واحدٍ مِنَّا إِلَى مَكَانِه، إِلَى أن أَحضرُوا العشَاء، تَنَاولنَا وجبَةَ العشاءِ الأُولى ونحنُ نُبْصِرُ مَا حَولَنَا، نُبْصِرُ مَا نَأكُل، استلقينَا علَى الفِرَاشِ الذِي جهَّزوه لنَا، وإذَا بأَحدِهم يدخلُ ويأخذُ ثلَاثةً من أصلِ خمسة، وأَخرَجهم من الزِّنْزَانَة، ظننتُ أنَّهم سيُعَاوِدون وَجباتِ التَّعْذِيب، من أجلِ مُواصلةِ

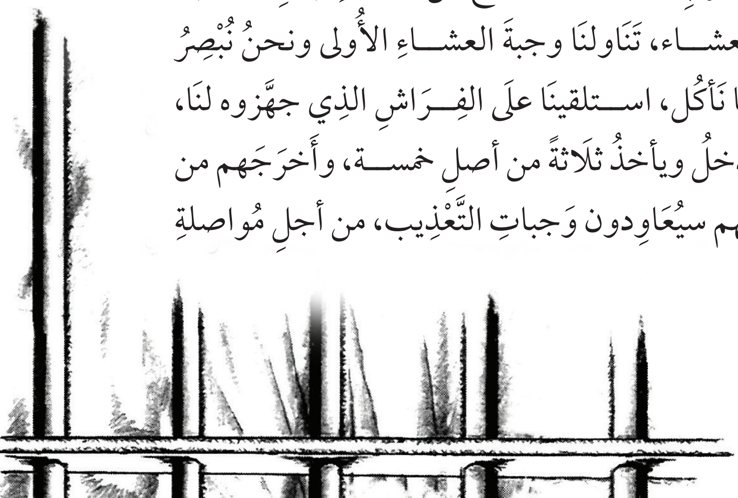

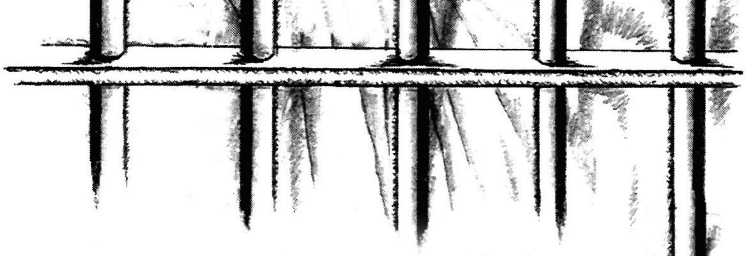

التَّحقِيق، بقيتُ أَنَــا و(س.ش) فِي الزِّنْزَانَة، أَمَّا البقيةُ فقَد أُخِذوا إِلَى حَيثُ لَا نعلم.

كُنَّا أَنَا و(س.ش) نتبادلُ الابتسَــامةَ من بعيد، ولكن من غيرِ أن نَتكلَّمَ بأيِّ كلمة، وكُنَّا علَى حذرٍ من أن يَكتشِــفوا ابتسَــامتنَا فتكُون وَبَــالًا علينَا. بعد نصف سَــاعة تقريبًا أَعَــادُوا (س.م)، و(ح.ك)، رَأينَا مَلَابِسَــهمَا مُبلَّلةً بالمَاء، سألنَاهم بالإشــارةِ إِلَى أين أَخذُوكم؟ فأجابوا لغســلِ الملَابس، هَدَأَ روعُنَا، مَا هِيَ إلَّا لحظاتٌ وفُتِحَ البابُ مرَّةً أخرى، أَدخلُوا علينَا شــخصين يبدو علَى مَظهرِهمَا آثارُ «المَهَانةِ والضَّرْب»، دخــلَا الزِنْزَانَةَ وانفتحت أَسَــاريرُهمَا وبَــدَءَا بتوزيع ابتسَــامَاتِهمَا العَرِيضة، وفَرِحُوا جِدًّا عِندمَا شــاهدوا (س.م)، الذِي اتَّضحَ لنَا فيمَا بعد أَنَّهــمَا أبناءُ خالته «حامد إبرَاهيم المدهون، وخليل إبرَاهيم المدهون».

علَّمنَاهُمَا بالقانــونِ الذِي عَلَّمُونَا إِيَّــاه وهو: «ممنوع الكلَام فيمَا بيننَا». مَــا هِيَ إلَّا لحظاتٌ وأَدخلُوا (س.ق) الــذِي أُعتُقِلَ فِي منزل المدهون هو الآخر أيضًــا، ضَحِكَ حامد وخليل، طَلَبنَا منهم إخفاءَ ضَحكاتِهم كي لَا تَنقلِبَ إِلَى بكاء.

بَقِينَــا فِي تلك اللَّيلةِ التِي رأينَا فيهَا وجــوهَ البشرِ للتَّو، بعد عُتمةٍ طويلــةٍ نتبادلُ فِيهَا الابتسَــامَاتِ بحذرٍ كبير، نَعَم هنَاك شــخصٌ لم يُشــارِكنَا حتَّى الابتسَامة، حَيثُ غطَّى وجهَه باللِّحافِ وقَابَلَ الجِدَارَ

تحَاشِيًا للضَّرْبِ الذِي قَد يحصلُ عليه إذَا رآنَا أحدُهم نَتبَسَّم!

غطَّت أَعينُنَا فِي النَّومِ بـدون أن يَحجِبَ النُّورُ عَنهَا أيَّ شيء، كان الأملُ يَرتَسِـمُ علَى وجوهنَا، وكان أثرُ الألَمِ يَتـوزَّعُ زُرقَةً وحُمرَةً علَى جميعِ أَجسَـامِنا، نُمنَا نَومًا عَمِيقًا وَددنَا لو أَنّنَا نستيقظُ فيَكُون كلَّ مَا عِشنَاه، وكلَّ مَا رَأينَاه حلمًا مزعجًا ينتهي بانتهَاءِ نَومِنَا.

قانون بين الأخذ والرد:

في اليَـوم التالي تبدَّلت نوبةُ عملِ الشُّرْطَة، فكانوا يَتكلَّمون معَنَا، ويسمحون لَنَا بالتحدُّثِ مع بَعضِنَا البعض، ظننَّا أن الأَوامرَ تبدَّلت، إلَّا أنَّنَا اكتشـفنَا فِيمَا بعد أن الأَمزِجَةَ هِيَ التِي تَحْكُمُ كلَّ نَوبَةِ عمل، وعَلِمنَا من أحدِ الشُّرْطَةِ أن هنَاك أَوامرَ أُعطِيت للشُّرْطَة، بأن يَذلُّونَا ويَشتِمونَا بسَـبَبٍ أَو بدون سَبَب، وعليه انقسـم الشُّرْطَةُ إِلَى ثلَاثةِ أقسَام:

يَضرِبنَا بلَا رحمةٍ للتَّشفي وإفرَاغِ حقده وتنفيذًا للأَوامِر.

يَضرِبنَا بلَا رحمةٍ ولكن تنفيذًا للأَوامِر فقط.

لَا يَضرِبنَا ولَا ينصاعُ للأَوامِر.

والقسـمُ الثَّانِي هو الشريحةُ الأكبَرُ من بين رِجال الشُّرْطَة، ويليهَا

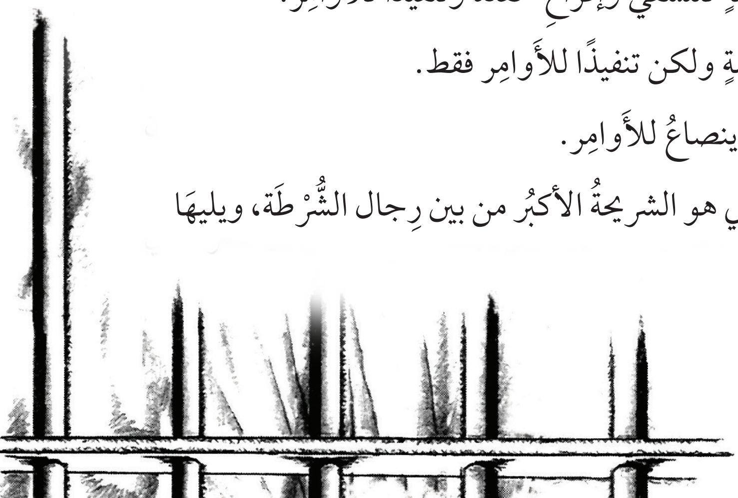

القِسمُ الأَول، ومن ثمَّ الثالث. تحدَّثنَا فِي اليوم الثَّانِي مع بَعضِنَا البعض لنسألَ عَن قضايَا بعضنَا البعض فكان كالتَّالي:

(س.م)، و(س.ق)، وحامد وخليل إبرَاهيم المدهون، تَمَّ اِعْتِقَالُهم من بيت إبرَاهيم المدهون، وذَلِكَ حِينَ ذَهبُوا لِاعْتِقَالِ حامد بتهمةِ اختطَافِ شرطي، وَجدُوا بَقِيةَ الأخوةِ مع بعضِ أقربائِهم فِي نفسِ المنزلِ فتمَّ اِعْتِقَالُهم وعددهم ١١ شخصًا.

أَمَّا (س.ش) و(ح.ك) فهمَا رَهَائِنُ حتَّى يُقبَضَ علَى سمَاحة العلَامة الشيخ محمد علي المحفوظ، الأَوَّلُ هو زوجُ ابنته، والثاني هو زوج ابنة أخته، إن قرَابتهمَا للشيخ المحفوظ هِيَ تُهمتُهمَا ولم يَكُونَا لوحدِهمَا بل تَمَّ اِعْتِقَالُ الكثيرِ من أقاربِ الشيخ المحفوظ؛ للضغطِ عليه لكي يُسلِّمَ نفسه.

وأنَا سَابعُ المُعْتَقَلِين فِي زِنْزَانَة رقم (١٠)، التِي لم نَعرِف فِي أيِّ سِجْنٍ هِيَ إلَّا بعد مرورِ شهرٍ ونصف تقريبًا، حَيثُ عرفنَا أَنَّنَا فِي سِجْنِ الحوضِ الجاف العَنبرِ العَاشر، التَّابع لِجهَازِ الأمنِ الوطني. عَرفنَا ذَلِكَ من شرطي عَن طريقِ الصدفة، ولم يكن هناك قرَارٌ بإعلَامِنا بمَكَانِ تَوقِيفنَا.

وبالنِّسبةِ إِلَى نَوبَةِ العملِ التِي وصلنَا بهَا إِلَى هنَا كانت هِيَ أسوأَ نوبة، حَيثُ أن كلَّ شيءٍ ممنوعٌ حتَّى الكلَام مع بعضنَا البعض، وكان منهم من يَضرِبنَا بسَببٍ أَو بدونِ سَبَب، ويُوجِّه لنَا السباب والشَّتم

والإِهَانَات.

كُنَّا نظنُّ أن بنومِنَا فِي نَوبتِهم ســـننجو من شَرِّهم، إلَّا أنَّهم قَامُوا بإِيقاظِنَا بصُرَاخ ورَكلٍ من أجـــلِ إدخالِ الرُّعبِ فِي قُلوبِنَا، بل كانوا يقولـــون إنَّ النَّومَ ممنوعٌ إلَّا فِي الليـــل، وفي الليلِ يأتون ويصرخون، ويضربـــون، وكلُّ ذَلِكَ لِماذا؟ لأنَّهم عِندمَـــا يُطلُّون علينَا من الفتحةِ التِي فِي الباب لَا نَقِفُ علَى أَقدامِنَا مُطَأطِئي الرؤوس.

وفي يَـــومٍ من الأيَّامِ جَاءَ أحدُ الجَـــلَاوِزةِ وأَخبرَنَا ببعضِ القوانينِ الجديدةِ:

لَا يُسمَحُ بالصَّلَاةِ علَى تُربَةٍ أَو علَى الورقِ وغيره بل يَنبغِي الصَّلَاةُ علَى البلَاطِ فقط.

يُمنَعُ تَركُ بَقايَا الطَّعَامِ من الإفطَارِ إِلَى وقتٍ آخر.

يُمنَعُ وَضعُ أيِّ شيءٍ غير الوِسَادةِ والفِرَاشِ واللِّحاف.

وإن العقوبةَ ستكُون قاسيةً جِدًّا لمن يُخالِفُ هَذِهِ القوانين، بالنِّسبةِ لِي فمنذ اليَومِ الثَّانِي رأيتُ تربةً حُسينيَّةً مُخبَّأَةً فوق المُكيِّفِ الذِي فوق رأسِي عند النَّـــوم. أَخذتُ التُّربَةَ وفِي وقتِ الصَّلَاةِ غَدَوتُ أَســـجدُ عليهَـــا وأُخفِيهَا كُلَّمَا رفعتُ رَأسِي عَنِ الأرض، وكنتُ ســـعيدَ الحظِّ حَيـــثُ أُصلِّي بتربةٍ فِي مَكَانٍ مُنِعَ عَنَّا أبســـطُ الحقوقِ الإِنسَـــانيّة، من

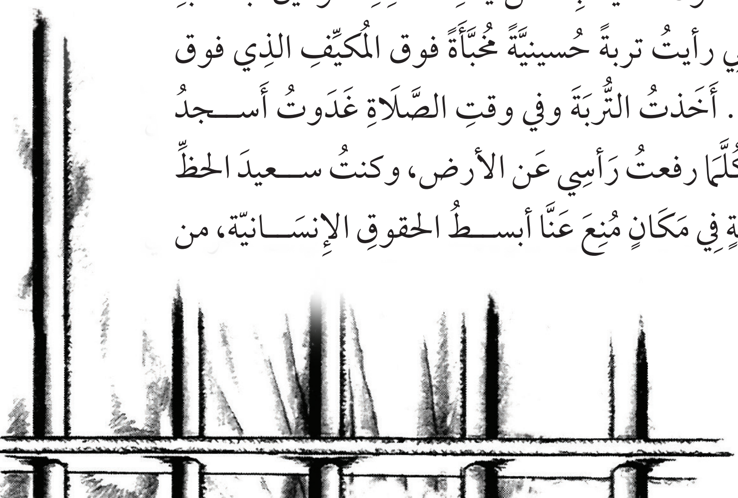

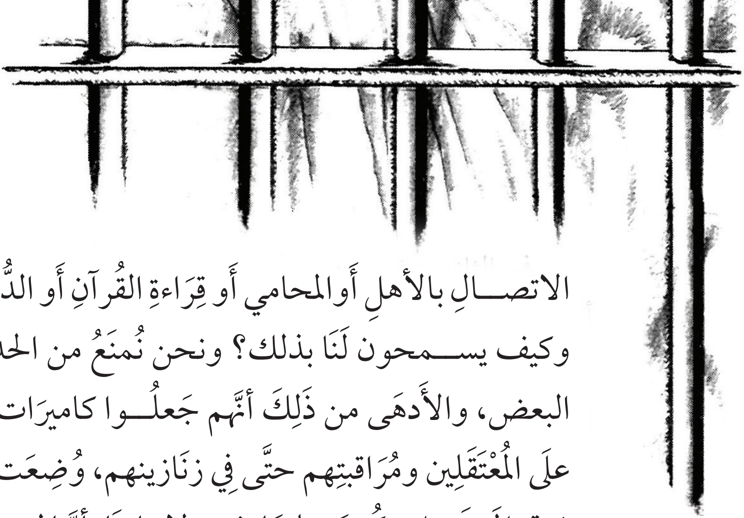

الاتصـــالِ بالأهلِ أَوالمحامي أَو قِرَاءةِ القُرآنِ أَو الدُّعَاءِ أَو أيِّ كِتَاب، وكيف يســـمحون لَنَا بذلك؟ ونحن نُمنَعُ من الحديـــثِ مع بَعضِنَا البعض، والأَدهَى من ذَلِكَ أنَّهم جَعلُـــوا كاميرَات المرَاقبةِ للتنصتِ علَى المُعْتَقَلِين ومُرَاقبتِهم حتَّى فِي زنَازينهم، وُضِعَت الكاميرَا فِي عُلبَةٍ فوق المَدخَـلِ وكُتِبَ عليهَا مخرج لإيهَامِنَا بأنَّهَا ليســـت كاميرَا، وإنَّمَا ليَدلُّونَا علَى المخرجِ الوحيدِ فِي الزِّنْزَانَة!

عقيدة تُلَاك بألسنتهم:

بعد فترةٍ طَلَبَ الأخـــوةُ أن نُصلِّي جَمَاعةً عِندمَا عَرفُوا أنَّني طَالِبُ علم، وافقت، ولكن اشـــترطتُ مُوافَقَةَ الشُّرطَة؛ لأنَّهم لَا يسمحون لنَا بمَا هو أقل من ذلك، فكيف سيسمحون لنَا بالصَّلَاة جمَاعة؟ تكلَّمَ الأخوةُ مع الشُّرْطَة، فبعضُ نوباتِ العملِ وافقوا علَى ذَلِكَ والبعضُ الآخر قال سيستأذنُ من المســـؤولِ فِي السِّجْن، بعد مُضِي عشرة أَيَّامٍ تَقرِيبًا، سمحوا لنَا بالصَّلَاةِ جمَاعة، ثمَّ جاؤوا ليسخروا من صَلَاتِنَا، والاستهزاءِ بعَقيدتنَا، ويَتكلَّمون عَن الدِّينِ ونحن لا نُجِيب.

أَخبَرَنَـــا بعضُ الشُّرطَةِ بوجـــودِ كاميرَا فِي هَـــذِهِ العُلبَة، وقَد تَمَّ إزالتُهَا حِينَ بَدَأتِ الأنباءُ تتواردُ بمجيء مســـؤولين لزِيَارةِ السِّجْن. كان الشُّرطَةُ البحرينيون يُشحَنُون طَائِفيًا من خِلَالِ تلفزيون وإذَاعةِ وصُحفِ المملكة، ومن خِلَالِ بعضِ القنواتِ الخليجيةِ التِي سُخِّرت إِلَى الشـــحنِ الطَّائفي ضِدَّ الشِّـــيعة، فيأتون لينهَالُوا علينَا بالسَّـــبِ

والشَّــتم، والتَّعرضِ لمُعتقَداتِنَا وفِقهنَا، والسُــخريةِ مــن مَذهبِنَا. لم نكن فِي وَضعٍ يُسَــاعِدُ علَى أن نُدَافِعَ عَن مَذهبِنَا وعَقيدتِنَا لأنَّنَا تحت سِيَاطِهم، وفي سِجْنهم، ومع ذَلِكَ رددنَا علَى بعضِ الشَّتائمِ والسَّبِ والاستهزاءِ عليهم.

ضيفي المَالكية والمعَامير:

في إِحدَى اللَّيَالِي، بعد أن أَنهينَــا صَلاتنا جَلَسَ كلُّ واحدٍ مِنَّا على فِرَاشِــه وإذَا بالبابِ يُفتَح، ويتمُّ إدخالُ شــخصٍ تَتجلَّى آثارُ المَهَانةِ والضَّرْبِ عليه، شــابٌّ أسمرٌ يبدو أنَّه لم يستحمّ منذ مُدَّةٍ من الزمن، كان خَائِفًا جدًا، مَا هي إلَّا لحظاتٌ حتَّى أَدخلُوا شابًا آخر يُرثِي لحالِه كلُّ من يَنظُرُ إليه. كان خائفًا يرتعــش، نَاديتُه وطلبتُ منه أن يجلسَ بجَنبِــي، جلسَ وهو يُرَاقِبُ مَــا حوله، وقَدمَاهُ لَا زالتــا تُؤلِمَانه من الضَّرْب، ولَا زالت آثارُ الضَّرْبِ واضحةً عليه، سألته مَا اسمك؟

م.ع.

من أين؟

من المَالكية.

لَا تَخف هنَا أَفْضَل من القلعة إن نوبةَ العملِ هَذِهِ أَفْضَلُ نوبةٍ هل

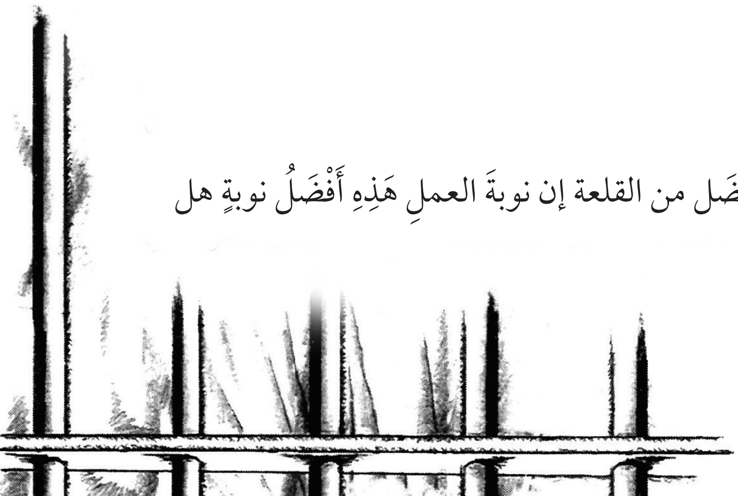

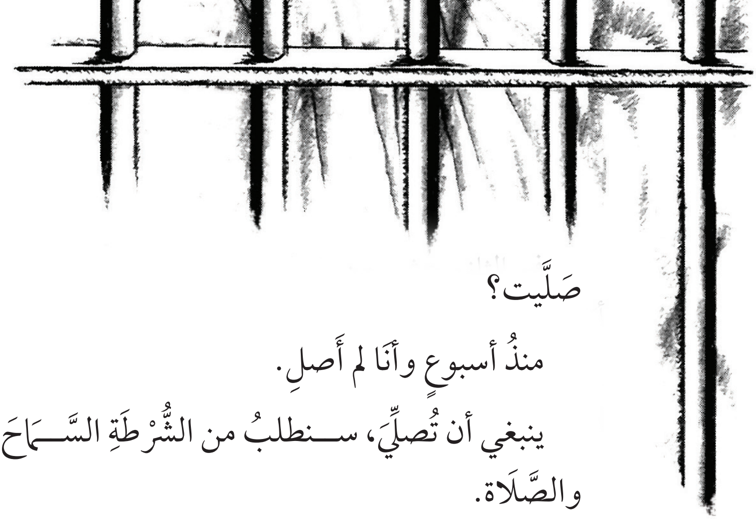

صَلَّيت؟

منذُ أسبوعٍ وأنا لم أَصلِ.

ينبغي أن تُصلِّيَ، سنطلبُ من الشُّرطَةِ السَّماحَ لك بالاستحمامِ والصَّلَاة.

طَلبنَا من الشُّرْطَةِ السَّماحَ لهمَا بالاستحمام، فقَالُوا غدًا صباحًا سيسمحون لكم جميعًا بالاستحمام. جَلَبُوا لهم فِرَاشًا مع وسَادةٍ ولكن من غير لحاف.

سألني المَالكي: أَنْتَ السَّندِي أم أخوه؟

(تعجَّبتُ أنَّه يَعْرِفُني) قلتُ له: أَنَا السَّندي، ولكن من أنت؟ ومن أين تعرفُني؟

قال: أَعْرِفُك، لقَد رأيتُك فِي منزلِ الأستاذ عبد الوهَاب قبل سنتين.

قُلتُ له: إيَّاك وأن تقولَ هذَا الكلَامَ لأحد. إن اسمَ الأستاذِ عبد الوهَاب جَرِيمَةٌ كُبرَى فلَا تُقدِّمْ لهم مَا لم يأخذوه بالضَّرْبِ والتَّعْذِيب علَى طبقٍ من ذهب.

(ضحك م) وقال: اعتمد، لن أتكلمَ فِي هذَا الشأن أبدًا.

كانت هَذِهِ أَوَّلُ ابتسَامةٍ يتبسَّمُها (م.ع)، ولكن لَطالَمَا رَسَمَ الابتسَامةَ علَى شفاهِ المُعْتَقلِين الذِين تَحدَّثُوا معه فِيمَا بعد. أَمَّا الشابُ

الآخرُ الأسمرُ فقَد سألنَاه عَن اسمه فأجاب:

(ح.ع) من المعَامِير.

ومَا هِيَ قَضيتك؟

قال هِيَ كثيرٌ ستتكلَّمُ عَنهَا فِيمَا بعد.

جَلبُوا العشاءَ، تَعشَّينَا، وجَلَسنَا، كان المَالكِي مُتعَبًا وخَائِفًا والبردُ لم يرحمه، فأَعطيتُه لحافي لكي يتغطَّى به ويرتاحَ قليلًا، لكن هذَا اللِّحافُ لم يعد لي مرَّةً ثانية، صَادَرَه (م.ع)، واستملكَه وتَركنِي فِي البردِ من غير لحاف، وكلَّمَا طلبتُه منه تَمَسكَنَ ليحتالَ عليَّ واتركَه عِندَه، بقيتُ علَى هذَا الحالِ مدَّةَ أسبوعين من غير لحافٍ والبردُ يَقرصُني.

علم فِي زِنْزَانَة:

عِندمَا سُمِحَ لنَا بالتحدَّثِ فيمَا بيننَا فِي بعضِ نوباتِ العمل، طَلَبَ الأخوةُ أن نُقَيِّمَ بعضنَا، كنتُ أرى أن أهمَّ درسٍ ينبغي أن يُعرَفَ فِي هَذِهِ المرحلةِ هو الصَّبر، فمَا أَحوجَنَا للصَّبرِ فِي ظُروفٍ قَاسيةٍ جِدًّا كهَذِهِ التِي نمرُّ بهَا.

ولكن الصبرَّ عِندمَا يتمُّ طرحُه علَى شكلِ مفاهيمَ لَا ينفع، فنحن بحاجةٍ إِلَى الأملِ والصَّبرِ المُجسَّد، فمَا وجدتُ إلَّا قِصَّةَ نبي الله

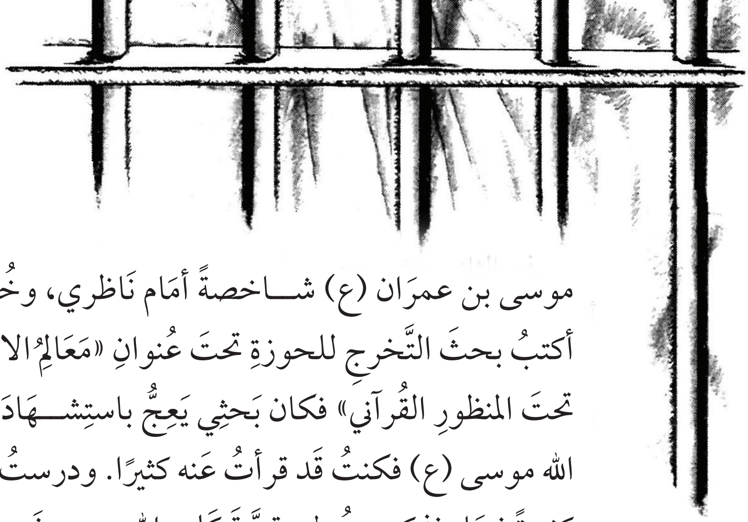

موسى بن عمرَان (ع) شـــاخصةً أمَام نَاظري، وخُصُوصًا أنِّي كنتُ أكتبُ بحثَ التَّخرجِ للحوزةِ تحتَ عُنوانِ «مَعَالِمُ الانحرَافِ السِّيَاسِيِّ تحتَ المنظورِ القُرآني» فكان بَحثي يَعجُّ باستِشــهَادَاتٍ من قِصَّةِ نبي الله موسى (ع) فكنتُ قد قرأتُ عَنه كثيرًا. ودرستُ دِرَاسَاتٍ تَحليلِيَّةً كثيرةً فيهَا، فذكــرتُ لهم قِصَّةَ كَلِيم الله، مــع شَرحٍ لكلِّ حَدثٍ فيه ودرسٍ فِي الصَّبر، ووَعْدِ الله بالنَّصْرِ حتَّى ولو بعد حِينَ.

إن هذَا الأمــرَ جعلَهم يطلبــون مِنِّي أكثرَ وأكثــر، فتكلَّمنَا عن أحكام الخمس، وأحكامِ الصَّــلَاةِ والطَّهارةِ وصلَاةِ الجمَاعةِ وغيرهَا من الأبوابِ الفقهية.

وتحدَّثنَــا عَن التقيِّةِ وحدودهَا، وذكرتُ لهــم بحثًا كنتُ قَد كتبتُه عَن تفسيرِ سورةِ العصر، وهكذَا استمرَّينَا ورأيتُ ارتيَاحًا كبيرًا لدى الأخوة، بل تعطشًا لهَذِهِ المفاهيم وهَذِهِ الدروس، وانجذَابًا نحو الدِّين والتَّعطشِ لتعَالِيه، ولكن للأســف كلُّ ذَلِكَ كان مِمَّا فِي ذَاكرتي، فلم يكن هنَاك كِتَابٌ لنرجعَ إليه، أَو قرآنٌ لنستفيدَ منه، ولكن بتوفيقِ الله رأيتُ ارتيَاحًا كبيرًا لِما كان يُطرَحُ مِمَّا دَفعَ الأخوةَ لأن يطلبُوا المزيدَ من قَصَصِ القرآن، والمزيدَ من قَصَــصِ أئمة أهل البَيت (ع)، وقَصَصِ العلمَاءِ المُجَاهِدين أمثال الشَّهيد الصَّدر والإمَام الخميني رضوان الله عليهمَا. نَفسيَّاتُ الأخوة تَحسَّنت كثيرًا عِندمَا سَمعُوا قَصَصَ الأنبيَاء، واستفادوا من الدروس والعِبَرِ التِي فيهَا.

لقَد شَــارَكَ الأخُ (ح.ك) فِي سَردِ بعض قَصَصِ الأنبيَاء، وبعض قَصَصِ القرآن، وغَدَا كلّ واحدٍ مِنَّا يُدلِي بدَلْوِه، كلُّ واحدٍ يَذكرُ قِصَّةً أَو عِبرَةً قَرَأهَا، أَو سَــمِعَهَا من خطيب، أَو رآهَا فِي فيلم، وكان ذَلِكَ بمثابةِ التَّواصِي بالحقِّ والتَّواصِي بالصَّبر.

عمود الدِّين الفائت:

فِي الفــترةِ التِي قَضَيناهَا فِي سِردَابِ القلعةِ لم يُســمَح لنَا فِي بعض الأحيَانِ بالصَّلَاة، وبعض الأحيَانِ كُنَّــا نُمنَعُ من الوضوء، وبعض الأحيَانِ يتمُّ تَوجِيهنَا لغير القبلة، مِمَّا أدَّى إِلَى أن نُعِيدَ صَلَاتنا، ونَقضِي بعض الصلــواتِ التِي مُنِعنَا من أَدَائِهَا، وقَــد طلبتُ من الأخوةِ أن يقضوا مَا عليهم مــن صَلَوات، إن فاتتهــم فِي حيَاتهم، فالآن لدينَا مُتَّسعٌ من الوَقت، بِإمكَانِنَا أن نستفيدَ منه فِي ذِكرِ الله، وقَضاءِ مَا علينَا من صَلَوات.

أَنهَينَا صَلَواتِنَا كلَّهَا، ومن ثم عَرَفنَا أن والدَ (س.م) قَد تُوفِّي، وأن عليه بعض الصلوات فاقترحتُ علَى الأخوةِ فِي الزِّنْزَانَةِ بأن نُقسِّــمَ الأَيَّــام، ونُصلِّي لقضاءِ الصلواتِ التِي عــلَى والدِ (س.م)، ولإِفرَاغِ ذِمَّتِه، وتَفَاعَلَ الشَّــبابُ كثيرًا، وأَنهَينَا مَا عليــه من صلواتٍ فِي فَترَةٍ زَمَنِيَّةٍ قصيرةٍ جدًا.

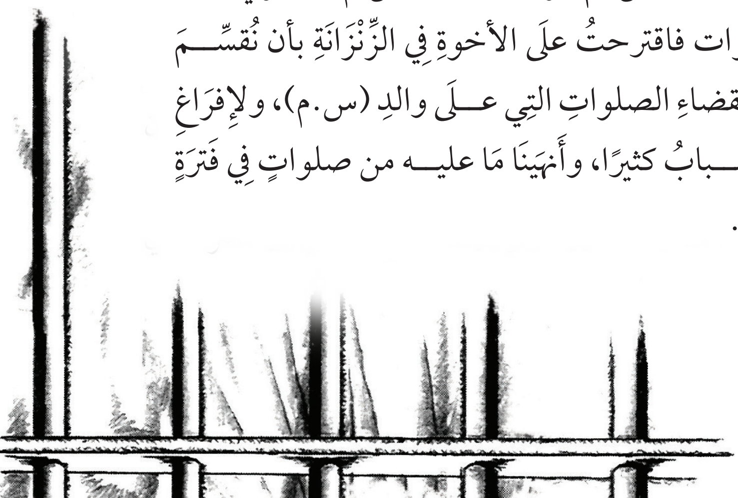

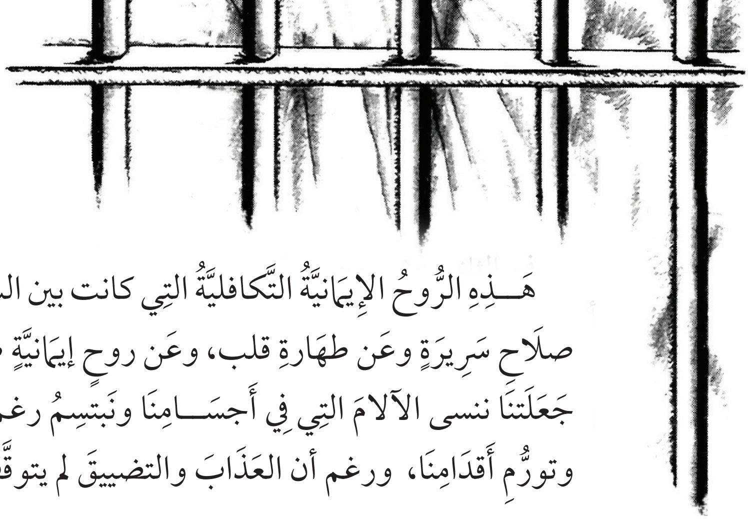

هَــذِهِ الرُّوحُ الإِيمَانيَّةُ التَّكافليَّةُ التِي كانت بين الشَّــبابِ تُنبي عَن صلَاحِ سَرِيرَةٍ وعَن طهَارةِ قلب، وعَن روحٍ إيمَانيَّةٍ طيِّبة، هَذِهِ الرُّوحُ جَعَلَتنَا ننسى الآلامَ التِي فِي أَجسَــامِنَا ونَبتسِمُ رغم غزارةِ جِرَاحِنَا، وتورُّمِ أَقدَامِنَا، ورغم أن العَذَابَ والتضييقَ لم يتوقَّف عَنَّا.

نجوى السحر:

بعد أن أَنهينَا صلواتنَا الواجبة، وقضاءِ مَا فِي ذِمَمِنَا، ومَا فِي ذمَّةِ والد (س.م)، بَدَأنَا نُصلِّي النوافلَ اليَوميَّة برغبةِ الشَّبابِ فِي الالتصاقِ بالله وهو السَّــبَبُ الذِي من أَجلِه ابتلَانَا الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَــلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[1].

فالتَّضرعُ واللُّجوءُ إِلَى الله والالتصاقِ به هو أحدُ النَّتَائِجِ والأهدَافِ التِي يَطلِبُهَا الله من خِلَالِ ابتلَائِه، وهكذَا قامَ الشَّبابُ لصلَاةِ اللَّيل، وترَاهم رُكَّعًا سُــجَّدًا يرجون رحمَةَ الله، وترَاهم يســتغفرون الله آنَاءَ اللَّيلِ وأطرَافَ النَّهار، يذكرونه ذِكرًا كثيرًا، بُكرَةً وأصيلا.

(١) الأنعَام: ٤٢

مدهونيٌّ من رحم الثَّوْرَة

بطل رغم أنفهم:

حامد المدهون هو شَابٌّ نحيفٌ جدًا، وأسمرُ البَشرة، طَيِّبٌ جدًا، وبشوش كان يُدخِلُ السُّرورَ علينَا من خِلَالِ الحَديثِ معه، اتُّهِمَ حامد باختطَافِ شرطي وهو لَا يستطيعُ أن يَختطِفَ قِطَّة، فكيف به يَختطِفُ شُرطيًّا مسلحًا؟، فِي الحقيقة كلُّ شيءٍ مُمكِنٌ تحت سِياطِ التَّعْذِيب.

في تاريـــخ ٢٣/ ٣/ ٢٠١١م تَـــمَّ اقتحامُ منزلِ النَّاشـــطِ وعضو شورى جمعية الوفاق إبرَاهيم المدهون وذَلِكَ لكونِه يَظهرُ فِي التِّلفاز، ويَتكلَّمُ عَن الوضعِ فِي البحرين، فِنكَايَةً به وتَأدِيبًا له، وضَغطًا عليه، تَمَّ الهجومُ علَى منزلِه لِاعْتِقَال ابنه الأكبر حامد إبرَاهيم.

صَادَفَ فِي تلك الأَيَّامِ مُشـــكلَاتٌ كثيرةٌ فِي ســـترة، فجزيرةُ سترة محاصرةٌ بالجيش، ويصعبُ الدُّخولُ أَو الخروجُ منهَا، مِمَّا دفَعَ (س.م) ابن خالة حامد مع بعض أصدقائِـــه للجوءِ إلَى بيت المدهون باعتبارِ كونه فِي منطقةٍ أكثرَ أَمَانًا وهي السِّهلةُ الشَّمَالية، وقَد جاءَ معهم ثلَاثة آخرين من أبنَاءِ خالتهم الثَّالثة.

هَجَمَت القُوَّاتُ الخَاصَّةُ علَى منزلِ المدهون لَاعْتِقَال حامد، وإذَا

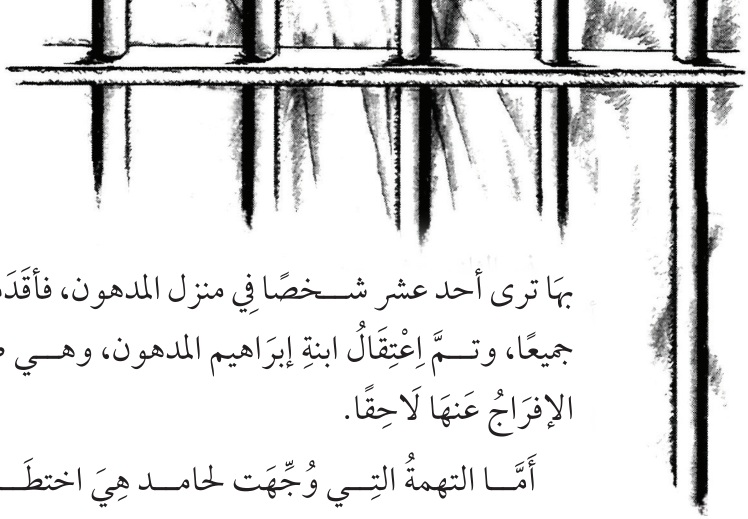

بهَا ترى أحد عشر شـــخصًا فِي منزل المدهون، فأقدَمت علَى اِعْتِقَالِهم جميعًا، وتـــمَّ اِعْتِقَالُ ابنةِ إبرَاهيم المدهون، وهـــي طفلةٌ صغيرةٌ وتمَّ الإفرَاجُ عَنهَا لَاحِقًا.

أمَّـــا التهمةُ التِـــي وُجِّهَت لحامـــد هِيَ اختطَـــافُ شرطي، وقَد تَعرَّضَ لتَعْذِيبٍ شَـــدِيدٍ فِي سِردَابِ القلعة هو وإخوته، واتَّهموه مع أخوه خليل الـــذِي لَا عِلمَ له بأيِّ شيء، ولم يكن مطلوبًا حتَّى بتهمةِ الاختطَاف تلك.

وقَد نُقِلَ حامد وخليل إلَى مركزِ النَّعيم القريب من دوَّار اللؤلؤة (ميدَان الشُّهدَاء)، الذِي تحوَّل إلَى نقطةِ تجمع الجيش والحرس الوطني والشُّرْطَةِ وقُوَّاتِ مكافحة الشغب، وقَد تَعرَّضَا إلَى الضَّرْبِ المُبرِّح، هناك ومن ثمَّ تَمَّ نقلهم إلَى مركزِ القضيبية، وهنَاك أيضًا حَصَلَا علَى تَعْذِيبٍ شَدِيد، ومن ثم تَمَّ إرجاعُهمَا إلَى سردَابِ القلعة، وبعدهَا تَمَّ نَقلُهمَا إلَى الحوض الجاف.

هَذِهِ الرِّحلةُ القَاسِـــيةُ التِي تَعرَّضَ لهَا حامد وأخوه خليل جَعلَت من حامد يَخَافُ من كلِّ شيء، وقَد كان يقول: أيُّ شيءٍ يُريدُونني أن أعترفَ به ســـأعترف، ولكن لِيَتوقَّفُوا عَن تَعْذِيبِي ولَا أُرِيدُ أن أرجعَ إلَى سردَابِ القلعةِ مرَّةً أخرى. اعترف حامد علَى مَا طَلبُوه منه، تحت التَّعْذِيبِ القَاسِي والشَّـــدِيدِ والتَّهدِيد، وقَد اعترفَ علَى الشيخ محمد حبيب المقداد رغمًا عَن أَنفِه زورًا وظلمًا، حَيثُ قال أنَّه سَلَّمَ الشرطي

إِلَى المقداد.

خفافيش الظلَام:

فِي اللَّيلِ بعد أن نَغُطَّ فِي النَّومِ يُفتَحُ البابُ بقوة، ونستيقظُ من فتحِ الباب بِهَذِهِ الصُّورةِ الهمجية، فيسألُنَا بعضُ المُقنَّعين من الشُّرطَةِ: «أين المدهونَ؟، أين حامد؟» فينطقُ حامد: «هَا أَنَا ذَا»، فيَتعجَّبُ الجلَاوزة ظنًّا منهم أنَّهم سيرون شَخصًا مفتولَ العضَلَات، ضَخمَ الجثَّة، إلَّا أنَّهم يجدون شَابًّا نَحِيلًا، لَا يقوى علَى شيءٍ ومُتهم باختطَاف شرطي مسلَّح، فسألوه كيف اختطفته؟ فيُعِيدُ لهم القِصَّةَ التِي عَلَّمُوهَا إيَّاه فِي سِردَابِ القلعة، فلَا يُصدِّقُوه فيخافُ من أن يعيدوه إِلَى السِّردَاب فيُعِيدُ القِصَّةَ مرَّةً أخرى وهكذَا حالنَا فِي كلِّ ليلة.

فِي أحدِ الأَيَّام جاؤوا إِلَى حامد وخليل، واقتادُوهم إِلَى مركزِ شُرْطَةِ النعيم، وهنَاك تَعرَّضُوا للضَّرْبِ المبرح، ومن ثم أدخلوهم إِلَى ضُبَّاطٍ فِي الجيش، وأعَادُوا التَّحقِيقَ معهم، فقَالَ حامد مَا قالوه له فِي سردَابِ القلعة، واتَّضحَ فيمَا بعد أن هؤلَاءِ الضُّبَّاطَ من النيَابةِ العسكرية، وعليه فتمَّ تدوينُ هَذِهِ الاعترَافاتِ علَى حامد وأخيه خليل، ولم يكن يَعْرِفُ حامد ولَا خليل أن هؤلَاءِ هم النيَابة، حتَّى أنَّهم كَانُوا يقولون أنَّهم حِينَ يُؤخَذُون إِلَى النيَابة سينفون هَذِهِ

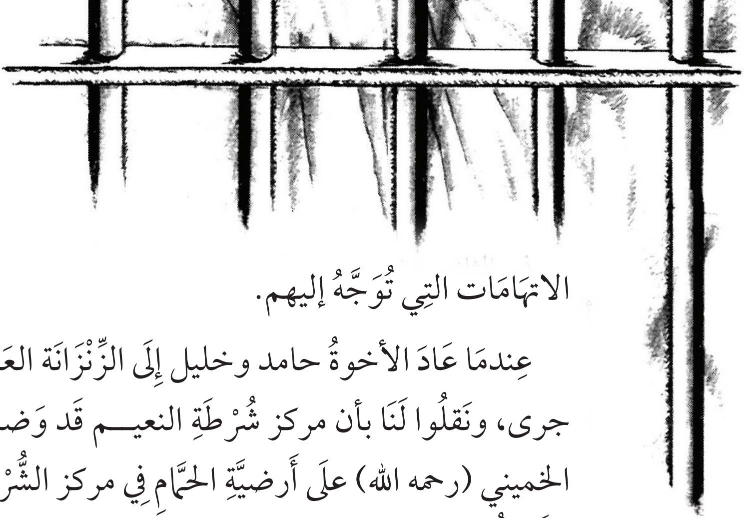

الاتهامَات التِي تُوَجَّهُ إليهم.

عِندمَا عَادَ الأخوةُ حامد وخليل إِلَى الزِّنْزانَة العَاشرة، قَالُوا لنَا مَا جرى، ونَقلُوا لَنَا بأن مركز شُرْطَةِ النعيم قَد وَضعُوا صورةَ الإِمامِ الخميني (رحمه الله) علَى أَرضيَّةِ الحَمّامِ فِي مركز الشُّرْطَةِ لكي يَدوسَهَا الدَّاخلُ والخارجُ من الحَمّام.

بعد أَيَامٍ قلَائل، جاؤوا ليَأخذُوا حامد وخليل مرَّةً أخرى، إِلَى أين لَا ندري، انتظرنَاهُمَا ونحن ندعو لهمَا بالخلَاص، عَرَفنَا مِنهمَا عِندمَا عَادَا بأَنَّه تَمَّ أخذُهم إِلَى المحكمةِ العسكرية، وهنَاك تَمَّ عرضُهم علَى القاضي فِي أجواءٍ مُحاطةٍ بالرُّعبِ والتَّهديد، ولقَد سألَهم القاضي عَن مُحامِيهم فأَجابُوا بأنَّنَا لم يُسمَح لنَا بالاتصالِ بأَهَالِينَا ولَا بمُحامِين، فأَجَّلَ القاضي الجلسةَ لِحينِ تَعيينِ المُحامِين، وقَد طَلَبَ المتَّهمون الآخرون بأن يُسمَحَ لهم بالاستحمَام، وذَلِكَ لأَنَّهم مُنذُ شهرٍ ونيف لم يُسمَح لهم بالاستحمَام، وقَد كان هؤلَاءِ فِي مركز شُرْطَةِ النَّعيم حسبَ مَا عرفنَا.

وقَد سَمَحَ لهم القَاضِي بأن يَستَحِمُّوا حِينَ عودتهم إِلَى مركزِ الشُّرْطَة، وقَد أَمَرَ بعدمِ جلبِ الموقوفين بلباسِ النَّومِ إِلَى المحكمة. مِمَّا دَعَا الشُّرْطَةَ فِي جِهَازِ الأمن الوطني بأن يَشتَرُوا ملَابسَ لحامد وخليل لكي يحضروا جلسَاتِ المحكمة، حَيثُ أن جلسَاتِ المحكمةِ كانت مُتقَارِبةً جِدًّا، ففي الأسبوع الواحدِ يُوجَدُ جلستين، وقَد

أَمَرَ بالسَّـــمَاحِ لهم بالاتصالِ بأهَالِيهم لتَعيـــينِ المُحامِين، إلّا أن إِدَارَةَ جِهَازِ الأمن الوطني لم تَسمَح لهم بالاتصالِ فِي الأسبوعِ الأَول، وفي الأسبوعِ الثَّانِي أَخذَ الشُّرْطَةُ رقم هَاتفِ منزلِ المدهون ليطلبوا منهم تعيين محامي.

قاضٍ تحت الطلب:

عِندمَـــا رجعَ حامد وخليـــل من المحكمةِ فرحـــوا لأمرِ القاضي بالسَّمَاحِ لهم بالاتصالِ لأهَالِيهم، إلَّا أن مسؤولي جهَازِ الأمن الوطني لم يقبلوا، ولم يَستجيبُوا لأمرِ القاضي، وعِندَ مجيء الضَّابطِ فِي منتصف اللَّيلِ مـــع جَلَاوِزته قال لهم حامد بأن المحكمةَ طَلَبُـــوا مِنَّا أن نُعيِّنَ قَاضِيـــا! تَعجَّبنَا وتَعجَّبَ الضَّابِطُ والشُّرطَة، فقال له الضَّابِطُ وكيف تُعيِّنُ قاضٍ؟ قال حامد بأن نتصلَ بأهلنَا نطلبُ منهم تعيينَ قاضٍ لنَا. عَرَفنَا أنَّه يقصدُ المحامي إلَّا أنَّه اشتبه، وقال قاضٍ بدل المحامي.

المعدة الصغيرة:

حامد باعتبارِ كونه نحيلَ الجسمِ وصغيرَ البِنيَة، كانت مَعِدَته أيضًا صغيرةً، فهو بسرعةٍ يشبع، وبسرعةٍ يجوع، لذَلِكَ فإنَّ ثلَاثَ وجباتٍ فِي اليَومِ لَا تكفيه، لأنَّه لَا يـــأكلُ كلَّ وجبة، ويجوعُ بعد ذلك، وهذَا

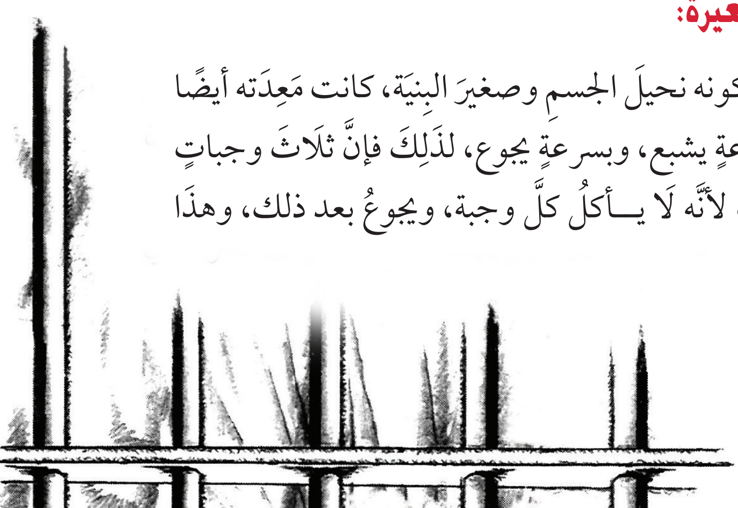

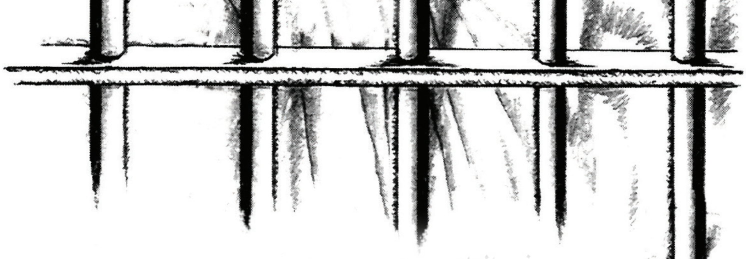

الأمرُ دفعَ حامد لأن يُخبِّىءَ له بعضَ الطعَامِ تحت وِسَادَته، لكي يأكلَ حِيْنَمَا يجوع، ففي منتصفِ اللَّيلِ يستيقظُ حامد ويأكلُ الخبزَ الذِي خَبَّأَه منذ الصَّباح.

عَلِمَ الجلَاوزةُ بجَرِيمَة حامد الجَائِع، فمَا كان مِنهم إلَّا أن صادروا طَعَامه، وهدَّدوه بالضَّرْبِ فِي حالِ خَبَّأَ طعَامًا مرَّةً أخرى.

مَاذَا تفعل؟

في أحدِ الأَيَّامِ استيقظَ أحدُ الأخوة وهو بحاجةٍ مُلحَّةٍ إِلَى الحمَّام، فقامَ بطرقِ البابِ حتَّى كَلَّ مَتنُه، ولم يُكلِّمه أحدٌ ممَّا اظطرَّه إِلَى أن يَتبوَّلَ فِي قِنينةِ مَاءٍ فِي أحدِ زَوايَا الزِّنزَانَة، وفي الصَّباحِ عِندمَا سمحوا لنَا بالذَّهابِ إِلَى الحمَّامِ أَخَذَ قِنِّينَته إِلَى الحمَّام وذَكَرَ قِصَّتَه لأخوانه فِي الزِّنْزَانَة. فِي اللَّيلةِ التَّالِيةِ استيقظَ آخر، وأَخَذَ قنينةَ المَاءِ وتَوَجَّه بهَا إِلَى زاويةِ الزِّنْزَانَة ولكن لَا ليتبوَّلَ بل ليتوضَّأَ لصلَاةِ اللَّيل.

استيقظَ حامد من أَلَمِ الجوع، فمَا كان منه إلَّا أن رأَى شخصًا آخر يتَوَجَّه إِلَى الزَّاويةِ بقنينة، فقامَ بالصُّرَاخِ «فلَان مَاذَا تفعل؟» استيقظَ بَقيَّةُ الأخوة الذِين هم فِي الزِّنْزَانَة علَى وقعِ صُرَاخِ حامد وأَحرَجَ من كان يريدُ الوضوءَ للصَّلَاة.

حامد..خُلُق:

لقَد كان حامد مدرسةً لمكارمِ الأخلَاق، حَيثُ أن الجلَاوزة

يَضرِبوننَا فِي الدُّخولِ والخروجِ للوضوء، كان يَقِفُ الشُّرطي بخرطوم المِيَاه البلَاستيكي (الهوز) علَى بابِ الغُرفةِ ويَضرِبُنَا، كُنَّا نَستيقِظُ ونتأَلَّمُ أَلَمَيْنِ أَلَمُ الضَّرْبِ والأَوجعُ منه أَلَمُ الذُّل.

حامد كان يُبادِرُ ويَقولُ لمن يَضرِبُه أَو يَسُـبُّه: أحسنتَ، رحم الله والديك. وحِيْنَ يسـمعُ الجلَاوزةُ كلَامَه فإنَّهـم يزيدون فِي ضَرْبِهِم وإذلَالهم لحامد. فيُعَاوِدُ شُكرَهم والدُّعاءَ لوالديهم بالرَّحمة.

العسكري ينتظر:

في أحـدِ الأَيَّامِ جَلَبَ أحدُ الشُّرطَةِ «مكنسـة يدوية» لكي نَكنُسَ الزِّنْزَانَة بهَا، فتبرَّعَ خليل لكنسِ الزِّنْزَانَة، وبينمَا هو يكنسُ كان حامد واقفًا علَى رأسِه ويُردِّد: أَسرِعِ العسكري يَنتظِر، نظِّف جيدًا العسكري يَنتظِر، أَسرِعِ العسكري يَنتظِر، انزعجَ الشرطي وقال لحامد: اسكت أيُّها اللَّوحُ الخشبي، لَا شأنَ لك، ولَا تُدخِل نفسَك فيمَا لَا يَعنِيك.

حامد العرَّاف:

كان بعضُ الضُّبَّاطِ يَأْتُون، ويسألوننَا عَن دِرَاسَاتِنَا، وعَن قَضايَانَا، ومعلومَاتٍ عَامّة، فكلَّمَا وَجَّه الضَّابِطُ سـؤالًا لأحدٍ مِنَّا، كان حامد يَعْرِف جَوَابه، أَسرَعَ حامد فِي الجَوَابِ عَن صاحبِ الشَّـأن، يسألون

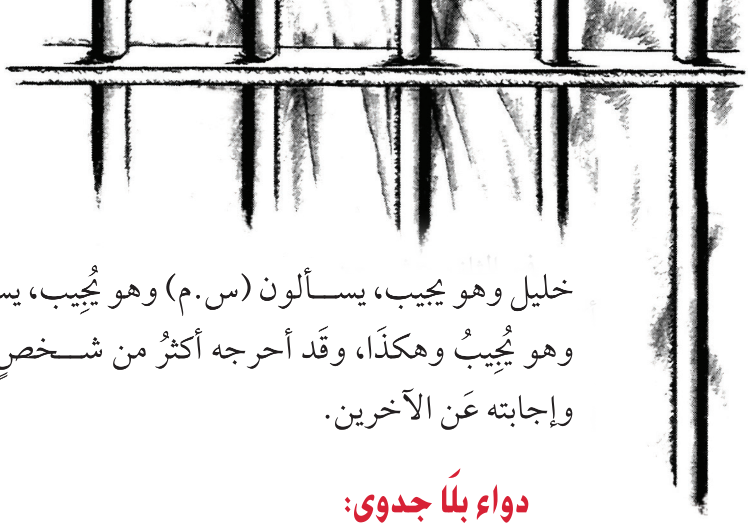

خليل وهو يجيب، يســألون (س.م) وهو يُجِيب، يســألون (س.ق) وهو يُجِيبُ وهكذَا، وقَد أحرجه أكثرُ من شــخصٍ بسَــبَبِ تَدَخُّلِه وإجابته عَن الآخرين.

دواء بلَا جدوى:

عِندمَا تَمَّ تَعْذِيبُ حامد فِي القلعة، سَــاءَت حالتــه، فتمَّ نقلُه إِلَى المستشــفَى العســكري، وهنَاك تَعرَّضَ للتَعْذِيبِ علَى يدِ الأطباء فِي المستشفى العسكري، ورَقَدَ فِي المستشفى هو وخليل أخوه لمدة أربعة أَيَام، وطوالِ هَذِهِ الفترةِ تَعرَّضَا للسَّــبِ والشَّــتم، وعليه تمَّ إعطَاءُ حامد بعض الأدويةِ والحبوب، وعِندمَا جاؤوا به إِلَى سِجْنِ الحوض الجاف، جَلبُوهَا معه، وقَد كانَ يستخدمُ الأدويةَ بانتظامٍ كبيرٍ فِي بدَايةِ الأمر، ولكن بعد فترةٍ لم ينتظم فِي أخذهَا، فســأله (س.م) عَن سَبَبِ اســتعمَالِه للدَّواء، إن كان مريضًا بمرضٍ مَا؟، فأجابه بأَنَّني لســتُ مريضًا ولكنِّي استعملُ الدَّواءَ لكي يرأفَ بحالي هؤلَاءِ الجلَاوزةَ ولَا يضربوني ولكن بدون فائدة.

فيلم..لمخرج فاشل:

لم يُســمَح لنَا بالاتصالِ بأهَالِينَا، ولَا نستطيعُ إخبارَهم باعتقالِنَا، ولَا مَكَانه، ولم يكن يَعْرِفُ أهلُنَا هل نحنُ أحيَاءٌ أم أموات. بعد شهرٍ من الاعْتِقَال، تَمَّ اســتدعَاءُ حامد فِي مكاتب جهَاز الأمن الوطني فِي

سِـجْنِ الحوضِ الجافِ، وطَلَبُوا منه أن يُصـوِّرَ فيلمًا يعترفُ فيه علَى مَا فعله، ويعتذرُ للملكِ وأنَّهم سـوف يُفرِجون عَنه مع البقيَّةِ الذِين تَـمَّ اِعْتِقَالهم معه، وأنَّه فِي حالِ وافقَ علَى هذَا الأمرِ سيسـمحون له بالاتصالِ بأهله.

وافـقَ حامد خوفًا وطمعًا، خوفًا من أن يتـمَّ إعَادتُه إلَى سردَابِ القلعـة، وطمعًا فِي الخـلَاصِ وتَخليصِ من اعتقلَ معـه فِي مَنزِلهم، ورغبةً فِي طمأنةِ أَهلِه بالاتصال، سَـمحُوا له بالاتصال لأهله، وعَادَ إلَى الزِّنْزَانَة، فإذَا بهم يسـمحون لنَا جميعًا بأن نتصلَ لمدَّةِ ربع دقيقة، نخبرُ فيهَـا أهلنَا بأن يجلبوا لنَا ملَابسَ للقلعـة بوابة رقم (٢)، وقَد كان الهَاتِفُ يَسـمَعُه كل من فِي الزِّنْزَانَةِ من شُرْطَةٍ وموقوفين، ويتمُّ قطـعُ المكالمة حِينَ تصلُ الأهلَ الرسَـالةُ، بأنَّنا علَى قيـدِ الحَيَاةِ لدى وزارة الدَاخلية، وذَلِكَ لأن كثيرًا من المُعْتَقَلِين لَا يَعْرِفُ أَهلُهم عَنهم أيَّ شيء، إن كانـوا علَى قيدِ الحَيَاةِ أم عَافُـوا الدُّنيَا واختارُوا المَمات، أسـئلَةٌ كثيرةٌ تُحِيطُ بالأهَالي لم يَعرِفوا إجابتهَا إلَّا بعد شهرٍ كاملٍ من الاعْتِقَال.

وفي اليَـومِ التالي أَخذُوا حامد وخليل بعد أن أَلبسُـوهم ملَابسَ جديدة، قَد اشـترَاهَا الشُّرْطَةُ لهمَا، لكي يُصـوِّرَا فيلمَ الاعترَافِ فِي سردَاب القلعـة، وفي القلعـةِ تُوجَدُ أجهزةٌ لكلِّ هَـذِهِ الأمورِ فهي

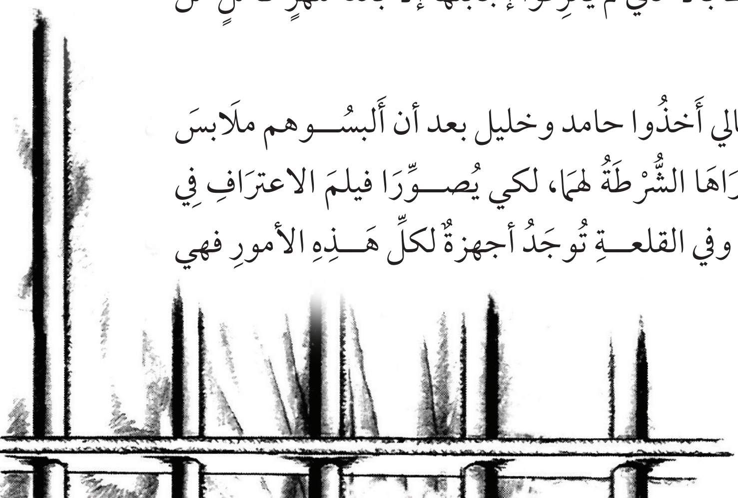

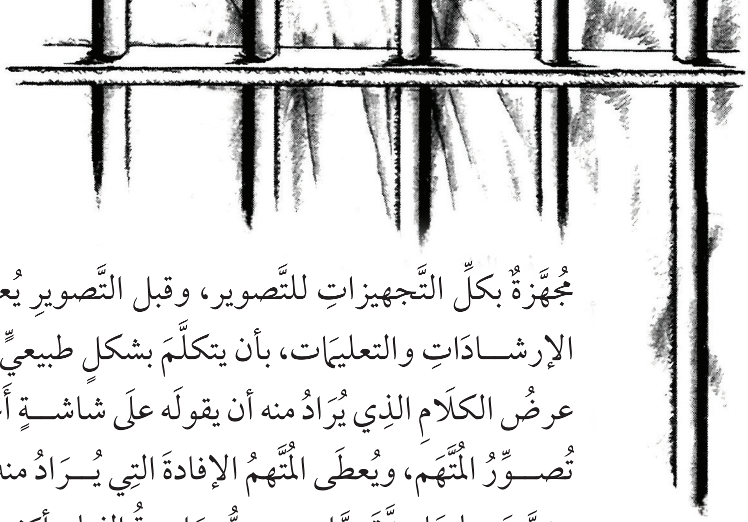

مُجَهَّزَةٌ بكلِّ التَّجهيزاتِ للتَّصوير، وقبل التَّصويرِ يُعطَى المُتَّهمُ بعضَ الإرشـادَاتِ والتعليمَات، بأن يتكلَّمَ بشكلٍ طبيعيٍّ علَى رسله، ويَتُمُّ عرضُ الكلَامِ الذِي يُرَادُ منه أن يقولَه علَى شاشـةٍ أَعلَى الكَاميرَا التِي تُصـوِّرُ المُتَّهَم، ويُعطَى المُتَّهمُ الإفادَةَ التِي يُـرَادُ منه أن يقرأَهَا، لكي يتدرَّبَ عليهَا عدَّةَ مرَّات، ويتمُّ مرَاجعةُ الفيلم أكثر من مرَّةٍ حتَّى يتمَّ التَّصويـرُ بجودةٍ عَاليةٍ خَاليةٍ من الأخطَاء. تَمَّ تصويرُ حامد، ولم يتم تصويرُ خليل، وتمَّ إرجاعُهمَا بعد إكمَالِ «لعبة الفيلم» الجديدة.

الفصل السَادس:

صامدون رغم القضبان

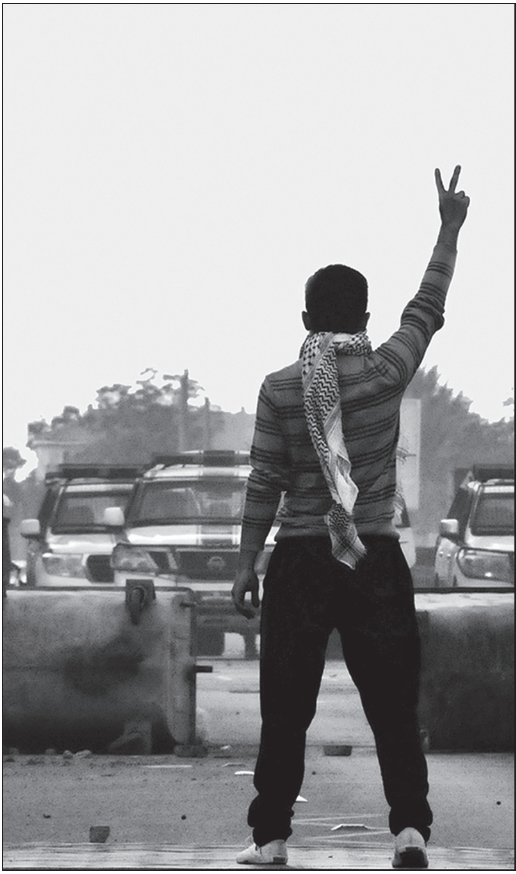

للصبر خليل:

خليل المدهون الابنُ الثَّانِي بعد حامد للنَّاشــطِ السِّيَاسِيِّ إبرَاهيم المدهون، درسَ الفنَّ فِي جامعةِ مصرَ لمدَّةِ خمس سنواتٍ فأَصبحَ فنَّانًا بارعًا، ولكنه عَاطِل، لذَا كان يَعملُ مع والده الذِي يملكُ مُقاولَات بِناء.

تــمَّ اِعْتِقَالــه فِي منزلِ والــده فِي الهجومِ الذِي حصــلَ فِي تاريخ ٢٣/ ٣/ ٢٠١١م، خليل أصابَــه كلُّ مَا أصابَ حامد من التَّعْذِيب، ولكن للإنصافِ كان صابرًا وكان دَائمًا يقول: مَاذَا سيحصلُ لنَا؟ هل نحن أَفْضَلُ من أهل البَيت (ع)؟ فقَد أصابَهم من البلَاءِ الكثير.

في أحدِ الأَيَّامِ أصبحَت الغُرفةُ باردةً جدًا، باعتبار أن زِنزانَتنَا فيهَا مُكيِّفين لأنَّهَا أكبر من بَقيةِ الزنَازين، فقامَ خليل بطرقِ البابِ ليطلبَ منهــم إطفاءَ أحدِ المُكيِّفات فمَا كان منهم إلَّا أن نَادوا الضَّابِط، وجاء

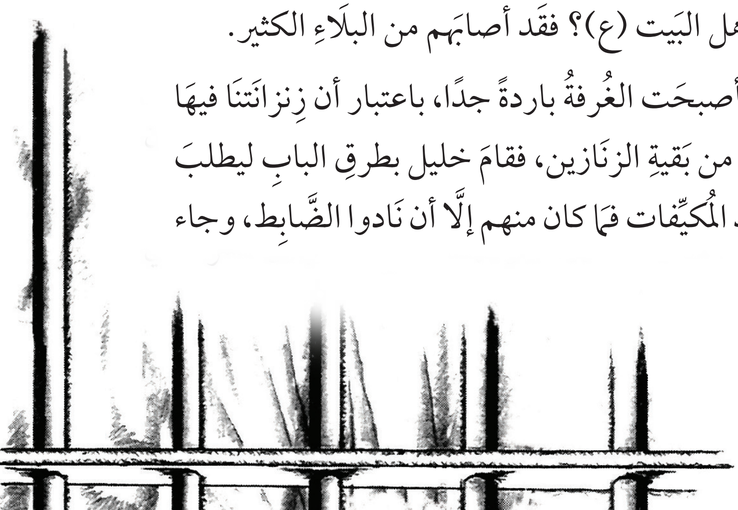

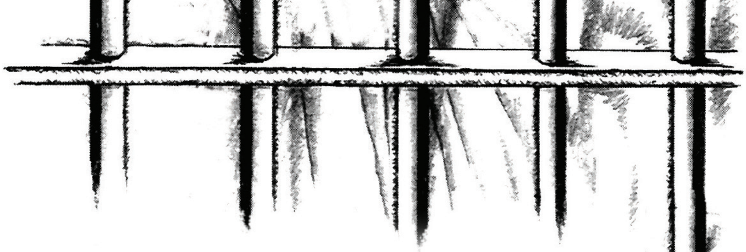

بخرطومِ المِيَاهِ (الهوز) وقامَ بضَرْبِه علَى ظاهرِ قَدمِه بكلِّ قوةٍ ووحشية. ونحن فِي هَذِهِ الأثناءِ كُنَّا نُصلِّي، فقامَ الضَّابِطُ بسَبِّنَا والتَّلفظِ بكلماتٍ نَابية، لَا تليقُ بشأنِ قلمي أن يكتبَهَا ولكن كلُّ إنَاءٍ بالذِي فيه ينضحُ.

وارث بأنغام الخليل:

مُنِعَ كلُّ شيءٍ عَنَّا حتَّى القرآنُ والدُّعَاء، فلم يُسمَح لنَا بالقرآن، ولَا بالدُّعَاء، ولَا بالصَّلَاةِ علَى التُّربةِ الحُسينية، ولَا أيُّ شيء. فِي ذَلِكَ الوقتِ عرَفنَا فائدةَ حِفظِ القرآنِ والدُّعَاءِ والزِيَارة، فالذِي يحفظُ القرآن يُرتِّلُه من ذَاكرَته، وهكذَا الأمرُ لمن يحفظُ الدُّعَاءَ أَو الزيَارة لأحد المعصومين (ع). وكان خليل حافظًا لزيَارةِ وارث للإِمَّام الحسين (ع)، فكان يُتحِفُنَا بزيَارةِ الإِمَّام بعد صلَاة المغرب والعشاء كلَّ يَوْم.

زيَارة مشبوهة:

فِي المسَاءِ يَأتِينَا بعضُ الضُّبَّاطِ والشُّرطَةِ أحيَانًا ليَتحدَّثوا معَنَا، هؤلَاءِ الضُّبَّاطِ هم أنفسهم الذِين هَجمُوا بيوتنَا، وانتهكُوا حرمَاتنَا، وعَاثوا فَسَادًا فِي بيوتنَا، وهَتكُوا أعرَاضنَا، يأتون للحديثِ والمسَامرةِ معَنَا لِماذَا؟ لَا أعلم.

أَظنُّهم يريدون أن يَتعرَّفُوا علَى شَخصيَّةِ كلِّ واحدٍ منَا، ليَعْرِفُوا نشاطَه، وقَد كانوا يَسأَلُون عَن خُصُوصيَات كلِّ فردٍ منَا، بل إنهم

كانوا يسمعون أكثرَ مِمَّا يَتكلَّمون، البعضُ مِنَّا يَتعطَّشُ للكلَام، ولتفريغِ مَا فِي قلبِه من غيظ، فيسمحون له، ويستمعون إليه، عَلَّهُ يُعطِي اسمًا، أَو حادثةً أَو أيَّ معلومةٍ تفيدهم.

وفي نفسِ الوقت هم يحاولون أن يصطَادوا بعضَ الشَّباب، لكي يَعملُوا كمخبرين معهم، فبالتَّرغيبِ والتَّرهيبِ يُمْكِنُ أن يُقنِعُوا بعضَ ضِعَافِ النُّفوسِ بالعملِ كمخبرين معهم.

وقَد كانوا يسألوننا عَن دِرَاستنَا، ومستوانَا العلمي، وكانوا يتفاجؤون لأن أغلبَ الْمُعْتَقَلِين هم من حملةِ الشَّهَادَاتِ الأكاديميَّةِ العَالية. هم يبحثون عَن فريسةٍ ضعيفة، لكي يَسهُلَ التهَامهَا بدون مُقَاوَمَةٍ ولَا تَعَبٍ ولَا شقاء. كان بعض الضُّبَّاطِ يأتينَا قبل أن يذهبَ لِمهَاجمةِ البيوتِ ويَتحدَّثُ معَنَا بل قَد يسألُ عَن عَنوانِ بيتٍ أَو موقعٍ فِي قرية مَا.

وبعض الأحيَان يأتينَا بعد مدَاهمة البيوت، وانتهَاكِ الحرمَات، ويسردُ لنَا قِصَصَ بطولَاته فِي اِعْتِقَالِ أَحرَارِ وطننَا، وتكسيره لبيوتاتِهم وأضلَاعِهم، الضُّبَّاطُ فِي جهَازِ الأمن الوطني أغلبهم من الشَّبابِ الذِين لم يَتجاوزُوا العقدَ الثَّانِي من أَعمَارِهم، وكثيرٌ منهم فِي بدَايَاتِ العقدِ نفسه. كلُّ مؤهلَاتهم أَنَّهم أبناءُ ضُبَّاطٍ كبارٍ فِي وزارة الدَاخلية.

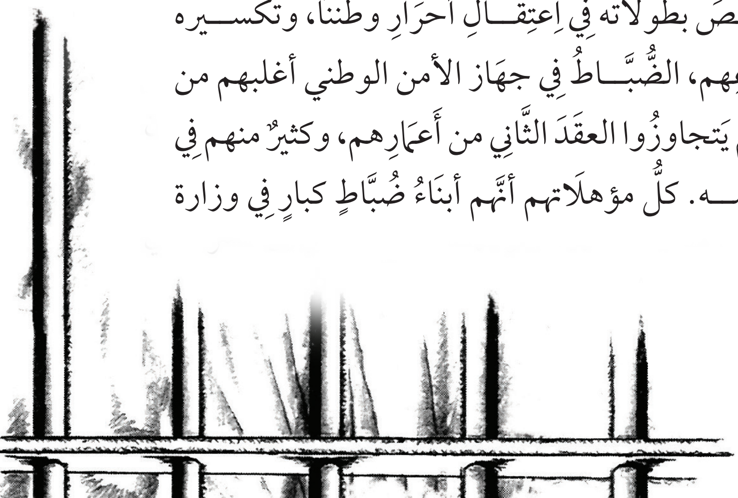

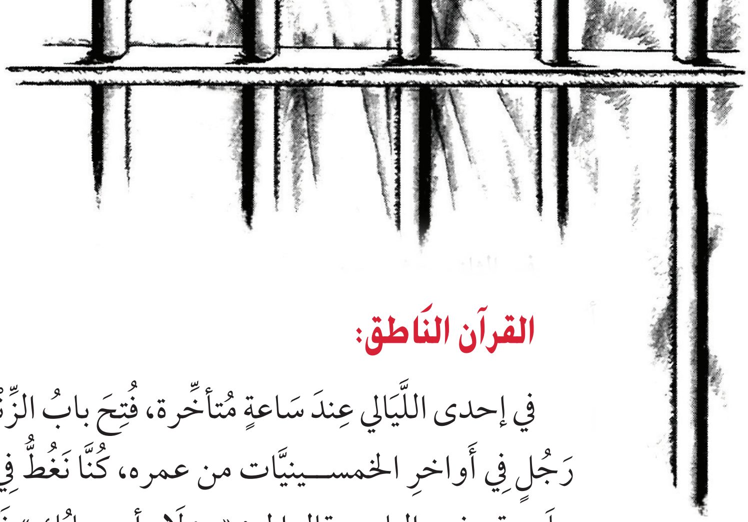

القرآن النَاطق:

في إحدى اللَّيَالي عِندَ سَاعةٍ مُتأخِّرة، فُتِحَ بابُ الزِّنْزَانَة، وتمَّ إدخالُ رَجُلٍ فِي أَواخرِ الخمســينيَّات من عمره، كُنَّا نَغُطُّ فِي نومنَا، استيقظنَا علَى وقع فتحِ الباب، قالوا له: «هؤلَاءِ أصحابُك» فَكُّوا الأصفادَ من يديه، وأَزالُوا العصابَةَ عَن عينيه.

اِرتسمَت ابتسَامةٌ علَى وجهه، كان مُتلهِّفًا للكلَام، بل كان متعطِّشًا له، تَكلَّمنَا معه قليلًا، عَرفنَا أَنَّه مُتَّهمٌ بالتَّخابرِ مع إِيرَان، كلُّ مشكلتِه أن زوجتَه تعملُ فِي السَّــفارةِ الإيرَانيَّة، قالَ لنَا أَنَا شــقيقُ سَيِّد أمير الــرَّادود المعرُوف، عرفنَا أنه من أعَاجم البحرين، كُنَّا مُتعبين قالَ أنَّه لم يتحدَّث مع أحدٍ مُنذُ شــهرٍ وأربعة أيَّامٍ كان قَد قضاهَا فِي سِردَابِ القلعة.

رَأَفْنَا لحالِه، ولكن سُلطَانُ النَّومِ كان أقوى، اعتذرنَا إليه، وخلدنَا إِلَى النَّوم، علَى أن نتحدَّثَ معه كيفمَا يشــاءُ وبقَدرِ مَا يشــاءُ إذَا أَطَلَّ علينَا الصَّباح، فِي الصَّباحِ تحدَّثنَا مع السَّيِّد، عرفنَا أَنَّهم لم يُرَاعوا شيبتَه ولَا كِبَرَ سِنِّه، بل إنَّهم اعتقلوا أخاه الأكبر سَيِّد محمد علي أيضًا.

وقَد تعرَّضَ السَّــيِّدُ عبد النبي الموسوي للضَّربِ المبرح، لانتزاعِ اعترَافاتٍ منه، وتمَّ إرغامُه عــلَى تصويرِ فيديو يعترفُ فيه بمَا يُملونه عليه، السَّــيِّد حافظٌ لكثيرٍ من ســورِ القرآن، وعليه فقَد استفدنَا من

وجودِه كثيرًا، لأنَّــه كان يتلو علينا آياتٍ من القرآن الكريم، فتعطينَا الأملَ وتُجدِّدُ فينَا الرُّوح، وقَد كان قُرآنَنَا النَّاطِق، نلوذُ إليه كلَّما اشتقنَا لآيَاتِ القرآن الكريم.

ولقَد كان السَّيِّد حافظًا لدعَاءِ كميل، ودعَاءِ التَّوسل، وعليه فقَد وضعنَا برنَامجًا لتلَاوةِ القرآنِ ودعَاءِ التَّوســلِ بشــكلٍ يَومِي، ونقرأُ دعَاءَ كميل كل ليلةِ جمعة.

الطب.. مهزلة:

لقَد حصلنَا علَى الفحــصِ الطِّبي ثلَاثَ مرَّات منــذ اعْتِقَالنَا إلَى الإفرَاج، عدَا من كان يحتاجُ بشــكلٍ شــخصي. المرَّةُ الأولى كان فِي عِيَادةِ القلعة، وذَلِكَ حِينَ وصولِ المُعْتَقَلِ إلَى مبنى القلعة، يتمُّ عرضُه للفحص، لكي يَعْرِفُوا مدى قُدرتِه علَى تَحمُّلِ التَّعْذِيب.

المرَّةُ الثانية كانت فِي العَنبرِ العَاشرِ فِي سِجْنِ الحوض الجاف، وهي تجربةٌ سيِّئة، حَيثُ كانت تَجمعُنَا مع الجلَّادين الذِين عذَّبونَا فِي القلعة وبعــض الضُّبَّاطِ وأطباء وزارة الدَّاخليــة، وأغلبهم من البحرينيين السنَّة.

أَول مجيئهــم طلبوا مِنَّا أن نقــفَ ونُقابِلَ الجِــدَار، وتمَّ تعصيبُ أعيننا، وتمَّ إعطَاءُ كلِّ فردٍ مِنَّا اسمًا لإحدى الرَّاقصات، وطلبوا منَّا أن

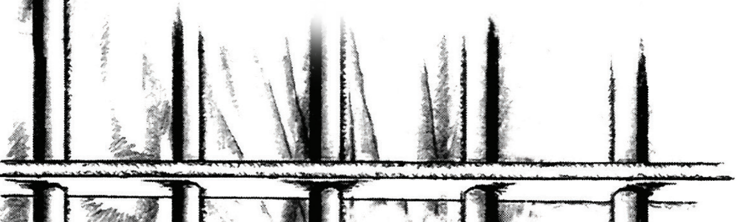

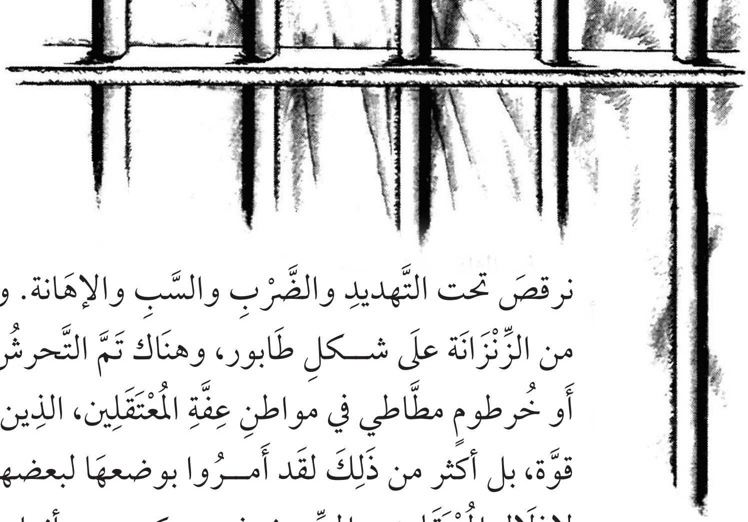

نرقصَ تحت التَّهديدِ والضَّرْبِ والسَّبِ والإهَانة. ومن ثم أَخرجُونَا من الزِّنْزَانَة علَى شــكلِ طَابور، وهنَاك تَمَّ التَّحرشُ بنَا بوضعِ عصا أَو خُرطومٍ مطَّاطي في مواطنِ عِفَّةِ المُعْتَقَلِين، الذِين لَا حولَ لهم ولَا قوَّة، بل أكثر من ذَلِكَ لقَد أَمــرُوا بوضعهَا لبعضهم البعض وذَلِك لإذلَالِ المُعْتَقَلِين، والمسِّ بشرفهم، وكنوعٍ من أنواعِ التَّعْذِيبِ النَّفْسي لهم، باعتبارِ أن المُعْتَقَلِين من المُتدينِّين، ولَا يرتضون هكذَا أَسَــاليبَ من التَّعَامل.

يأخذوننَا فرادى إِلَى الأطباءِ الموجودين فِي نهَايةِ العَنبر، ويطلبون من المُعْتَقَلِ أن يجري وهــو معصوبَ العينين، لكي يتعثَّر ويضحكوا عليه وحِينَ يصلُ إِلَى الأطباءِ يطلبون منه أن يرقُصَ إليهم، قبل وبعد إجراءِ الفحــص، كل ذَلِكَ كان يُنبِّيءُ عَن حقدٍ دفينٍ ومنهجيَّةٍ مُتَّبَعَةٍ فِي أجهزةِ وزارةِ الدَّاخلية.

المــرَّةُ الثالثة جاؤوا لنَا عصَّبوا أعيننَا، وأخذونَا إِلَى عيَادة سِــجْنِ الحوض الجاف، جعلونَا نمشي صفًّا، كل واحدٍ منَّا يمسكُ بملَابسِ الذِي أمَامه، وأحدُهم يجرُّ الشَّخصَ الذِي يمشي فِي الأمَامِ بخرطومٍ مطَّاطي (هوز).

وَصلنَا إِلَى العِيادة، أَجلسُــونَا علَى الكرَاسي، كانوا يأخذوننَا علَى شكلِ دفعَات، بَدَأوا بمُنَادَاةِ أسماءِ الموقوفين، ويُجرُون لهم فحوصاتٍ حَيثُ يتمُّ قِيَاسُ الضَّغط، ويأخذون عيِّنةً من الدَّم. حِينَ جاءَ دوري

قُلتُ للشُّرطي بأنِّي مريضٌ، إذَا أُخِذَ منِّي دمٌّ أَفقِدُ وعيي، وعليه لابد أن أَستلقِي علَى سريرٍ فِي حال أَخذِ عيِّنةٍ من الدَّم.

لم يَقبلِ الشُّرطي فِي البدَاية، أَعدتُ عليه الأمر، وقامَ بإخبارِ الطَّبيب، فأمرَ بإدخالي إلَى غُرفةٍ يوجدُ فيهَا أسرَّة، استلقيتُ علَى أحدِ الأسرَّة، جاءَني الشُّرطي يَضرِبُني بخرطومٍ مطَّاطي علَى قَدمِي، وهو يقول:

هل جرَّبتَ هذَا – يَقصِدُ الخرطوم–؟

قلتُ له: نَعَم.

قال: وهل هو مُؤلِم؟

نَعَم.

هل تُرِيدُ أن تُجرِّبَه مرَّةً أخرى؟

لَا دَاعِي لذلك.

مَاذَا تعمل؟

لَا أعمل.

مَاذَا إذًا؟ عَاطِل؟

لَا، أَدرُس.

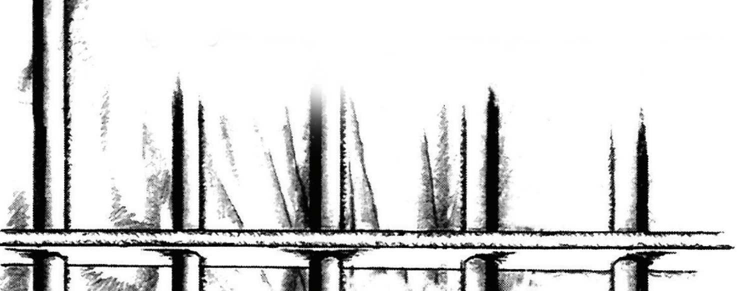

مَاذَا تَدرُس؟

دِرَاسَاتٍ دِينيَّة.

هل أَنْتَ شيخٌ مُعمَّم؟

أنَا طَالبٌ لستُ معمَّم.

أنتم مُحتالون ومُتقلّبون، كلُّ مَشايِخكم كَذَلِكَ.

ليس كلُّ الشُّــيوخِ كَذَلِكَ، والسَّيئون فِي كلِّ مَكَانٍ عِندنَا وعندكم خير، ولكن أكثر مَشايِخنَا جيِّدون.

أنت مُتقلِّبٌ كالحرباء؟

أنَا لستُ كَذَلِكَ، ولو كنتُ كَذَلِكَ لَمَا كنتُ هنَا.

مَاذَا تَقصِد؟

أقصدُ أنَّ المتقلِّبَ يلهثُ خلفَ مصلحتِه الشَّــخصيَّةِ علَى حِسَابِ مصلحةِ النَّاس، وأنَا لستُ كَذَلِكَ.

أكملَ الطَّبيبُ أخذَ العيِّنةِ من الدَّم، طلبَ مِنِّي الشُّرطِي القِيَامَ فِي حال تمكني من ذلك، لأن بقيةَ الموقوفين ينتظروني، قُمتُ إِلَى رفاقي، وعدتُ إِلَى زنزانتي. بعد دقائق جاءَ الشُّرطِي الذِي عُرِفَ بقسوته فِي التَّعاملِ معَنَا، فسألني:

هل تريدُ أن أَجلِبَ لك عصير؟

لاَ أريدُ.

قـال الأخوة: مَا بك لِمــاذَا تَرفِضُ عصير؟ ونحــن منذُ أكثر من شهرين لم نذُق طعمَ العصير.

فقلت لهم: كيــف أشربُ العصيرَ لوحدي، وبقيــة المُعْتَقَلِين لَا يشربون.

قالوا: إن هَذِهِ فرصةٌ استثمرهَا.

لم أقبل كلَامَهم، واكتفيتُ بشربِ المَاء.

رحيل بحكم جائر

بعد يَوْمِين من مجيءِ السَّيِّد عبد النبي الموسوي جاءَ أحدُ الشُّرْطَةِ ليأخذَ حامد وخليــل، ولم نكن نعلمُ إِلَى أين، ولَا متى ســيعودَان، انتظرنَاهمَا طويلًا، حلَّ الصباح، تلَاه المسَــاء، ومــرَّت أيَّامٌ ولم يَعُد الأخوان حامد وخليل، وعِندمَا نســألُ الشُّرْطَــةَ لَا يُجِيبُنا أحدٌ عَن مَكَانهمَا، بعد عدَّةِ أيَّام عرفنَا أنَّهم نُقلوا إِلَى سِجْنِ قرين، رحلَ أخوان عزيزان علَى قُلوبنَا، ولَم نودِّعهمَا، أَو نســلِّم عليهمَا، كان فرَاقُهمَا مؤلمًا بالنِّسبة لنَا.

انقطعــت أخبارُ الأخوين، ولم نكن نســمعُ عَنهم أيَّ خبر، حتَّى جاءَنا أحــدُ الشُّرْطَة، ليُخبرَنا بأنَّه قَد صدرَ حكــمٌ فِي حقِّهمَا، حُكِمَ

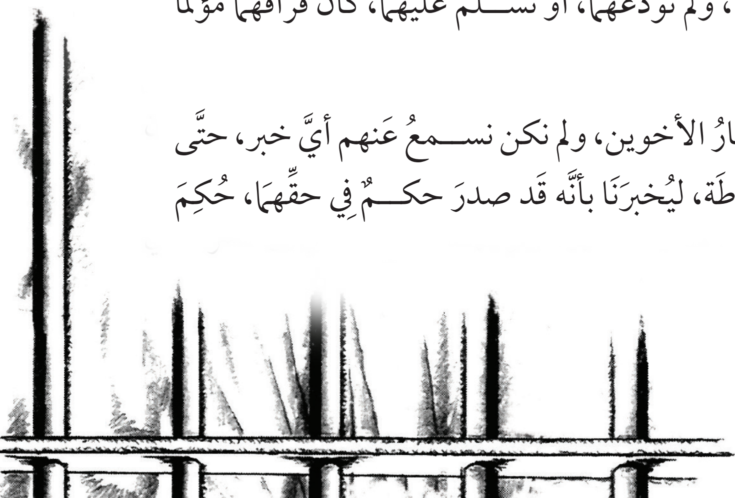

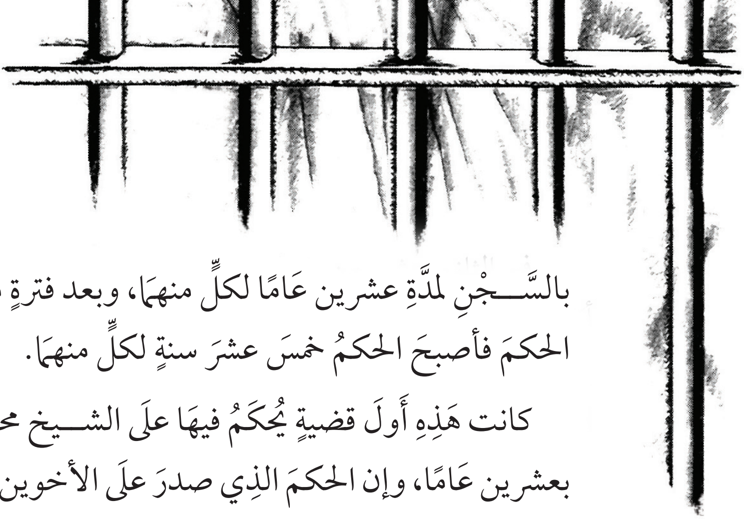

بالسَّجْنِ لمدَّةِ عشرين عَامًا لكلٍّ منهمَا، وبعد فترةٍ من الزَّمنِ استئنفا الحكمَ فأصبحَ الحكمُ خمسَ عشرَ سنةٍ لكلٍّ منهما.

كانت هَذِهِ أَولَ قضيةٍ يُحكَمُ فيهَا علَى الشيخ محمد حبيب المقداد بعشرين عَامًا، وإن الحكمَ الذِي صدرَ علَى الأخوين لم يكن إلَّا انتقامًا من الشيخ محمد حبيب المقداد.

رَان علَى قلبه:

لقَد كان الضَّابِطُ المسؤولُ عَن سِجْنِ جهَاز الأمن الوطني (بدر إبرَاهيم الغيث) سيِّئًا ومُتوحِّشًا للغاية، كان يَقضِي أغلبَ وقتِه فِي السِّجْن، كان يُدَاهِمُ البيوتَ ليلًا، ويَقضِي بقيةَ وقتِه فِي التَّعْذِيب، فِي كلِّ يَوْم يمرُّ بالزَّنَازين، ويَضرِبُ الموقوفين بدونِ رحمة، فِي بعض الأَيَّام يمرُّ مرَّتين أَو ثلَاث وأحيانًا قليلة أكثر من ذلك. هذَا الضَّابِطُ لَا يُرَاعِي أيَّ قيمٍ أَو ضوابطَ أخلَاقيَّة، أَو قانونيَّة، أَو إنسَانيَّة أبدًا.

فِي أحدِ الأَيَّامِ كُنَّا نُصلِّي وأثناء صلَاتنا، فتحَ الفتحةَ التِي بباب الزِّنْزانَة، وشَرَعَ فِي الصُّراخِ «هيَّا انهضوا، قُومُوا من مَكَانَاتِكم»

أكملنا صلَاتنَا وكأنَّنا لَا نسمعُه، فَما كان منه إلَّا أن طَلَبَ الخرطومَ المطَّاطِي لكي يَضرِبنَا، ونحن نُصلِّي، هَرَبَ الأخوةُ المصلُّون إلَى أمَاكنِهم، ودَخلَ الزِّنْزَانَةَ لينهَالَ عليهم بالسَّبِ والشَّتمِ والتَّلفُظ بالكلَامِ البذيء.

لِماذَا لم يستجب الله دعَائي؟

عِندمَـا يعصفُ البلَاءُ بالإنسَـان ينقطعُ عَنه كلُّ شيءٍ إلَّا شـيئًا واحدًا وهو الله سُـبْحَانَهُ وتَعالَى، كلَّمَا اشـتدَّ البلَاءُ بالإنسَـان كلَّمَا اقترب واِلتَصَقَ الإنسَـانُ بربِّـه، وهذَا هو حـالُ المُعْتَقَلِين، فالمحنةُ قاسيةٌ وصعبة، لقَد تجرَّدَ من رَفَعنَا له الوردَ من كلِّ صفاتِ الإنسَانيَّة، وحالُنَـا يُرثَى له، فقَد تفَنَّنُوا فِي تَعْذِيبنَا وإذلَالِنَا بشـكلٍ لَا يَخطرُ علَى قلبِ بشر، المُشـتكَى لله وحده الذِي يُمهِلُ ولَا يُهمِل، فَمَا كان منَّا إلَّا الإكثارُ من الصَّلَاةِ والدُّعَاءِ واللُّجوءِ إلَى الله سُبْحَانَهُ وتَعالَى.

فِي أَحدِ الأَيَّام سَـألَني أخٌ عزيزٌ معي فِي الزِّنْزانَةِ سؤالًا وهو: لِماذَا لم يَسـتجِبِ اللهُ دُعَائِي؟، لم يكن سُـؤالَ اعترَاض، ولم يكن سُـؤالَ سَخَط، ولم يكن سُـؤالَ عَتَب، بل كان سُؤالًا استفهَاميًّا بريئًا لمعرفةِ مواطنِ الخللِ فِي النَّفْسِ لإصلَاحها، لكي يَسـتحِقَّ الإنسَـانُ فيضَ الرَّحمةِ الإلهيَّة، أو قُلْ لرفع الحُجُبِ التِي تَمنعُ استجابةَ الدُّعَاء، «اللَّهم اغفـر الذُّنوبَ التِي تَحبِـسُ الدُّعَاء» تكلَّمتُ مع أَخِـي العزيزِ عَن بعضِ أسبابِ تَأخيرِ استجابةِ الدُّعَاء، وبعضِ أسبابِ عدمِ استجابةِ الدُّعَاء، وَجدتُه صَادِقًا فِي السَّعي لرفعِ كلِّ مَا يَمنعُ استجابةَ الدُّعَاء، واسـتجابَ اللهُ الدَّعَاء، فِي تلك الليلة جاءَ أحدُ الشُّرْطَةِ ونَقلَ الأخ

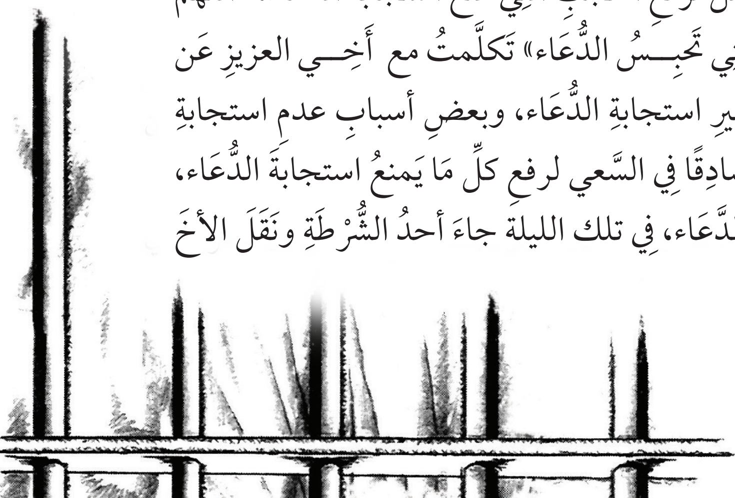

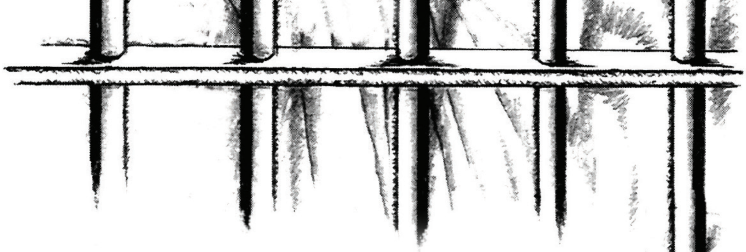

إِلَى زِنْزَانَةٍ أخرى وجُلِبَ مَكَانَه حميد الصافي، الذِي اُعتقِلَ هو الآخر فِي بيت المدهون. وفي مُنتصفِ اللَّيلِ وَصلَ نبأُ قَرارِ الإفرَاجِ عَن هذَا الأخِ العزيز وبعض الأخوةِ الآخرين فِي فترةٍ لَا يتمُّ الإفرَاجُ فيهَا عَن المُعْتَقَلِين، وذَلِكَ فِي تاريخ ٢٢/ ٥/ ٢٠١١م.

نَعَم استجابَ اللهُ الدُّعَاء، وكانت هَـذِهِ أَوَلُ دفعةٍ من دفعَات الإفرَاج، أُفرِجَ عَن ثلَاثةَ عشرَ شخصًا من العَنبرِ، كلُّهم لم تُكتَب لهم إِفادَات، فِي ليلةِ الإفرَاجِ تَسابقَ الضُّبَّاطُ الذِين اعتقلوا الشَّبابَ وانتهكوا حرمَهم من أجلِ إخبارِ المُعْتَقَلِين بخبرِ الإفرَاج، وكعَادتهم يطلبون مُقابِلًا لهَذِهِ الخدماتِ الجليلة، والثَّمنُ هو أن يبيعَ الشَّخصُ أبنَاءَ جلدته بثمنٍ بَخْس، درَاهمَ معدودة.

أنباء سهوان

فِي بِدَايةِ شهرِ مَايو تقريبًا تَفَاجأنَا بجلبِ مُعْتَقَلِين جدد، بَدَأ الشُّرطَةُ بتوزيعِهم فِي الزَّنَازين كان نَصيبُنَا أن يجلبوا معَنَا خالد سهوان، خالد من المنَامة، ولكنَّه يسكنُ فِي قريتنَا سند، وتَربِطُني به وبعَائِلته رَابطةٌ جيِّدة، تفاجأتُ بإدخالهم إِيَّاه مُقيَّدَ اليدين ومعصوبَ العينين، فَكُّوا معصميه وأطلقوا سَراحَ عينيه، كان يَحمِلُ فِي يديه «بطَّانية»، وكان يلبسُ ثوبًا أطول منه بمرَّتين، كان شعرُه طويلًا وكأنَّه لم يَعرِفِ المِشطَ مُنذُ زمنٍ طويل، فَرحتُ لرؤيته وحَزنتُ لاعْتِقَاله، مَنعُونَا من السَّلَام عليه فِي البدَايــة، لكن مَا إن خَرجُوا من الزِّنْزَانَةِ حتَّى قَفزتُ لأضمَّه

لصدري وأُهدِّئَ من روعِه، وطلبتُ منه أن لَا يُخبِرَهم أنَّه من سند، ليبقوه معَنَا وإذَا سألوه عنَّا يقولُ بأنّه لَا يَعرِفُنَا، وهذَا مَا حصل، سألوه:

من أين أنت؟

من المنَامة.

هل تعرفُ أحدًا من هؤلَاء؟

لَا

فأبقوه معَنَا، خالد اُعتقِلَ قبل أسبوعين من جَلبِه إلينَا، لَاقَى تَعْذِيبًا فِي سردَابِ القلعة، وأول شَخصٍ يَجيئُنَا بأخبارٍ من الخارج، أنباءٍ عَن اِسْتِشْهَادِ أشخاصٍ تحتَ التَّعْذِيب، وأُنَاسٍ قُتِلَت فِي الشَّارع، وأنباءٍ عَن اِعْتِقَالِ بعضٍ من أَصدقائِي وغيرهَا من الأخبار.

لو سقط النِّظَام:

فِي أحدِ الأَيَّام وكعَادةِ الضَّابطِ المسؤولِ عَن السِّجْن، الذِي يمرُّ بالزَّنَازين ويضربُ من فيهَا، ويرفعُ صوتَه بالصُّرَاخ من أجلِ إدخالِ الرُّعبِ فِي قلوبِ المُعْتَقَلِين، وَصَلَ إِلَى زنزانتِنَا فُتِحَ البابُ بقوَّةٍ ودَخَل، وإذَا بخالد قصيرِ القامةِ أمَامه، ضَرَبَه وضَرَبَ بعضنَا وخرج، بعد

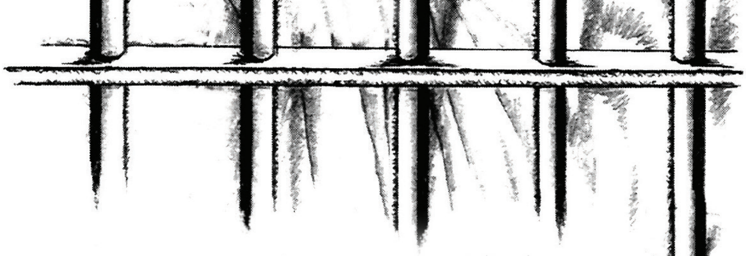

فترةٍ من الزَّمنِ عَادَ إِلَى زِنزانتنَا وهـــو يَبحثُ عَن خالد، وانهَالَ عليه بالسَّبِ والشَّتم، ويُردِّد: يَابن كذَا وكذَا، لو سقطَ النِّظَامُ لكنتُ أنَا فِي السِّجْن، وأنت الذِي تضربُني، يبدو أنَّه حِينَ يَذهبُ إِلَى مكتبِه تُرَاوِدُه أفكارٌ وسينَاريوهَات سقوطِ النِّظَامِ مَاذَا سيحلُّ به.

معذَّبٌ فِي أرض النيَابة:

سرعَـــان مَا تَمَّ أخذُ خالــــد إِلَى النِّيَابةِ العســــكريَّة، فِي أحدِ اللَّيَالي جاؤوا إِلَى خالد، وطَلبُوا منه أن يُوقِّـــعَ علَى أَورَاقٍ كانت تُعتَبَرُ إفادةً له، فِي أيَّامٍ قلَائل تَمَّ أخذُ خالد إِلَى النِّيَابةِ العسكريَّة. فِي المسَاءِ قالوا له تهيَّأ لكي يأخذوك صباحًا إِلَى النِّيَابةِ العسكريَّة، هذَا الأمرُ جَعَلَ خالد يَتوتَّرُ ويَضطرِب.

تَطلَّبَ الموقفُ أن نُهدِّئَ من روعه، بادرتُ إِلَى تهدئته بأن النِّيَابةَ لَا يُوجدُ فيهَا ضَرْبٌ ولَا تَعْذِيب، وهنَاك يَحِقُّ لك أن تَنفِي أيَّ اعترَافاتٍ أُخـــذِت منك تحتَ التَّعْذِيبِ وبالإكرَاه، وسَرَدتُ له بعضَ التَّجارِبِ التِي مرَّ بهَا الأخوة من قبلِه الذِين تَمَّ أخذُهم إِلَى النِّيَابةِ العسكريَّة.

هَـــدَأَ روعُ خالد، وفِي الصَّبـــاحِ تَمَّ أخذُ خالد مــــع مجموعةٍ من المُعْتَقَلِين، ومَا إن وَصَلَ المُعْتَقَلون إِلَى سِجْن قرين، لكي يتمَّ نقلُهم إِلَى القاعدةِ العسكريَّة، من أجلِ لقاءِ النَّائبِ العسكري إلَّا وانهَالَ عليهم أحدُ المسؤولين عَن سِجْنِ قرين بالضَّربِ المُبرِّح جدًا، وانهَالَ عليهم بسيلٍ من الشَّـــتائمِ والسِّـــبَاب، وأمرهم بأن يقوموا ببعضِ الأعمَال

المهينة والمُذِلَّةِ قَاصِدًا تَعْذِيبَهم، وإهَانتَهم، إذلَالَهم، وكَسرِ عزيمتهم، وقَد لَاقَى الأخوةُ فِي ذَلِكَ اليَومِ ضَرْبًا مبرحًا جِدًّا مع أنَّه لم يكن هنَاك أيُّ مُبرِّرٍ لذلك.

اسـتمرَّ تَعْذِيبُهم وإهَانتُهم فترةً من الزمن، ومن ثم تَمَّ نقلُهم إِلَى القاعدةِ العسـكريَّة، من أجل لقاءِ النَّائبِ العسكري وهنَاك وُجِّهَت لخالد تهمةُ الانتمَاء إِلَى التيَّارِ الشيرَازي، وأنَّهم يريدون أن يقلبوا نظامَ الحكمِ بقوَّةِ السِّـلَاح. وقَد هدَّدَ النَّائبُ العسكري خالدًا بأن مصيرَه الإعدَامُ فِي حال ثَبتَتِ التُّهمةُ عليه.

خالد نفى التَّهمـةَ التِي وُجِّهَت إليه، ولكنَّه أخـذَ تهديدَ النَّائبِ العسكري بعين الجِد، واعتقدَ أنَّهم سيعدمونه حقًا، هذَا الأمرُ تسبَّبَ فِي بثِّ الخوفِ فِي قلبِ خالد المتروِّع، وحَرَمَه من النَّومِ عدَّة ليَالٍ.

عِندَ رجوعِ خالد من النِّيابةِ العسـكريَّةِ فِي فجرِ اليَومِ التالي كانت آثارُ الضَّرْبِ وَاضِحةً جَليَّةً علَى جسـدِ خالد، وقبل وصولِ خالد تَمَّ جَلـبُ مجموعةٍ من الذِين أُخِذُوا معه، وحصلَ لهم مَا حصلَ له، فتمَّ أخذُهم إِلَى العيَادةِ لعلَاجِ آثارِ الضَّرب، حِينَ وصلَ خالد بحالته هَذِهِ نصحتُه بـأن يذهبَ للعيَادة، ولكنَّه خافَ كثيرًا، طمأنتُه بأن من جاءَ قبلك تَمَّ أخذُه إِلَى العيَادة، وتحدَّثتُ مع أحدِ الشُّرطَةِ لكي يأخذَه إِلَى العيَادةِ من أجلِ العلَاج، فمَا كان منه إلَّا أن أخبرَ الضَّابطَ المسـؤول

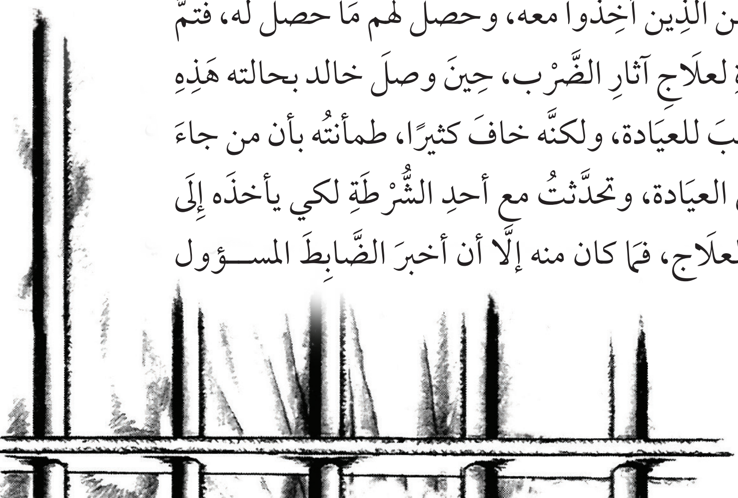

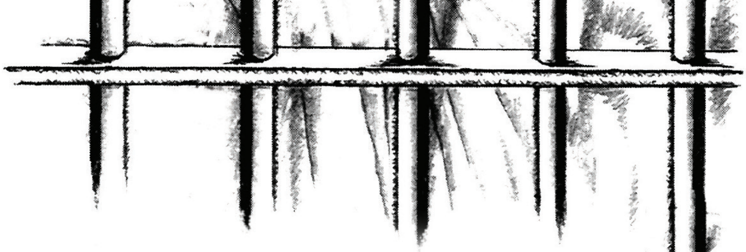

عَن السِّـــجْنِ فجاءَ وانهَالَ علَى خالد بالضَّرْبِ والشَّتم، ولم يتمَّ أخذُه للعيَادة.

الملجاوي:(م.ع)

طَالمَا أدخلَ السُّرورَ والبهجةَ ورســمَ البسمةَ علَى وجوهِ المُعْتَقَلِين بســجيَّته وطبيعتِه المضحكةِ فسرعَان مَا يزعــلُ وسرعَان مَا يرضَى، وتبقى الابتسَامةُ مرسومةً علَى وجوهِ من معه فِي فرحِه وزعلِه...

فِي السِّـــجْنِ يحكِي كلُّ واحدٍ منَّا قِصَصَـــه وطَرَائِفَه وكان لـ (م. ع) نصيبُ الأســدِ فِي ذلك...بِدْأً من حِينِ اِعْتِقَالِه حَيثُ هُجِمَ علَى منزلِ والده واُعتقِلَ من غُرفةِ نومِه، وحِينَ القبضِ عليه قال الضَّابطُ المسؤولُ عَن الاِعْتِقَال للضَّابِطِ الذِي يَرْأَسُه بالبرقيَّة: «سَيِّدي قَبضنَا علَى الهدف»

تعجب (م.ع) وقال:أنَا هدف؟!!!!

كان (م.ع) نَشــطًا قبل اندلَاعِ الثَّوْرَةِ ولكن تَــمَّ اِعْتِقَالِه فِي أحدِ المرَّات وتمَّ تَعْذِيبُه تَعْذِيبًا شَــدِيدًا وأُفرجَ عَنه ضمن حملةِ إفرَاجاتٍ حصلَت للمُعْتَقَلِين السِّيَاسِيِّين، ومن ذَلِك الحِينِ قَرَّرَ أن لَا يُشارِكَ فِي الفعَالياتِ السِّيَاسِيَّةِ أبدًا.

وحِينَ اندلَعت ثَوْرَةُ الرَّابعَ عشر من فبرَاير لم يُشــارِك فِي الثَّوْرَة، وهو من الأشخاصِ النَّادرين الذِين لم يُضرِبوا عَن العمل، كل ذَلِك

خشيةَ الإِعْتِقَال، إلَّا أن ذَلِكَ لم يشفع له ولم يُنجِه من الإِعْتِقَال...

اُعتقِـلَ وأُخِذَ إِلَى القلعــة ونَال نصيبَه من العَــذَاب وقَد نُقِلَ إِلَى المستشفى ليتلقَّى العلَاجَ حِينَ لم يتحمَّل سيَاطَ الجلَّادين وهي تتلوَّى علَى جسدِه النحيل...

اتهم (م.ع) بعدَّةِ اتهامَاتٍ منهَا اســتخدَامُ السِّيوفِ للهجوم علَى الآســيويين فِي المنَامة، والتجمهر، وتنظيــم التَّظاهُرَاتِ وغيرهَا من التُّهمِ التِي هِيَ مركونةٌ فِي الدرجِ لتُقسَّمَ علَى كلِّ متَّهمٍ لَا توجدُ عنده تهمــة ... وقَد اعترفَ علَى التُّهمِ التِي نُســبت إليه تحتَ وَقعِ التَّنكيلِ والتَّعْذِيب.

(م.ع) من القلَائلِ الذِين استطَاعَ النِّظَامُ أن يُبعِدَهم عَن السِّيَاسَةِ تحتَ تهديدِ الضَّرْبِ والإِعْتِقَال...

فِي أحــدِ الأَيَّامِ ذَهبَ أحــدُ الأخوةِ إِلَى المحكمةِ العســكريَّةِ وفِي المحكمةِ نَصَحَ أحدُ الأخوةِ بذكرٍ يُردِّدُه الســجين كي يُفرِّجَ اللهُ عَنه أسرَه –هذَا حال المسَاجين يبحثون عَن القشَّةِ التِي تُنقِذُهم من الغرقِ – فأتى الشَّــابُ من جلســةِ المحكمةِ مُســتبشِرًا لكي يُخبِرَ أصحابَه بالذِّكر الذِي قيلَ له عَنه لكي يَفكَّ اللهُ أسرَ الشَّــباب،وقَد كان الذِّكرُ طويلًا جِدًّا بحَيثُ يأخذُ من الشَّــخصِ مَا يُقارِبُ الـ(١٠) سَاعَات

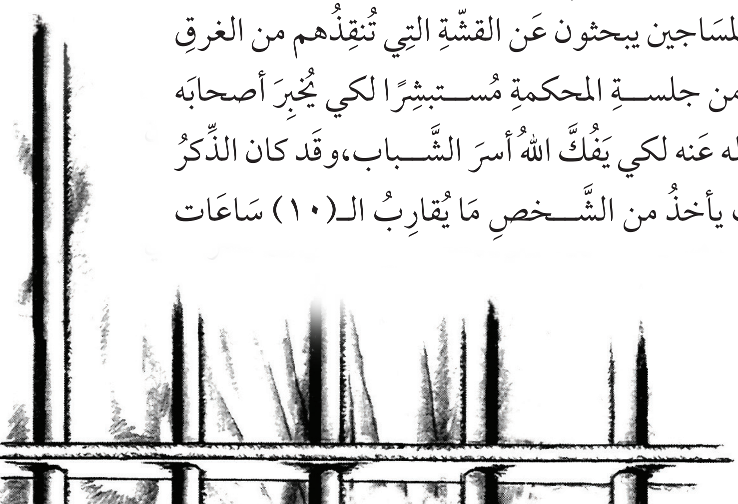

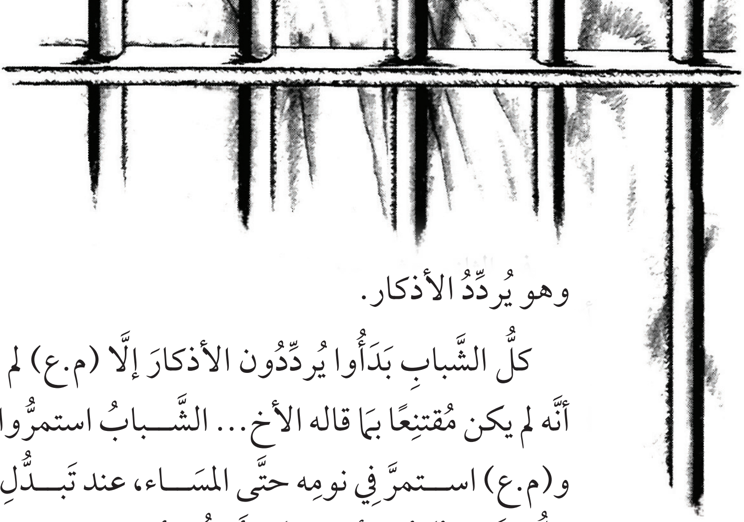

وهو يُردِّدُ الأذكار.

كلُّ الشَّبابِ بَدَأُوا يُردِّدُون الأذكارَ إلَّا (م.ع) لم يكن معهم، يبدو أنَّه لم يكن مُقتنِعًا بمَا قاله الأخ... الشَّـبابُ استمرُّوا فِي تَردِيدِ الأذكار و(م.ع) اسـتمرَّ فِي نومِه حتَّى المسَـاء، عند تَبـدُّلِ النَّوبةِ جاءَ بعضُ الشُّرْطَـةِ ليُنَادُوا بأسـمَائِنَا وأخذُوا أرقامَ هواتـفِ أهَالينَا إلَّا (م.ع) لم يكن من الذِين ذُكِرَت أَسـمَاؤُهم !!! فزعَ (م.ع) من مَكَانِه وسَـأَلَ الشُّرطي: تَأَكَّد هل اسمي من ضِمنِ القائمةِ أو لَا؟!!!

فأجابَـه الشُّرطِي بعدمِ وجودِ اسـمه من ضِمـنِ القائمةِ فكرَّرَ السؤالَ عِدَّةَ مرَّات ولكن الإجابةُ كانت خيبةَ أمل...

الشُّرطَةُ لم يخبرونَا عَن سَبَب أَخذِهم لأرقامِ هَواتِفنَا فكان الشَّبابُ يَظنُّون أن بركاتِ الذِّكر قَد أَينعَت ثِمَارُهَا وأن الإفرَاجَ قاب قوسـين أو أدنى...

(م.ع) النَائمُ قامَ علَى طولِه وبَدَأَ يسـأَلُ عَن الذِّكرِ وكيفيَّته وعددِ المـرَّات التِي يَنبغِي أن يُردِّدَهَا، فجـاءَه الشُّرطي بعد حِين وقالَ لقَد وجدتُ اسـمَك فِي ضمنِ قائمةٍ أخرى...ففرحَ (م.ع) وتوقَّفَ عَن الذِّكر!!!

زيَارَات تستهدفه:

(م.ع) كان مُتعَبًـا من السِّـجْنِ لدرجةِ أن يظهرَ أثـرُ ذَلِك علَى

ملَامح وقسمَاتِ وجهه المُتعبِ والمُحبطِ، وهذَا النَّوعُ من النَّاسِ يُعتبَرُ فريسةً ســهلةً للنِّظامِ وجلَاوِزته فقَد كان الضُّبَّاطُ والشُّرْطَةُ يَمرُّون فِي الزَّنَازين ويبحثون عَن فريسةٍ سهلةٍ يُمْكِنُهم أن يُغروهَا بالإفرَاجِ عَنهَا لتبيعَ أبنَاءَ جلدتهَا، حُدِّدَ الهدفُ: (م.ع)...

جاءَ أحدُ الضُّبَّاطِ الجددِ الذِين لم يمتهنوا المهنةَ بشكلٍ جيِّدٍ ونَادَى (م.ع) أَمَــامَ مَرأى الأخوةِ وأَخذَه لإحــدى الزَّنَازينِ وعَرَضَ عليه عرضَه المُغرِي... اعمل معَنَا وســنُخرِجُك من السِّــجْن... فمَا كان جَوَابُ (م.ع) إلَّا الرَّفــضَ تعجَّبَ الضَّابِطُ من جوَابه فطلبَ منه أن يُفكِّرَ علَى مَهلِه وأن العرضَ سَــارٍ له حتَّــى يُقرِّرَ... رَجعَ (م.ع) إلَى الزِّنْزَانَةِ فِي الزَّاويةِ التِي تجمعنــي وإيَّاه وأخبرني بالعرضِ الذِي قُدِّمَ إليه وقال: «سندي صحيح أَنَا مُتعب من السِّجْنِ ولكن لن أبيع أبنَاء وطني ولو قضيتُ عُمرِي كله فِي السِّجْن».

كثرة النوم

كان (م.ع) كثيرَ النَّومِ ولَا يَتحرَّكُ من مَكَانِه إلَّا قَلِيلًا، كان يخشى أن يتحرَّكَ من فِرَاشِــه فينَال نصيبَه من الضَّرْبِ والإهَانةِ لأن بعض الشُّرْطَةِ كانوا يبحثون عَن أتفه الأســبابِ ليَضربونَا ويُهينونَا، فكان النَّومُ وســيلتَه لحرقِ الوقتِ ليقتربَ وقتُ الافرَاجِ ولكي يهربَ من

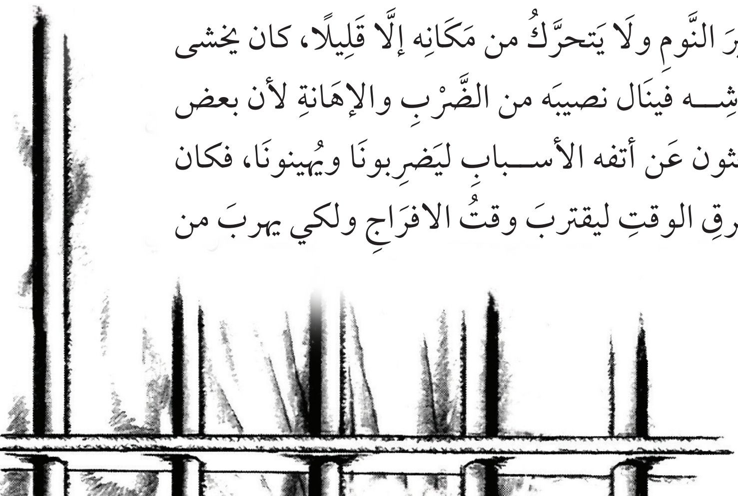

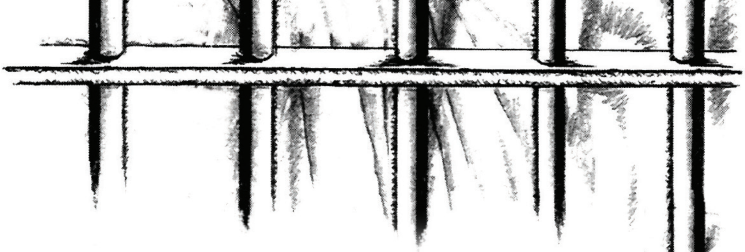

ضَرْبِ وإهَانَـاتِ الشُّرْطَة، وفي أحدِ الأَيَّـامِ أطلّ علينا أحدُ الشُّرْطَةِ البحرينيين الذِين كانوا يَستهدِفُونني بالضَّرْبِ بشكلٍ شبهِ يَومِي من فتحةِ البابِ فقامَ الشَّبابُ علَى أقَدامِهم ظنًّا منهم أنّه الضَّابِطُ المسؤولُ عَن السِّـجْنِ لأنّهم قَد أعطونَا أوامرَ بأن نقفَ علَى أرجلِنَا حِينَ يُطِلُّ الضَّابِطُ المسؤول فقامَ الجميعُ إلَّا أنَا و(م.ع) الذِي كان يَتحدَّثُ معي ونحن مسـتلقين ولم نُعِرِ إطلَالَته أيَّ اهتمَام، فما كان من الشُّرطي إلَّا أن أمـرَ الجميعَ بالجلـوسِ وأمرنِي مع (م.ع) أن نَقِـفَ علَى أقدامِنا ونرفعَ أيدينَا إلَى الأعـلى حتَّى نِهَايَةِ الدَّوام، مَا إن ابتعدَ الشُّرطِي عَن بابِ غُرفتِنَا حتَّى أنزلتُ يدي لأرتاحَ فكان خوفُ (م.ع) من العقابِ يجعلُـه يَغضبُ منِّي لأن فِي حال رأونِي وأنَا غير رَافعٍ ليدي فإنّ ذلِكَ قَد يُعرِّضُني وإيَّاه لعقابٍ أكبر...

الضَّابِطُ المسؤول عَن السِّـجْنِ كعَادتِه اليَوميَّة يمرُّ علَى الزَّنازين ليضربَ المسَـاجين ويَسـبَّهم ويُهِينَهم، وفي كلِّ مرَّةٍ يمرُّ يأمرُ الجميعَ بأن يُنزِلُوا رؤوسَـهم فِي اتجاه الأرضِ لكي لَا يستطيعوا التَّعرفَ علَى ملَامحِ وجهِه القبيح، (م.ع)ومن شدَّةِ خوفِه كان يُنزِلُ رأسَه بشكلٍ كبيرٍ وكأنَّه فِي مظهرِ الرُّكوعِ ففي كلِّ مرَّةٍ يضربُ الضَّابِطُ الشَّبابَ وهو ينجو من الضَّرْب... فقام بعضُ الشَّبابِ بالمزح مع (م.ع) بإظهَارِهم لحسدِهم له لأنهم يُضربون وهو لَا يُضربُ إلَّا قليلًا فقاموا بالمزحِ مع الشُّرطِي وقالوا له مَا بالُنَا نُضرَبُ ولَا يُضرَبُ (م.ع)؟!!!

ففـي اليَوم التالي جـاء الضَّابِطُ ودخلَ زنزانتنَـا وضَربَ (م.ع)

فقط وخَرَجَ من الزِّنْزَانَةِ فَما كان من (م.ع) إلَّا أن غَضِبَ وزَعَلَ عَلَى الشَّبابِ زعلًا طويلًا!!!

في أحـدِ الأَيَّام جاءَ الضَّابِطُ المسـؤولُ وبَدَأَ يسـألُنا عَن قضايَانا والتُّهمِ الموجهةَ إلينَا، وحِينَ وَصَلَ إِلَى (م.ع) سـألَه عَن قضيته وأنه شاركَ فِي الدوَّارِ أو لَا فأجابَه (م.ع): نَعَم مولَاي... تَعجَّبَ الضَّابِطُ من الإجابة وقال: «شفيك قاعدين فِي مسلسل احنَا»؟!!!

(م.ع) كان كثيرَ التَّأثُرِ والإعجابِ بمسلسـلِ «جحا» فكان كثيرًا مَا يذكرُ لنَا قِصَصَ جحا مع القاضِي والمِسمَارِ وخُدَعِ جحا ويحاول أن يُطبِّقَ أفكارَ جحا علَى قضيَّته ومَسَارِ محكمتِه...

معَاملتهم

لقَد لَاقى السُّجْنَاءُ فِي سِجْنِ الأمن الوطني عَنبر (١٠) فِي الحوض الجاف مختلفَ أنواعِ الانتهَاكاتِ لحقوقِ الإنسَـان وحقوقِ السَّجين، فقَد كان المسـؤولون عَن السِّـجْنِ يَتفنَّون فِي إنـزالِ المَذلَّةِ والإهَانةِ بالمُعْتَقَلِ والسَّـجين وكان ذَلِكَ بشـكلٍ مُمنهَجٍ ممَّا يُدلِّلُ علَى أن هَذِهِ التَّصرفاتِ هِيَ أَوامرُ من جِهَاتٍ عُليَا وليسـت تَصرُّفاتٍ شَـخصيَّةٍ تَصدرُ من نفس الشُّرطـي المُكلَّفِ بحِرَاسـتنَا، أذكرُ بعض الأمور التِي كانت تُمَارسُ ضِدَّنَا فِي دَاخلِ السِّـجْنِ بعد انتهَاءِ فترةِ التَّحقِيق

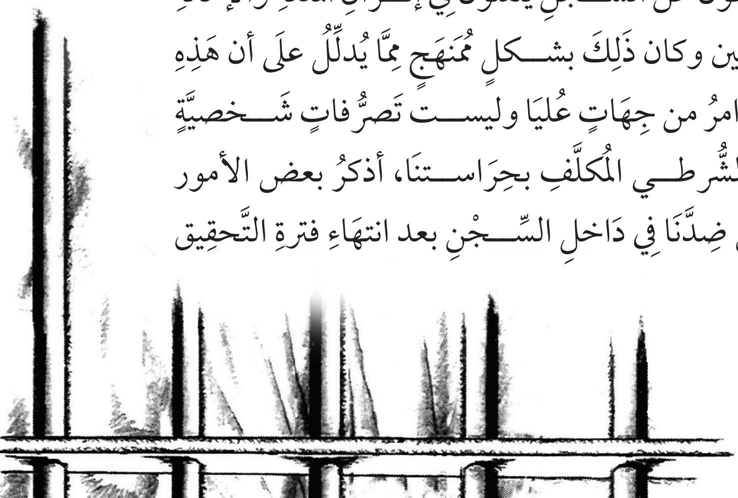

مِمَّا يَعنِي أن هَذِهِ التَّصرفاتِ ليســت من أجلِ انتزاعِ اعترَافات، وإنَّما كانت من بابِ التَّشــفِّي والإمعَانِ فِي الإذلَال، فحِينَ نخرجُ للحمَّامِ من أجلِ قضاءِ الحاجةِ يُمنَحُ لنَا مدَّة دقيقة واحدة فقط!!!

لَا أدري فيمَا يَقضِيها المُعْتَقَلُ المســكين، مع أنهم لَا يسمحون لنَا بقضاءِ الحاجــةِ إلَّا فِي أَوقاتٍ مُحدَّدةٍ فِي اليوم وهــي أَوقاتُ الصَّلَاة الثلَاث -صباحًا وظهــرًا ومغربًا- وعليه إذَا احتاجَ أَحدُنَا إلَى الحمَّامِ عليه أن يطرقَ البابَ وقلَّمَا يُفتَحُ البابُ وإذَا فُتِحَ يقومُ الشُّرْطَةُ المدنيون بالصُّرَاخِ فِي وجه الطَّارقِ وشتمِه ويحصلُ علَى بعضِ الرَّكلَاتِ وبعضِ الصَّفعَاتِ أَو بعضِ اللَّشطَاتِ فِي بعضِ الأحيَان.

أمَّا حمَّامُ السِّباحةِ فحدِّث ولَا حرج، حَيثُ لَا يُسمَحُ لنَا بأكثر من ثلَاث دقائق للسِّــباحة، حَيثُ يَقِفُ علَى بــاب الحمَّامِ أحدُ الجلَاوزة -البحرينيين- ويبدَأُ بالصُّرَاخِ ويُهدِّدُ بفتحِ البابِ فِي حالِ عدم إغلَاقِ المَاءِ والخروجِ فِي أسرعِ وقتٍ ممكــن، وكان أحدُ الجلَاوزةِ لَا تُفارِقُه كلمة «سريع سريع»، وكثيرًا مَا أغلقَ الشَّــبابُ المَاءَ ولَبسُــوا ثيابَهم والصَّابون لَا يزال عَالِقًا فِي أجسَامهم!!!

بل تطوَّرَ الوضــعُ بفدَاحةٍ فِي فــترَاتٍ لَاحِقةٍ حَيــثُ قامَ بعضُ الشُّرْطَةِ- البحرينيين-بفتحِ أبوابِ الحمَّامَاتِ علَى الشَّبابِ وهم عُرَاةٌ يَستحِمُّون، وكانوا يسخرون منهم، ويُخرِجون بعضَ الشَّبابِ لنقلِهم من أحدِ الحمَّامَاتِ إلَى آخر وهم عراةٌ بهدفِ إهَانتِهم والتَّنكيلِ بهم.

أَمَّا بالنِّســبةِ إِلَى المَلَابس فإنهم لم يسمحوا إِلَى المسَاجين بالاتصالِ بأهَالِيهم لجلبِ ملَابسَ لهم إلَّا بعد شهرٍ من الِاعتِقَال ولكن حتَّى مع جلبِ الأهلِ للملَابسَ لم يُسمح لنَا بالاستفادةِ من هَذِهِ الملَابس، وكُنَّا نُجبَرُ علَى لِبسِ ملَابسِ نوم قَد جَلبُوهَا لنَا وهي فِي حَالَةٍ سَــيِّئَةٍ جِدًّا، فقَد لَا تَكُونُ قطعةٌ واحدةٌ مِنهَا سَالِمَة، وهي عبارةٌ عَن جَلَّابيَّاتٍ مُمزَّقةٍ وعَدُدهَا قليلٌ لَا يَكفِي لعددِ المسَــاجين، وأمَّا الملَابسُ الدَّاخلية فهي الأخرى لَا تكفي لعددِ الموقوفين مِمَّا يَعنِي أن كثيرًا من المُعْتَقَلِين يَلبَسُ جَلَّابيَّةً مُمزَّقةً ومن غــير ملَابس دَاخليّةٍ مِمَّا يُجبِرُه علَى أن يختبيءَ تحت اللِّحاف إِلَى أن يُفرِّجَ الله عَنه بسروالٍ يلبسُه لكي يستطيعَ أن يتحرَّكَ بحريةٍ فِي زنزانته الصغيرة...

الشِعر...

كان بعــضُ الشُّرطَةِ وبعضُ الضُّبَّاطِ يطلبون من بعضِ الموقوفين أن يُلقُوا الشِّــعرَ فِي مــدحِ الطَّاغيةِ حمد وطَلَبِ العفــو منه، وهذَا مَا حصل...

فقَد ألقَى بعضُ المُعْتَقَلِين شِــعرًا فِي الطَّاغيةِ حمد بصوتٍ مُرتفِعٍ فِي وســطِ العَنبرِ ليسمعَ الشِّعرَ جميعُ الموقوفين، واختلفت دوافعُ المُلقِين للشِّــعرِ بين رَاجٍ للإفرَاج عَنــه، ورَاغبٍ فِي ســيجارة! ومجبورٍ علَى

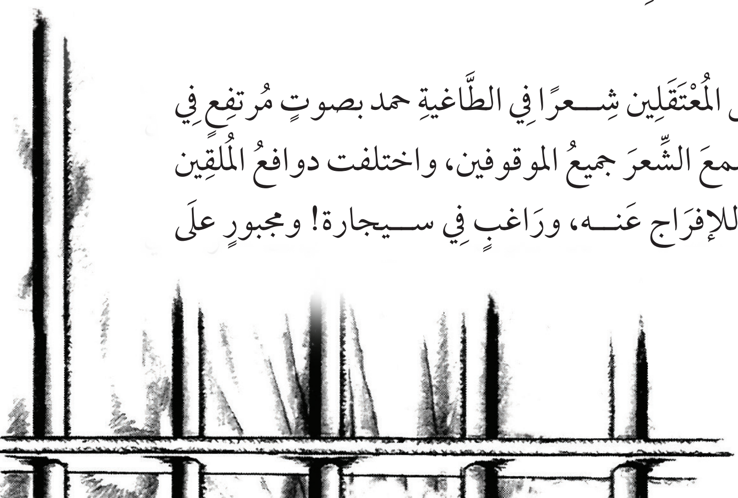

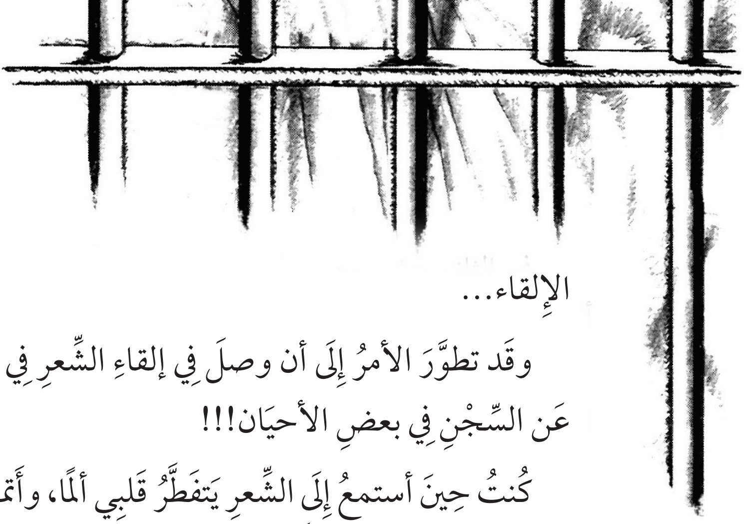

الإِلقاء...

وقَد تطوَّرَ الأمرُ إِلَى أن وصلَ فِي إلقاءِ الشِّعرِ فِي الضَّابِطِ المسؤولِ عَن السِّجْنِ فِي بعضِ الأحيَان!!!

كُنتُ حِينَ أستمعُ إِلَى الشِّعرِ يَتفطَّرُ قَلبِي ألمًا، وأَتمنَّى المَوْتَ على أن أرى ثائرًا يَنهزِمُ أمَامَ جلَّاديه...

النشيد الوطني

تَطوَّرت الأفكارُ الإِذلَالية للمُعْتَقَلِين، ورغبةً فِي كسرِ عُنفوان الثوَّارِ قامَ الشُّرْطَةُ بإجبارِ المُعْتَقَلِين علَى تَردِيدِ النَّشيدِ الملكي الذِي كلُّه مدحٌ وثناءٌ فِي شخصِ الطَّاغيةِ حمد ولذَلِكَ سُمِّيَ النَّشيدَ الملكي وليس الوطني...

فقَد كان الشَّرطِي يمرُّ بالزِنْزَانَةِ تلو الأخرى ليُجبِرَ المسَاجين علَى تَردِيدِه، ومن الأمورِ اللَّافتةِ أنَّ جُلَّ -إن لم يكن كل المُعْتَقَلِين- لَا يحفظُ هذَا النَّشيد... فقامُوا بتَحفيظِنَا إيَّاه لنُردِّدَه كلَّما طلبوا منَّا ذلك...

من الأمورِ التِي أأسفُ لذِكرهَا هِيَ أن بعد فترةٍ من إجبارِ الشُّرطَةِ لنَا بتَردِيدِ هذَا النَّشيد، تحصلُ حَالَةٌ من التَّطبيعِ النَّفْسي فِي نفوسِ بعضِ المُعْتَقلِين، حَيثُ يُردِّدُ النَّشيدَ سواءً أكان مجبرًا أم غير مجبر، بل قَد يتبرَّعُ البعضُ بتُردِيدِه للشُرطَة!!!

تقبيل صور الطغاة..

إحدى الأسَاليب التِي يَستخدمُهَا الشُّرْطَةُ «البحرينيين» للإمعَانِ فِي الإذلَالِ هِيَ إجبــارُ المُعْتَقَلِين بعد كُلِّ وضــوءٍ للصَّلَاةِ أن يُقبِّلُوا صــورَ الملكِ وولي عهده ورئيس الوزرَاء التِي تَمَّ لَصقُهَا علَى جدرَان العَنبر، وأن يُقَدِّمَ لهم التحيَّةَ العسكريَّةَ ويَرفَعَ صوتَه بـ«عَاش جلَالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، عَاش سمو ولي العهد الأمين، عَاش سمو رئيس الوزرَاء الموقر».

ويُردِّدُ بقيةُ المُعْتَقَلِين «عَاش عَاش عَاش»

كان هذَا الأمرُ يُعرِّضُ الكثيرَ من الشَّبابِ للضَّرْبِ لأنه لَا يَحتَمِلُ أن يتلفَّظَ بِهَذِهِ الكلِمَات فقَد كان الشُّرْطَةُ يُرَاقِبون المُعْتَقَلِين وقَسمَاتِ وجوهِهم ليتعرَّفُوا علَى مدى امتعَاضِ الشَّــخصِ من هذَا السُّــلوكِ وإجبارِه علَى تكرَار الأمر...

التدخين أوَل مَا سمح به للمُعْتَقَلين!!!

كلُّ شيءٍ ممنوعٌ فِي السِّجْن، وكلُّ شيءٍ يُضيَّقُ عليه، وتشَدِيدٌ كبيرٌ جِدًّا، حتَّى القرآن وكتب الدُّعَاء ممنوعة، لبسُ ملَابِسنَا الخاصَّةِ ممنوع، الشَّرَابُ لَا يســمحُ بغير المَاء، يُمنَعُ أن نقــومَ بزيَارَاتٍ إلَى الزِّنزانَات

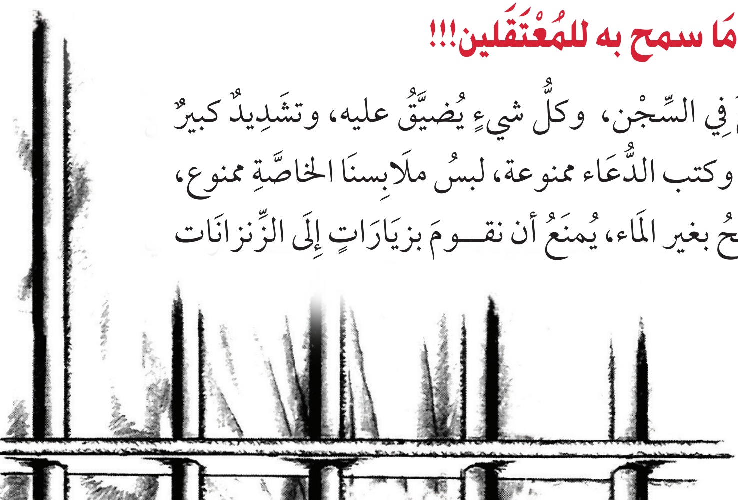

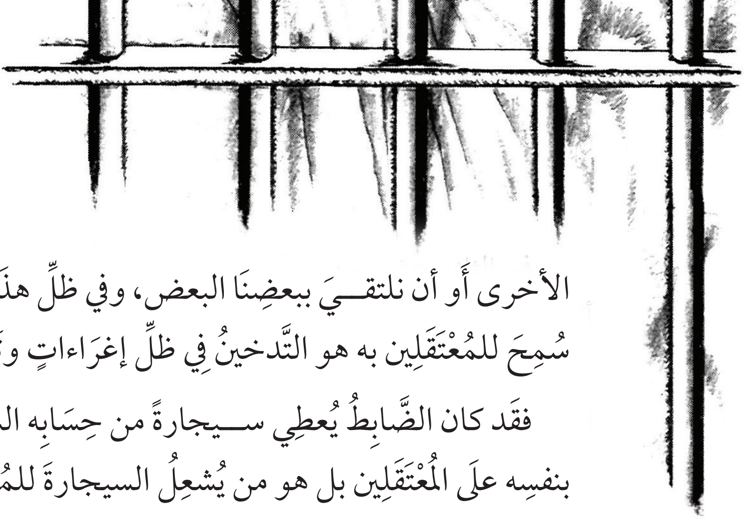

الأخرى أَو أن نلتقـــيَ ببعضِنَا البعض، وفي ظلِّ هذَا التَّضييقِ أَول مَا سُمِحَ للمُعْتَقَلِين به هو التَّدخينُ فِي ظلِّ إغرَاءاتٍ وتَشجِيعٍ لذلك!!!

فقَد كان الضَّابِطُ يُعطِي ســيجارةً من حِسَابه الشَّخصِي ويُوزِّعُهَا بنفسِه علَى المُعْتَقَلِين بل هو من يُشعِلُ السيجارةَ للمُعْتَقَل!!!

وكان يُســمَحُ للمدخنين أن يلتقوا فِي حَمَّامَاتِ السَّباحةِ ليدخنوا مع بعضهم البعض ويتحدَّثوا مع بعضهم البعض أثناء التدخين!!!

هــذَا الأمرُ دفعَ بعضَ المُعْتَقَلِين الذِيــن لَا يُدخِّنون إِلَى التَّدخين، ودفعَ بعضَهم الآخر الذِين قطعــوا التَّدخين لفترةٍ طويلةٍ أن يعودوا للتدخين!!!

تيمور كريمي

تيمور هو محامٍ برزَ اســمُه قبــلَ الثَوْرَة حِينَ تَرَافَــعَ للدِّفاعِ عَن قضيةِ الشَّــبابِ والعُلَماءِ الذين تَمَّ اِعْتِقَالُهم فِي شــهرِ رمضان الذِي سبقَ الثَّوْرَة، تيمور اســمُه غريبٌ لم يألفه البحرينيون من قبل إلَّا فِي المسلســلَاتِ القَدِيمة، أغلبُ الذِين يلتقون بالمحامِي تيمور يسألونه عَن سَبَبِ تســميةِ والده له بهذَا الإســم فكان يُجِيبُنا بأنَّه اسمٌ لأحدِ القادةِ الفرس الذِين سَــمعُوا خطبةَ العباس بن علي عليه السلَام فِي مكة المكرمة فعزمَ علَى نُصرَةِ الإمَّام الحســين فسَافرَ ليَجلبَ الأنصارَ ولكنَّه وصلَ متأخرًا فكانت واقعةُ كربلَاء قَد انتهت بِاسْتِشْهَادِ الإمَّام الحسين عليه السلَام، فسمَّاه والده بهذَا الاسم تَيَمُّنًا بهذَا القائدِ الذِي

كان يَنوِي نُصرَةَ الإِمَّام الحسين عليه السلَام.

اُعتقِـلَ تيمور من ضِمـن مجموعةٍ من الأخـوة ذَوِي الأصولِ الإيرَانيَّة بتهمةِ التَّخابرِ مع الجمهوريةِ الإسـلَاميَّةِ الإيرَانيَّةِ وكان من ضمنِ المُتَّهمِين فِي قَضيتِهم الشَّهيد عبد الكريم فخرَاوي (رحمه الله)، نَالَ تيمور نصيبَه من العَذَابِ كمَا هو حـالُ بقيةِ المُعْتَقلِين الآخرين، إلَّا أن تيمور نحيلٌ جِدًّا وهو ذو ٥٣ عَامًا، وهو أحدُ الذِين شَـهدُوا تَعْذِيبَ الشَّهيدِ فخرَاوي أيضًا، كان الجَلَّادُ يَضرِبُ فِي تيمور ولكنَّه لَا يجدُ مَكَانًا لِيَضرِبَه فيسألُ الضَّابطُ المسؤولُ عَن التَّعْذِيب أين أضربُه؟ هذَا جلدٌ وعظـم... فيُعلِّقُ تيمور وهل أَنْـتَ مجبورٌ علَى ضَرْبِي؟!! اتركني أرتاحُ فيأخـذه الجَلَّادُ ذو الجثَّةِ الكبـيرةِ والضَّخمةِ ويَحمِلُه ويرميه علَى الأرض...

اعتقـلَ تيمور فِي اليَومِ الذِي وصلَ فيـه من الأردن حَيثُ كانت زوجته (أم علي) تَتعَالجُ هنَاك لمرضِ السَّرطَانِ الذِي أَصَابهَا، وكانت حالتُهَـا صعبةً جدًا، وهي بحاجةٍ إِلَى إجرَاءِ عَمليةٍ مُسـتعجَلة، كان مـن المُقرَّرِ أن تُجرَى العمليةُ فِي اليَومِ الذِي تـلى مداهمةَ المنزلِ إلَّا أن جلَاوزةَ النِّظَامِ الذِين لَا يَعْرِفون الرَّحمةَ قاموا بمدَاهمةِ المنزلِ وَروَّعُوا أهلَه وزوجتَه المريضةَ واعتقلوا المحامي تيمور كريمي رئيسِ مجلسِ إِدَارةِ مأتم كريمي بالمحرق.

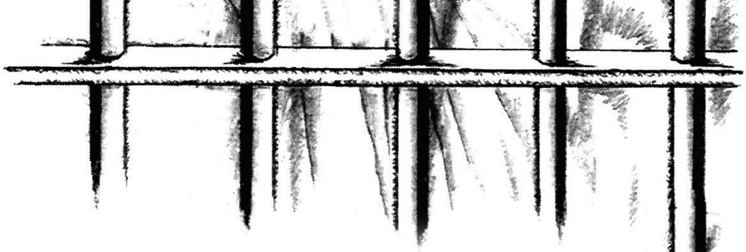

طــوال فترةِ التَّوقيفِ فِي القلعةِ أَو فِي سِــجْنِ الحوضِ الجافِ كان تيمور يتمنَّى أن يَعْرِفَ عَن حالِ زوجتِه ورفيقةِ حياته وأمِّ عِيَاله ولو خبرًا واحدًا، لكي يهــدأَ روعُه ويرتاحَ ضميرُه الذِي كان يتعذَّبُ فِي حال أُصِيبَت بمكروهٍ لَا سمح الله.

بعد ثلَاثةِ أَشــهرٍ من التَّعتيمِ والتَّضييقِ سُــمِحَ لنَا بزيَارةِ الأهلِ لمــدَّةِ (٥) دقائق مع قيودٍ وشروطٍ وتهديدَاتٍ شَــدِيدةٍ بأن لَا نتكلَّمَ عَن قضيتنَا، ولَا عَن أَحْدَاثِ الخارج، ولَا مَا يَجرِي علينَا فِي السِّجْن، وكانت الزيَارةُ بحُضُورِ ضَابطِ السِّــجْنِ وبعضِ الشُّرْطَةِ من الرِّجالِ والنِّسَــاءِ يَتوسَّــطون المُعْتَقَلَ وعَائلَته ويُرَاقِبون كلَّ تَحرُّكاتِه ونَظَرَاتِه ولو استطَاعُوا لرَاقبُوا خفقاتِ قلبِه وأحاسيسِه للحدِّ منهَا والتَّضييقِ عليهَا.

تيمور الذِي خَــرَجَ للزيَارةِ وهو لَا يعلمُ هل ســيرَى زوجته أو سيســمعُ خبرًا عَنهَا؟ كان مُتلهِّفًا لهَذِهِ الزيَارةِ فمَا إن دَخلَ حتَّى وجدَ (أم علي) على كرسي متحرِّك سلَّمَ عليهَا ضمَّهَا لصدرِه بادَرَته بالقول إن المحامين جاؤوا ليســأَلُوا عَن حالِك فغضبَ الضَّابطُ المســؤولُ وقاموا بطردِ العَائلةِ والــصُّرَاخِ فِي وجه تيمور وإرجاعِه إِلَى زنزانته، وبقيت حسرةٌ فِي قلبِ تيمور وأَبنَائه.

يَتَّصفُ تيمور بطيبــةِ القلبِ والعَاطفةِ الجيَّاشــةِ والكرمِ الكبيرِ وكان يُلَاطِفُ زُملَاءَه فِي الزِّنْزَانَةِ برُوحِه المرحة، نُقِلَ تيمور مع ميثم

السَماهيجي وجعفر حسن الستراوي إِلَى زِنزانتنَا بعد أن نُقِلَ خالد إِلَى زِنْزَانَة أخرى فِي الشَّهرِ الثَّالث من اِعْتِقَالي قبل إعطَائِنَا حقَّنَا فِي الزيَارة.

الضَّابِطُ المسؤولُ عَن السِّجْنِ كان يزورُ زِنزانتنَا ويقومُ بضَرْبِ تيمور وبصفعِهِ بدون أيِّ سَبَبٍ كمَا هو حالُ بقيةِ الْمُعْتَقَلِين، ولكن كان لاسم تيمور نصيبٌ من السُّخريةِ فكان يقولُ له مَا اسمك؟ فيُجيبُه تيمور كريمي. فيردُّ عليه إذَا سَألتُك لَابد أن تقولَ تيمور زفت..

كلَّمَا دَخلَ علينَا الزِّنْزَانَة ليضربَ ويسبَّ ويشتمَ ويهينَ يقولُ لتيمور سوف أقومُ بسحبِ جِنسيَّتك وأُعِيدُك لإِيرَان تبيعُ الفستقَ هنَاك، وكان فِي بعضِ المرَّات يقولُ له بأنَّنَا نَطلبُ منك أن تكتبَ تقريرًا عَن السِّجْنِ وتُثبِتُ فيه أن السِّجْن خمس نجوم...

وهذَا مَا حصلَ لتيمور حِينَ خَرَجَ من السِّجْنِ تَمَّ سحبُ جِنسيَّته فِيمَا عُرِفَ بـ (٣١) المسحوبة جنسيتهم.

السَّيِّد عبد النبي الموسوي...

السَّيِّد عبد النبي رَجُلٌ فِي أَواخرِ الخمسينيَّات ولكنَّه كتلةُ نشاطٍ وحيوية، حافظٌ لكثيرٍ من أجزاءِ وسورِ القرآن،رَجُلٌ مُؤْمِنٌ من عَائلةٍ مؤمنةٍ صابرةٍ مُحتسِبة، وهو أحدُ أعضاءِ مأتم سَيِّد جعفر فِي

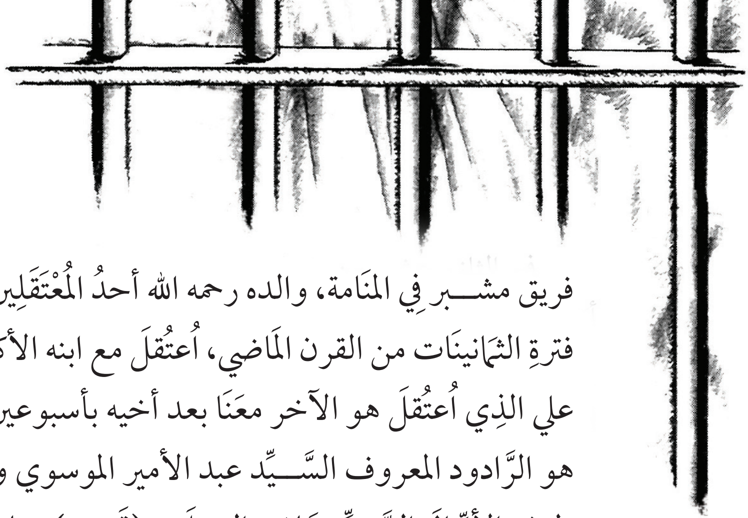

فريق مشــبر فِي المنَامة، والده رحمه الله أحدُ المُعْتَقَلِين السِّيَاسِــيِّين فِي فترةِ الثَمانينات من القرن المَاضي، اُعتُقلَ مع ابنه الأكبر السَّــيِّد محمد علي الذِي اُعتُقلَ هو الآخر معَنَا بعد أخيه بأسبوعين، أخوه الأصغر هو الرَّادود المعروف السَّــيِّد عبد الأمير الموسوي وهم ينتسبون من طرفِ الأمِّ إِلَى السَّــيِّد هَاشم التوبلَاني (قدس) صاحب كِتَاب تفسير البرهَان.

يَتميَّزُ السَّــيِّد عبد النبي بالثِّقةِ الكبيرةِ بالله عز وجل، وأنّ كلَّ مَا أصابَــه من تَعْذِيبٍ وضَرْبٍ وتَهدِيدٍ بالإِعدَام فِي أكثر من مرَّةٍ لم يَتغيَّر حالُه أبدًا فقَد كان مُطمَئِنًا بشــكلٍ يُثِيرُ استغرَابَ الأخوةِ فِي الزِّنْزَانَة، حتَّى قالَ لِي أحدُ الأخوةِ متعجبًا وخائفًا: (مســكينٌ هذَا السَّــيِّد أن يعدمَ فِي هذَا العمرِ ولديه أبناء وأطفال وعَائلة) وذَلِك لكثرةِ مَا جاءَ الضَّابِطُ المسؤولُ عَن السِّجْنِ وضَربَه أَمَامنَا وهَدَّدَه بالإعدَام ويَذكُرُ له رقمَ المَادَّةِ التِي ســيُحاكَمُ علَى وِفقهَا التِي تُشِيرُ إِلَى أنَّ من يَثبتُ أنه يَتعَاملُ مع دولةٍ أجنبيةٍ (إِيرَان) حُكمُه الإِعدَام.

كان يصفعُه أمَامنَا وهو فِي عمرِ آبائِنَا فنتقطَّعُ ألمًا له ولكننَا عَاجزون عَن فعلِ أيِّ شيءٍ إِلَّا إبدَاء تَعَاطُفِنَا معه حِينَ يخرجُ الضَّابِطُ اللعين.

السَّــيِّد عبد النبي مُتَّهمٌ بالتَّخابرِ مع إِيرَان ذَلِك لأن زوجتَه تعملُ فِي السَّفارة الإِيرَانية !!!

اتهم مع الشَّهِيد فخرواي والمحامي تيمور كريمي وبعض الأخوة

من الأصول الإيرَانية.

كُنَّا نسألُه أَلَا تَخافُ حِينَ يُهدِّدُك بالإعدَام وخُصُوصًا بعد عِلمِنَا بأنَّهم قَد قتلوا الشَّهيد عبدَالكريم فخرَاوي الصديق العزيز للسَيِّد. فكان يُجيبُنَا أن الأمرَ بيدِ الله وليس بيده.

عِندمَا دَخَلَ علينَا السَّيِّد ونحن لَا يوجدُ لدينَا لَا قرآنٌ ولَا دعَاء وغير مسموح لنَا به عَلِمنَا أن السَّيِّد يحفظُ الكثيرَ من أجزاءِ القرآن الكريم ويحفظُ دعَاء كميل ويحفظُ دعَاء يَا عدتي فِي كربتي:

«يَا عُدَّتِي فِي كُربتِي ويَا صاحبي فِي شدَّتي ويَا وليِّي فِي نعمتي ويَا غايتي فِي رغبتي أَنْتَ السَّاتر عَورَتي والمؤمِّنُ روعتي والمقيلُ عثرتي فاغفر لي خطيئتي، اللّهم إني أَسالك خشوعَ الإيمَان قبل خشوعِ الذُّل فِي النَّار يَا واحد يَا أحد يَا صمد يَا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد يَا معطي من سأله...»

كان لهذَا الدُّعَاءِ أثرٌ كبيرٌ فِي نفوسِ المسَاجين، حِينَ يقرأه السَّيِّد بصوتِه الشَّجي يتغلغلُ فِي أعمَاقِ صدورنَا ويُشعِرنَا بالأمن.

من مُميِّزاتِ السِّجْنِ أن تنفتحَ بصيرةُ الإنسَان بتَدبُّرِ مَا يقرأه من دعَاءٍ وقرآنٍ وروايَات فعِندمَا نقرأُ الدُّعَاءَ نقرأُه بتدبُّرٍ وفهمٍ ممَّا يُعطِي للدُّعَاءِ أثرًا فِي النَّفْسِ ونورًا فِي القلبِ وصفاءً فِي الرُّوح.

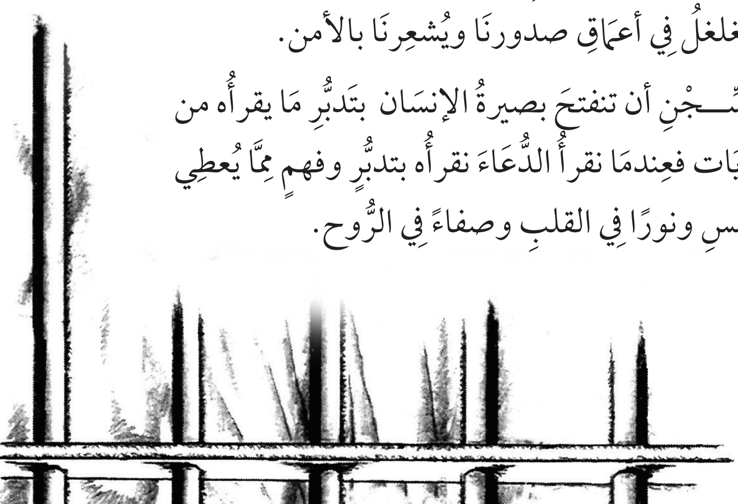

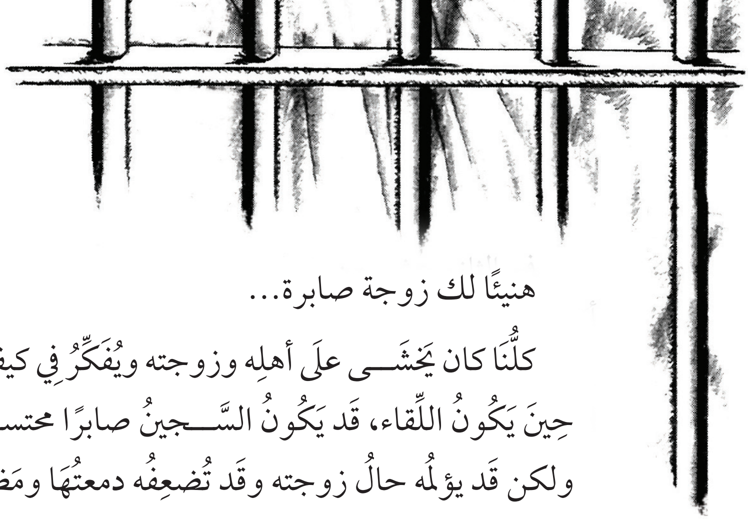

هنيئًا لك زوجة صابرة...

كلَّنا كان يخشَــى علَى أهلِه وزوجته ويُفكِّرُ فِي كيفيَّةِ تسليةِ الزوجةِ حِينَ يَكُونُ اللِّقاء، قَد يَكُونُ السَّــجينُ صابرًا محتسـبًا لله فِي سِجْنِه، ولكن قَد يؤلِمُه حالُ زوجته وقَد تُضعِفُه دمعتُهَا ومَظهَرُ انكسَارِهَا.

السَّــيِّد حالُه من حَالِنَا كان يُفكِّرُ فِي تســليةِ زوجته، وكان يخشَى أن يتمَّ إيذاؤهَا بعد أن بقيــت فِي البَيتِ بلَا رَجُلٍ يحميهَا مع أطفالهَا، ولكنَّه حِينَ خَرجَ للزيَارةِ الأولى عَادَ وكلّه نشــاطٌ وحيويةٌ اســتمدَّه من زوجتِه الصّابرة التِي أعطته شــحنةً من المعَنويَاتِ حِينَ رأى منهَا الصَّبرَ والثَّبات، بل كانت تُشــجِّعه علَى الصَّبرِ وتقولُ له لَا تكترِث ستخرجُ مرفوعَ الرَّأس...

دورُ الزَّوجةِ مهمٌّ جِدًّا وله أثرٌ كبيرٌ علَى نفســيَّةِ الزَّوجِ فِي المُعْتقَل، فالزَّوجةُ التِي تَقِفُ بجوارِ زَوجِهَا تُعطِيه دفعةً من المعَنويَاتِ والصَّبر، أَمَّــا الزوجةُ التِي تتخلَّى عَن زَوجِهَا فِي محِنَتِــه أَو تُلقِي باللَّومِ عليه – لأنَّهَــا تَعتقِدُ أنَّه ضَيَّعَهم بتصرُّفِه الذِي أَودَى به إِلَى السِّــجْن – فإنَّهَا تَقتلُ عزيمةَ الزَّوجِ وتسقطُ من عينه وتُحطِّمُ كلَّ معَنويَّاته...

السَّــيِّد هو من الأشــخاصِ الذِين أُعجبتُ بشخصيَّتهم كثيرًا فِي السِّــجْن، وكان له معزةٌ كبيرةٌ فِي قلبِي لَا زلت أحتفظُ بهَا رغم أنِّي لم ألتقِه بعد خُروجِنَا من السِّجْنِ إلَّا قليلًا.

السَّيِّد هو من الأشخاصِ الذِين تَمَّ سحبُ جنسيَّتهم بعد خروجِه

من السِّجْنِ مع أخويه السَّـــيِّد محمد علي والسَّيِّد عبد الأمير وزوجتِهِ الصابرةِ فيمَا عُرِفَ بالـ (٣١)المسحوبة جنسيَاتهم.

السَّيِّد باقر السَّيِّد محمد الموسوي

السَّيِّد باقر رَجُلٌ خمسيني أصلُه من شهركان وأمه من جزيرة النبيه صالح وهو يَعِيشُ حاليًّا فِي قرية مقابة.

اعتقل السَّيِّد باقر بسَبَبِ إيوائِه لسمَاحة الشيخ محمد حبيب المقداد «فرج الله عَنه» لقَد كان الشـــيخ محمد حبيب المقداد المطلوب الأَول للنِّظامِ فِي فــترةِ الطَّوارئِ التِــي أَعلنهَا الطَّاغيةُ حمــد حَاكِمُ جزيرة البحرين، وقَد كان الشيخ المقداد مُختبِئًا فِي أحدِ مزارع باربار وتفاجأَ ذَات ليلــةٍ بقُــدومِ المُرْتزَقةِ ومُحاصرتِهم لمنزلٍ قريبٍ مــن المزرعةِ ممَّا استدعَى فرَاره مع من كان معه، لم يَجِد الشـــيخ مَكَانًا يَتَوجَّهُ إليه إلَّا منزلَ قريبِه وصديقه السَّيِّد باقر فِي قرية مقابة فتَوجَّهَ إلَى هنَاك وطرقَ بابَ بيتِ السَّـــيِّد وتفاجأَ السَّيِّد لرُؤيتِه الشيخ فمَا كان مِنه إلَّا أن آواه ورَعَاه وحفظَه مع من كان معه...

الشيخ محمد حبيب المقداد كان وضعُه مؤلمًا جِدًّا ففي الوقتِ الذِي كان مُطَارَدًا وقَد تَمَّ مداهمةُ منزلِــه عدَّة مرَّات كانت زوجتُه مريضةً بمرضٍ عُضَالٍ وخطيرٍ وعلى إثره فقَد رقَدت فِي المستشــفى فِي ذَلِك

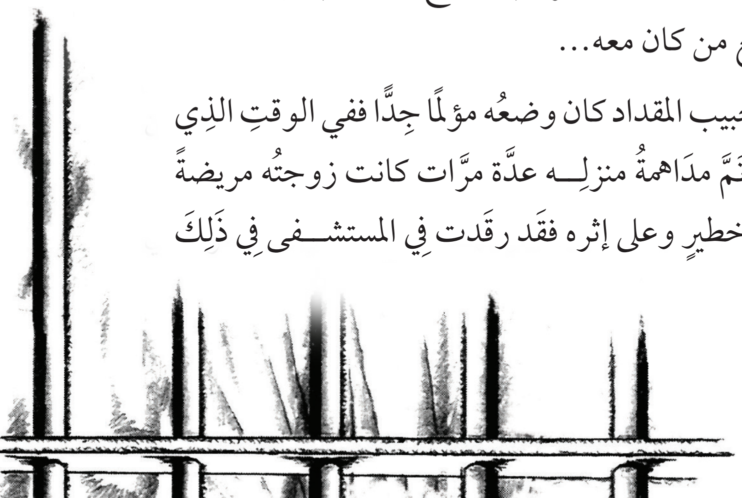

الوقتِ العصيب، مع أنَّ زوجة الشـيخ فرج الله عَنه ليست بحرينيَّة فهـي لَا أسرةَ ولَا أهلَ ولَا إخوةَ لهَا يرعونهَـا فِي محِنَتِهَا، ليس لهَا إلَّا زوجُهَا المطَارِدُ الذِي لَا يستطيعُ أن يَقِفَ معهَا فِي محِنَتِهَا العصيبة...

هذَا الأمرُ قَد أجبرَ الشـيخ المقداد علَى تقليلِ إحتيَاطَاتِه الأمنيَّة، فقَد كان يســتخدمُ الهَاتفَ للإتصالِ والسؤالِ عَن حالِ زوجتِه، وقَد كان يبحثُ عَن رفيقِ دربِه الشـيخ ميرزا المحروس ويُرِيدُ الاطمئنَان عليه... وبهَذِهِ الطَّرِيقةِ اســتطَاعَ النِّظَامُ أن يحصلَ علَى خيوطٍ ليصلَ إلَى مكَانِ اختباءِ سمَاحة الشـيخ محمد حبيب المقداد حَيثُ تَمَّ مُرَاقبةُ اتَّصالَاتِه وتحَدِيدُ موقع تواجـدِه وتمَّ التَّخطيطُ للقبضِ عليه بحَيثُ يكُونُ اعتقالُه مؤكدًا بالنِّسـبةِ لهم... شَعرَ السَّيِّد بأن الوضعَ فِي محُيطِ البَيتِ غير طبيعي فطَائرةُ هلكبتر تحُلِّقُ فِي السمَاءِ وهنَاك حركةٌ غريبةٌ فِي المنطقةِ التِي يسكنُ فيها تُشعِرُ بالخَطَر.

اتصلَ بصاحِبـه وصديقِ عمرِه المُجَاهِد أحمـد مهدي «أبو عمَّار المقابي» وطَلَبَ منه أن يُغيِّرَ مَكَانَ اختباءِ الشـيخ لأنه يشـعرُ بالخطرِ وافق أبو عمَّار لكنَّه اشــترطَ علَى الشيخ المقداد أن لَا يستخدمَ الهَاتفَ ولَا يحملَ معه أيَّ جِهَاز... وافق الشيخ فأتَاه أبو عمَّار ونقلَه بالسيَّارةِ إلَى شــقةِ أحدِ الشَّبابِ المقرَّبين منه وهو سعيد شبيب. كان ذَلِكَ بعدَ صلَاة المغرب...

فِي السَّــاعةِ الثانية عشر بعد منتصفِ اللَّيلِ تَـمَّ محُاصَرةُ كل قريةِ

مقابة بقُوَّاتٍ لهَــا أَول وليس لهَا آخر، القُوَّاتُ الخاصَّةُ وقُوَّاتُ الأمن الوطني وقُوَّاتُ الشَّعبِ والحرس الوطني وكأنَّهم قَد دَخلُوا حربًا.

تمَّ مدَاهمةُ منزلِ السَّــيِّد باقر وتحطيــمُ كلِّ محُتويَاتِــه وقَد قَامُوا بضَرْبِ السَّيِّد باقر أمَامَ عَائلته وأبنَائِه وهم يسألونه عَن مَكَانِ اختباءِ المقداد... سَــالت الدِّمَاءُ من وجه السَّــيِّد باقر حتَّــى غَرَقَت لحيته البيضــاء بدمِّه، قَامُوا بضَرْبِ ابنه أمَامَ عينيه وضَرَبُوا زوجتَه أم عيَاله وقَــد قَامُوا بتَهديدِه باغتصابِ ابنه وابنته أمَامَه إن لم يُدِلهم علَى مَكَان الشيخ المقداد... استسلمَ السَّــيِّد خشيةً من أن يُمَسَ عِرضُه وهو لَا حولَ ولَا قوةَ له إلَّا بالله فدلَّهم علَى منزلِ الأخ أحمد مهدي «أبو عمَّار المقابي».

حَــاصرُوا منزلَ المقابي وتــمَّ مُدَاهمةُ المنزلِ بشــكلٍ عَنيفٍ جِدًّا. الصَّدفــةُ أن فِي تلك اللَّيلةِ كان أحدُ الشَّــبابِ من قريةِ الديه اســمه فاضل مشــيمع قَد بَاتَ فِي بيــتِ أبو عمَّار المقابي وهــو لَا يعلمُ عَن المقداد أيَّ شيءٍ. باتَ فِي تلك اللَّيلةِ لأنَّه فِي طريقِه إلَى قريةِ الدَّيه وَجَدَ الشَّــوارِعَ مغلقةً ونقاطَ التَّفتيشِ فِي كلِّ مَــكَانٍ فلَجَأَ لمحمد باقر ابن أحمــد مهدي ليَبيتَ ليلته تلك فِي بيت المقابي... عِندَ اقتحام البَيتِ تَمَّ ضَربُ أبو عمَّار ضَرْبًا مبرحًا جِدًّا أمَامَ عَائِلته بطحوهُ أرضًا فِي وَسَطِ المنزلِ وقَامُوا بضَربِه بالحديدِ والرَّكلِ بالأرجُلِ والصَّفعِ باليدِ وبكلِ

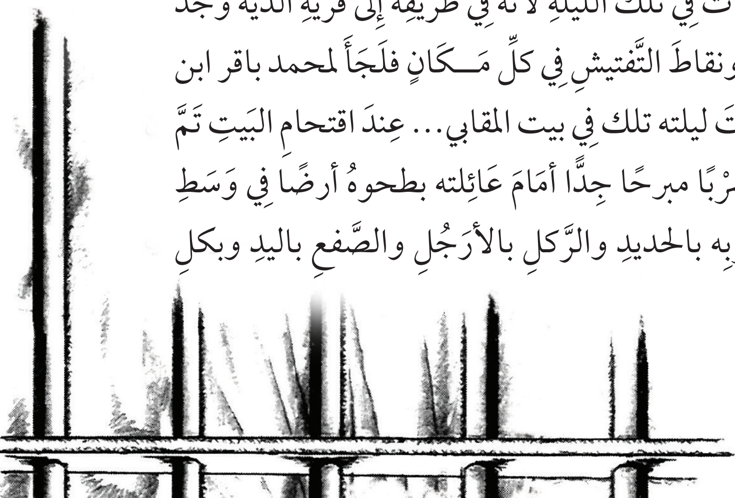

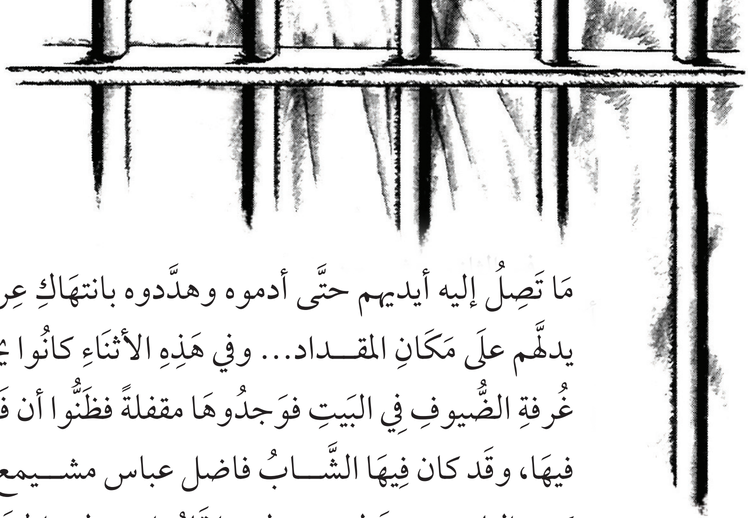

مَا تَصِلُ إليه أيديهم حتَّى أدموه وهدَّدوه بانتهَاكِ عِرضه فِي ابنته إن لم يدلَّهم علَى مَكَانِ المقـــداد... وفي هَذِهِ الأثنَاءِ كانُوا يحاولون فتحَ بابِ غُرفةِ الضُّيوفِ فِي البَيتِ فوَجدُوهَا مقفلةً فظَنُّوا أن فَريســـتَهم المقداد فيهَا، وقَد كان فِيهَا الشَّـــابُ فاضل عباس مشـــيمع فقَامُوا بمحاولةِ كسرِ الباب وحِينَ لم يســـتطيعوا قَامُوا بتحطيمِ الجِدَارِ واقتلَاعِ الباب ودَخلُوا علَى فاضل وأَوسعوه ضَرْبًا مبرحًا وسَألُوه عَن مَكَانِ المقداد فلم يكن يَجِدُ جَوَابًا... فتمَّ اعتقالُه هو الآخر أيضًا...

أحمد مهدي صَـــبَرَ علَى الضَّربِ حتَّى صَـــارَ كقطعةِ القمَاشِ التِي مَـــا إن تحملُ طرفًا منهَا يســـقطُ الآخر، ولكنَّه استســـلمَ حفاظًا علَى عِرضِـــه من ذئابٍ لَا يُرَاعون حرمةً أَو دين، حملوه ليدلَّهم علَى شـــقة سعيد شبيب الذِي كان يُطِلُّ من بيتهم مع الشيخ المقداد علَى مَا يجرِي عـــلَى بيت أبو عمَّار المقابي... علِمَ أن الـــدَّورَ والنَّوبةَ قَد وَصلَت إليه فاعتذرَ للمقداد قائلًا له لَا أستطيعُ أن أُسَاعِدَك الآن بأيِّ شيءٍ ولكن أَنصحُك بالفِرَار، ســـألَه المقداد الحائرُ إِلَى أيِّ اتجاهٍ أَفِرُّ ؟ فأشارَ عليه بطريقٍ مُعيَّن...

خَرجَ المقدادُ ولكن كلُّ المنطقةِ محاصرةٌ إِلَى أين يَفِرُّ وأين يَختَبِئ؟!!

مَـــا هي إلَّا لحظاتٌ حتَّى دَاهمُوا شـــقة ســـعيد وحَطَّمُوهَا تحطيمَ انتقام، كلُّ مَا يجدونه أمَامهم يُحطِّمونه رغبةً فِي إفرَاغِ حِقدِهم الدَّفين علَى الشَّيخ المُجَاهِد محمد حبيب المقداد...

أَمسَــكُوا بســعيد وضَرَبُوه ضَرْبًا مبرحًا جِــدًّا وأَخرَجُوا إخوته وزوجاتِهم وقَامُوا بضَرْبِهم وتَهدِيدِه بالاعتدَاءِ عليهم إن لم يدلَّهم علَى مَكَان الشيخ المقداد...

وَقَفَ سعيد عَاجِزًا لَا يعلمُ مَاذَا يفعلُ طَأطَأَ رأسَه و أَخبرَهم بأَنَّ الشَّــيخ قَد هَرَبَ فِي هذَا الاتجاه... قَامُوا بمحاصرةِ المنطقةِ بشــكلٍ مُحكَمٍ وقَامُوا بمُدَاهمةِ البيوتِ المُحيطــةِ وتَفتِيشِ كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ فِي المنطقة.

أَخرجُوا أهلَ المنطقةِ فِي الشَّــارعِ وهم يبحثون عَن الشَّيخ المقداد حتَّى وَجدُوه مُختَبِئًا فِي أحدِ خزَّانَاتِ المَاء... حِينَ وَجدُوه فرحوا فرحًا شَدِيدًا وكأنَّهم حَقَّقُوا انتصارًا كبيرًا، تَجمَّعُوا عليه هذَا يصفعُه وذَاك يَتحرَّشُ به جِنســيًا وذَاك يركُلُه... وَضعُوا فوهةَ السِّلَاحِ علَى رأسِه وطَلَبُوا منه نزعَ ملَابســه كاملة. أُجبِرَ الشيخ علَى نزعِ ملَابسه كاملة وتمَّ جَرُّه فِي الشَّارعِ أمَامَ مرأى النَّاسِ وهو بهَذِهِ الحَالَةِ...

فِي تلك اللَّيلةِ العصيبةِ علَى أهلِ مقابة تَمَّ اِعْتِقَال كلٍّ من:

الشيخ محمد حبيب المقداد.

السَّيِّد باقر السَّيِّد محمد.

أحمد مهدي «أبو عمَّار المقابي».

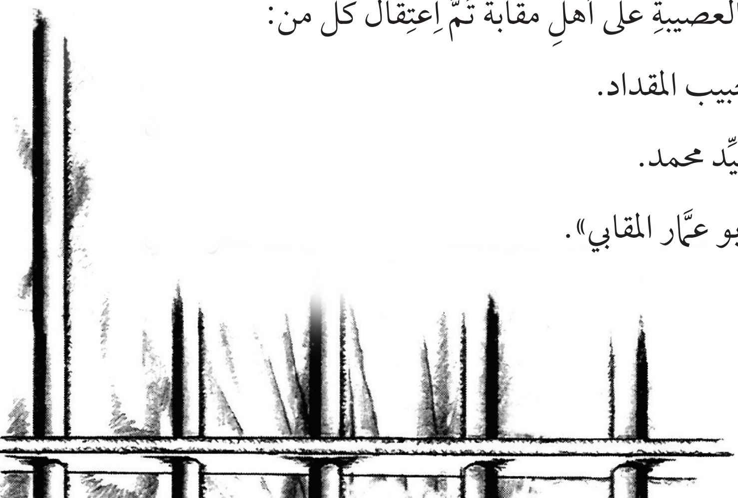

سعيد شبيب.

فاضل عباس مشيمع.

نُقِلَ الجميعُ لمبنى وزارة الدَّاخليةِ القلعة قِسمِ جهَاز الأمن الوطني وهنَاك نَالَهم من العَذَابِ الكثير، كَانُوا يسألونهم عَن سِلَاحٍ لدى الشَّيخ محمد حبيب المقداد وهم لَا يعلمون به ولم يروه ولم يَسمعُوا عَنه من ذي قبل... وبعد ذَلِك تَمَّ اتهَامُهم بالتَّسترِ علَى مطلوبٍ للعدَالةِ ومحكومٍ بالإعدَام!

بعد التَّعْذِيبِ الشَّدِيدِ الذي استمرَّ لأَيامٍ طوال تَمَّ نَقلُهم إِلَى الحوض الجاف وبعد فترةٍ من الزَّمنِ تَمَّ نَقل السَّيِّد باقر معَنا فِي الزِّنْزانَةِ وعَرفتُ منه تفاصيلَ الحادثة.

تمَّ محُاكَمَة السَّيِّد فِي المحاكمِ العسكريَّةِ وتمَّ الحكمُ عليه بالسَّجْنِ لمدَّةِ ثلَاث سنواتٍ مع رفيقيه أحمد مهدي وسعيد شبيب وتمَّ الحكمُ علَى فاضل مشيمع بالسَّجْنِ لمدَّةِ سنةٍ واحدة.

السَّيِّد باقر رَجُلٌ مُؤمِنٌ يحُبُ التبتل فِي اللَّيل لله سُبْحَانَهُ وتعَالَى، كلَّما جَنَّ اللَّيلُ فَرَشَ مُصَلَّاه وتَوجَّهَ لربِّهِ دَاعِيًا مُتهجِّدًا ومُرتِّلًا لكِتَابِ الله وذَارِفًا دموعَ الحبِّ لله سُبْحَانَهُ وتعَالَى...

السَّيِّد شاعرٌ يحُبُّ كِتَابَةَ الشِّعرِ فِي أهل البَيت عليهم السلَام وقَد كتبَ حادثةَ اِعْتِقَالِهم فِي قصيدةٍ شِعريَّةٍ وَثَّقَ فِيهَا أَحْدَاثَ تلك اللَّيلةِ المَشؤُومة.

يَتميَّزُ السَّيِّد بحُبِّ المُطَالعةِ فقَد كان كثيرَ المُطَالعةِ وقرَاءةِ الكُتب، هَذِهِ الأمورُ وغيرهَا جَعلتنِي أُحِبُّ السَّيِّد حتَّى أصبحَ من الأصدقاءِ الأعزَّاءِ علَى قَلبِي مع فارقِ السِّنِّ بيننَا.

السَّيِّد أبٌ لَابنين السَّيِّد محمد والسَّيِّد حسن وبنت.

(س.م).

اعتقل (س.م) مع أبنَاءِ خالته وبعضِ أصدقائه فِي بيت زوج خالته النَّاشط إبرَاهيم المدهون، اعتقل فِي تلك اللَّيلة ١١ شخصاً، وصادف أنَّ اِعْتِقَالَهم فِي نفسِ اللَّيلةِ التِي اعتقلتُ فيهَا.

(س.م) قليـلُ تَجربةٍ فِي الحَيَاةِ إلَّا أنَّــه يَتميَّزُ بحدَّةِ ذكاء، وهو من المُتفوِّقين فِي المدرسـة والجامعة، مِمَّا أثارَ تَعجُّبي وإعجابِي أنَّه مع قِلَّةِ تَجربتِه إلَّا أنَّه كان صابرًا فِي السِّـجْنِ ولم أَرَه فِي يَوْمٍ من الأَيَّام يَشتكِي من السِّـجْنِ وآلَامِـه وضِيقِه ومُعَانَاتِـه، بل كان يُحَـاوِلُ أن يُؤقلِمَ وضعَـه مع الظُّروف... وفِي المقابلِ كانت كثيرٌ من الأَسـمَاءِ اللَّامعةِ والشخصيَّاتِ البارزةِ والأسماءِ المشهورةِ تَضِجُّ بالبكاءِ فِي السِّجْنِ من ضيقِ السِّـجْنِ وقيده، وقَد أعلنَ البعضُ ندمَه و توبتَه دَاخلَ السِّجْنِ وقرَّرَ أن يُطلِّقَ السِّيَاسَةَ ثلَاثًا كي لَا يعودَ إلَى السِّجْنِ مرَّةً ثانية!!!

(س.م) لم يكن مُتَّهمًا فِي قضيةٍ مَا وتمَّ اِعْتِقَالُه فقط لأنه كان يتواجدُ

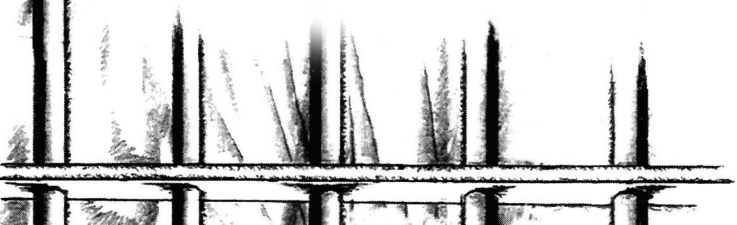

فِي منزلِ المدهون حِينَ مُدَاهمةِ بيته، ولكــن بعد التَّحقِيق معهم اتُّهِمَ (س.م) وبعضُ من معه بتهمةِ العمــلِ فِي اللَّجنةِ الإعلَامِيةِ لجمعية الوفاق الإسلَامية.

افرَاج موهوم

فِي أحــدِ الأيَّام جــاءَ الشُّرطِي فِي اللَّيل وطَلَــبَ من (س.م) مع (س.ق) أن يتجهَّزُوا مــن الصَّباحِ الباكر، ظَنَنَّا أَنَّــه قرارٌ بالإفرَاجِ عَنهــم لأن لَا قضيةَ عليهم ولَا تهمــةَ موجهة لهم فسـلَّمنَا عليهم وودَّعنَاهــم لاعتقادِنَا أنَّه الإفرَاج... فِي الصَّبــاحِ الباكرِ جَاءَ بعضُ الشُّرطَةِ المدنيِّين وأَخذُوهما وبعد عدَّةِ سَــاعَاتٍ عَادَا إلينَا فِي الزِّنْزَانَةِ وعليهِمَا مظهرُ الإِحباطِ وحِينَ سَألنَاهُم عَلِمنَا أنَّهم أُخِذُوا إِلَى النِّيَابةِ العســكريَّةِ وهنَاك وَجَّهَت النِّيَابــةُ إليهم تهمةَ الانتــمَاءِ إِلَى اللَّجنةِ الإعلَاميةِ لجمعية الوفاق الإســلَامية وعلى إثرِ ذَلِــك تَمَّ تَقدِيمُهم للمُحاكمةِ بِهَذِهِ التُّهمة...

فِي النِّيَابةِ العســكريةِ قامَ المُحقِّقُ بتهديــدِ الاثنين بأنَّهمَا فِي حال لم يعترفا بمَا أُسنِدَ إليهمَا فإنَّهمَا سيتَعَرَّضان للضَّرْبِ والإِهَانة...

يَتميَّزُ (س.م) بسُرعةِ الحِفظِ فحِينَ جُلِبَ إلينَا السَّــيِّد عبد النبي الموسوي كان يَتلو علينَا سورةَ الواقعة بعد صلَاةِ المغرب فِي كلِّ ليلة، وكان (س.م) يحفظُ الســورةَ من قرَاءة السَّيِّد عبد النبي وقَد حَفِظَهَا فِي فترةٍ بَسِيطَة...

(س.م) فقَدَ أباهُ قبلَ عدَّةِ سنواتٍ بِسَبَبِ مرضٍ ألمَّ به أدَّى لوفاتِه، والدُه كان مُثقَّفًا وكاتبًا ولديه عدَّةُ مؤلَّفاتٍ تربويَّةٍ وفي تطويرِ الذَّات.

تَعَلُّـــقُ (س.م) بوالدِه واضحٌ جِدًّا من خِلَالِ أحاديثِه عَنه، وسردِ ذكريَاته معه، وكُنتُ قد أحببتُ والدَه لكثرةِ مَا تَحدَّثَ عَنه وأسلوبِه فِي تَرْبِيَةِ أبنَائِه ومصادقتِه لهم ومُعَاملتِه الطيِّبةِ والأخويَّةِ معهم.

كان الشُّرْطَـــةُ البحرينيون يُمعِنُـــون فِي إذلَالِنَا، وأحدُ أسَـــاليبِ الإهَانةِ والإذلَالِ أن يَقومُوا بإخرَاجِ أحدِ الموقوفين فِي ممرِّ السِّـــجْن، ويَطلبُون منه أن يرفعَ صوتَه بسبِّ بقيَّةِ الموقوفين وأُمَّهَاتِهم ورموزِهم الدِّينيَّة... فِي أحدِ الأَيَّامِ قَامُوا بسبِّ أُمَّهَاتِنَا فلم يَحتَمِل (س.م) ذَلِكَ فحِينَ خرجَ إِلَى دورَاتِ المِيَاه قال لأحدِهم لَا تَسبُّوا أُمَّهَاتِنَا...

فَـــمَا كان من الشُّرطِـــي إلَّا أن أسرعَ إِلَى الضَّابطِ وأَخبَرَه بأن أحدَ المُعْتَقَلين قَد رفضَ أن يسبَّ السَّيِّدَ حسن نَصرَ الله –وهَذِهِ جَرِيمَةٌ لَا تُغتفَر– فجاءَ إلينَا الضَّابطُ غاضبًا مُستَعِرًا وهو يصرخُ فِي وُجوهِنَا من الذِي يرفضُ سبَّ «نَصْرِ الله»؟؟؟

وبَدَأَ بســـبِّه وإهَانتِه وقال لو أنَّ نَصْرَ الله عِندنَا لنتفتُ لحيتَه شعرةً شعرةً، وطَلَبَ مِنَّا أن نَتلفَّظَ بكلمَاتِ الفُحشِ للسَيِّد نَصْرِ الله...

فِي أحدِ الأَيَّـــامِ كُنَّا نُصلِّي جماعَـــةً فِي الزِّنْزَانَةِ وبعـــد الصَّلَاةِ كان

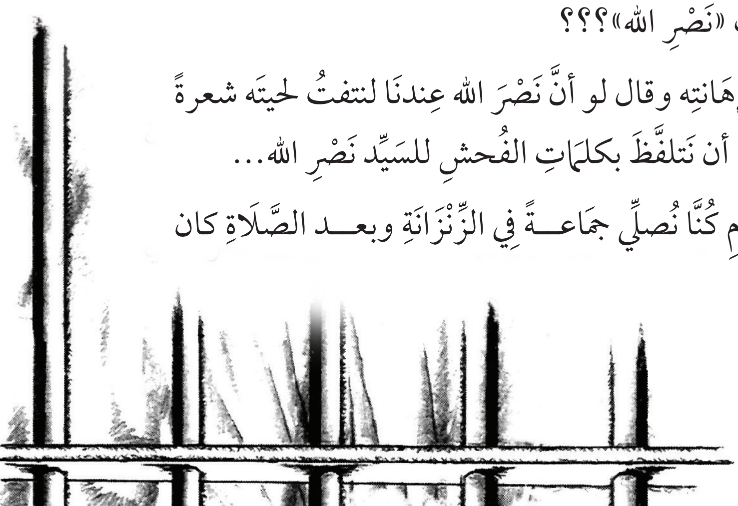

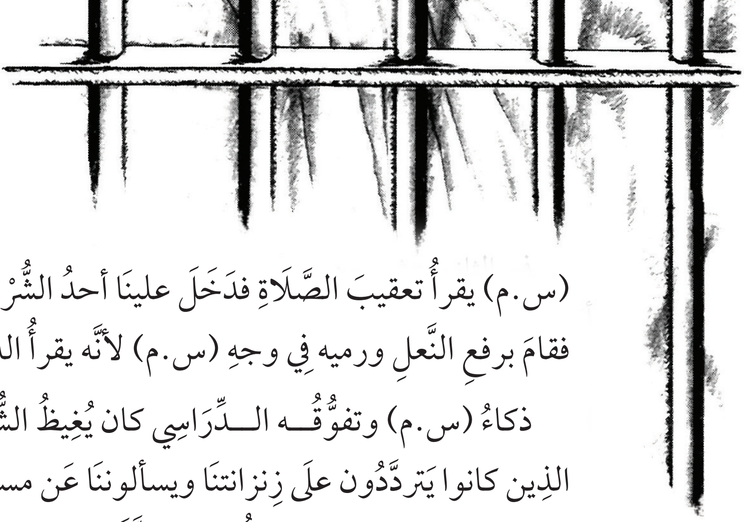

(س.م) يقرأُ تعقيبَ الصَّلَاةِ فدَخَلَ علينَا أحدُ الشُّرْطَةِ-البحرينيين- فقامَ برفعِ النَّعلِ ورميه فِي وجهِ (س.م) لأَنَّه يقرأُ الدُّعَاء!!!

ذكاءُ (س.م) وتفوُّقُـه الـدِّرَاسِي كان يُغِيظُ الشُّرْطَـةَ والضُّبَّاطَ الذِين كانوا يَتردَّدُون علَى زِنزانتنَا ويسألوننَا عَن مستويَاتنَا الدِّرَاسية، و يغتاظون كثـيرًا حِينَ يَعْرِفُون مُعـدَّلَ (س.م) الـدِّرَاسِي وذَلِكَ لشعورِهم بالنَّقصِ والضَّعفِ لأن أغلبَهم لم يكمل دِرَاسته.

الأخـلَاقُ والأدبُ الذِي تميَّزَ به (س.م) جَعَلَ كثيرًا من المُعْتَقَلِين يَنجذِبون إليه ويَقترِبون منه.

الشيخ محمد علي المحفوظ

الشـيخ محمد علي المحفوظ هو رئيس جمعية العمل الإسـلَامي (أمـل) اعتُقِلَ بعد أن بقـيَ مُتخفِّيًا عَن الأنظارِ مـدَّةً من الزَّمن... ولكن بعد أن تَمَّ تَعقُّبُ هَاتِفِه المحمولِ استطَاعَ النِّظَامُ تحديدَ موقعِه والهجـومِ علَى المنزلِ الذِي كان مختبئًا فيه واعْتِقَاله مع ابنيه وصاحبِ المنزل الحاج المُؤْمِن خليل الحلواجي.

اعتقل الشـيخ المحفوظ بعد أن تَمَّ اِعْتِقَال ١٣ شخصًا من عَائِلته كرهَائِنَ للضَّغطِ عليه من أجلِ أن يُسـلِّمَ نفسَـه للشُّرْطَةِ وهذَا مَا لم يَحصَل...

بقيَ الشيخ المحفوظ فِي مبنى وزارة الدَّاخلية القلعة (جهَاز الأمن

الوطني) لمدَّةِ شهرٍ وبضعةِ أيَّام وبعدهَا تَمَّ نقلُه إلينا فِي سِجْنِ الحوض الجاف

أوّل مرَّةٍ رأيتُ فيهَا الشيخ المحفوظ وهو يَمشِي بعكّازه ذَاهِبًا للتوضُّؤِ للصَّلَاةِ حِينَ كان بابُ الزِّنْزَانَةِ مَفتوحًا وقَد مرَّ علَى زنزانتنَا وهي المرَّةُ الأولى التِي أرَاهُ فِيهَا بغيرِ عِمَامته، كان أحدُ السَّجَّانِين يَسخرُ من المسَاجين مَازحًا ولَا يضعُ حرمةً لأحدٍ ويَسخرُ من الجميع حتَّى أنَّ الشيخ المحفوظ لم يَسلَم من لِسَانه، نَعَم قَد لَا يَكُونُ بقصدِ الانتقاصِ بقَدرِ مَا هِيَ التَّربيَةُ التِي تربَّى عليهَا ونَشَأَ عليهَا.

الشيخ المحفوظ رَجُلٌ لَا تُفارِقُ البسمةُ ثغرَه، يبتسمُ فِي الألَمِ ويبتسمُ فِي الأمل، وهو شيخ الأمل، كان مُتفائِلًا كثيرًا ولم يَعْرِف اليأسُ قلبَه فِي يَوْمٍ من الأيَّامِ رغم قسَاوةِ الظُّروفِ والأيَّامِ التِي مَرَرنَا بِهَا فِي دَاخلِ السِّجْن.

اقتربتُ منه حِينَ فُتحِت الزنَازين، فقَد كان يَؤُمُّ صلَاةَ الجمَاعةِ فِي زِنْزَانَة رقم (١٥) وقَد كان يَتبَاحثُ مع مجموعةٍ من طلبةِ العلوم الدِّينيةِ وبعض المسَاجين فِي فهمِ وشَرحِ خُطبةِ النَّبي الأكرم(ص) فِي استقبالِ شهرِ رمضان الكريم.

دَعَانِي حِينَهَا السَّيِّد مهدي السَّيِّد هَادي بعد أن أنهينَا صلَاة

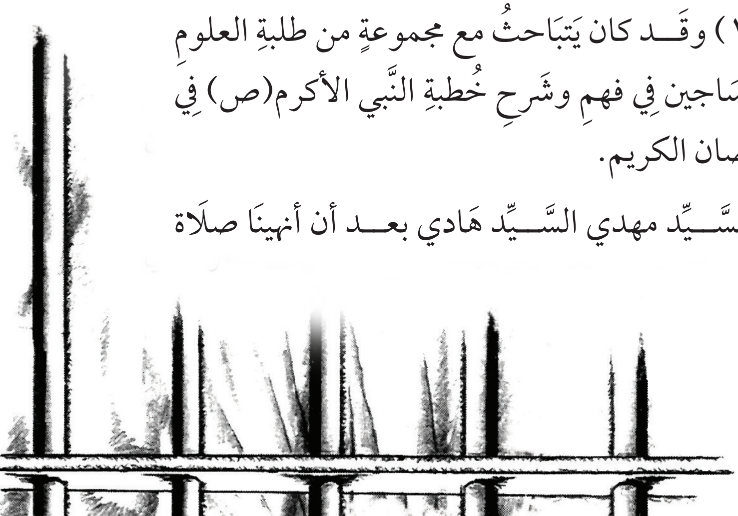

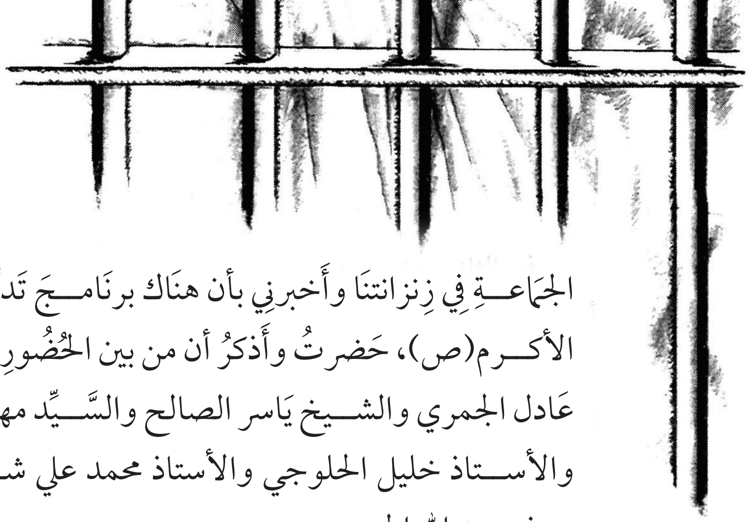

الجَماعـــةِ فِي زِنزانتنَا وأَخبرنِي بأن هنَاك برنَامــجَ تَدبُّرٍ فِي خُطبةِ النبي الأكــرم(ص)، حَضرتُ وأَذكرُ أن من بين الحُضُورِ كلًّا من الشـيخ عَادل الجمري والشـيخ يَاسر الصالح والسَّـيِّد مهدي السَّيِّد هَادي والأســتاذ خليل الحلوجي والأستاذ محمد علي شـكري والأستاذ جعفر عبد الله الجمري.

فِي هَذِهِ الجلسةِ تَعرَّفتُ علَى الحاج خليل الحلواجي الذِي كان نِعم الرَجُلُ المُؤْمِنُ المثقَّفُ الوَاعِي الخلوقُ العَابِدُ المؤدَّب، وهو من النَّاس الذِين تَشرَّفتُ وأَفتخِرُ أَنِّي تَعرَّفتُ عليهم فِي دَاخلِ السِّجْن.

وتَعرَّفتُ علَى الأستاذ محمد علي شكري الذِي كنتُ أَعْرِفُه من بُعد إلَّا أنَّ هَذِهِ الجلســةَ قَرَّبت المسَــافةَ بيننَا وعرفتُ منه الأدبَ والخُلُقَ الرفيعَ والتَّواضع لله.

فِي الجلســةِ عَرفتُ الكثيرَ عَن الشــيخ المحفــوظ عَرفتُ تاريخ هجرتِه، وثَقافتِه الواسـعة، وعَرفتُ عَن جِهَــادِه الكثيرَ مِمَّا لَا يَعْرِفُه النَّاس، وقَد طَلبتُ من الشــيخ أن يكتبَ تجربةَ حَيَاتِه الثريَّةَ والغنيَّةَ حَيثُ تجوَّلَ فِي عدَّةِ بُلدَانٍ أَيَّام المهجر، وله تجربةٌ جِهَاديَّةٌ ضخمةٌ كم أتمنَّى لو أن تتعرَّفَ الأجيَالُ علَى رجالَاتِ البحرين والتِي مِنهَا تَجربةُ سَماحة الشيخ المحفوظ.

لقَد كان الشــيخ المحفوظ قريبًا من الشَّــبابِ يُحبُّهــم ويُحبُّونه، يحترمُهم ويحترمونه، كان الشيخ يَجلسُ فِي إحدى الغُرَفِ التِي يَجتمعُ

فِيهَا الشَّــبابُ بعد صلَاة الفجر، يَحوطونَه كَمَا يُحِيــطُ النَّحلُ الورودَ فِي الرَّبيــع، كانت تُطرَحُ قضايَا فِكْريةٌ وتاريخيةٌ وسِيَاسِــيَّة. من هَذِهِ الجلسَــاتِ عَرفتُ أن الشيخَ يمتلكُ ثقافةً وَاسِــعةً وأن لديه اطلَاعًا ثقافيًّا واسعًا لم أكن أَعْرِفه من ذي قبل.

أُعجِبتُ بشخصيَّةِ الشيخ المُنفتِحةِ والمَرحةِ فِي نفسِ الوقت.

حُكِمَ علَى الشــيخ المحفوظ بالسَّــجْنِ لمدَّةِ عشر ســنوات بتهمةِ الانتمَاءِ لجمعية أمل وتُهمةِ التَّحريضِ علَى النِّظَام، وفي الاستئنَاف تَمَّ تخفيفُ العقوبةِ إِلَى السَّجْنِ خمس سنين.

تربة الحسين عليه السلَام

في اليَومِ الثَّانِي لدُخولِنَا لزِنزانتنَــا الجديدةِ وَقعَت عيني علَى تربةٍ حُســينيَّةٍ كانت مُخبَّأةً فوقَ المُكيِّف، يبدو أن من كان فِي هَذِهِ الزِّنْزانَةِ كان يعلمُ أنّ هَذِهِ السُّــجونَ لَا تفرغُ من زُوّارِهَا فوضعَهَا ليســتفيدَ مِنهَا من يَأتِي بعــده، ذَكَّرنِي هذَا الأمرُ بالمثلِ الشَّــهير «زرعوا فأكلنَا ونزرع ليأكلوا»... فَرِحتُ لرؤيةِ التُّربةِ الحسينيَّةِ لأنَّهم كَانُوا يمنعونَنَا أن نصلِّي علَى مَا يَصِحُّ الصَّلَاةُ عليه حســبَ فقه مدرسةِ أهلِ البَيت عليهم السَّلَام، بَقِيتُ أُصلِّي عليهَا بحذرٍ حَيثُ كنتُ أضعُهَا فِي جيبِ الجلَّابيَّةِ المُمزَّقةِ وأُصلِّي وحِينَ السُّــجودِ أُخرِجُهَا من جيبي وأَضعُهَا

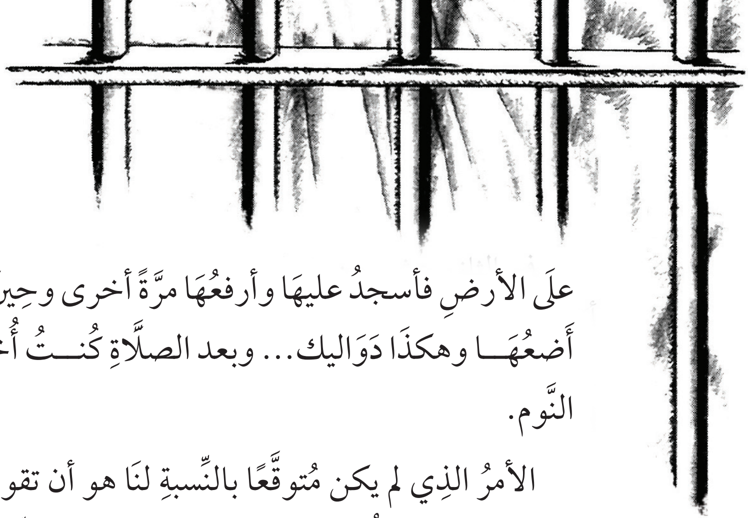

علَى الأرضِ فأسجدُ عليهَا وأرفعُهَا مرَّةً أخرى وحِينَ أَهوِي للسُّجودِ أَضعُهَــا وهكذَا دَوَاليك... وبعد الصلَّاةِ كُنــتُ أُخبِّئُهَا تحت فرَاش النَّوم.

الأمرُ الذِي لم يكن مُتوقَّعًا بالنِّسبةِ لنَا هو أن تقومَ الشُّرطَةُ بحملةِ تفتيشٍ مفاجئةٍ وخُصُوصًا أنَّهم لم يسمحوا لنَا بالزِّيَارةِ بعد، ولم نَلتقِ بأحدٍ من الأهــلِ ولَا غيرهم... كانت حملَةَ تفتيــشٍ مفاجئةٍ وقلَّبُوا المَكَانَ فوَجدُوا التُّربَةَ الحُســينيَّةَ مُتلبِّسةً تحت فِرَاشِي تختبئ !!! ويَا لهَا من جَرِيمَةٍ نَكرَاء !!! نَادَى الشُّرطِي الباكســتاني الشُّرطَةَ البحرينيين وأعلمَهم بمَكَانِ وُجودِ التُّربةِ فــمَا كان منهم إلَّا أن أَسرعُوا لإخبارِ الضَّابِط... ولم يَبقَ إلَّا أن يَجلبُوا المختصِّين بمسرحِ الجَرِيمَة!!!

ســجَّلُوا تقريرًا وأخذوه للضَّابِطِ المســؤولِ عَن السِّجْن...وبعد يَوْمين دَخَلَ علينَا الضَّابِطُ وهو يصرخُ بأعلى صوته: لمن هذه؟

لم يَلــقَ جَوَابًا لأنَّنا كلُّنــا مُطأطِئي الــرؤوسِ ولَا نَنظرُ إلَى وجه الضَّابِط القبيح...

أعَادَ سؤالَه مع بعضِ الشَّتائمِ رَفعتُ رَأسِي خلسةً لأرَى عَن مَاذَا يســأل، وجدتُه مُمســكًا بالتُّربةِ التِي وَجدُوهَا تحتَ فِرَاشِي.. فرفعتُ يدي فِي إشارةٍ إلَى أنَّهَا لي..

فقامَ الضَّابِطُ برميهَــا بأقصى قُوَّتِه عليَّ إلَّا أنَّني تفاديتُهَا وابتعدتُ عَنهَا فاصطدمَت بالجِدَارِ فتفتَّت وتحوَّلت إلَى تَرَابٍ وحجارةٍ صغيرة،

فانهالَ عليَّ بالصَّفـع وطَلَبَ منِّي أن أُلمِلمَ آثارَ التُّربةِ وأن أُلقِي بهَا فِي مِرحاضِ الحَمَّام...

بدَأتُ أُلمِلمُ التَّرَابَ وهو يَضرِبُ إخوتي المُعْتَقَلِين معي فِي الزِّنْزَانَةِ وحِينَ انتهيتُ أمرَ الشُّرْطَةَ بأن يُرَاقِبوني وأنَا أضعُ بَقايَا التَّربةِ الحُسينيَّة فِي مِرحاضِ الحَمَّام...حِينَ وصلتُ بقربِ المرحاضِ مَددتُ يدي إِلَى الشُّرطِي وقلتُ له خُذهَا وضَعهَا أنت. فخافَ الشُّرطِي كثيرًا وقال: لَا أنت من يَجِبُ أن يضعَهَا.

وَضعتُهَا وقَلبِي يعتصِرُ حَيثُ أقومُ بمثلِ هذَا السُّلوك، كان هذَا فصلًا من فصولِ التَّعدِّي علَى العقيدةِ وفصلًا من فصولِ التَّعْذِيب النَّفْسِي بالنِّسبة إليّ.

حوارَات بين الضحية والجلَّاد

طوال فترتي فِي السِّجْنِ حاولتُ أن لَا أَكشفَ شَخصيَّتي للنِّظام، فَما لم يستطع أن يأخذَه منِّي بقوةِ السِّيَاطِ لن أجعلَه يأخذُه بحلَاوة اللِّسَان.

كان بعضُ الشُّرْطَةِ يأتون إِلَى الموقوفين ويُكثِرون الحديثَ معهم ليستدرجوهم ويجعلوهم يُفرِّغوا مَا فِي جُعبتِهم من أحاديث، ومن خِلَال هَذِهِ الأحاديث يرسمون صورةً عَن المُعْتَقَلِ وتَوَجُّهِهِ السِّيَاسِيِّ،

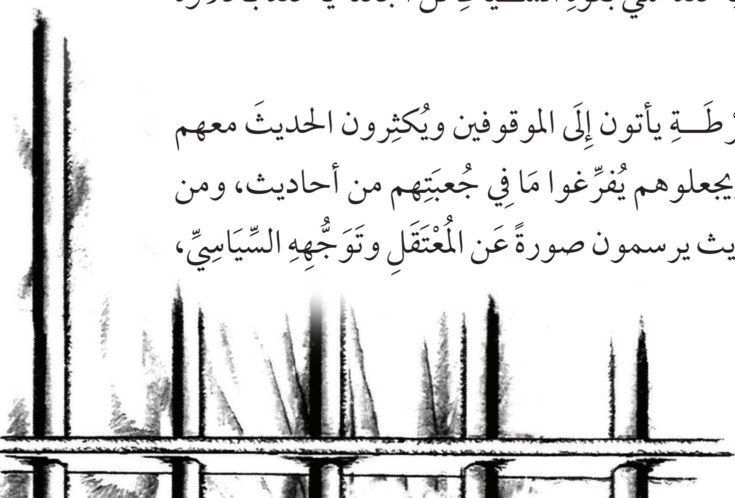

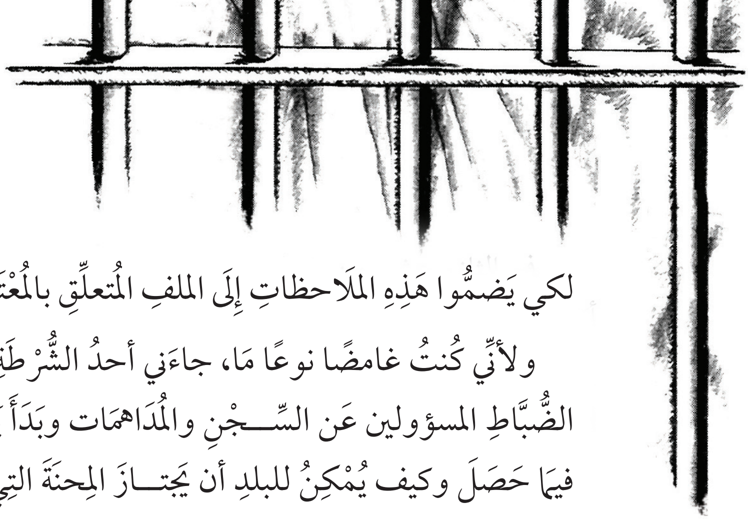

لكي يَضمُّوا هَذِهِ المَلاحظاتِ إِلَى الملفِ المُتعلِّقِ بالمُعْتَقل.

ولأنِّي كُنتُ غامضًا نوعًا مَا، جاءَنِي أحدُ الشُّرْطَةِ وهو مُقرَّبٌ من الضُّبَّاطِ المسؤولين عَن السِّـــجْنِ والمُداهمات وبَدَأَ يَسألُني عَن رأيِي فيمَا حَصَلَ وكيف يُمْكِنُ للبلدِ أن يَجتـــازَ المِحنَةَ التِي هو فيها؟ وأين تَكمُنُ المشكلة؟

حَاولتُ التَّهربَ مِـــن الإجابة ولكنَّه أصرَّ كثـــيرًا، فقلت له: إنَّ المخرجَ فِي البحرين صعبٌ عسير، فمَا لم تخرج كلُّ القيَادَاتِ من السِّجْنِ فلن يَكُونَ هنَاك أيُّ حلٍّ فِي البلد، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الشَّـــعْبَ لن يقبلَ بالتَّراجعِ أبدًا، وإنَّ أقلَّ شيءٍ يُمْكِنُ أن يقبلَ به شريحَةٌ كبيرةٌ من النَّاسِ هو أن يتمَّ إبعَادُ رئيسِ الوزرَاء من الواجهةِ السِّيَاسِيَّةِ وتَكُونَ هنَاك حكومةٌ منتخبة.

فأجابنـــي: إنَّ رئيسَ الوزرَاء يمتلكُ خبرةً كبـــيرةً فِي إدَارةِ البلَادِ والتفريطُ به تفريطٌ بخبرةٍ كبيرةٍ للبلَاد.

ضحكتُ عـــلَى قوله وقلت له: لأنه يملكُ خبرةً كبيرةً جِدًّا يَنبغِي أن يتـــمَّ تفريغُه لإدَارةِ بلـــدٍ كبيرٍ كأمريكا أَو بريطَانيـــا أَو غيرهَا من البلـــدَان الكبيرةِ التِي تحتاجُ إِلَى شـــخصيَّاتٍ فَـــذَّةٍ ذَات خبرةٍ عَاليةٍ جِدًّا كـــمَا لرئيسِ وُزرَائِنَا الذِي بقيَ فِي منصبـــه أكثر من أربعين عَامًا أمَّا نحن فنحتاجُ إِلَى رئيـــسِ وزرَاءٍ مُنتخبٍ ينتخبُه النَّاسُ حتَّى لو لم يمتلك خبرةً فِي إدَارةِ البـــلَاد، ولَا أَدرِي عَن أيِّ خبرةٍ تتحدَّثُ عنهَا

عِندَ رئيسِ الوزرَاء ؟!!!

أتقصدُ خــبرةً فِي سرقةِ ثرواتِ البلد؟ أم خــبرةً فِي التَّضييقِ علَى النَّاس؟ أم خبرةً فِي حصولِ البحرينِ علَى المرتبة الثامنة لمُدُنِ الخطَايَا؟ أم فِي سرقةِ الأرَاضي والسَّواحل؟ أم فِي الخطَّةِ الغبيَّةِ فِي تجنيس آلاف الأجانبِ وحِرمَان الشَّــعْبِ الأصلِي من أبســطِ حقوقِه فِي السَّــكنِ والوظيفةِ والعيشِ الكريم؟

قال: نحنُ أيضًا نَعــترِضُ علَى التَّجنيس، ونحــن من تأذَّى من التَّجنيسِ أكثر منكم...

فبادرته: إذن يَنبغِي أن نُبدِّلَ رئيــسَ الوزرَاء الذِي قضَى أكثر من أربعين عَامًا فِي منصبِه والبحرين تُرَاوِحُ مَكَانهَا بل هِيَ تعودُ للورَاء.

قال: ولكن مَا فَعلتمُوه فِي الدوَّار لم يكن أمرًا مَقبولًا أبدًا.

- ومَا الذِي فعلنَاه؟

- تهتفون بإسْــقَاطِ النِّظَام وتُريدُون أن يَكُونَ حكومةً شــيعيَّة، وتريدون أن تحكُمَنا إيرَان... وأعَاد تلك الاسطوانة المشروخة...

قلت له: هل ذهبتَ للدوَّار؟

- لَا.

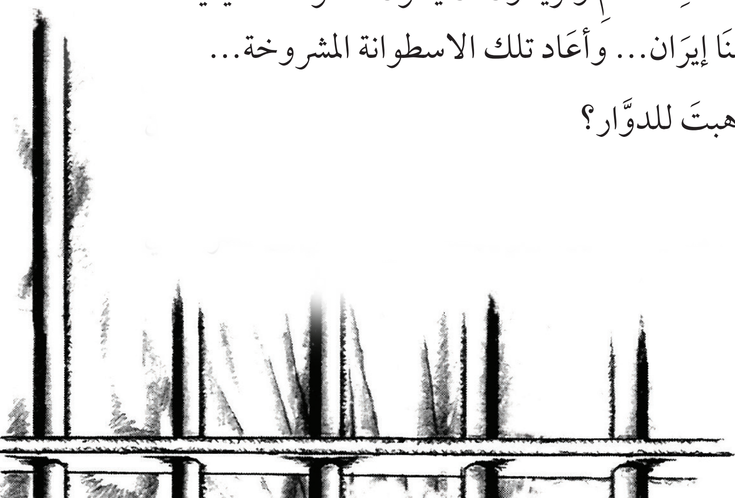

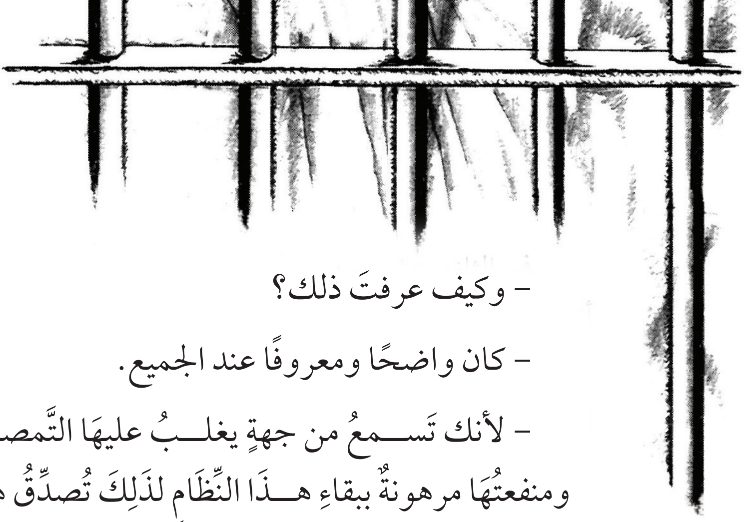

- وكيف عرفتَ ذلك؟

- كان واضحًا ومعروفًا عند الجميع.

- لأنك تَسمعُ من جهةٍ يغلبُ عليهَا التَّمصلحُ لهذَا النِّظَام، ومنفعتُهَا مرهونةٌ ببقاءِ هذَا النِّظَامِ لذَلِكَ تُصدِّقُ هذَا الكلَامَ الهَابِط والهرَاء.

كان يَنبغِي عليك وعلى كلِّ السُّنَّةِ أن يأتوا للدوَّار لكي يسمعوا شعَارَاتِ النَّاس، وهتافاتِهم التِي كانت تهزُّ المَكَان «إخوان سنة وشيعة هذَا الوطن مَا نبيعه».

أتعلمُ أين تَكمُنُ المشكلة؟

المشكلةُ فِي الملكِ الذِي جعلَ مستشاريه من العسكريِّين بدلًا من السِّيَاسِيِّين.. العسكري يَعْرِفُ كيف يُكسِّرُ العظم، وكيف يُحطِّم، وكيف يضْرِبِ ويَقتلُ ويسفكُ الدَّم، ولَا يَعْرِفُ كيف يصنعُ الحلول السِّيَاسِيَّة...

الآن أصبحَ من الصَّعبِ إن لم يكن مستحيلًا أن ترجعَ الميَاه لمجاريهَا...

قال: إنَّ مَا حصلَ هو بسَبَبِ رؤوسِ الفتنةِ عبد الوهَاب ومشيمع والمقداد والسنكيس وإنهم سينَالون عقابَهم فِي السِّجْن. وسيقضون بقيَّةَ حياتِهم فِي دَاخلِ السِّجْن.

قلت له: لو قتلتم نصفَ شَعْبِ البحرين لكي يسكتوا عَن بقائِهم فِي السِّجْنِ فلن يحصلَ ذَلِكَ أبدًا.

ضيوف الرحمة

هَا قَد أطلَّ شــهرُ الرَّحمةِ علينَا مع قسَــاوةِ الظُّروفِ إلَّا أن شهرَ الرَّحمةِ قَد أفاضَ علينَا من رحمتهِ ليُبعِدَ عَنَّا شبحَ العَذَاب، مع اقترَابِ شهرِ رمضان كان قَد اقتربَ موعدُ مجيءِ لجنةِ بسيوني، مِمَّا دفعَ الضَّابِطَ المسؤولَ أن يُغيِّرَ من مواقفِه وأسَاليبِه التعسفيَّةِ مع الْمُعْتَقَلِين ويَا أسفي علَى سُرعةِ نِســيَانِ الْمُعْتَقَلِين للإهَانَات والسَّبِ والضَّرْبِ الذِي كان يقومُ به الضَّابِطُ المسؤولُ علَى السِّجْنِ.

ففي مولدِ الإمَام الحسين عليه السلاَم أُعطِينَا القرآن، وفي النصف من شعبان سُــمِحَ لنَا بأن نُقِيمَ احتفالًا بمولدِ الإمَام صاحبِ العصرِ والزَّمَان وأن نعودَ بعدهَا إِلَى زنَازيننَا مرَّةً أُخرَى. قبل شــهرِ رمضان بعدَّةِ أيَّامٍ تَمَّ تبديلُ الضَّابِطِ المسؤولِ عَن السِّجْنِ وجيءَ بضَابِطٍ آخر.

كانت الأَيَّامُ الأولى من شــهرِ رمضان والأَيَّامُ التِي سبقتهَا بقليلٍ أَيَّامَ بهجةٍ وسرور، فهَا هو القرآنُ الذِي حُرِمنَا منه بين أيدِينَا، وهَا هِيَ الكُتبُ الممنوعةُ سُــمِحَ لنَا بهَا، وهَا نحن نَلتقِي مع أَحبَّتنَا متى شئنَا، نستطيعُ أن نتحرَّكَ بين الزَّنَازين، ونتعرَّفَ علَى بعضنَا البعض، كانت

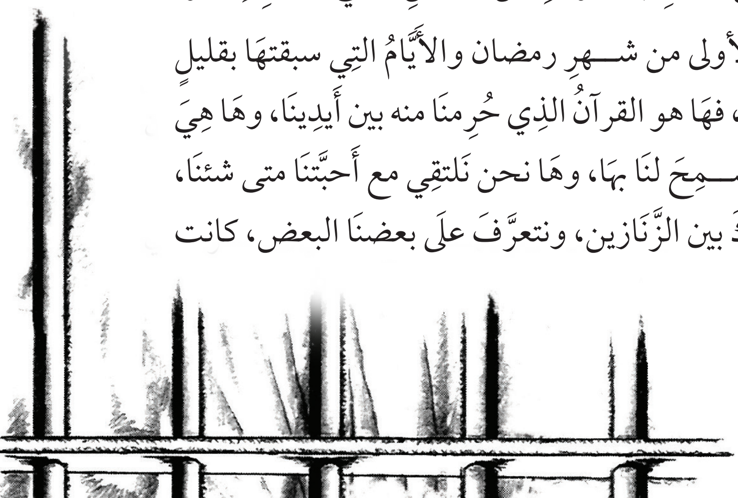

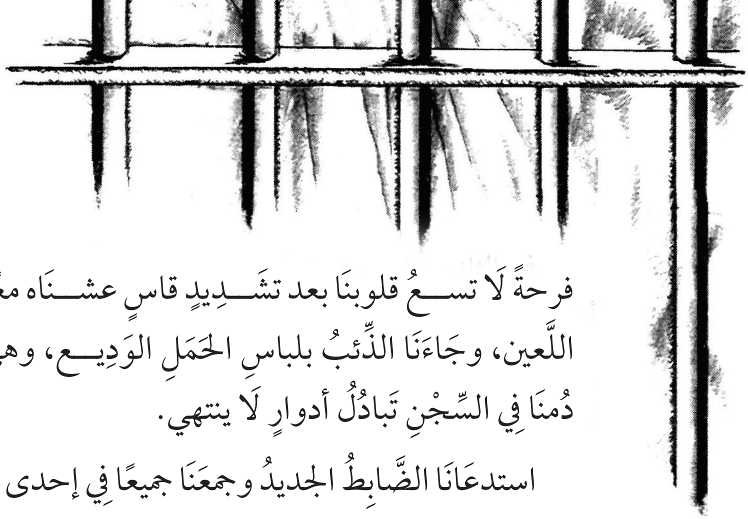

فرحةً لَا تسـعُ قلوبنَا بعد تشَـدِيدٍ قاسٍ عشـناه معًا، رَحَلَ الضَّابِطُ اللَّعين، وجَاءَنَا الذِّئبُ بلباسِ الحَمَلِ الوَدِيـع، وهي قِصَّةٌ تَتكرَّرُ مَا دُمنَا فِي السِّجْنِ تَبادُلُ أدوارٍ لَا ينتهي.

استدعَانَا الضَّابِطُ الجديدُ وجمعَنَا جميعًا فِي إحدى الزَّنَازينِ وتحدَّثَ لنَا عَن نظامِه الجديدِ فِي إدَارةِ السِّجْن وأن إدَارتَه ستختلفُ عَن إدَارة سلفه، وأنه سيتعَاونُ معَنَا فِي عدَّةِ أمور، واستشارنَا فِي موضوعِ شهر رمضان والبرنَامجِ الخاصِّ بالشَّـهرِ الكريم، ووَعَدَنَا بإجرَاءِ بعضِ التَّعديلَات علَى وضعِ السِّجْن.

البعضُ يظنُّ أنَّهَا بفضلِ تبديلِ المسـؤولِ عَن السِّجْن، والبعضُ الآخر يظنُّ إنه بفضلِ لجنة بسيوني، وبعضٌ آخر يَعتقِدُ إنهَا من فضلِ ربي الذِي استجابَ لدعَاءِ المضطرِّين الذِين كانُوا يطرقون بابَ رحمةِ الله ليلًا ونهَارًا...

قَامَ الشَّبابُ بتشـكيلِ عدَّةِ لجان، لجنةٌ لدورِي كُرةِ القَدم، ولجنةٌ ثقافيَّة، ولجنةُ دروس، ووو.

كان مـن نَصيبِي اللَّجنةُ الثقافيَّةُ التِي تُعِـدُّ برنَامجًا ثقافيًّا وروحيًّا فِي فترةِ الشَّـهرِ الكريم، وكان معي سَماحة الشَّـيخ عَادل الجمري، فأعدَدنَا عِـدَّةَ برَامجَ منهَا تِلَاوةُ القرآن الكريـم، وكلمةٌ فِي كلِّ ليلةٍ وقرَاءةُ دعَاءِ الافتتاحِ فِي كلِّ ليلة، ولَا أنسَى ذَلِكَ الصَّوتَ الجهوري العذبَ للشَّـيخ جاسـم الدمستـاني الذِي كان يهزُّ جدرَان السِّجْنِ

وجدرَانَ القلوبِ فِي آنٍ واحد.

تغيَّرت أَوقــاتُ الزِّيَارَاتِ من النَّهــارِ إِلَى اللَّيلِ رِعَايــةً لأهَالِينَا الذِين يقطعونَ مسَــافاتٍ فِي حرَارةِ الشَّــمسِ وهــم صِيَامٌ من أجل زيَارتنَا،وأغلــب أُمَّهَاتِنَا تَقضِي النَّهَار فِي إعدَادِ وجبةِ الإفطَارِ للعَائلةِ وكم تتمنَّى الأمُّ أن تجلبَ بعض الأطعمــةِ التِي أعدَّتهَا لابنهَا الذِي غابَ عَن سُفرَةِ الإفطَارِ فِي بيتهَا...

تجلــبُ عوائِلُنَا العديدَ مــن الطَّعَام بعد سَــمَاحِ الشُّرطَةِ بإدخالِ وجباتِ الطَّعَامِ فِي الزِّيَارة، وكانت كلُّ أمٍّ تُرِيدُ أن تُطعِمَ كلَّ السِّجْنِ من طبخهَا وطعَامِهَا..

تتنَافسُ الأمَّهَاتُ فِي الطَّبخِ وأنواعِه ويَتلذَّذُ السُّجْنَاءُ بأشهَى وألذِّ أَنواعِ الطَّعَام، تُفرَشُ السُّفرةُ فِي إحدى الزنَازين إمَّا زنزانتنَا (١٠) أَو زِنْزَانَة (٩).

ومن كَرَمِ المُعْتَقَلِين أنَّهم يَدعُون جَلَّاديهم بالأمس ليتنَاولوا أطيبَ الأطعمــةِ التِي جهَّزتهَا تلك الأمُّ المفجوعةُ علَى ابنهَا الذِي كان يَتلذَّذُ بتلقينِه أشدَّ وأقسَــى أنواعِ العَذَاب، فهَا هو يَتلذَّذُ مرَّةً أخرى ولكن بأشهَى الأطعمةِ التِي أعدَّتهَا نفسُ الأمِّ التِي ذَاقَت مرَارةَ الألَمِ لفرَاقِ ابنهَا الذِي تعبت فِي تربيتة والمسلوخِ تحتَ السِّيَاط...

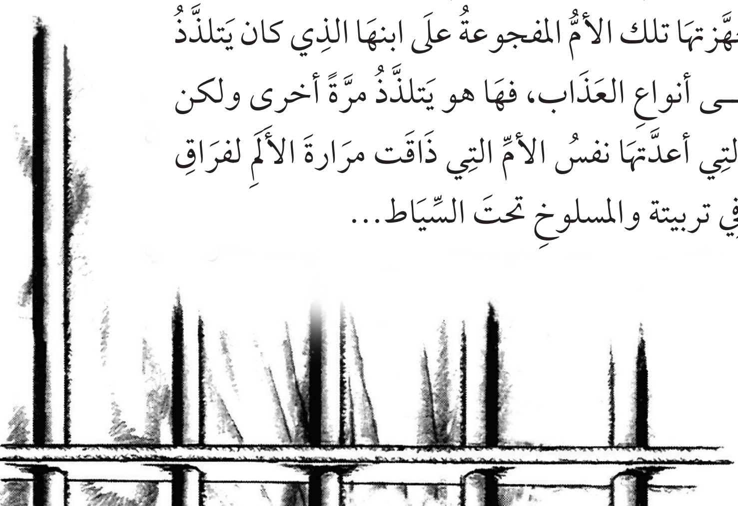

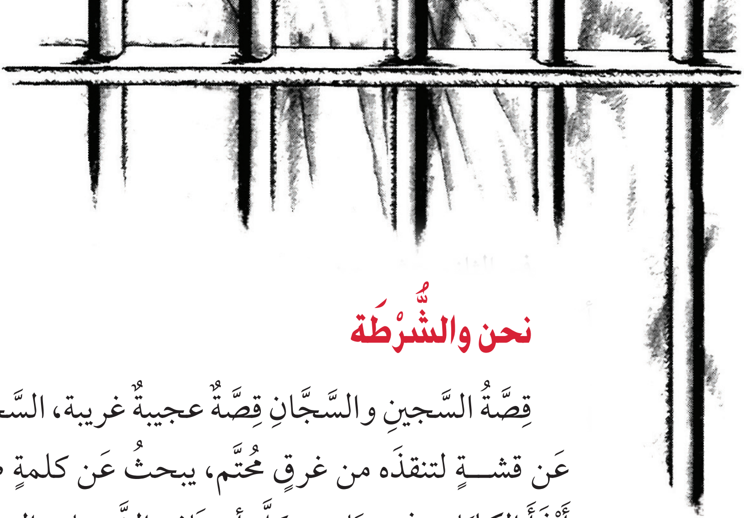

نحن والشُّرْطَة

قِصَّةُ السَّجينِ والسَّجَّانِ قِصَّةٌ عجيبةٌ غريبة، السَّجينُ غريقٌ يبحثُ عَن قشــةٍ لتنقذَه من غرقٍ مُحتَّم، يبحثُ عَن كلمةٍ طَيِّبَةٍ بعد أن تَلَقَّى أَبْذَأَ الكلمَاتِ فِي حياته، وكلَّ أصنَافِ الشَّــتائم التِي سَمِعَهَا والتِي لم يسمعهَا منذ ولَادتِه إِلَى لحظته، السجَّانُ علَى عدَّةِ أنواع:

ســجَّانٌ يُنفِّذُ مَا يأمرُه به مســؤولوه وهو يَعِيــشُ الألَمَ وهو يقومُ بعملِه، وسجَّانٌ يقومُ بمَا يُؤمَرُ به سواء بالتَّعْذِيبِ والإهَانةِ أم التَّقرُّبِ من المُعْتَقَلِين والتَّحبُّبِ إليهم، وهو يَتحرَّكُ حســبَ الأَوامرِ لَا غير، وســجَّانٌ يَعِيشُ الحِقدَ والكَراهيَّةَ للمُعْتَقَلِين سواء أكان ذَلِكَ بأمرٍ أم بدون أمر.

فِي ســجْنِنا لَاقينا جميعَ هَذِهِ الأصنَاف، فهنَاك من يَضرِبنا ويُضيِّقُ علينَا وقلبُه يَعتصِرُ ألمًا، وهنَاك من يَضرِبُنَا بالأَوامرِ ويَتوقَّفُ بالأَوامرِ كالآلةِ فِي يدِ الضَّابطِ والمسؤول، وهنَاك من يَضرِبُنَا لحِقدٍ دفينٍ فِي قلبِه سواء أكانت هنَاك أَوامرُ أم لم تكن هنَاك أيَّة أَوامر.

منهم أَو منّا؟!

فِي الأَيَّــامِ الأولَى لوصولِنَا إِلَى ســجْنِ الحوضِ الجاف كان أغلبُ الشُّرْطَةِ يلبسون القِنَاعَ ويُغطُّون قُبحَ أفعَالِهم ووجوهَهم بهَذِهِ الأقنعة، ولكن مع اقتِرَابِ مَجيءِ لجنةِ بسيوني جاءَت الأَوامرُ بنزعِ القِنَاعِ الذِي

يُخفِي ســـوءاتِهم، فمَا كان من أغلبِهم إلَّا أن غيّرَ من أســـلوبِ تعَامُلِه بشـــكلٍ فُجَائِي، الشُّرْطَـةُ غالبَيتهم العُظمَى من البحرينيِّين السُـــنَّة من سَـــاكني المحرّق والبسيتين والبديع ومدينة عيســـى. عرَفنَا هَذِهِ المعلومَاتِ بعد مُضِي أيَّامٍ عُجَافٍ قَاسِـــيَةٍ معهم، بعضُ الســـجَّانِين يشـــعرون بتأنيبِ الضَّميرِ فيُنفِّذُ أوامرَ سَيِّدِه الضَّابِط ولكنَّه يَأتِي بعد ذَلِكَ محاولًا تلطيفَ الجوِّ من خِلَالِ المُزاحِ مع المُعْتَقَلِين، فِي إشارةٍ منه إِلَى أنَّه غيرُ رَاضٍ عَن الأَوامرِ التِي تُعطَى له ويَقومُ بتنفيذهَا.

فمثلًا حِينَ كُنَّا نُؤخَذُ لدورةِ المِيَاه فِي بِدَايَةِ وُصولِنَا لِسجْنِ الحوض الجاف، فقَد كانت الأَوامرُ بالتَّضيِيـــقِ علينَا وذَلِك من خِلَالِ وضع الصِمَادِ علَى أعينِنَا من الزِّنْزَانَةِ حتَّى دَاخلِ الحمَّام، ولَا يُسمَحُ لنَا برؤيةِ الطَّريقِ ولَا مَا يُوجَدُ فِي السِّـــجْنِ ولَا وجه السجَّان ولَا أيِّ شيءٍ إلَّا الزِّنْزَانَة والمرحاض!!!

ويتمُّ جرُّ المُعْتَقَلِ بطريقةٍ مُهينةٍ، ولَا يُســـمَحُ للمُعْتَقَلِ إلَّا بدقيقةٍ واحدةٍ ليَقضِي فيهَا حاجته!!!

فيَقومُ بعضُ الســـجَّانين بترخيةِ العصابةِ التِـــي تُوضَعُ علَى أعينِ المسَـــاجين ليُبصِرَ تحت قدَميه مثلًا، ويَمشِي معـــه بطريقةٍ هَادئةٍ لكي لَا يَتعثَّرَ فِي الطريق، ويبقيه دقيقتين تكرمًا منه وشفقةً علَى المُعْتَقَل!!!

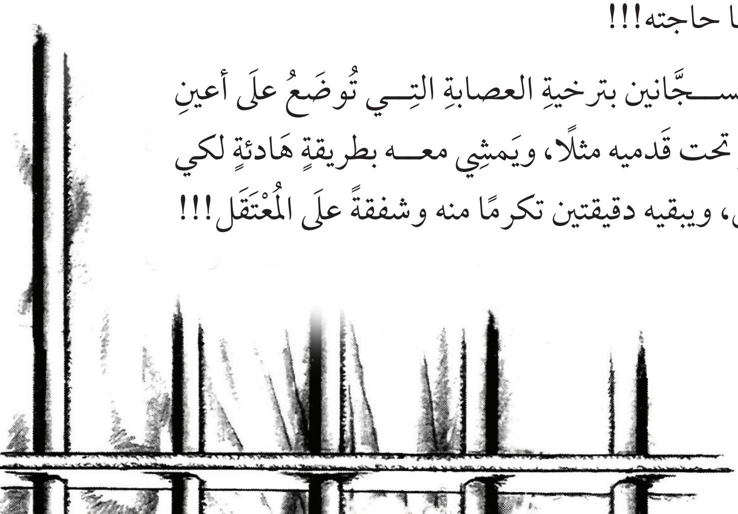

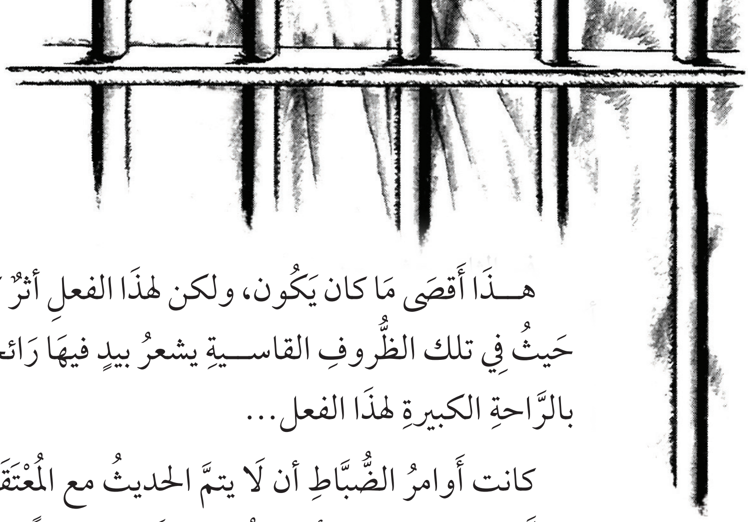

هــذَا أَقصَى مَا كان يَكُون، ولكن لهذَا الفعلِ أثرٌ كبيرٌ علَى المُعْتَقل، حَيثُ فِي تلك الظُّروفِ القاســيةِ يشعرُ بيدٍ فيهَا رَائحةُ الرَّحمةِ ويَشعرُ بالرَّاحةِ الكبيرةِ لهذَا الفعل...

كانت أَوامرُ الضُّبَّاطِ أن لَا يتمَّ الحديثُ مع المُعْتَقَلين إلَّا بالسَّــبِ والضَّرْبِ والإهَانة، فيأتي بعضُ السجَّانين خلسةً ليتحدَّثوا بأيِّ كلَامٍ لإشعَارِ المُعْتَقَلِ بأن مَا نقومُ به لِأَوامرَ صَدَرَت من جِهَاتٍ عُليَا وليس طبعًا فينَا.

منّا بلباسهم

كان أحدُ السجَّانين يتعاملُ معَنَا بلطفٍ شَدِيد، وكلَّمَا قَامَ الضَّابطُ القَاسِي اللَّعينُ بضَرْبِنَا أَخَذَ نفسَــه خارجًــا من مَكانِ الضَّرْبِ لأنه لم يكــن يَحتمِلُ أن يرى إخوته تــضرب، إلَّا أن الضَّابِطَ كان يَتعمَّدُ أن يســتدعيَه من أجلِ أن يقســوَ قلبُه علَى المَســاجين، وفي أحدِ المرَّات دَخَلَ علينَا الضَّابِطُ وقَامَ بشتمِنَا وضَرْبِنَا كعَادته، وينتقلُ من شخصٍ لآخر وكنتُ أُتمتِمُ بذكرِ الله وحِينَ وصلَ دوري أخذَ نفسَه ورحلَ ولم يَضربنِي.

وفي يَوْمٍ لَاحــقٍ دَخَلَ وقَامَ بنفسِ العَمليّةِ وأنَا أُتمتِمُ بالدُّعاءِ حتَّى وَصَــلَ عِندي فخرجَ مــن الزِّنْزَانَةِ لينتقلَ إِلَى أخــرى، فجاءَ بجَنبِي هذَا الشُّرطِي وســألَني: بمَاذَا تُتمتِم؟ هَذِهِ المرَّةُ الثانيةُ التِي أَدخلُ مع الضَّابِطِ وأَرَاهُ يَضرِبُ من مَعَكَ ولَا يَضرِبُك وأُلَاحظُك وشــفتيك

تتحرَّكان.. أجبته: ومن المنقذُ سِوى الله ؟؟ فقال لي علِّم من مَعَكَ بِمَا تَدعُو. فقلت له: بابُ الله مفتوحٌ لدَاعِيه، تَبسَّمَ وانصرفَ من عندي ومنذ ذَلِكَ اليَوم وهو يُكِــنُّ لي كبيرَ الاحتِرَامِ حتَّى بعد خُروجِنَا من السِّجْن.

في إحــدى المرَّاتِ قَامَ أحدُ الشُّرْطَةِ الذِيــن يعملون معه فِي نفسِ النَّوبةِ بضَرْبِي والاعتدَاءِ عليَّ بدون سَــبَب، وحِــينَ عَاودَ ضَرْبِي مرَّةً أخرى مَســكتُ يديه ومَنعتُه عَن ضَرْبِي فقَامَ بالصُّرَاخ واســتدعَى الحرَّاسَ الذِيــن يقفون علَى بابِ العَنبرِ وقَامَ بجرِّي إِلَى غُرفةِ الشُّرْطَةِ وقَامَ بالاعتدَاءِ عليَّ هنَاك بالسَّبِ والشَّتمِ والضَّرْب، ولم يتوقَّف عَن الضَّربِ إلَّا حِينَ قَامَ أحدُ الشُّرْطَةِ الباكستانيين بضَمِّي وإبعَادِي عَنه، فقَامَ أحــدُ الأخوةِ المُعْتَقَلِين مَعَنَا فِي العَنبرِ بالشَّــكوى علَى الشُّرطِي الذِي ضَرْبنِي عند الشُّرطِي الذِي يرأَفُ لحالِنَا ويُعَامِلُنَا معَاملةً حسنة فَمَا كان منه إلَّا أن جَاءَ وسألَنِي واستدعَى الشُّرطِيَ الذِي اعتدَى عليَّ بالضَّرْبِ وطَلَبَ منه أن يعتذرَ إليّ، فقَــامَ ذَلِكَ المُجرِمُ بالتَّهربِ عَن الاعتــذَار فَمَا كان منِّي إلَّا أن قلتُ له: إنَّــك لتعلمُ إننَا لَا نؤذيك ولم نؤذيكم طوال عشرتكــم معَنَا، أَنْتَ تَضرِبُني لانتمَائِي المَذهبِي وأنت تَعلمُ أنَّنَا لم نُفرِّق يَوْمًا بين سُــنِّي وشــيعي، أنتــم مَخدوعُون من قبل هَذِهِ السُّلطةِ بخدعةِ الطَّائفيَّة وللأسفِ فِي كلِّ يَوْمٍ تبنون جِدَارًا بيننَا

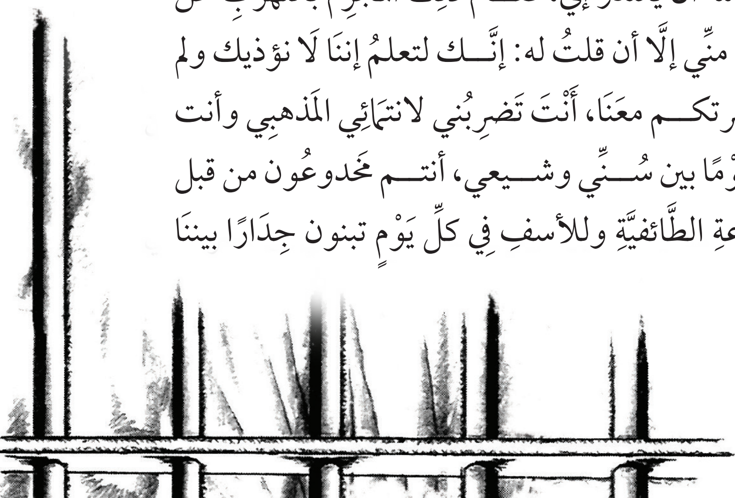

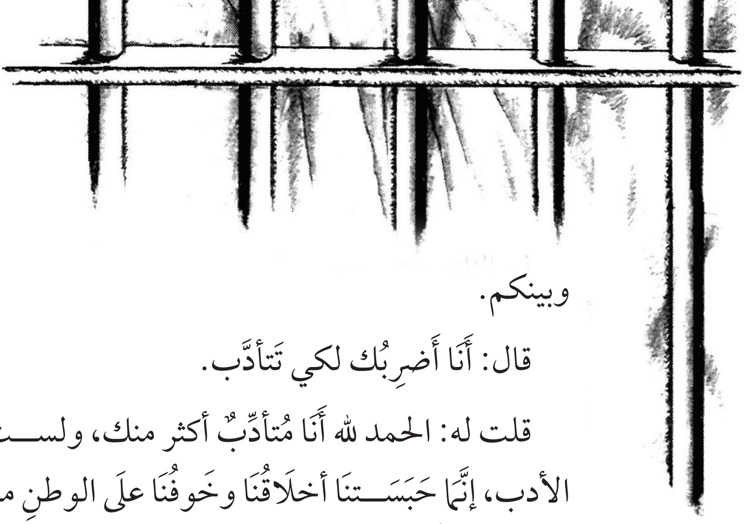

وبينكم.

قال: أَنَا أَضرِبُك لكي تَتأدَّب.

قلت له: الحمد لله أَنَا مُتأدِّبٌ أكثر منك، ولست أَنْتَ من يعلِّمنَا الأدب، إنَّمَا حَبَسَتنَا أخلَاقُنَا وخوفُنَا علَى الوطنِ من أن نُجرَّ إِلَى فتنةٍ مَذهبيَّةٍ تَحرِقُ الأخضرَ واليَابِس.

قال: أريدُ أن أُبعدَك عَن جَمَاعةِ مشيمع وأتباعِهِ لكي تَبتعِدَ عَنهم حِينَ تخرجُ ولَا تتبعهم.

قلت: ومَاذَا فعلَ مشيمع لكي تَحقِدَ عليه هكذَا ؟! مشيمع طَلَبَ العدَالةَ فِي المجتمع لكي يسودَ الحقُّ فِي البلَاد.

طأطأ رأسَه وذهبَ وهو يَتنفَّسُ حِقدًا ويُرِيدُ منِّي انتقامًا.

نحن مقصرون...

يوجدُ شرطي آخر كان يَخجلُ من أن يضعَ عينَه بعينِ المُعْتَقَلِين لأنَّه يَرَاهُم يَتعذَّبون ويُظهِرُ علَى ملَامح وجهه أنَّه يَتعذَّبُ لعَذَابِهم، أَول مرَّةٍ رأيتُه بعد شهرٍ ونصف من اِعْتِقَالي حَيثُ جَلَبَ إفادتي التِي مُنِعتُ من قراءتهَا لأُمضِي عليهَا. طَلبتُ منه قِرَاءَتهَا فقال لي ممنوع أن تقرَأَهَا.

قلت له: وكيف أُمضِي شيئًا لَا أَعْرِفُ مَا هو؟ قال هكذَا هِيَ الأَوامر.. أَمضيتُ علَى ورقةٍ لم يتسنَ لي قِرَاءتهَا حَيثُ جُلبَت لي

السَّاعة الثَّالثة فجرًا بعد أن تَمَّ إيقاظُنَا بطريقةٍ مرعبة.

هذَا الشُّرطِي بعد أيَّام من العِشرةِ بَدَأَ يَقترِبُ من المَسَاجينِ شيئًا فشيئًا، وحِينَ سمعَ أن الشُّرطِي اعتدَى عليَّ بالضَّرْبِ همَّ ليَضرِبَ ذَلِكَ الشُّرطِي فأوقَفتُه وطلبتُ منه أن يهدأَ، وقُلتُ له أَنَا مسجونٌ وأَتحمَّلُ كلَّ مَا يُصِيبُنِي أَمَّا أَنْتَ فشُرطِي وإذَا قُمتَ بذَلِكَ فإنَّك لن تَنفعنِيَ كثيرًا بقَدرِ مَا ستضرُّ به نفسك، فهدِّأ من روعِك، فإنَّ فِي بقائِك منفعةٌ لغيري أكبر من منفعةِ ضَرْبِك إيَّاه.

تَعجَّبتُ من أَسئِلته كثيرًا ولم أكن أعلمُ أن هنَاك أشخاصًا ليس لديهم أَدنَى مستوًى من الثَّقافةِ فهو لم يكن يعلمُ بأن الإِمَّام الحسين عليه السلَام هل هو إِمَّامٌ أم مرجعُ تقليد؟!! وهذَا هو أحدُ أسئلته لِي، وتارة يَسألُني هل الصَّلَاةُ واجبةٌ أم لَا؟!!

عَلِمتُ حِينَهَا أَنَّنَا مُقصِّرون كثيرًا حَيثُ لم نستطع كعلمَاءِ دينٍ وطلبةِ علوم دينيةٍ أن نُبلِّغَ هَذِهِ الأحكامَ الضَّروريةَ لمثل هؤلَاء وسَبَّبَ ابتعَادَهم عنَّا.

كانَت تُعطَى لنَا وجباتُ الطَّعَام لكلِّ سجينٍ وجبةٌ واحدةٌ فتَتبقَّى بعضُ الوجباتِ الإضافيةِ فكان يمرُّ علينَا -هذَا الشُّرطِي - الزَّنَازين ليسأَلَ هل نقص أحدنَا شيء ليعطيَه وجبةً أخرى وهذَا الفعلُ لَا

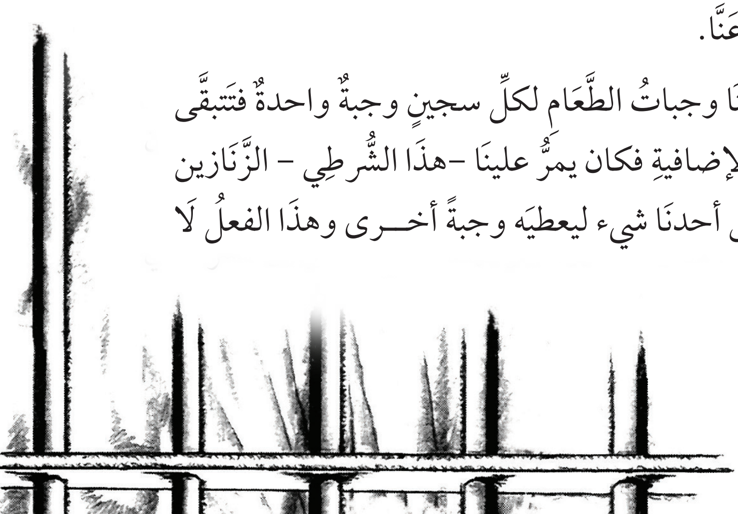

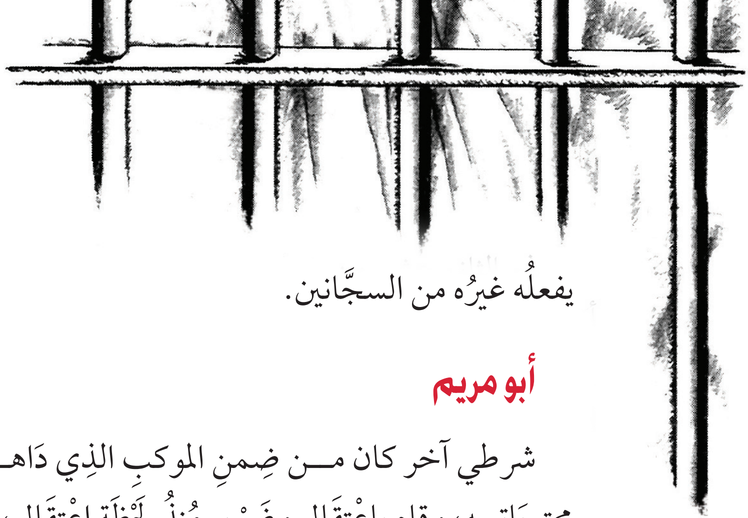

يفعلُه غيرُه من السجَّانين.

أبو مريم

شرطي آخر كان من ضِمنِ الموكبِ الذِي دَاهمَ مَنزِلَنَا وحَطَّمَ محتويَاتـه، وقام باِعْتِقَالي وضَرْبِي مُنذُ لَحْظَةِ اِعْتِقَالي، وهو الشَّخصُ نفسُه الذِي كان يقودُ السيَارةَ التِي نَقلتنِي إِلَى سِجْنِ القلعة، كان يُطلِقُ علَى نَفسِه أبو علي فِي بادئِ الأمرِ إلَّا أنه رُزِقَ ببنتٍ أسمَاهَا مريم فأسميناه بأبي مريم.

هذَا الشُّرطِي كان من الشُّرْطَةِ الذِين يتعَاملون معَنَا بغلظةٍ وشِدَّة، وخرطومُ المِيَاه لَا يُفارِقُ يديه، ويَضرِبُنَا ونحن دَاخلون ونحن خارجون من الزِّنْزَانَة، كان يَقِفُ علَى بابِ الزِّنْزَانَةِ ويَضرِبُ كلَّ خارجٍ ودَاخلٍ إليهَا.

بعد أن اقتربَ مجيءُ لجنةِ بسيوني قامَ بنزعِ لثامِه وقَامَ بتغييرِ لهجتِه ومُعَاملتِه، حَيثُ قَامَ بالتَّعَاملِ معنَا بلطفٍ ويَتحبَّبُ إِلَى المسَاجين ويَبقَى سَاهِرًا اللَّيلَ كلَّه مع المُعْتَقلين ضحكًا ومزاحاً، بل أكثر من ذَلِكَ فقَد كان يُخالِفُ القانونَ ويُخاطِرُ بنفسِه من أجل أن يُوهِمَ المسَاجين أنَّه طَيِّبٌ ولَا يُضمِرُ لهم أيَّ سوء.

وفي اعتقادِي إنه كان يَقترِبُ من المسَاجين من أجلِ أن يجمعَ معلومَاتٍ عَنهم وقَد نَجَحَ بنسبةٍ كبيرةٍ لأن غالبيَّةَ المسَاجين لم يَكُونوا أصحابَ تجربةٍ فِي السِّجْنِ من ذي قبل.

هــو الذِّئبُ المتوحِّشُ قَد طُلِبَ منه أن يُغيِّرَ لباسَــه بلباسِ الحَمَلِ الوَدِيع...

رموز الفتنة!!

في أحــدِ الأَيَّامِ جاءَ زائــرًا لزنزانتِنَا بعد صلَاةِ الفجــرِ حَيثُ كُنَّا نتلو القرآنَ بشــكلٍ جمَاعِي كعَادتنَا، فــكان يُطِلُّ علينَا ويخرج، ومن ثم يُعَــاوِدُ إطلَالَته مرَّةً أخرى حتى انتهينَا من تــلَاوةِ القرآن، فجَاءَ ليُحدِّثنَا بأن الشــيخ علي سلمَان قَد ألقَى خطبةً وطَالبَ فِيهَا بالإفرَاجِ عَن الرُّموزِ المُعْتَقَلِين وذَكرَهم بالإسم، وقَامَ بإخرَاجِ هَاتفِه المحمول وفَتحَ لنَا مقطعًا من الفيديو الذِي ذكرَه لنَا، وهذَا الفعلُ ممنوعٌ بشكلٍ كبيرٍ جِدًّا فِي السِّــجْنِ وخُصُوصًا عِندنَا فِي جهَازِ الأمنِ الوطني، مِمَّا أثارَ استغرَابَنَا حَيثُ لِمَاذَا يُخاطِرُ بنفسه ومَا الذِي سيستفيدُه ؟!!

يبدو إنهَا مَهَمَّةٌ موكلةٌ إليه ليكسبَ ثِقتَنَا بهذَا الفيلم ويَتعرَّفَ علَى تَوجُّهَاتنَا وحَركتِنَا، فقَامَ بسُــؤالِنَا عَن الرُّموزِ الذِين أسمَاهم (برموز الفتنة)، فقلتُ له أن البلدَ لن يســتقرَّ مَا دَامَ الرُّموزُ فِي السِّجْن، وأن شَــعبنَا مُســتعِدٌّ لأن يُفدِّيَ هؤلَاء الرُّموز بدمِّه من أجلِ أن يُحرِّرَهم ويُخرِجَهم من السِّجْن. ودَار بيننَا حديثٌ طويل.

كلُّ ذَلِكَ وأنَا أُحاوِلُ أن أخفيَ تَوجُّهَاتي وشَــخصيَّتِي عَنه حَيثُ

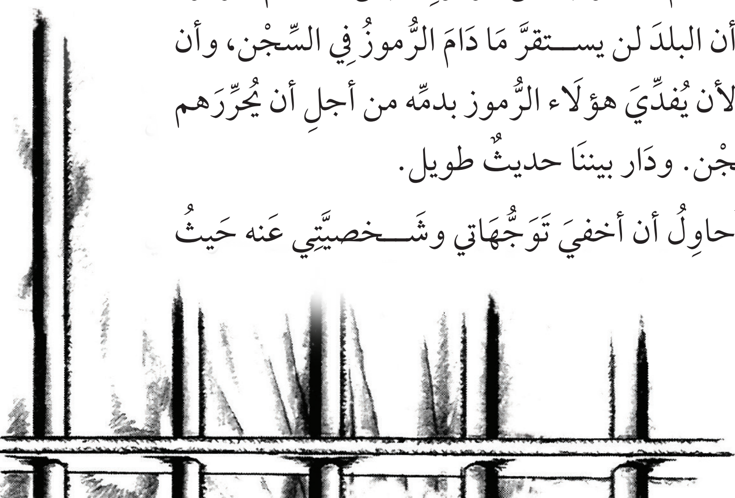

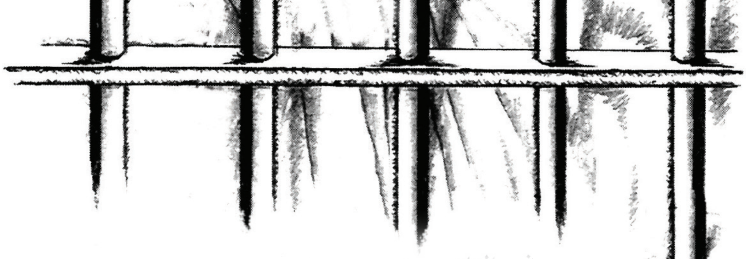

أَتكلَّمُ بلسَــانِ النَّاسِ وليس لسَــاني. ولكن تخرجُ من اللِّسَانِ فلتاتٌ تُفشِي بحقيقةِ تَوَجُّهي.

خليفة رَجُل الوطن

في إحدى اللَّيَالي زارَنَا كعَادتِــه وظلَّ يُحدِّثُنَا عَن (أبو علي) رئيسِ الوزرَاءِ خليفة بن سلْمَان بطلِ القمعِ والبطــشِ والإرهَاب، وظلَّ يَتبَاهَى بشَعبيَّتِه أن له مقبوليةً كبيرةً فِي الوسطِ الشَّعبِي وأنَّهم يُمثِّلون الأكثرية، أن قِلَّةً قليلةً هِيَ التِي تعترضُ علَى خليفة، فبادرتُه بمَا أنَّكم تمتلكون كلَّ هَذِهِ الثِّقةَ بالنَّفْس، وكلَّ هــذَا الاعتدَادِ بالنَّفسِ لِماذَا لَا تُحرِجُونَــا وتَدعُون الأممَ المُتحدةَ لتُشرِفَ علَى اســتفتاءٍ شــعبي أَو تُجرُون انتخاباتٍ حُرَّةً نزيهةً وبإشرَافِ المُنظَّمَاتِ الدوليةِ المستقلَّةِ لكي تُحرِجُونَا بالنَّتائجِ المبهرة؟!!!

قال إنَّ خليفــة يمتلكُ خبرةً كبــيرةً فِي إدَارةِ البلدِ وأنه هو الذِي طَوَّرَ البلدَ لهذَا المســتوى. قلت له: ربمَا لــو كان البلدُ فِي يدِ أحدٍ آخر لوصلَ إِلَى مســتويَاتٍ مُتقدِّمةٍ جِدًا، نحن نقولُ إن فِي البلدِ كفاءاتٍ كثيرةً وكبيرةً قادرةً علَى إدَارةِ البلدِ أَفْضَل من هذَا الرَّجل.

التجنيس غول ينخر فِي جسد الوطن

في أحد الأحاديث كُنَّا نَتكلَّمُ عَن مخاطِرِ التَّجنيسِ وسَيِّئاته، فكان هنَــاك تَوَافقٌ فِي الأفكارِ بل قَامَ هــو بإعطَائِنا الأمثالَ علَى أن أخطَارَ

التَّجنيسِ كبيرةٌ وكثيرةٌ باعتبارِهم اكتووا بنَارِ المُجنَّســين فِي مَنَاطقِهم التِي يسكنون فيهَا. ولكن مَاذَا تفعلُ لأُنَاسٍ لَا يستطيعون التَّحرُّرَ من عُبوديَّتِهم لحاكمِهم...

قبل الإفرَاج

حِـينَ عَلِمَ بقرَارِ الإفرَاجِ عَنِّي جَاءَنِي هــذَا الشُّرطِي وطَلَبَ منِّي العذرَ والسَّـــمَاحَ لِمَا بذرَ منه تجاهي، وقد بَرَّرَ ســلوكه بأنَّه مجبورٌ علَى ذلك، وأنه لم يكن يقصدُ إيذَائي،ولكن باعتباره عبدًا مأمورًا!!!

توبلي

بعد الإِفرَاجِ عَنِّي بعدَّةِ أشــهرٍ كُنتُ مَارًّا بسيَّارتِي فِي منطقةِ توبلي التِي كانت تشــهدُ اِحْتِجَاجَاتٍ وتَظَاهُرَات، وقَــد رأيتُه من ضِمنِ مجموعــةٍ من المدنيِّـين الذِين نَزلُوا من سَــيَّارَاتِهم وهم مُســلَّحُون ويُطلِقُون الغازاتِ المسيلةَ للدُّموعِ بكثافةٍ غزيرةٍ جِدًا، ويستخدمون الرَّصَاصَ الشَّوزن علَى المتظاهرين السلميين.

سريع سريع

شُرطِــي بشرتُه سَــمرَاءُ قاتمةٌ طويــلُ القامة، يبدو علَى جســمه أنَّه رِيَاضِي، يســكن منطقةِ البديع، قَاسِي الطَّبــع، جافٌّ فِي تعَامله،

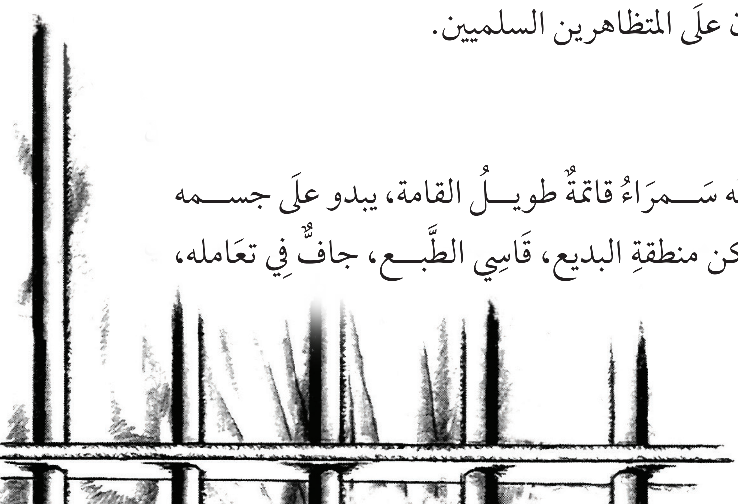

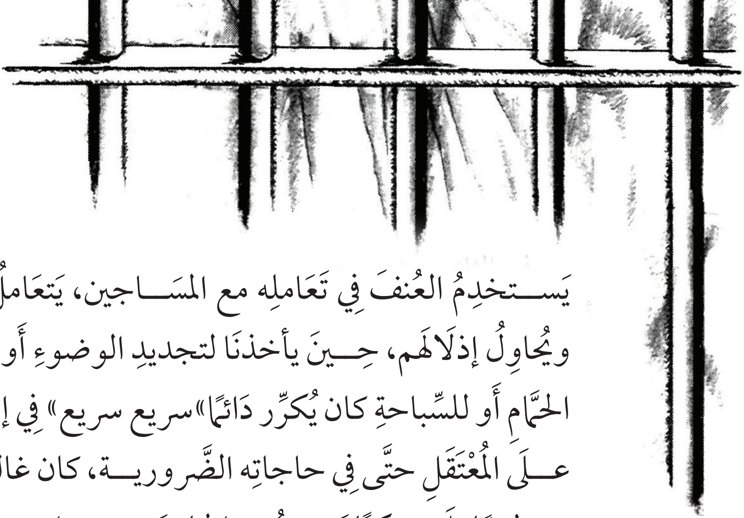

يَســتخدِمُ العُنفَ فِي تَعَامله مع المسَــاجين، يَتعَاملُ باحتقارٍ معهم، ويُحاوِلُ إذلَالَهم، حِـيـنَ يأخذنَا لتجديدِ الوضوءِ أَو لقضاءِ الحاجةِ فِي الحمَّامِ أَو للسِّباحةِ كان يُكرِّر دَائمًا «سريع سريع» فِي إشارةٍ إِلَى التَّضيِيقِ عـلَى المُعْتَقَلِ حتَّى فِي حاجاتِه الضَّروريــة، كان غالبًا مَا يحملُ فِي يدِه خرطومًا بلَاستيكيًا يَضرِبُ به الخارجَ من زنزانته والعَائِدَ إليهَا.

يدخــلُ الزِّنْزَانَةَ يُريدُ أن يُنَاقِشَ فِي موضوعَاتِ الاختلَافِ الدِّيني وهو لَا يملكُ أيَّ ثقافةٍ دينيةٍ ســوى الخرطومِ الــذِي فِي يدِه، حَيثُ يَضربُ كلَّ من يهزمُه بالحُجَّةِ والدَّليلِ بهذَا الخرطومِ الذِي يحملُه ولَا يكادُ يُفارِقُه إلَّا قليلًا.

يَتحدَّثُ عَن المُتعةِ ودليلهَا، ويَسألُ عَن إذَا مَا تزوَّجنَا زواجَ المتعةِ مــن عدمه، وهل نَرضَى أن نُزوِّجَ أَهلَنَا بهذَا الزواجِ أم لَا وغيرهَا من الأسئلةِ التِي تَعبنَا ونحن نسمعهَا من شاشاتِ الفضائيَات الطَّائفية.

ريَال مدريد

شابٌّ وسيمٌ طويلُ الشَّعرِ أبيضُ البشرةِ لطيفٌ فِي تعَامله، غريبٌ فِي أطــوارِه، هو منهم ولكن ســلوكُه يختلِفُ عَنهم، لهجتُه ليســت كلَهجتِنَا فمَا بالُه يَعطِفُ علينَا !!!

كان مولعًــا بالرِّيَاضةِ وكُرةِ القَدمِ، كان يأتينَــا مُلَثَّمًا يُغطِّي وجهَه كباقِي الســجَّانين،كان دَائِـمًا يلبسُ اللِّباسَ الرِّيَــاضِي وكان أغلبُ حديثِــه إن لم يكن كلُّ حديثِه عَــن الرِّيَاضةِ وكُــرةِ القَدمِ وكان من

مُشجِّعي فريقِ ريَال مدريد.

كان يَأتِي لغُرفتِنا ويَتحدَّثُ مع السُّـجَنَاءِ الذِين يُحبُّون كرة القَدمِ ويَتحدَّثُ بشَـغفٍ عَن هذَا الموضوعِ والـذِي كان مفتاحَ قلبِه الذِي تستطيعُ أن تدخلَ منه.

لم نَتعرَّض لأيِّ أذًى منه طوال فترةِ وُجودِي فِي السِّجْن، ولكن لم أَعْرِف سِرَّ ذَلِكَ الأمرِ إلَّا بعد خُروجِي من السِّجْن...

كان يَـأتِي إِلَى زِنزانتنَا ويتَوَجَّهُ إلَيَّ بالحديثِ عَن كُرةِ القَدمِ وأَفْضَلِ اللَّاعبـين وحَياةِ اللَّاعبين الخاصَّةِ وغيرهَـا وأنَا كالأطرشِ فِي الزَّفةِ لأني لستُ مِمَّن يُتابعُ كُرةَ القَدمِ ولَا مِمَّن يُحِبُّونهَا...

بعد أن تَكرَّرَ ذَلِك بشـكلٍ يَوْمِي طلبـتُ من الأخوةِ الذِين معي فِي الزِّنْزَانَةِ أن يُعطونِي بعضَ أَسـمَاءِ فِرَقِ كُرةِ القَدمِ وبعضَ أَسـمَاءِ اللَّاعبين المشـهورين، ومن الفِـرَقِ الذِين عَرفتُهم فَرِيقُ برشـلونة المُنَافِسُ القَوِي لفريقِ ريَال مدريد، وعَرفتُ بعضَ أسـمَاءِ اللَّاعبين المشـهورين مثـل (كاكا، ميسي، وغيرهم مِمَّـا لم تسـعفني الذَّاكرةُ بالاحتفاظ بأسـمَائهم)، فصارَ كلَّمَا دَخلَ علينَـا الزِّنْزَانَة كلَّمَا بادرتُه بالسُّـؤالِ عَن هـؤلَاءِ اللَّاعبين فيَذكُرُ لي بأن فـلَان لم يَلعَب فِي هَذِهِ المبارَاة للسَّـببِ الفُلَاني وإنه سـوفَ يَلعَبُ فِي المبـارَاةِ الفُلَانيةِ لهَذِهِ

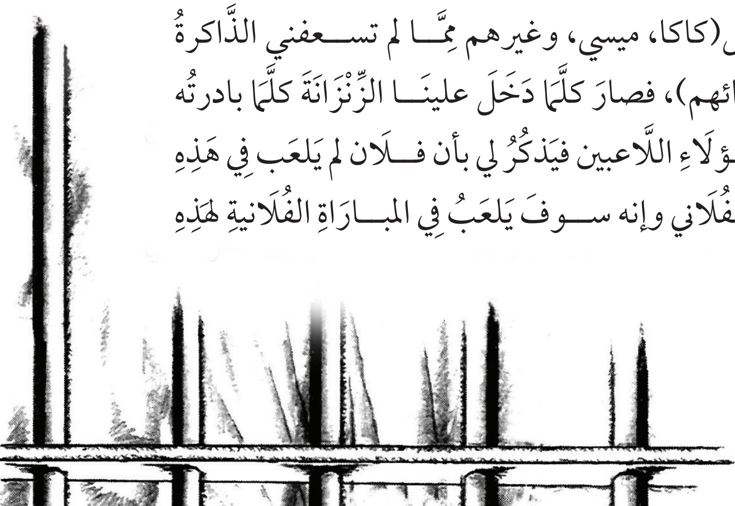

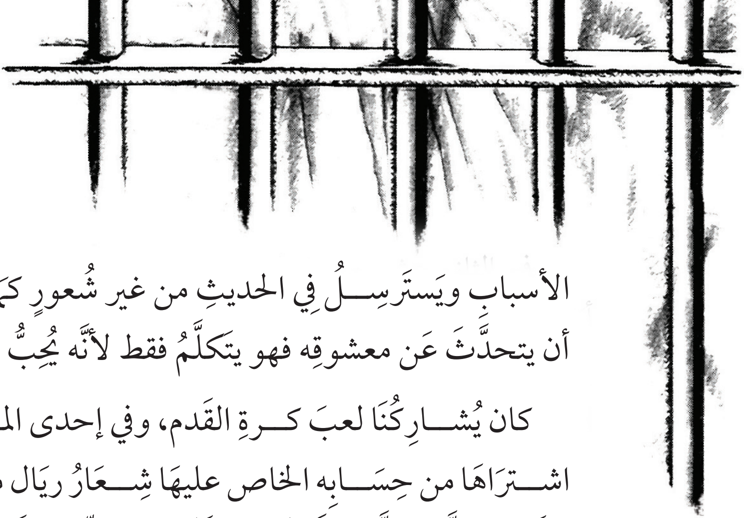

الأسبابِ ويَسترسِــلُ فِي الحديثِ من غير شُعورٍ كمَا إذَا فُتِح للعَاشِقِ أن يتحدَّثَ عَن معشوقِه فهو يتكلَّمُ فقط لأنَّه يُحِبُّ أن يَتكلَّمَ عَنه...

كان يُشــارِكُنَا لعبَ كــرةِ القَدم، وفِي إحدى المــرَّات جَلَبَ كُرةً اشــترَاهَا من حِسَــابِه الخاص عليهَا شِــعَارُ ريَال مدريد فمَا كان من الضَّابِطِ اللَّعينِ إلَّا أن أَخذَهَا ومَزَّقهَا بسـكِّينٍ لأنَّه كان من مُشجِّعِي برشلونة!!!

بعد خُروجِي من السِّجْنِ وخُروج بعض أَصحابِي ذَكَرَ لي أحدُهم أنَّ «ريَال مدريد» - كمَا يُحِبُّ أن نُسمِّيه- قَد فتَحَ قلبَه لأحدِ المُعْتَقَلين وأخبرَه بأنَّ لديه مشــاكلَ عَائِليَّةً وسَــبَبُهَا أن عمَّتَه قد طلبَت منه أن يَخرُجَ من عملــه أو أن يُطلِّقَ ابنتهَا، لأنَّهَا تَعتَقِــدُ أنَّه يعملُ فِي جِهَازٍ مُجرِمٍ يرتَكِبُ الجَرَائِمَ ويَقتلُ أبناءَ الشَّعب. كانت عمَّتُه امرأةً سَنِّيَّةً من المحرق، فكان يُبرِّرُ عملَه بأنَّه لَا يُؤذِي المُعْتَقَلِين بل إنَّه مِمَّن يُسَاعِدُهم وعلَاقتُــه طَيِّبَةٌ معهم، إلَّا أنَّهَا كانت ترفُــضُ ذَلِكَ وتَطلبُ منه أحدَ خيَارين إمَّا ابنتهَا وإمَّا العمل مع جِهَاز قاتل...

الفصل السَابع:

بسيوني

تغيرَات عجيبة غريبة متسَارعة

الضَّابِطُ المسؤولُ عَن السِّــجْنِ (بدر إبرَاهيم الغيث) كان شَدِيدًا قاســيًا ظالمًا لَا يَعْرِفُ الله ولَا يَتَّقِي اللهَ فينَا، فقَــد كان يَتلذَّذُ بضَرْبنَا وإرهَابِنَا وإذلَالِنَا ليلًا ونهَــارًا، فقَد كان يمرُّ علَى الزنَازين ويَضرِبُ كلَّ من فِيهَا ويَسبُّه ويَســبُّ كلَّ مُتعلِّقِيه ومُقَدَّسَاتِنَا بدون أيِّ خَجَل أَو حَيَاء، ذَلِكَ الوحشُ الذِي لَا يَعْرِفُ الرَّحمَةَ فِي ليلةٍ وضُحَاهَا يُرِيدُ أن يَتحوَّلَ إِلَى حَمَلٍ وَدِيعٍ يُلَاعِبُ المُعْتَقَلِين ويَضحكُ معهم ويَبتسِــمُ معهم !!!

مَا الذِي جرى ومَا الذِي يجري؟؟؟؟

فِي أحدِ الأَيَّام فَتحَ الزِّنْزَانَةَ أحدُ أفرَادِ الشُّرْطَةِ من جلَاوزةِ الضَّابِطِ اللَّعين وقالَ لنَا مَسرورًا بأن الضَّابِطَ اليَومَ مسرورٌ ونَفســيَّتُه مرتاحةٌ وهو يمرُّ بالزَّنَازين ويَســألُهم عَن طَلَباتِهم فلَا تَتَرَدَّدُوا من طلبِ أي

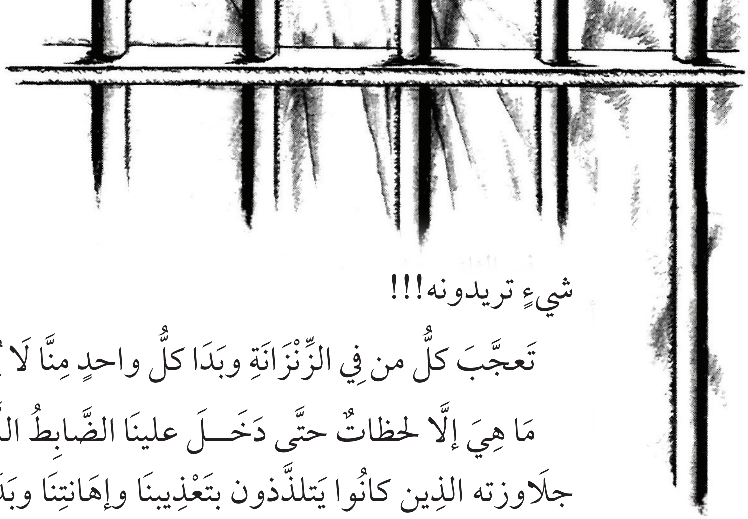

شيءٍ تريدونه!!!

تَعجَّبَ كلُّ من فِي الزِّنْزانَةِ وبَدَا كلُّ واحدٍ مِنَّا لَا يُصدِّقُ مَا قيل...

مَا هِيَ إلَّا لحظاتٌ حتَّى دَخَـلَ علينَا الضَّابطُ اللَّعينُ ومعه بعض جلَاوزته الذِين كانُوا يَتلذَّذون بتَعْذِيبنَا وإهَانتِنَا وبَدَأَ بالسُّـؤالِ عَن أَحوالِنَا وأَخبارِنَا وعَن مَا هِيَ احتيَاجاتنَا فهو بخدمتنَا!!!

فيتكلَّمُ المُعْتقَلُ ويُسجِّلُ أحدُ الجلَاوزةِ مُتطلَّباتِ المُعْتَقَلين.

قال أحدُ الشَّباب: نُرِيدُ البيبسي، والمَجلَّات، والكُتُب، والتَّدخِين.

قال آخر: أَنَا كَذَلِكَ وأُرِيدُ أيضًا الطَّعَامَ من الأهلِ فِي الزيَارة.

وآخر: نُرِيدُ تلفاز..

وهكذَا...

-وَصَلَ عِندي:مَاذَا تُرِيد؟

-لَا أُرِيدُ شيئًا...

-اطلب مَاذَا تُرِيدُ فأنَا مزاجي اليَوم معتدل...

-لَا أريدُ شيئًا...

غادرَ الزِّنْزَانَةَ وسألَني بعضُ الشَّبابِ لِمَاذَا لم تَطلِب منه ؟

قلت: لَا أريدُ أن يكسـبَ هذَا المُجرِمُ فِينَا أيَّ جميل، وأَخشَى أن نُطَبِّعَ العلَاقةَ معه ونظن أنه طَيِّبٌ كمَا يريدُ أن يظهرَ وجههُ القبيح...

مَا هِـيَ إِلَّا أَيَّامٌ حتَّـى تَسرَّبت الأخبارُ عَن شيءٍ يُسمَّى بلجنةِ بسيوني التِي شَكَّلهَا الطَّاغيةُ حمد لعِلَاجِ المُشكلَاتِ التِي حَصَلَت ومُرَاقبةِ الوضعِ الحُقُوقِي فِي السُّجون...

قَامَ الضَّابِطُ اللَّعينُ ببعضِ التَّحسِينَات ومِنهَا فَتحُ الزَّنَازين واللِّقَاءُ مع من هم فِي الزَّنَازين الأخرى، وكان يَأتِي ويَتحدَّثُ مع بعض الموقوفين حتَّى تَعجَّبتُ من بعض إخوتِنَا الذِين طَبَّعُوا العلَاقةَ معه وكأنَّه لم يفعل لهم أيَّ شيءٍ من قبل....

هي البسَاطةُ والطِّيبةُ البَحرَانيَّةُ التِي نُعَابُ بهَا...

تَحوَّلَ كلُّ الجلَّادين من هذَا اليَوم إِلَى أصدقاءِ الضَّحايَا، والابتسَامة لَا تَكَادُ تُفارِقُ وُجوهَهم التِي لم نَرَهَا قبل هَذِهِ اللَّحْظَةِ لأنَّهم كَانُوا يُخفُون قُبحَ وجوهِهم بقِنَاعٍ لكي يَفعلُوا مَا يشاؤون وهم فِي مأمنٍ من أيِّ انتقامٍ أَو مُحاسبةٍ فِي المُستقبل...

مَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حتَّى جَاءَت إلينَا لجانُ تَحقيقٍ شَكَّلهَا جهَاز الأمن الوطني الذِي كان يُشرِفُ علَى تَعْذِيبنَا وقَتلِ بعضنَا، وقَامَ بلعبِ دورِ القَاضِي المُنصِفِ يُسجِّلُون إفادَاتِنَا عَن سُوءِ المُعَاملةِ ويُبدُون تعجُّبَهم حِينَ يَروِي المُعْتَقلُ بعض مَا أصابَه من تَعْذِيبٍ وإهَانة !!!

الموقوفون انقسمُوا كعَادتِهم لعدَّةِ أقسَامٍ بعضُهم اشتكَى علَى

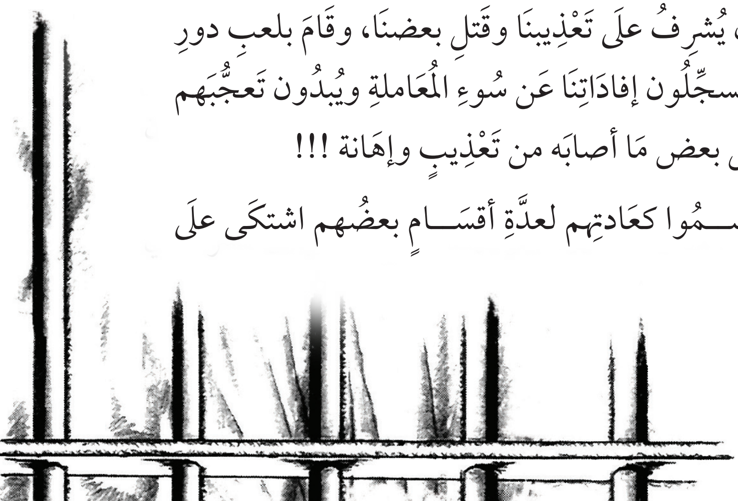

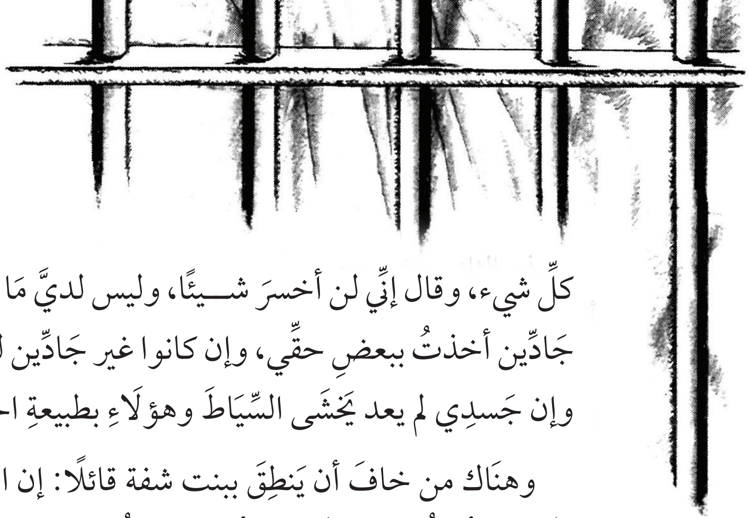

كلِّ شيء، وقال إنِّي لن أخسرَ شـــيئًا، وليس لديَّ مَا أخسرُه فإن كانوا جَادِّين أخذتُ ببعضِ حقِّي، وإن كانوا غير جَادِّين لن أخسرَ شـــيئاً، وإن جَسدِي لم يعد يَخشَى السِّيَاطَ وهؤلَاءِ بطبيعةِ الحالِ قِلةٌ قليلة.

وهنَاك من خافَ أن يَنطِقَ ببنت شفة قائلًا: إن الأمورَ كلَّهَا بخيرٍ ولَا يُوجدُ أيةُ إسَاءةٍ ولَا يُوجدُ عِندي أيَّةُ شكوًى علَى أحد.

وهنَاك من اشتكى علَى الشُّرْطَةِ وتَغاضَى عَن الضُّبَّاطِ وذَلِكَ ظنًّا منه أن هذَا الأمرَ ســـيُخفِّفُ من الانتقامِ المُحتمَلِ الذِي قَد يَحصلُ من الضَّابِطِ وجَلاوِزته.

هَذِهِ الخُطَّةُ يستفيدُ منها جهَاز الأمن الوطني فِي عدَّةِ أمور:

أَولَاً: إدخالُ الخوفِ فِي قلـــوبِ المُعْتَقَلِين وذَلِكَ حِينَ تأتي اللَّجنةُ الحقيقيةُ فلَا يتجاوبُ معهَا أحد.

ثانيًـــا: إقنَاعُ المُعتَقلِـــين بعدم جَدوائيةِ الـــكلَامِ وذَلِكَ من خلَالِ خوضِ تَجرِبةٍ فاشلة.

ثالثًا: التنبؤ بمَا سيُقالُ إلَى اللَّجنةِ التِي ستَأتِي للقاءِ المُعْتَقَلِين ولكي يُحضِّرُوا لأنفسِهم إجاباتٍ وطُرِقِ حلولٍ سَابقة.

جَاءَ وفدُ لجنة بســـيوني بعد عدَّةِ أيَّام وقَد كان الوفدُ مُشـــكَّلًا من بحرينيين وأجانب، وكانت إدَارةُ السِّجْنِ قَد قَامَت بتغييرَاتٍ سريعةٍ بتَغييرِ بعض الشُّرْطَةِ وبعض الضُّبَّاطِ وعلى رأسِهم الضَّابِطِ المسؤول عَن إدَارة السِّجْن.

كان أفرَادُ اللَّجنةِ يَتحرَّكُــون وتُرَاقِبُهم عيونُ الضُّبَّاطِ والشُّرْطَة، ويُلَاحِقُون من يَتكلَّمُ مِمَّن لَا يتكلَّمُ فِي مُحاولةٍ فاشلةٍ منهم للتَّقليلِ من المُتحدِّثين والمُشتكِين علَى إدَارةِ السِّجْنِ والتَّعْذِيب.

وُزِّعَت علينَا استِمَارَاتٌ عَامَّةٌ وتفاجأَ الوفدُ من أنَّ أغلبَ من فِي السِّــجْنِ قَد تَعدَّى أربعة أَو خمسة أشــهرٍ ولم يُقَدَّم إِلَى المحاكمة ولم يُعرَض علَى النِيَابة.

وقَد أَخبرُونَا بأنَّ علَى السُّلطةِ أن تُفرِجَ عَن المُعْتَقَلِين الذِين تَعدّوا ثلَاثة أشــهر ولم يُقَدَّموا للنيَابة ولم يُعرَضُوا علَى المحكمة واســتبشَرَ الأخوةُ المُعْتَقَلِين كثيرًا ظنًّا منهم أنَّ بــابَ الفرجِ قَد فُتِحَ وأنَّ الحريَّةَ أصبحَت قابَ قوسين أَو أدنى...

في الزِّيَارةِ الثَّانية جَاءَ الوَفدُ وأَبدَى استغرَابَه من بَقائِنَا فِي السِّجْنِ وقَد ذَكَرَ لنَا بأنَّ الوفدَ قَد تَحدَّثَ مع الطَّاغيةِ حمد وقَد أَوصَى الطَّاغيةُ بالإفرَاجِ عَنَّا وكيف أنَّ قرَارَاتِ الطَّاغية لم تُنفَّذ بعد...

وفي الزِّيَارةِ اللَّاحقةِ ذَكَرَ لنَا الوفدُ بأن القرَارَ السِّــيَادِي ليس بيدِ الطَّاغيةِ حمد بل بيدِ المُشــيرِ رئيسِ قُوَّةِ دفاع البحرين الذِي بَرَزَ اسمُه ودورُه البشــعُ فترةِ الطَّوارئ والحُكم العسكري فِي البحرين ضِمن الصَّلَاحيَّاتِ التِي فَوَّضَهَا له الطَّاغيةُ حمد.

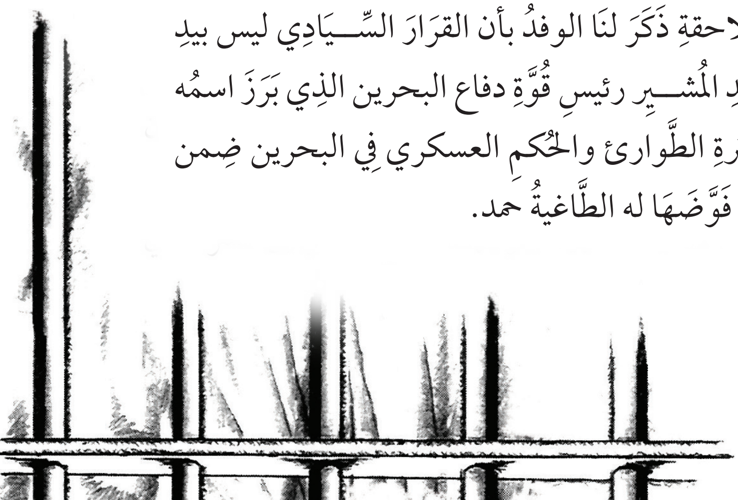

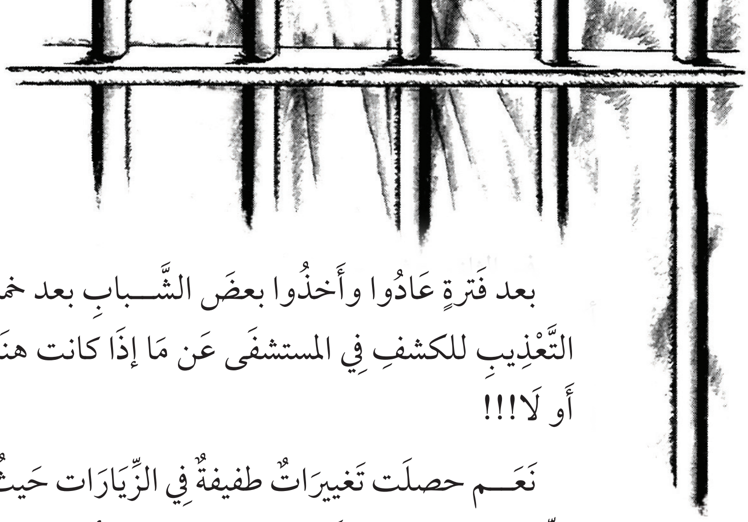

بعد فَترةٍ عَادُوا وأَخذُوا بعضَ الشَّبابِ بعد خمسة أشهر من التَّعْذِيبِ للكشفِ فِي المستشفَى عَن مَا إذَا كانت هناك آثارٌ للتَعْذِيبِ أَو لَا!!!

نَعَم حصلَت تَغييرَاتٌ طفيفةٌ فِي الزِّيَارَات حَيثُ توَسَّعَت فترةُ الزِّيَارةِ من ٥ دقائق إِلَى ثلث سَاعة ومن ٤ أشخاص إِلَى ٧ أشخاص، وقَد كَانُوا يُحِيطُون بالْمُعْتَقَلِ من كُلِّ جانبٍ ويَحسِبُون للمُعْتَقَلِ وأهلِه أَنفَاسَهم فقَد أُعطِيَ الْمُعْتَقَلُ فُسحةً بسيطةً للحديثِ مع أَهلِه وقَد سُمِحَ للأَهَالِي بجلبِ بعضِ الأطعمةِ من المنزلِ وسُمِحَ لهم بجلبِ الصَّابون والملَابسِ وأَدواتِ النَّظافة.

أَمَّا فِي دَاخلِ السِّجْنِ فقَد سُمِحَ لنَا بترتيبِ البَرَامج الثَّقافيَّة وتَبادُلِ الزِّيَارَاتِ بين الزِّنَازين، وسُمِحَ لنَا بحُريَّةِ الحركةِ فِي دَاخلِ العَنبر، وسُمِحَ لبعض الْمُعْتَقَلين بالعلَاجِ الذِي كَانُوا قَد حُرِمُوا منه فِي الفترةِ السَّابقة.

سُمِحَ لنَا بالصُّحفِ التِي تُعبِّرُ عَن وجهةِ نَظرِ السُّلطةِ كصحيفةِ «الوطن» و«الأَيَّام» و«أخبار الخليج» ومُنِعَت صحيفةُ «الوسط» التِي تُعتَبَرُ مُستقِلَّةً نوعًا مَا.

وسُمِحَ لنَا بجلبِ بعضِ الكُتُب، وتمَّ الحدُّ من مُضايَقَاتِ الشُّرطَةِ لنَا.

المحاكم: الجلّاد هو الحاكم

جَــاؤُوا بالباصِ مُحاطًا بالمدنيين والذِي يَغلبُ عليهم المدنيون البحرينيون وقَد كَانُوا كَاشــفِي الوجوه، فِي هَــذِهِ الرّحلة، عَرَفنَا أن أغلبَهم كان مِمَّن شــاركَ فِي تَعْذِيبِنَا، والتَّلذُّذِ بإهَانتنا وإذلَالِنا حِينَ كُنَّا فِي سرَاديب الظَّلَام والعَذَاب...

هَا هو الجلَّادُ يجُرُّ الضَّحيةَ لقاضٍ تَواطَأَ مع الجلَّادِ ضِدَّ الضَّحية، فِي مسرحيــةٍ فَجَّةٍ لإيهامِ المُجتمَعِ الدولي بأنَّنَا فِي محَاكِمَ قضائيةٍ ونحن نَعلمُ أن هَذِهِ المحاكمَ هِي سِيَاسِــيَّةٌ بامتيَــاز، وأن قرَارَاتها تُؤخَذُ فِي غُرَفِ التَّعْذِيبِ وليس فِي قَاعَاتِ المحاكم.

أَخَذُونا جميعًا فِي دفعةٍ واحدةٍ ويَظهَرُ أنَّهم كَانُوا مُســتَنفِرين أمنيًا. وَزَّعُونَا فِي المحكمةِ علَى عدَّةِ قاعَاتٍ وعلى عدَّةِ قضايَا.

عَرَفتُ فِي المحكمةِ التُّهمَ المُوجَّهةَ ضِدِّي، وقَرأتُ إفادتي لأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي المحكمة، ولم يُســمَح لنَا أن نَلتقِيَ بمحامين يُدَافِعون عَنَّا، وأَجَّلَ القَاضِي الجلسة.

التقيتُ بالمحاميةِ التِي تُدَافِعُ عَنِّي بعد الجلســةِ الأولى لمدَّةِ دقائق معدودةٍ وقَرأَت إفادتي فِي هذَا اللِّقاءِ وقَد كان فِيهَا أشــيَاءٌ لم أذكرهَا

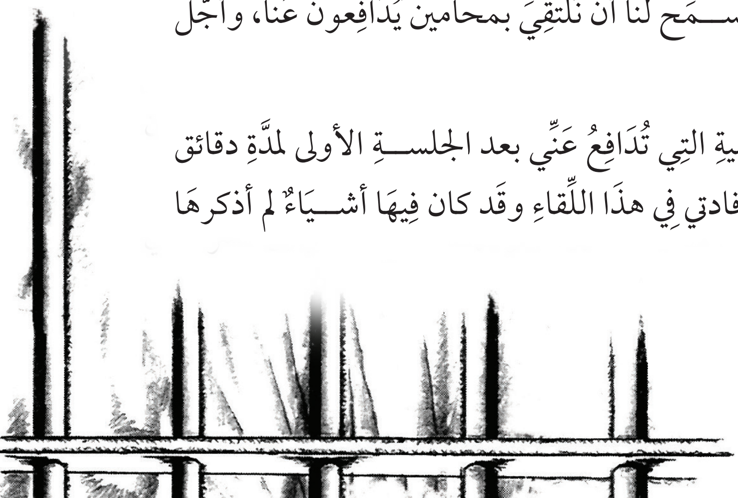

فِي التَّحقِيقِ ولَا فِي غيره، ولكن هِيَ قضيةُ انتقامٍ من شَــعْبٍ أرَادَ أن يَتحرَّرَ من القُيودِ وأن يكسرَ جِدَارَ الصَمْت.

في الجلسَاتِ التِي تَلت هَذِهِ الجلسةَ كُنَّا نُؤخَذُ فِي سيَّارةٍ مُصفَّحة، وهي غير مُكيَّفة، وتكونُ حارَّةً جدًّا، ويَفصِلُ بيننَا وبين الشُّرْطَةِ شَبَكٌ حديدي، وخلفَ الشُّــباكِ شُرطِي يَقبِضُ علَى زِنَادِ سِلَاحٍ رَشَّاش فِي يَده، فِي إشارةٍ إِلَى استعدَادِه للإطلَاقِ إذَا حصلَت أيَّةُ مُحاولةِ هروب، ويُحِيطُ بهَذِهِ الســيَارةِ موكبٌ من أمَامِ وخلفِ هَذِهِ السيَارة، سيَارَاتٌ للشُرْطَةِ المدنيين والعسكريين.

كُنَّا نمرُّ علَى أحــدِ جسري المحرَّقِ المرتبطــين بالعَاصمةِ المنَامة، ونَدخُــلُ للمنطقةِ الدبلومَاســية، ونَصِلُ إِلَى المحكمــة التِي كانت مليئةً بالقُــوَّاتِ الأمنيَّةِ التِي تَنتظِرُنَا، قبــل دُخولِنَا لدَاخلِ المحكمةِ لَفَتَ انتباهِي ســيَّارَاتُ الشُّرطَةِ المُلطَّخــةُ بالأصباغ فعَرَفتُ أن هيبةَ النِّظَام قَد سَقطَت من أعينِ النَّاس، لَا أنسَى الغلظةَ التِي كان يتعَاملُ الشُّرْطَةُ المسؤولون عَن أمنِ المحكمةِ بهَا معَنَا ومع أهالينَا.

كُنَّا إذَا نمرُّ فِي المحاكــم والقُيودُ فِي أيدِينَا والشُّرْطَةُ تحيطنَا من كلِّ جانبٍ أرَى بعــضَ أصدقائِي مِمَّن يعملون فِي المَحكمةِ فأُسَــلِّمُ علَى بعضِهم فيَتخفَّى بعضُهم عَن السَّــلَامِ عليّ، والبعضُ الآخر يَتشوَّقُ لرؤيتنَــا، ونحن نمــرُّ بجــواره، وكان يَنتظِرُ لحَظَــةَ دُخولِنَا ولحَظَةَ خُروجِنَا ليُسلِّمَ علينَا بابتسَامةٍ خَفيَّةٍ لكي لَا يرَاهَا الجَلَّادون.

أهلُنَا الذِين كَانُوا يَحرصُون علَى حُضُورِ الجَلسَاتِ نَرَى فِي أعينِهم حزنًا ممتزجًا بأمل، حزنٌ علَى المشـــهدِ الذِي نحنُ عليه، وأملٌ لأنَّهم يرون فِينَا قُوَّةً ورباطةَ جَأشٍ تَغِيظُ الجلّادين.

فِي إحدى الجلسَات كُنَّا نَنتَظِرُ قَاضِي المحكمةِ فبَادَرَ أحدُ الجلَّادين بسؤالنَا مَا هِيَ قَضِيَّةُ وقِصَّةُ فخرَاوي ؟

وكيفَ يَدَّعِـــي أهلُه أنَّه قُتِـــلَ فِي التَّعْذِيبِ عِندنَـــا؟ وكان يُبدِي استغرَابَه من ادعَاء أهلِه بأن الشَّهِيدَ تَعرَّضَ للتَعْذِيب.

فأَغاضَنِـــي الكَلَامُ كثيرًا ولم أَحتمِل كلَامَه فقلت له: نَعَم أنتُم من قَتَلَ فخرَاوي، وقَد كُنتُم تَنوُون قتلنَا جميعًا، التَّعْذِيبُ الذِي وَقَعَ علينَا كان يُؤدِّي إِلَى قتلنَا جميعًا، لولَا لُطفُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لَمَا بَقِيَ أحدٌ مِنّا علَى قيدِ الحَيَاة.

أَنَا شاهدٌ علَى قَتلِكم لفخرَاوي فقَد كُنتُ فِي سِردَاب القلعةِ حِينَ قَتلِه فكيفَ لكم أن تُنكِرُوا؟!!

فقال: أَنَا لَا عِلمَ لِي لكن الطَّبيبَ يقولُ إنَّه بسَبَبِ هُبُوطٍ فِي الدَّورةِ الدَّموية.

قلت له: الطَّبيبُ طَبيبُكم ويقولُ مَا تَطلِبُون منه أن يقول.

صَمَتَ وصَمَتُّ.

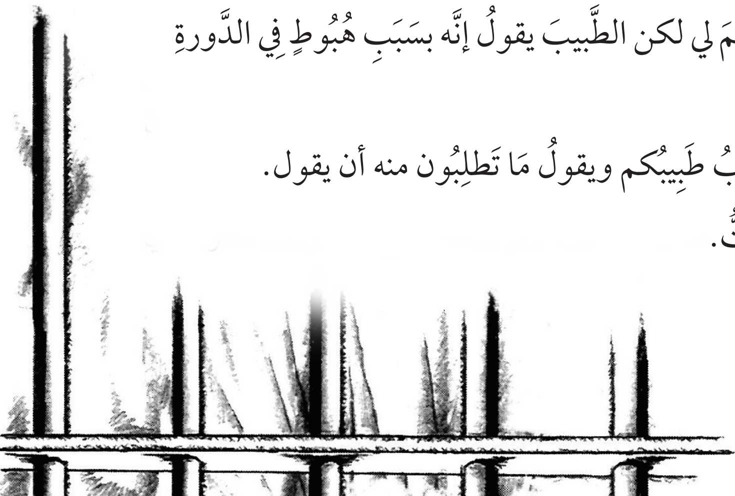

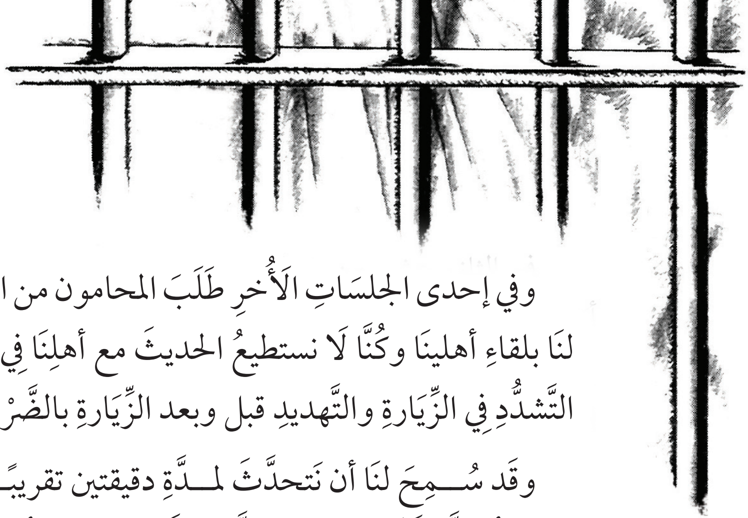

وفي إحدى الجلسَاتِ الأُخرِ طَلَبَ المحامون من القَاضِي أن يَسمَحَ لنَا بلقاءِ أهلينَا وكُنَّا لَا نستطيعُ الحديثَ مع أهلِنَا فِي الزِّيَارَاتِ بسَبَبِ التَّشدُّدِ فِي الزِّيَارةِ والتَّهديدِ قبل وبعد الزِّيَارةِ بالضَّرْبِ والإِهَانة.

وقَد سُمِحَ لنَا أن نَتحدَّثَ لمدَّةِ دقيقتين تقريبًا فأَخبَرتنِي أُمِّي العزيزةُ بأنَّ التَّظَاهُرَاتِ لم تَتوقَّف وأَنَّهَا مُستَمِرَّةٌ وأنَّ المُواجهَاتِ فِي كلِّ القُرَى حتَّى فِي قَريَتِنَا التِي لم تَشهَد أيَّةَ مواجهةٍ مع الشُّرْطَةِ قبل الثَّوْرَة، مِمَّا يَعنِي أن لهبَ الثَّورَةِ قَد امتدَّ لكُلِّ البحرين، وأن شَرَائحَ جديدةً قَد نَزَلَت ميدَانَ المُواجهةِ مع النِّظَام.

انتهت الإجازةُ التِي أُعطِينَا إِيَّاهَا بسُرعةٍ فَائِقةٍ وقَد كُنَّا مُتعطِّشِين لأخبارِ السَّاحةِ خَارِجَ السِّجْنِ بشكلٍ كبير.

حِينَ يَسمَعُ المُعْتَقلُ عَن صمودِ النَّاسِ فِي الخارجِ يَزدَادُ صَلَابةً وقُوَّة، وحِينَ يسمعُ عَن ضعفِ الحرَاكِ يُصابُ بالإحباط، وقَد كان جميعُ المُعْتَقَلين يَتمنَّون أن يكثرَ الحرَاكُ الشَّعبي من أجلِ الضَّغطِ علَى النِّظَامِ من أجلِ تَحقِيقِ المطَالبِ ومن ضِمنهَا الإفرَاجُ عَن المُعْتَقَلِين، ومِمَّا يُؤسِفُ له أن كثيرًا من الذِين خَرجُوا من السِّجْنِ لَا يشاركون فِي الفعَاليَّاتِ التِي تُشكِّلُ ضغطًا علَى النِّظَامِ ليُفرِجَ عَن المُعْتَقلين...

كان من ضمن الشُّرطَةِ الذين يَعملُون فِي أمنِ المحكمةِ شُرطَةٌ بحرينيون -شيعة- يُبدُون تعاطُفهم معنَا إلَّا أنَّهم يُنفِّذُون أوامرَ مسؤوليهم بالتَّشدُّدِ فِي التَّعاملِ معنَا فيُنفِّذُون وهم يَعتذِرون. كُنتُ

أَرَى فِي أعينِهِم انكسَارًا فأُحاوِلُ أن أَجبُرَ انكسَارَهم بابتسَامةٍ تُشعرُهم بأنَّنا أقوِيَاء..

كان القَاضِي مِصرِيَ الجنسيةِ والتهمةُ الموجَّهةُ لنَا هِيَ إشاعةُ أخبارٍ كاذبة، جمعوا بعض الذِين تتشابَه قضايَاهم مع بعضهم البعض فِي قضيةٍ واحدةٍ مع أنَّ من هم معي لم أكن أَعرِفُهم من ذي قبل، وهم:

أحمد مهدي (أبو عمَّار المقابي)، حسين أحمد أكبر، عباس أبو تاكي، سَيِّد هَاشم الهَاشمي.

فِي الجلسةِ الأُولى أشرنَا إِلَى أنَّنَا لم يتمَّ عرضُنا علَى النِّيَابةِ وأن الأقوالَ التِي أُخِذَت مِنَّا هِيَ تحتَ وطأةِ الإكرَاهِ والتَّعْذِيبِ إلَّا أن القَاضِي لم يُعِر كلَامَنَا أيَّ اهتِمَام.

تَوَالَت الجلسَاتُ الواحدةُ تِلوَ الأخرى، ومن حُسنِ حَظِّنَا أن القَاضِي كان يُسرِعُ فِي تتابع الجلسَاتِ فكان لنَا فِي كلِّ أسبوعٍ جلسةٌ تقريبًا، بخلَافِ القَضَايَا الأخرى للأخوةِ الذِين هم مَعَنَا فِي السِّجْن، فقَد كانَت المهلةُ التِي بين الجلسةِ والأُخرى تَصِلُ إِلَى عشرين يَوْمًا أَو أقل بقليلٍ أَو أكثر فِي بعض الأحيَان، هذَا الأمرُ سَاعدَ فِي أن يتمَّ إصدَارُ الحكمِ علينَا مُبكِّرًا وذَلِك بعد عدَّة جلسَات.

فِي تاريخ ٢/ ١٠/ ٢٠١٤م صَدَرَ الحكمُ القَضائِي المُسَيَّسُ علينَا

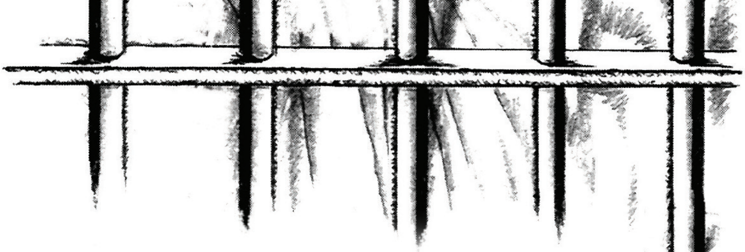

بالسَّجْنِ لمُدَّةِ ٦ أشهر وكُنتُ قَد أَمضيتُ فِي السِّجْنِ ٦ أشهر ونصف الشهر. وهذَا مَا أَدَّى إِلَى صُدُورِ قرَارِ الإفرَاجِ عَنِّي وعَن السَّيِّد هَاشم الهَاشمي لأَنَّنَا أَمضينَا مُدَّةَ محكوميتنا.

خَرَجتُ من قاعــةِ المحكمةِ ورَأَيتُ أُمِّيَ العزيــزةَ التِي لم تتمَالك نفسهَا وقَد ذَرَفت بعضَ دُموعِ الفَرحِ علَى وجنتيهَا فتوَجَّهتُ للسَّلَامِ عليهَــا أَرَادَ الشَّرطِي أن يَمنعَنِي إلَّا أَنَّني لم أَســتجِب له وقَبَّلتُهَا علَى رأســهَا، سأَلتنِي هل سيُفرَجُ عَنك يَا بُني قلت لهَا نَعم بإذن الله اليَوم أَو غدًا.

جَرَّنِي الشُّرطِي ليُبعِدَنِي عَنهَا وأَخذَنَا للسِّجْنِ وقَد استقبلَنَا الأخوةُ فِي السِّجْنِ بالفرحِ والتَّبريكِ والتَّهَاني.

حفل الإفرَاج

الشــيخ محمد علي الصالح كان يُضفِي جوًّا مــن المرحِ فِي العَنبرِ حَيثُ قَامَ بإعدَادِ البرَامجِ التَّرفيهيَّةِ والاحتفاليَّةِ فِي المَناسباتِ التِي تمرُّ علينَا ونحن فِي دَاخلِ السِّجْن، وقَد كان أحدُ أنواعِ الاحتفالَات التِي يُقيمُهَا الشيخ العزيزُ هو حِينَ يصدرُ حكمُ الإفرَاجِ علَى أحدِ المُعْتَقَلِين فكان المُعْتَقَلون يجتمعُون فِي زِنْزانَة (١٠) ويُعطَى المُفرَجُ عَنه فرصةً للتَّعبيرِ عَن مَشــاعِره، ويُعطَى الأخوةُ الحُضُورُ فُرصةً أُخرَى للتَّعبيرِ عَن مشاعرِهم تجاه الأخ المُفرَجِ عَنه فِي حَالَةٍ من الصَّرَاحةِ التِي لم تكن متاحةً فِي غالبِ الأحيَان فِي فترةِ العيشِ المُشتركِ دَاخِلَ السِّجْن.

جَاءَنَا الشـيخ وأخبرنَا أنَّه يَنوِي أن يُقِيمَ احتفالًا بمنَاسبةِ الإفرَاجِ عَنَّا، وأنَّه يُرِيدُ من كلِّ واحدٍ مِنَّا كلمةً قصيرةً يُلقِيهَا بمنَاسبةِ الإفرَاجِ عَنه.

الشرطي الحائر

فِي فترةِ تَواجدِنَا فِي السِّـجْنِ وبسَبَبِ احتكاكِنَا ببعضِ الشُّرْطَةِ قَد أَثَّـرَ ذَلِكَ علَى بعضِ الشُّرْطَةِ لدرجةِ أن بعضَهم كان يَأتِي لِيُصلِّيَ معَنَا جَماعةً خِفيَةً خشـيةَ أن يَرَاهُ بعضُ السـجَّانين الذِين هم معه فِي نوبةِ العمل.

أحدُ الشُّرْطَةِ انفتحَ بشـكلٍ كبيرٍ عليَّ ذَلِكَ أنِّي قَـد نَصحتُه عدَّةَ مـرَّات بأن يَترُكَ هذَا العملَ الذِي يعملُه لأن فيه إعَانةً للظَّالمين، وقَد يُحشَرُ يَوْمَ القِيَامةِ ومكتوبٌ علَى جبينِه آيسٌ من رحمةِ الله.

كان أَولُ حديثٍ لِي معه هو بسَبَبِ سُؤالِه إيَّايَ عَن وضوئِه للصَّلَاةِ هل هو صحيحٌ أَو أن فيه خطأ، وبَدَأَ يسـألُني الأسـئلةَ الفقهيَّةَ التِي تَدُلُّ علَى أن مسـتواه الثَّقافِيَ بسيطٌ جِدًّا ولكن بَاطِنه نظيف، وهو فِي بيئةٍ مُلوَّثةٍ بكلِّ التلوُّثاتِ الأَخلَاقِيّة. هو شخصٌ بسيطٌ جِدًّا و يَنحدِرُ من عَائلةٍ بَسيطةٍ طَيِّبة.

وبعد أن كَثُرَت أسـئلتُه عَرفتُ أنَّه يُعَانِي من الحاجةِ للزَّواج، وقَد

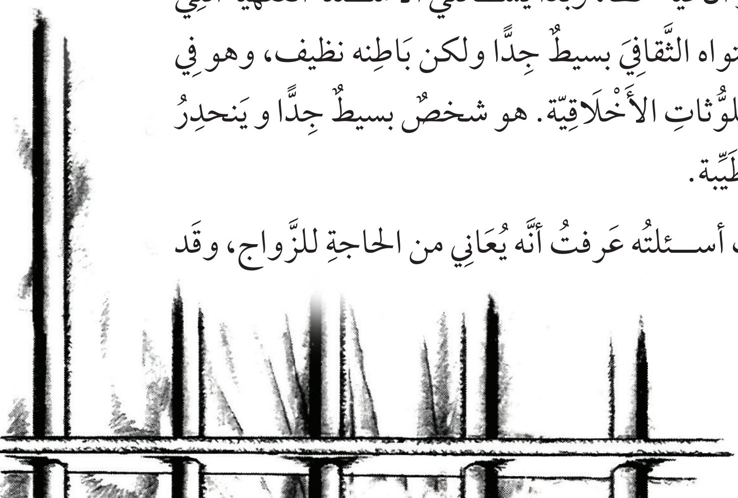

دعوتُه لأن يتزوَّجَ بدلًا من النَّظرةِ الحرَامِ التِي تُشـعِلُ نَارًا فِي صدرِه ولَا تُطفِئهَا، وكنت دَائمَ السُّـؤالِ عَن أحوالِه الشَّخصِية، حتَّى شَعَرَ بأنِّي أَصْدُقُه القَول، وأنِّي لَا أرجو منه منفعةً فِي السِّـجْنِ ولَا خَارِجَه وإنَّمَا أنصحُه لوجهِ الله وفي سبيلِ الله لَا أرجو منه جزاءً ولَا شكورًا.

هـذَا الأمرُ جعلَه يَنفتِحُ تدريجيًّا عليَّ وقَـد أسرَّ لي بأنَّه يبحثُ عَن زوجةٍ وأنَّه دَخلَ المقابلةَ ومُجرَيَاتِ الزَّواجِ وتَفاصيلِه وكان يشـكو لي بعضَ الاختلَافاتِ التِي تحصلُ بينه وبين زوجتِه ويسألُني عَن طُرِقِ حلِّ الاختلَافات وكُنتُ أَنصحُه صادقًا.

هذَا الأمرُ وَلَّدَ علَاقـةَ مَعزَّةٍ كبيرةٍ يُكِنُّهَا لي هـذَا الشُّرْطِي كُنتُ أقرأُهَا فِي نظرَاتِه وفِي كَلِمَاته، فِي اليَـومِ الذِي صَدَرَ فِيه قَرارُ الإفرَاج عَنِّـي كان يَأتِيني كلَّ خمسِ دقائق ويَطلِـبُ منِّي الجلوسَ والتَّحدُّثَ معي قبل الإِفرَاج عَنِّي، قلت له: أَنْتَ أستطيعُ أن أجلسَ مَعَكَ حتَّى فِي خارجِ السِّجْن، أَمَّا إخوتِي المُعْتَقَلون فَهذِهِ هِيَ آخرُ لحظاتٍ أَقضِيهَا معهم، هم أخوةٌ وأَعزَّةٌ ورفقاءُ دَربِ الجهَادِ ضِدَّ الطُّغاة والظَّالمين.

كُنتُ أَكنُّ لهم كلَّ المحبَّةِ والمعزَّةِ والمودَّةِ وكان فِرَاقِي لهم يُمثِّلُ أَلمًا كبيرًا ولكن لَابد لي من أن أُكمِلَ المشوارَ الذِي حُرِمتُ بسَبَبِ اِعْتِقَالي أن أُواصِلَه، مشـوارُ الجهَادِ والنِّضالِ ضِدَّ العصابةِ التِي تحكمُ بلدنَا الحبيب...

كثـرةُ إصرَارِ الشُّرطِي علَى الجلوسِ والتحـدُّثِ معي دَفعَني أن

أُعطيه ربع سَاعةٍ للحديث معه، كان يَتحدَّثُ وهو يَتلعثمُ فِي كلمَاته، كانت كلمَاتُه تخرجُ غُصَصًا وألمًا علِمتُ أنَّهَا مَشاعِرُ المحبَّة، كان يقولُ لِي أنِّي أَشكُرُكَ كثيرًا لقَد أثَّرتَ فيني وفي شَخصيَّتي الكثيرَ وفرَاقُك عليَّ صعبٌ عسير، ولكن كُنتُ أَودُّ أن أشكرَك، وأن أسألَك هل من طريقةٍ للتَّواصُلِ دون أن ألتقيَك؟

وقال: أَنْتَ قلتَ أنَّ عَملِي حَرامٌ وأن فيه إعَانةً للظَّالمين كيف أُكفِّرُ عَن خَطئِي وذَنبِي ؟

وقصَّ عليَّ قِصَّته وكيف أنه كان يَعِيشُ حيَاةَ الفقرِ والضَّعفِ ولكن بسَبَبِ التحاقِه بهذَا العملِ تحَسَّنَ وضعُه المعيشي وأن خروجَه من العملِ ورجوعَه لذَلِكَ العملِ القَديم يُمثِّلُ انتكاسةً كبيرةً فِي حَيَاتِه، وأنه لَا يستطيعُ أن يعودَ بحيَاتِه للورَاء، ولكن ضَمِيرُه يُؤنِّبُه كثيرًا بسَببِ الكلمَاتِ التِي سَمِعَهَا مني، فكان يسألُ مَا العمل؟

أجبتُه بأنَّ عليه أن يقضيَ حوائجَ الْمُعْتَقَلِين المظلومين وأن يتعَاونَ معهم، وأن يُلبِّيَ احتيَاجاتهم، وأن لَا يَقسوَ عليهم، علَّ وعسَى أن يكونَ ذَلِكَ كفَّارةً لجُرمِ عملِه الذِي يقومُ به.

طَأطَأَ رأسَه وقال: إني سَأحتاجُك كثيرًا ولكن يصعبُ عليَّ أن ألتقيَك، وأن أستفسرَ منك، وأن أسألَك بكلِّ أريَحيَّة.

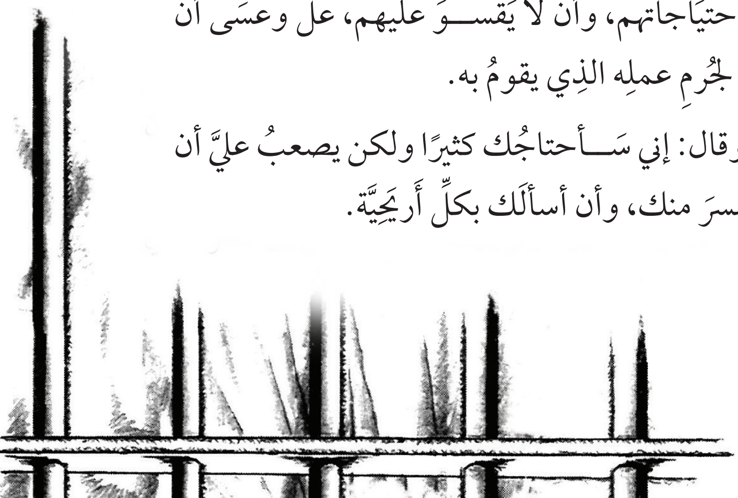

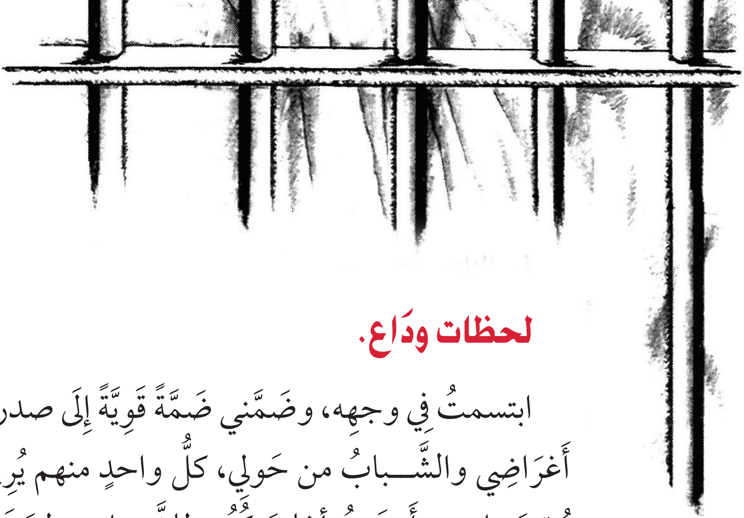

لحظات وداع.

ابتسمتُ فِي وجهِه، وضَمَّني ضَمَّةً قَوِيَّةً إِلَى صدره، ذهبتُ لأُرتِّبَ أَغرَاضِي والشَّـــبابُ من حَولِي، كلُّ واحدٍ منهم يُرِيــدُ هديةً تذكارًا يُبقِيهَــا معه، أَهدَيتُ أغلبَ كُتُبِي للشَّــبابِ ولم يَبقَ عِندي مَا أُهدِيه، فكَتَبتُ عِدَّةَ رسَائلَ لتبقى ذكرى بيننا.

أصعـــبُ لحظاتِ الحَيَاةِ هِيَ لحظاتُ الفِــرَاق... أن تُفارِقَ الذِين عِشتَ معهم اللَّحظاتَ الحلوةَ والمرَّةَ، الأَلَمَ والأملُ، الذِين هم أخوةٌ بحق... تتركُهم خلفَ قضبانِ السُّجون وتَمشِي مُثقَلَ الخُطَى إِلَى خَارِج أسوارِ السِّجْنِ، أَتأَمَّلُ كلَّ أخوتِي وتَقَاسيمَ وجوهِهم، أَتأَمَّلُ جِدرَان السِّجْنِ وبلَاطه... فِي صَدرِي مشاعرٌ لَا تَسعُهَا كلِمَاتُ الكون كله... إِلَّا إِنَّهَا سُنَّةُ الحَيَاة، وأن هناك مستقبلَ شَعْبٍ يحتاجُ لتَحمُّلِ المسؤوليةِ من أجلِ إنقاذِه...

انتهى فصلٌ من فصولِ قِصَّةِ السِّجْنِ ولكنَّهَا قد لَا تكون الأخيرةُ لأن مَا دَام هنَاك ظُلمٌ ســيبقَى مُقارِعون له، يَتصدَّون له ويُواجِهونه وأَسألُ اللهَ أن أكونَ منهم ومعهَم إِلَى آخرِ المسير...

ملحق

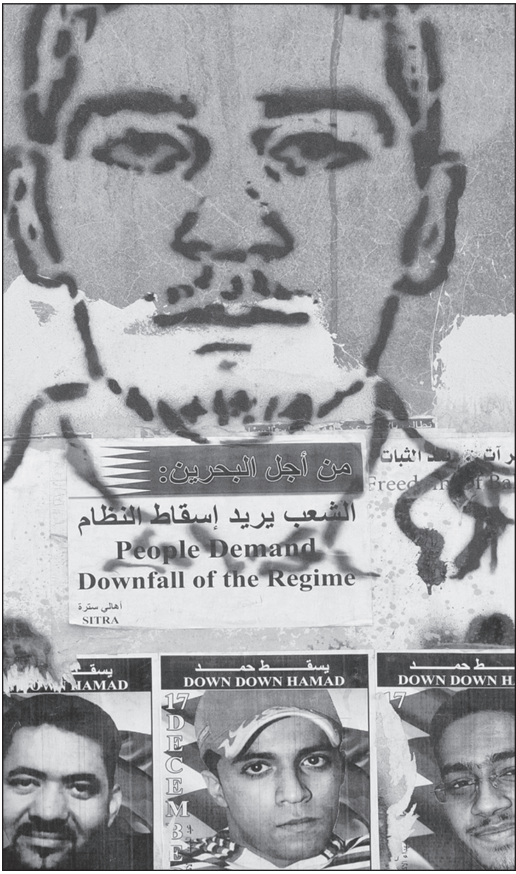
من أجل البحرين:
الشعب يريد إسقاط النظام
People Demand
Downfall of the Regime
أهالي سترة
SITRA
يسقط حمد
DOWN DOWN HAMAD

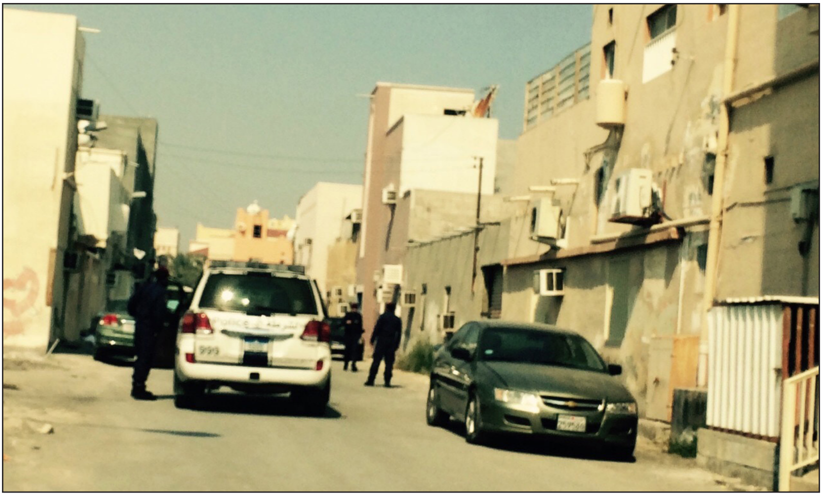

موكبُ المَداهمَات علَى باب منزل السَّيِّد مُرْتَضَى

جانبٌ من تخريب قُوَّات الشغب لمنزل السَّيِّد مُرْتَضَى

جانبٌ من تخريب قُوَّات الشغب لمنزل السَّيِّد مُرْتَضَى

جانبٌ من تخريب قُوَّات الشعب لمنزل السَّيِّد مُرْتَضَى

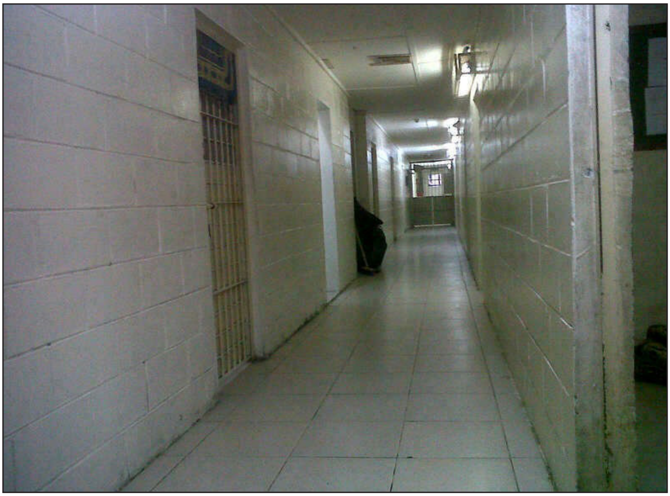

أحدُ العَنَابرِ فِي سِجْن الحوض الجاف

الفرَاشُ الذِي ينَام عليه السجين

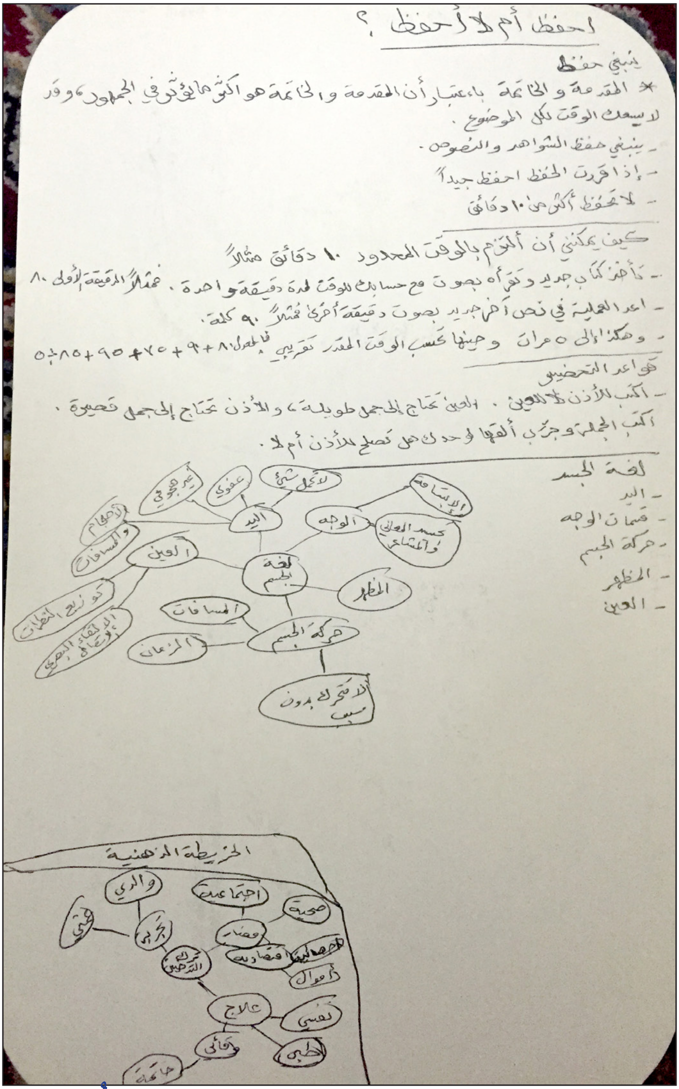

نموذجٌ من الدروس التي يقيمهَا السِّجْنَاء دَاخل المُعْتَقَل

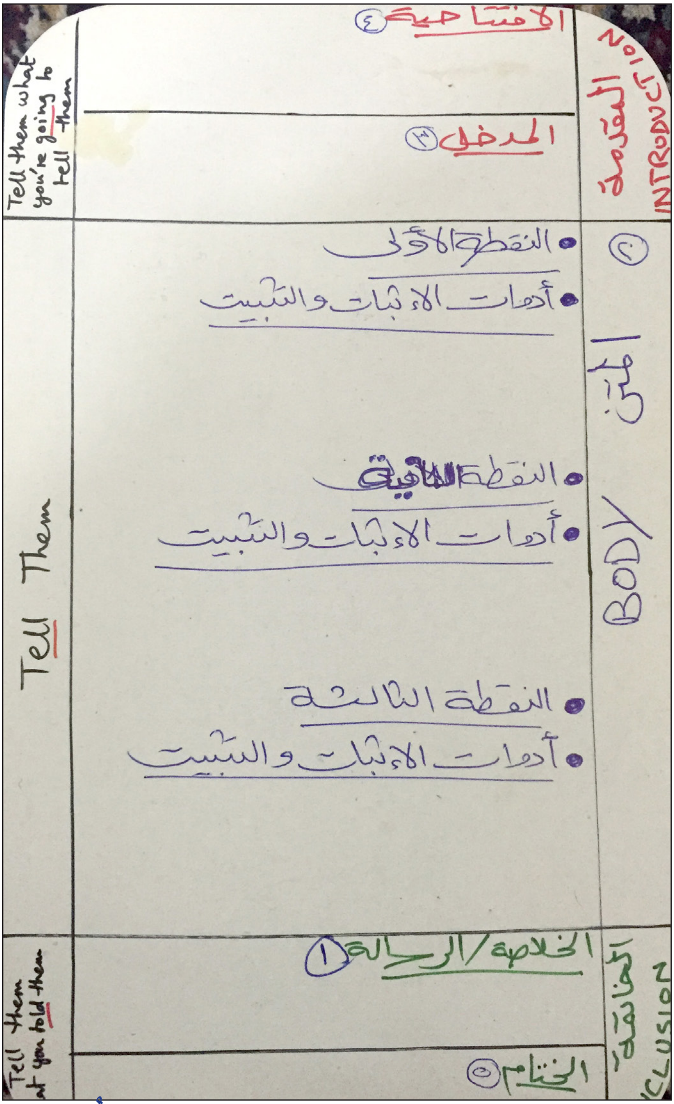

نموذجٌ من الدروس التِي يقيمهَا السِّجْنَاء دَاخل المُعْتَقَل

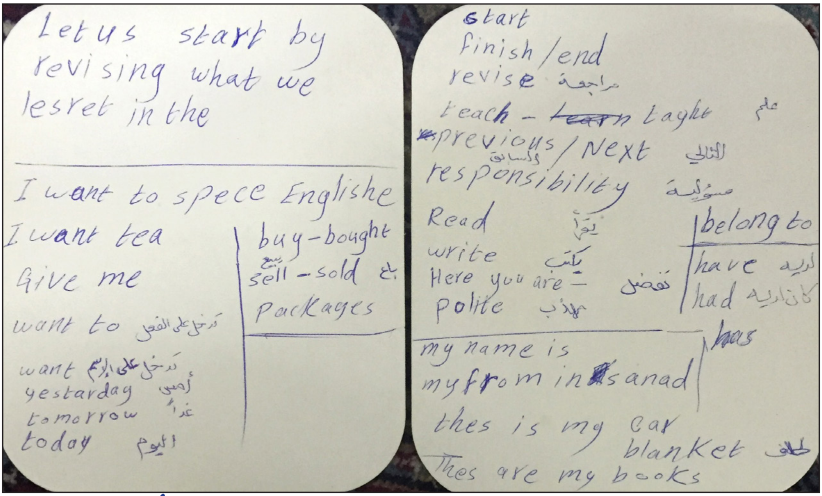

نموذجٌ من الدروس التِي يقيمهَا السِّجْنَاء دَاخل المُعْتَقَل

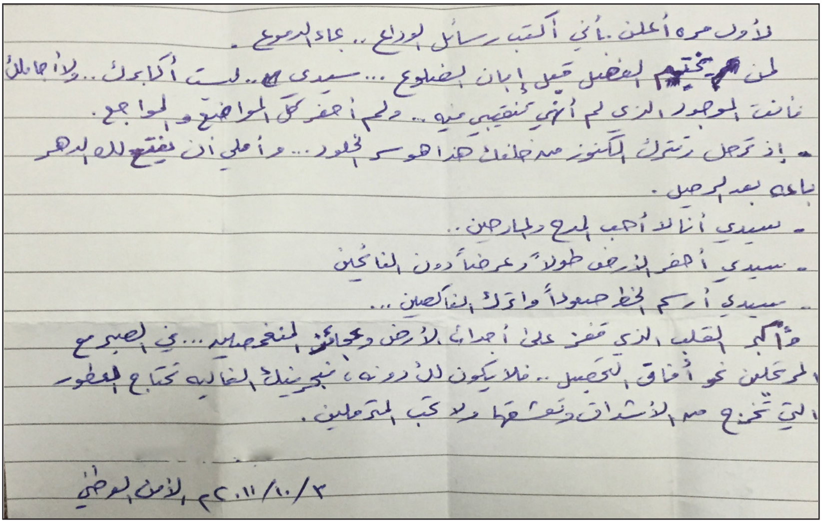
لأول مرة أعلن بأني أكتب رسائل الوداع .. بماء الدموع .
لمن يختم الفضل قبل إبان الضلوع ... سيدي .. لست أكابرك .. ولا جاملك
فأنت الموجود الذي لم أنهِ تنقيبي منه .. ولم أحفر كل المواضع والمواجع .
إذ ترحل وتترك الكنوز من خلفك هذا هو سر الخلود ... وأملي أن يفتح الدهر
بابه بعد الرحيل .
- سيدي أنا لا أحب المدح والمادحين ..
- سيدي أحفر الأرض طولاً وعرضاً دون الفاتحين
- سيدي أرسم الخطى صعوداً وأترك الناكصين ..
فأكبر القلب الذي تفوز على أعتاب الأرض وعجائز المنحصلين ... في الصميم
المرتحلين نحو أفاق التحصيل .. فلا يكون الأ دونه ، نجي بنك الغالية تحتاج العطور
التي تخرج من الأشواق وتعشقها ولا كتب المترملين .
٣/١٠/٢٠١١م الأمين الوطني

رسَالةٌ كتبهَا أحد السِّجْنَاء للسَيِّد مُرْتَضَى يَوْم الَافرَاج عَن السَّيِّد

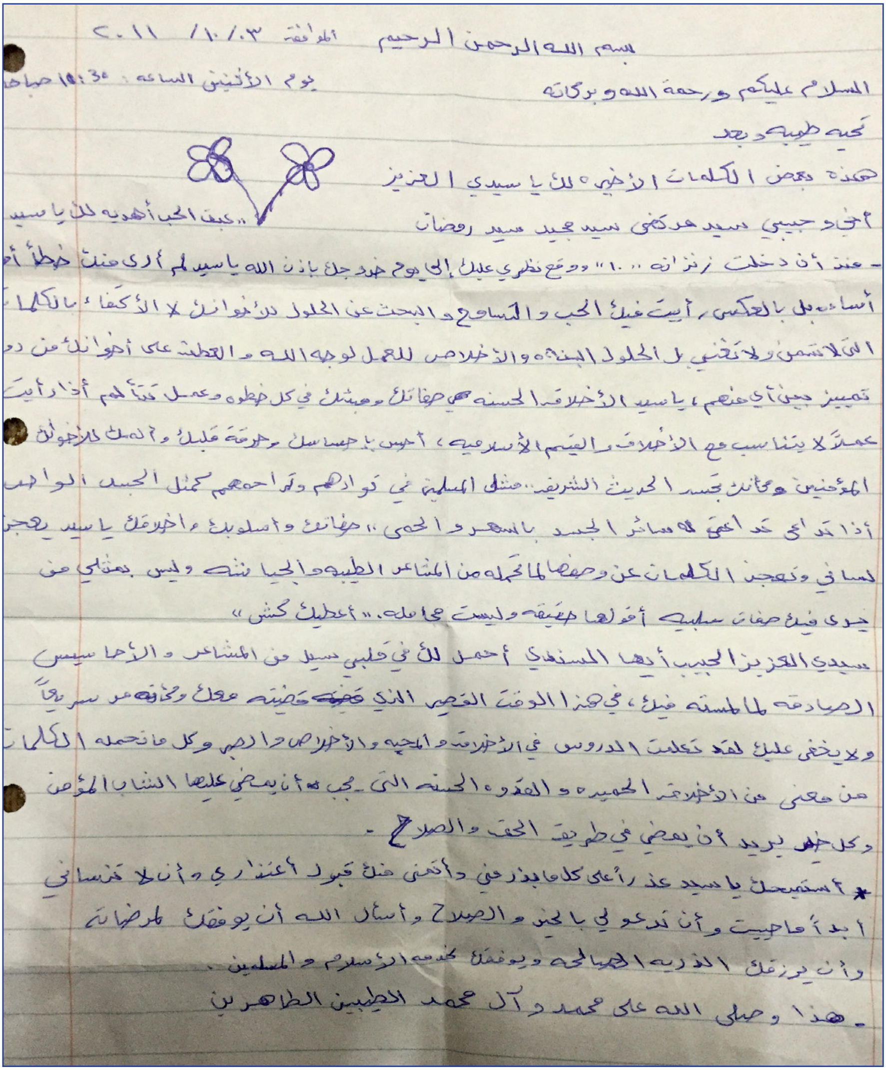

بسم الله الرحمن الرحيم   الموافقة ٢٠١١/١٠/٠٣
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   يوم الأثنين الساعه ١٠:٣٠ صباحا
تحيه طيبه وبعد
هذه بعض الكلمات الأخيره لك يا سيدي العزيز
أخي وحبيبي سيد مرتضى سيد مجيد سيد رمضان   «باقة الحب أهديه لك يا سيد
عند أن دخلت زنزانه «١٠» ووقع نظري عليك إلى يوم خروجك بإذن الله ياسيد لم أرى منك خطأ أو
أساءه بل بالعكس، رأيت فيك الحب والتسامح والبحث عن الحلول لإخوانك لا الاكتفاء بالكلمات
التي لا تسمن ولا تغني بل الحلول البناءه والإخلاص للعمل لوجه الله والعطف على أخوانك من دو
تمييز بين أي منهم، ياسيد الأخلاق الحسنه هي صفاتك ومبتغاك في كل خطوه وعمل تتقدم أو إذا رأيت
عملاً لا يتناسب مع الأخلاق والقيم الإسلاميه، أحس بإحساسك وحرقة قلبك وألمك لإخوانك
المؤمنين وكأنك تجسد الحديث الشريف «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد
إذا تداعى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» صفاتك وأسلوبك وأخلاقك ياسيد يعجز
لساني وتعجز الكلمات عن وصفها لما تحمله من المشاعر الطيبه والحب النقيه وليس بمقدوري من
يرى فيك صفات سلبيه أقولها حقيقه وليست مجامله. «أعطيك كش»
سيدي العزيز الحبيب أيها المستفدي أحمل لك في قلبي سيل من المشاعر والأحاسيس
الصادقه لما لمسته فيك، في هذا الوقت القصير الذي قضيته معك وتحقيقه من سريعاً
ولا يخفى عليك لقد تعلمت الدروس في الأخلاق والمحبه والإخلاص والصبر وكل ما تحمله الكلمات
من معنى من الأخلاق الحميده والقدوه الحسنه التي يجب أن يمضي عليها الشاب المؤمن
وكل من يريد أن يمضي في طريق الحق والصلاح.
* أستسمحك ياسيد عذراً على كل ما بدر مني وأتمنى منك قبول أعتذاري وأن لا تنساني
أبداً ما حييت وأن تدعو لي بالخير والصلاح وأسأل الله أن يوفقك لمرضاته
وأن يرزقك الذريه الصالحه ويوفقك لخدمة الإسلام والمسلمين.
هذا وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

رسَالةٌ كتبهَا أحد السِّجْنَاء للسَيِّد مُرْتَضَى يَوْم الَافرَاج عَن السَّيِّد

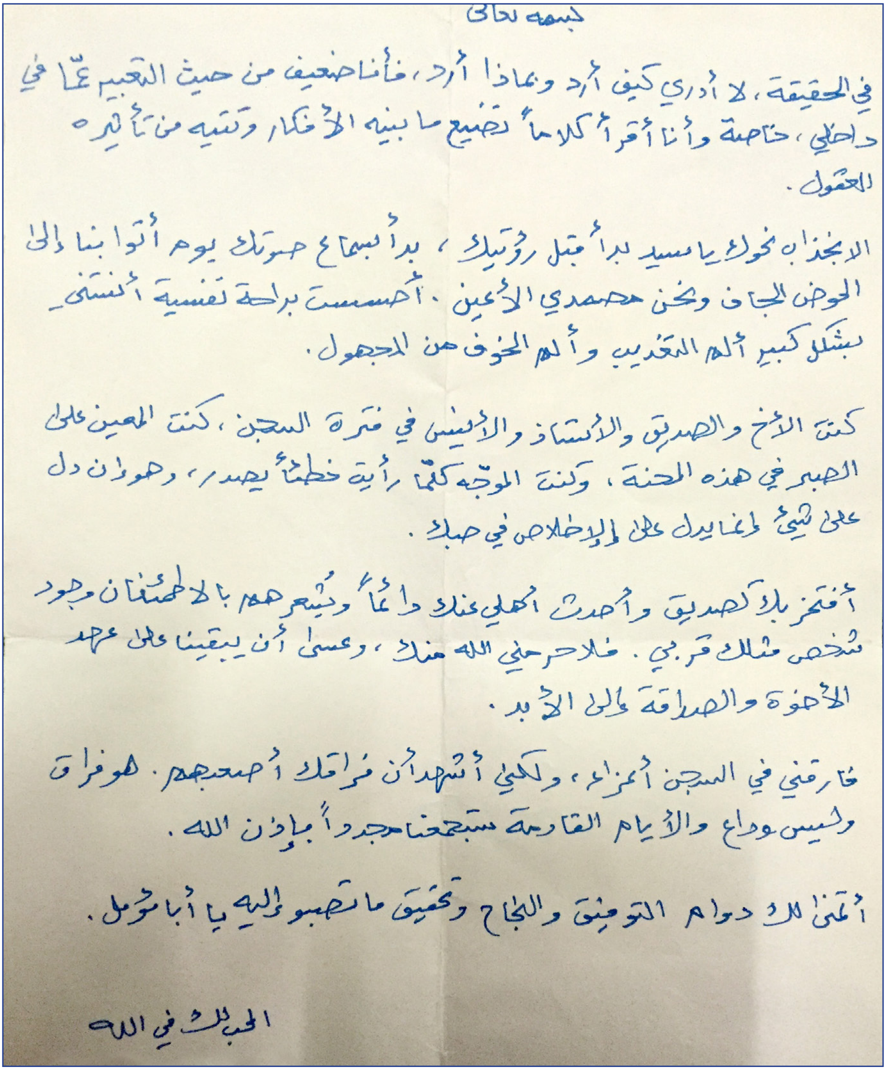

بسمه تعالى

في الحقيقة، لا أدري كيف أرد وبماذا أرد، فأنا ضعيف من حيث التعبير عمّا في داخلي، خاصة وأنا أقرأ كلاماً تضيع ما بينه الأفكار وتتيه من تأثيره العقول.

الانجذاب نحوك يا سيد بدأ قبل رؤيتك، بدأ بسماع صوتك يوم أتوا بنا إلى الحوض الجاف ونحن معصوبي الأعين. أحسست براحة نفسية أنستني بشكل كبير ألم التعذيب وألم الخوف من المجهول.

كنت الأخ والصديق والأستاذ والأنيس في فترة السجن، كنت المعين على الصبر في هذه المحنة، وكنت الموجه كلما رأيت خطئاً يصدر، وهو إن دل على شيء لا يدل إلا على الإخلاص في حبك.

أفتخر بك كصديق وأحدث أهلي عنك دائماً وأشعرهم بالاطمئنان لوجود شخص مثلك قربي. فلا حرمني الله منك، وعسى أن نبقى على عهد الأخوة والصداقة إلى الأبد.

فارقني في السجن أعزاء، ولكني أشهد أن فراقك أصعبهم. هو فراق وليس وداع والأيام القادمة ستجمعنا مجدداً بإذن الله.

أتمنى لك دوام التوفيق والنجاح وتحقيق ما تصبو إليه يا أبا مؤمل.

المحب لك في الله

رِسَالةٌ كتبهَا أحد السِّجْنَاء للسَيِّد مُرْتَضَى يَوْم الَافرَاج عَن السَّيِّد

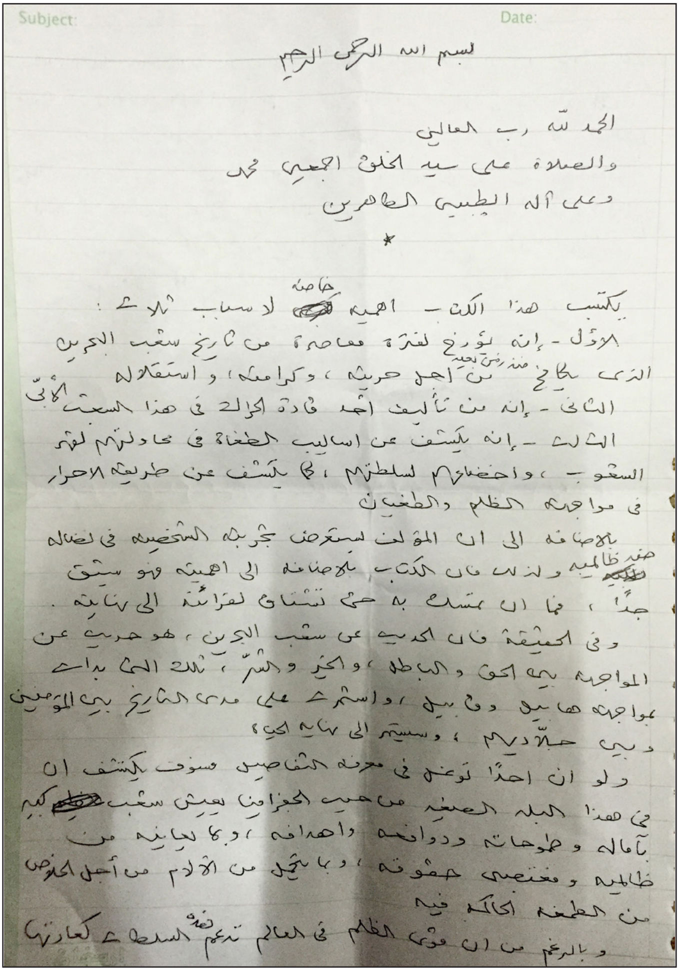

Subject: Date:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاة على سيد الخلق اجمعين محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين

*

يكتسب هذا الكتاب اهمية خاصة لأسباب ثلاث:
الأول - إنه يؤرخ لفترة معاصرة من تاريخ شعب البحرين الذي يكافح منذ زمن بعيد من اجل حريته، وكرامته، واستقلاله
الثاني - إنه من تأليف أحد قادة الحراك في هذا الشعب الأبيّ
الثالث - إنه يكشف عن اساليب الطغاة في محاولتهم لقهر الشعوب، واخضاعهم لسلطتهم، كما يكشف عن طريقة الاحرار في مواجهة الظلم والطغيان

بالاضافة الى ان المؤلف يستعرض تجربته الشخصية في نضاله ضد ظالميه ولذلك فان الكتاب بالاضافة الى اهميته فهو شيق جداً، فما ان تمسك به حتى تشتاق لقراءته الى نهايته.

وفي الحقيقة فان الحديث عن شعب البحرين، هو حديث عن المواجهة بين الحق والباطل، والخير والشرّ، تلك التي بدأت بمواجهة هابيل وقابيل، واستمرت على مدى التاريخ بين المؤمنين وبين جلاديهم، وستستمر الى نهاية الحياة

ولو ان احداً توغل في معرفة التفاصيل سوف يكتشف ان في هذا البلد الصغير من حيث الجغرافيا يعيش شعب كبير بآماله وطموحاته ودوافعه واهدافه، وكذلك بمعاناته من ظالميه ومغتصبي حقوقه، وبما يتحمل من الآلام من أجل الخلاص من الطغمة الحاكمة فيه

وبالرغم من ان قوى الظلم في العالم تدعم السلطة كعادتها

التقريضُ الذِي كتبه سَماحة آية الله السَّيِّد هَادي المدرسي

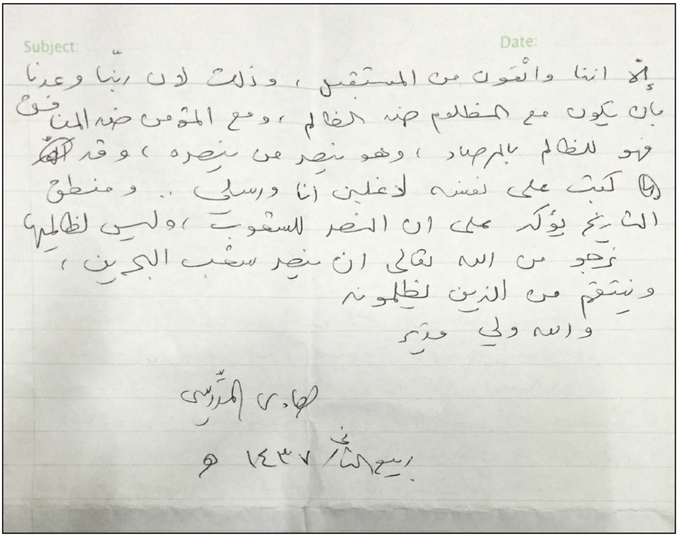

Subject: Date:

إلا اننا واثقون من المستقبل، وذلك لان ربّنا وعدنا
بان يكون مع المظلوم ضد الظالم، ومع المؤمن ضد المنافق
فهو للظالم بالمرصاد، وهو ينصر من ينصره، وقد
الله كتب على نفسه لأغلبن أنا ورسلي. ومنطق
التاريخ يؤكد على ان النصر للشعوب، وليس للظالمين
نرجو من الله تعالى ان ينصر شعب البحرين،
وينتقم من الذين يظلمونه
والله ولي نصير

هادي المدرّسي

ربيع الثاني/ ١٤٣٧ هـ

التقريضُ الذِي كتبه سَماحة آية الله السَّيِّد هَادي المدرسي

اثارُ التَّعْذِيب علَى جسد الشَّهِيد عبدَالكريم فخرَاوي

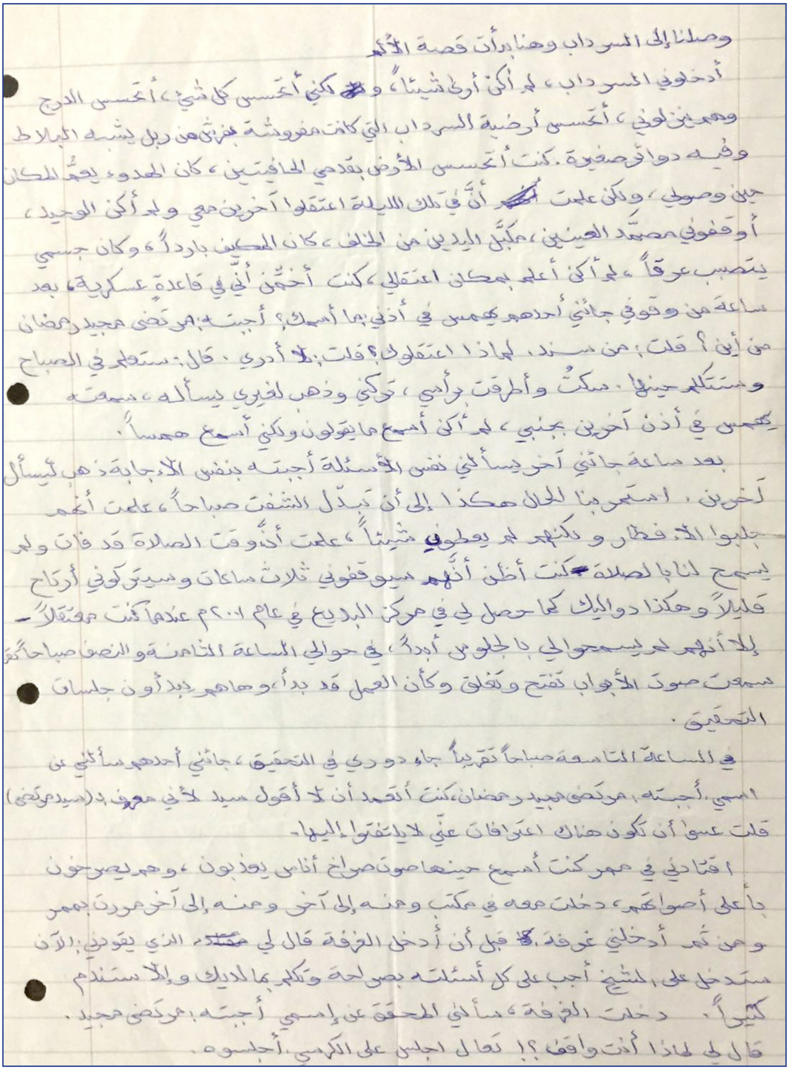
وصلنا إلى السرداب وهنا بدأت قصة الألم
أدخلوني السرداب، لم أكن أرى شيئاً، ولكني أتحسس كل شيء، أتحسس الدرج
وهم ينزلوني، أتحسس أرضية السرداب التي كانت مفروشة بفرش من ربل يشبه البلاط
وفيه دوائر صغيرة. كنت أتحسس الأرض بقدمي الحافيتين، كان الهدوء يعم المكان
حين وصولي، ولكن علمت أن في تلك الليلة اعتقلوا آخرين معي ولم أكن الوحيد،
أوقفوني معصوب العينين، مكبل اليدين من الخلف، كان المكيف بارداً، وكان جسمي
يتصبب عرقاً، لم أكن أعلم بمكان اعتقالي، كنت أخمن أنني في قاعدة عسكرية، بعد
ساعة من وقوفي جاءني أحدهم يهمس في أذني بما اسمك؟ أجبته: مرتضى مجيد رمضان
من أين؟ قلت: من سند، لماذا اعتقلوك؟ قلت: لا أدري، قال: ستعلم في الصباح
وستتكلم حينها. سكتُ وأطرقت رأسي، تركني وذهب لغيري يسأله، سمعته
يهمس في أذن آخرين بجنبي، لم أكن أسمع ما يقولون ولكني أسمع همساً.
بعد ساعة جاءني آخر يسألني نفس الأسئلة أجبته بنفس الإجابة، ذهب ليسأل
آخرين، استمر بنا الحال هكذا إلى أن تبدل الشفت صباحاً، علمت أنهم
جلبوا الإفطار ولكنهم لم يعطوني شيئاً، علمت أن وقت الصلاة قد فات ولم
يسمح لنا بالصلاة، كنت أظن أنهم سيوقفوني ثلاث ساعات وسيتركوني أرتاح
قليلاً وهكذا دواليك كما حصل لي في مركز البديع في عام ٢٠١٠م عندما كنت معتقلاً
إلا أنهم لم يسمحوا لي بالجلوس أبداً، في حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً
سمعت صوت الأبواب تفتح وتغلق وكأن العمل قد بدأ، وها هم يبدأون جلسات
التحقيق.
في الساعة التاسعة صباحاً تقريباً جاء دوري في التحقيق، جاءني أحدهم يسألني عن
اسمي، أجبته: مرتضى مجيد رمضان، كنت أتعمد أن لا أقول سيد لأني معروف بـ(سيد مرتضى)
قلت عسى أن تكون هناك اعترافات عني لا يلتفتوا إليها.
اقتادني في ممر كنت أسمع حينها صوت صراخ أناس يعذبون، وهم يصرخون
بأعلى أصواتهم، دخلت معه في مكتب ومنه إلى آخر ومررت بممر
ومن ثم أدخلني غرفة. قبل أن أدخل الغرفة قال لي الذي يقودني: الآن
ستدخل على الشيخ أجب على كل أسئلته بصراحة وتكلم بما لديك وإلا ستندم
كثيراً. دخلت الغرفة، سألني المحقق عن إسمي أجبته: مرتضى مجيد.
قال لي لماذا أنت واقف؟! تعال اجلس على الكرسي. أجلسوه.

بدايةُ كِتَابة الكِتَاب دَاخل السِّجْن

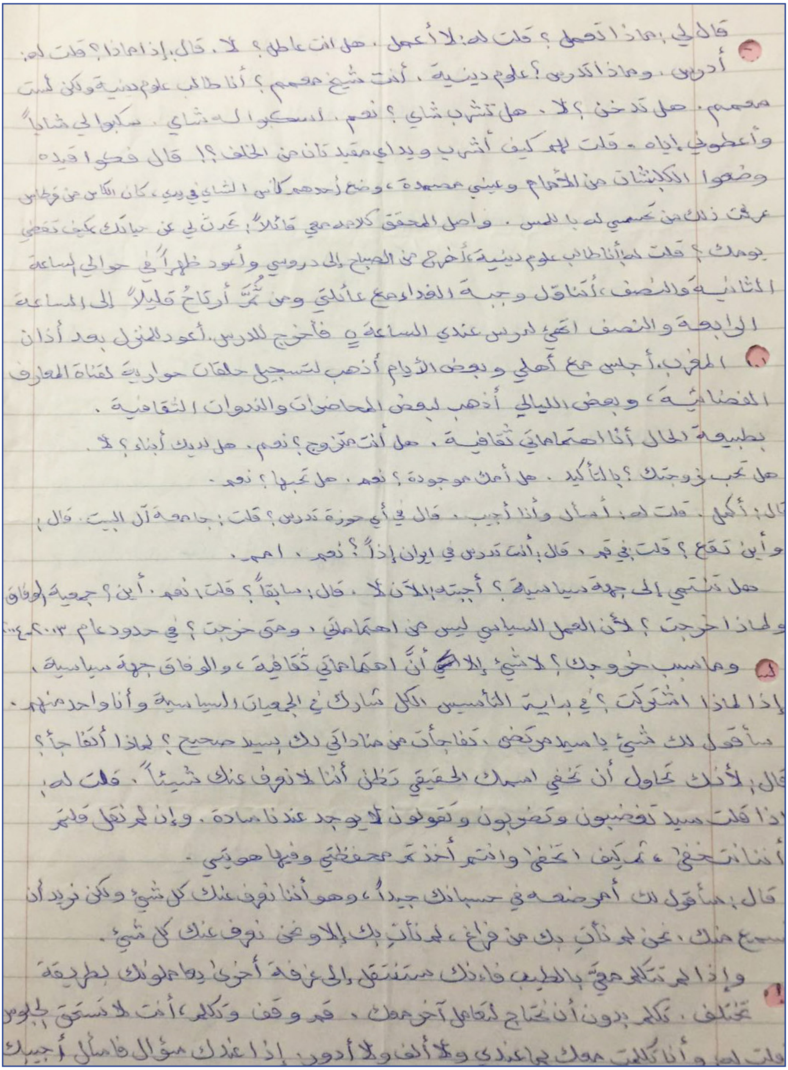
قال لي: ماذا تعمل؟ قلت له: لا أعمل. هل انت عاطل؟ لا. قال: إذا ماذا؟ قلت له:
أدرس. وماذا تدرس؟ علوم دينية. أنت شيخ معمم؟ أنا طالب علوم دينية ولكن لست
معمم. هل تدخن؟ لا. هل تشرب شاي؟ نعم. اسكبوا له شاي. سكبوا لي شاياً
وأعطوني إياه. قلت لهم كيف أشرب ويداي مقيدتان من الخلف؟! قال فكوا قيده
وضعوا الكلبشات من الأمام وعيني معصوبة، وضع أحدهم كأس الشاي في يدي، كان الكأس من ورق
عرفت ذلك من تحسسي له باللمس. واصل المحقق كلامه معي قائلاً: حدث لي عن حياتك، كيف تقضي
يومك؟ قلت له: أنا طالب علوم دينية، أخرج من الصباح إلى دروسي وأعود ظهراً في حوالي الساعة
الثانية والنصف، أتناول وجبة الغداء مع عائلتي ومن ثم أرتاح قليلاً إلى الساعة
الرابعة والنصف، أتهيأ لدرس عندي الساعة ٥ فأخرج للدرس، أعود للمنزل بعد أذان
المغرب، أجلس مع أهلي وبعض الأيام أذهب لتسجيل حلقات حوارية لقناة المعارف
الفضائية، وبعض الليالي أذهب لبعض المحاضرات والندوات الثقافية.
بطبيعة الحال أنا اهتماماتي ثقافية. هل أنت متزوج؟ نعم. هل لديك أبناء؟ لا.
هل تحب زوجتك؟ بالتأكيد. هل أمك موجودة؟ نعم. هل تحبها؟ نعم.
قال: أكمل. قلت له: أسأل وأنا أجيب. قال في أي حوزة تدرس؟ قلت: جامعة آل البيت. قال:
وأين تقع؟ قلت: في قم. قال: أنت تدرس في ايران إذاً؟ نعم. اممم.
هل تنتمي إلى جهة سياسية؟ أجبته: الآن لا. قال: سابقاً؟ قلت: نعم. أين؟ جمعية الوفاق
ولماذا خرجت؟ لأن العمل السياسي ليس من اهتماماتي. ومتى خرجت؟ في حدود عام ٢٠٠٣-٢٠٠٤
وما سبب خروجك؟ لا شيء إلا أن اهتماماتي ثقافية، والوفاق جهة سياسية.
إذاً لماذا اشتركت؟ في بداية التأسيس الكل شارك في الجمعيات السياسية وأنا واحد منهم.
سأقول لك شيء يا سيد مرتضى، تفاجأت من مناداتي لك بسيد صحيح؟ لماذا أتفاجأ؟
قال: لأنك تحاول أن تخفي اسمك الحقيقي وتظن أننا لا نعرف عنك شيئاً. قلت له:
إذا قلت سيد تغضبون وتضربون وتقولون لا يوجد عندنا سادة. وإن لم نقل قلتم
أننا نتخفى، ثم كيف أتخفى وأنتم أخذتم محفظتي وفيها هويتي.
قال: سأقول لك أمر ضعه في حسبانك جيداً، وهو أننا نعرف عنك كل شيء ولكن نريد أن
نسمع منك، نحن لم نأت بك من فراغ، لم نأت بك إلا ونحن نعرف عنك كل شيء.
وإذا لم تتكلم معي بالطيب فإنك ستنتقل إلى غرفة أخرى يعاملونك بطريقة
مختلف. تكلم بدون أن نحتاج لتعامل آخر معك. قم وقف وتكلم، أنت لا تستحق الجلوس
قلت له: وأنا تكلمت معك بما عندي ولا ألف ولا أدور. إذا عندك سؤال فاسأل أجيبك

بدَايةُ كِتَابة الكِتَاب دَاخل السِّجْن

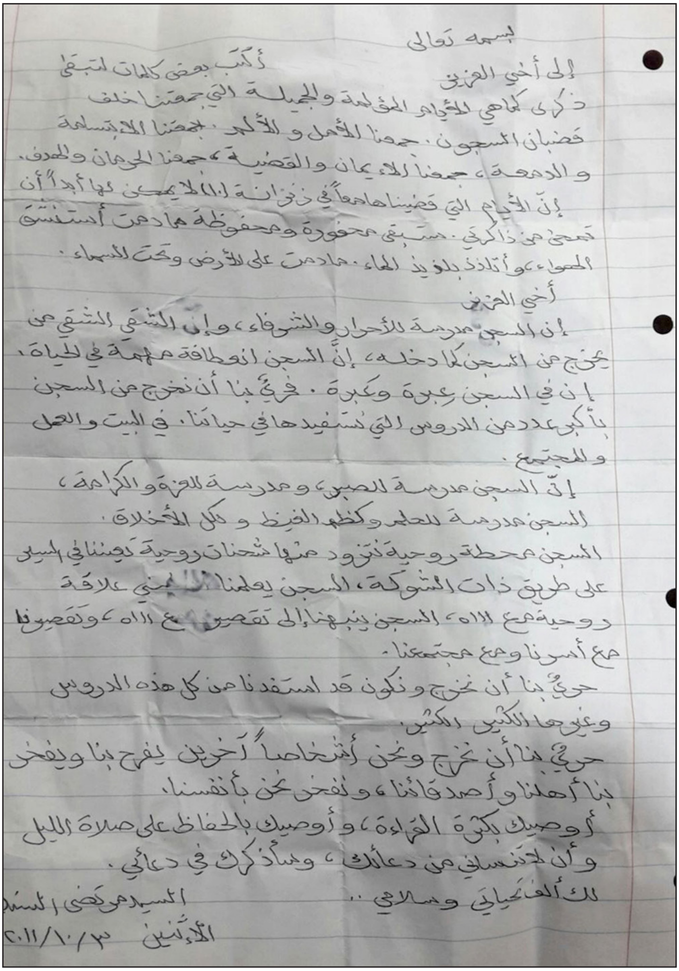

بسمه تعالى

أكتب بعض كلمات لتبقى

إلى أخي العزيز

ذكرى لما هي الأيام المؤلمة والجميلة التي جمعتنا خلف قضبان السجون. جمعنا الأمل والألم. جمعتنا الابتسامة والدمعة، جمعنا الإيمان والقضية، جمعنا الحرمان والهدف.

إنّ الأيام التي قضيناها معاً في زنزانة (١٠) لا يمكن لها أبداً أن تمحى من ذاكرتي. ستبقى محفورة ومحفوظة ما دمت أستنشق الهواء، وأتلذذ بلذيذ الماء. ما دمت على الأرض وتحت السماء.

أخي العزيز

إن السجن مدرسة للأحرار والشرفاء، وإن الشقي الشقي من يخرج من السجن كما دخله، إنّ السجن انعطافة مهمة في الحياة، إن في السجن عبرة وعبرة. فحريٌ بنا أن نخرج من السجن بأكبر عدد من الدروس التي نستفيدها في حياتنا. في البيت والعمل والمجتمع.

إنّ السجن مدرسة الصبر، ومدرسة للعزة والكرامة، السجن مدرسة للحلم وكظم الغيظ و لكل الأخلاق.

السجن محطة روحية نتزود منها شحنات روحية تعيننا في السير على طريق ذات الشوكة، السجن يعلمنا [illegible] علاقة روحية مع الله، السجن ينبهنا إلى تقصيرنا مع الله، وتقصيرنا مع أسرنا ومع مجتمعنا.

حريٌ بنا أن نخرج ونكون قد استفدنا من كل هذه الدروس وغيرها الكثير الكثير.

حريٌ بنا أن نخرج ونحن أشخاصاً آخرين يفرح بنا ويفخر بنا أهلنا وأصدقائنا، ونفخر نحن بأنفسنا.

أوصيك بكثرة القراءة، وأوصيك بالحفاظ على صلاة الليل وأن لا تنساني من دعائك، وسأذكرك في دعائي.

لك ألف تحياتي وسلامي..

السيد مرتضى السند

الاثنين ٢٠١١/١٠/٣

رسَالةٌ كتبهَا السَّيِّد من دَاخل السِّجْن إِلَى أحد اصدقائه

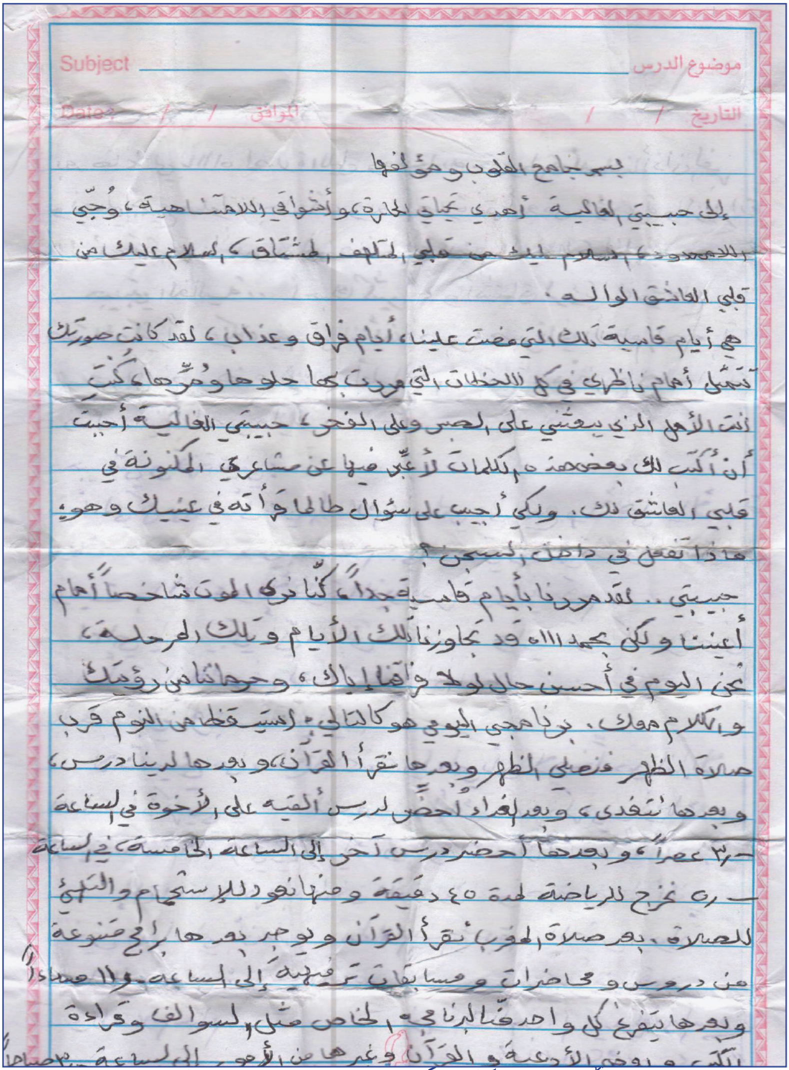

موضوع الدرس Subject
التاريخ / / الموافق / / Date

بسم جامع القلوب ومؤلفها

إلى حبيبتي الغالية أهدي تحياتي الحارة، وأشواقي اللامتناهية، وحبي اللامحدود، السلام عليك من قلبي الملهوف المشتاق، السلام عليك من قلبي العاشق الواله.

هي أيام قاسية تلك التي مضت علينا، أيام فراق وعذاب، لقد كانت صورتك تتمثل أمام ناظري في كل اللحظات التي مررت بها حلوها ومرّها، كنت أنت الأمل الذي يعينني على الصبر وعلى الفرج، حبيبتي الغالية أحببت أن أكتب لك بعضهن من الكلمات لأعبّر فيها عن مشاعري المكنونة في قلبي العاشق لك، ولكي أجيب على سؤال طالما راوده في عينيك وهو: ماذا تفعل في داخل السجن؟

حبيبتي.. لقد مررنا بأيام قاسية جداً، كنّا نرى الموت شاخصاً أمام أعيننا ولكن بحمد الله قد تجاوزنا تلك الأيام وتلك المرحلة، نحن اليوم في أحسن حال لولا فراقنا إياك، وحرماننا من رؤيتك والكلام معك. برنامجي اليومي هو كالتالي: استيقظ من النوم قرب صلاة الظهر فنصلي الظهر وبعدها نقرأ القرآن، وبعدها لدينا درس، وبعدها نتغدى، وبعد الغداء أحضر لدرس الفقه على الأخوة في الساعة ٣,٣٠ عصراً، وبعدها أحضر درس آخر إلى الساعة الخامسة، في الساعة ٥,٣٠ نخرج للرياضة لمدة ٤٥ دقيقة ومنها نعود للاستحمام والتهيؤ للصلاة. بعد صلاة المغرب نقرأ القرآن ويوجد بعدها برامج متنوعة من دروس ومحاضرات ومسابقات ترفيهية إلى الساعة ١١ مساءاً، وبعدها يتفرغ كل واحد منّا لبرنامجه الخاص مثل السوالف وقراءة الكتب وروضة الأدعية والقرآن وغيرها من الأمور إلى الساعة ٢ صباحاً

رسَالةٌ كتبهَا السَّيِّد إِلَى زوجته من دَاخل السِّجْن

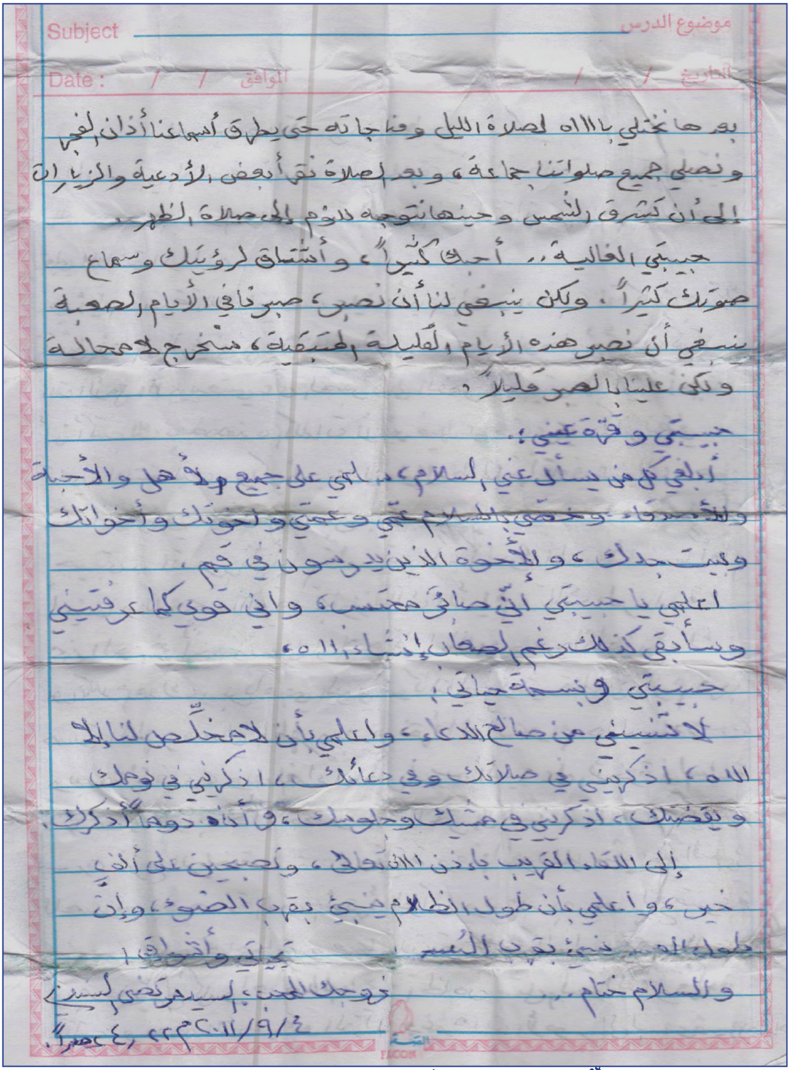

Subject موضوع الدرس

Date : / / الموافق / / التاريخ

بعدها نختلي بالله لصلاة الليل ومناجاته حتى يطرق أسماعنا أذان الفجر ونصلي جميع صلواتنا جماعة، وبعد الصلاة نقرأ بعض الأدعية والزيارات إلى أن تشرق الشمس وحينها نتوجه للنوم إلى صلاة الظهر.

حبيبتي الغالية،، أحبك كثيراً، وأشتاق لرؤيتك وسماع صوتك كثيراً. ولكن ينبغي لنا أن نصبر، صبرنا في الأيام الصعبة ينبغي أن نصبر هذه الأيام القليلة المتبقية، سنخرج لا محالة ولكن علينا بالصبر قليلاً،

حبيبتي وقرة عيني:

أبلغي كل من يسأل عني السلام، سلمي على جميع الأهل والأحبة والأصدقاء، وخصي بالسلام عمي وعمتي وأخوتك وأخواتك وبيت جدك، والأخوة الذين يدرسون في قم.

اعلمي يا حبيبتي أني صابر محتسب، وأني قوي كما عرفتني وسأبقى كذلك رغم الصعاب إن شاء الله.

حبيبتي ونسمة حياتي:

لا تنسيني من صالح الدعاء، واعلمي بأن لا مخلص لنا إلا الله، اذكريني في صلاتك وفي دعائك، اذكريني في نومك ويقظتك، اذكريني في مشيك وجلوسك، وأنا دوماً أذكرك.

إلى اللقاء القريب بإذن الله تعالى، وتصبحين على ألف خير، واعلمي بأن طول الظلام ينبئ بقرب الضوء، وأن طول العسر ينبئ بقرب اليسر

تحياتي وأشواقي

والسلام ختام. زوجك المحب: السيد مرتضى السندي

٢٠١١/٩/٤ ٢٢م، ٤ عصراً.

رسَالةٌ كتبهَا السَّيِّد إِلَى زوجته من دَاخل السِّجْن

الفهرس

إهدَاء ٧
تقريظ ١١
سماحة آية الله ١١
السَّيِّد هَادي المدرسي ١١
المقَدْمة ١٥

الفصل الأَول: فتيل الثَّوْرَة ٢٧
المدخل ٢٩
نحن والعَاصفة: ٣٢

الفصل الثاني: انكسَار القيد ٣٥
باكورة شُهَدَاء الثَّوْرَة: ٣٩
ميدَان الشُّهَدَاء: ٤٠
التمسُّك بالحق: ٤٣

لعبة الودَاعة: ٤٤
العودة: ٤٦
نسَائم العزة: ٤٧
استئنَاف المسير: ٤٨
نظرة للميدَان: ٤٩
الديوان والثوَّار: ٥١
خطوة وموقف: ٥٢
الطوفان: ٥٣
درعٌ من زجاج: ٥٥
اغتيَال فكرَامة: ٥٦
تلبية ودعَاء: ٥٨
مدجج ضد أعزل: ٦٠
إباءٌ ضبابي محاصر: ٦٣
حيرة: ٦٥
عودة المودِّع: ٦٧
ملحودة وتشييع: ٦٩
شَهيدة: ٧١

الفصل الثالث: تنضيد الثبات ٧٣

للحكاية تتمّة: ٧٥
لَا تهرب.. ٧٥

توحش الذؤبان.. .... ٧٧
عتمة.. .... ٧٨
مصيرٌ مجهول.. .... ٨٠
الفصل الرَابع: أسفار عهد مؤلمة ٨٣
١- سردَاب المحنة.. .... ٨٥
٢- فضاء التحقيق الأَول.. .... ٨٧
٣- فضاءات التحقيق الثاني.. .... ٩٢
٤- انتهَاكات مؤلمة: ١٠٠
٥- تيَّارٌ.. جسدي الَاجتيَاح: ١٠٢
٦- استجدَاء رأفة: ١٠٧
٧- مكالَمَات شاهد غير مشهود: ١١٢
٨- استفزاز سَاقط: ١١٦
٩- بحثٌ يتخبَّط الوفاق: ١١٨
١٠- غابة تهديد وتَعْذِيب: ١٢٣
١١- لعب بالبيضة والحجر: ١٢٦
١٢- عزَّة لؤلؤة: ١٢٨
١٣- شمَّاعة باسم «إيرَان»: ١٣٥
١٤- لحظات لفخرَاوي: ١٤٥
١٥- صلَاح..رفعة وسمو خلق: ١٤٧
١٦- شجرة أرز شائكة: ١٥٢

١٧- مناَجاة إلكترونيَّة: ١٥٥
١٨- سوس القضية: ١٥٨

الفصل الخامس: وارحم فِي ذَلِكَ البَيْت الجديد غربتي ١٦١

وطني آمنٌ بأهله: ١٦٣
من الرمضاء إِلَى النَّار: ١٦٥
لقاء بعد هجرة: ١٦٧
ابتسَامنَا الأَول: ١٧١
قانون بين الأخذ والرد: ١٧٣
عقيدة تُلَاك بألسنتهم: ١٧٦
ضيفي المَالكية والمعَامير: ١٧٧
علم فِي زِنْزَانَة: ١٧٩
عمود الدِّين الفائت: ١٨١
نجوى السحر: ١٨٢
مدهونيٌ من رحم الثَّوْرَة.. ١٨٣
بطل رغم أنفهم: ١٨٣
خفافيش الظلَام: ١٨٥
قاضٍ تحت الطلب: ١٨٧
المعدة الصغيرة: ١٨٧
مَاذا تفعل؟ ١٨٨
حامد..خُلُق: ١٨٨

العسكري ينتظر: ١٨٩
حامد العرَّاف: ١٨٩
دواء بلَا جدوى: ١٩٠
فيلم..لمخرج فاشل: ١٩٠

الفصل السَادس: صامدون رغم القضبان ١٩٣

للصبر خليل: ١٩٥
وارث بأنغام الخليل: ١٩٦
زيَارة مشبوهة: ١٩٦
القرآن النَاطق: ١٩٨
الطب.. مهزلة: ١٩٩
رحيل بحكم جائر ٢٠٣
رَان علَى قلبه: ٢٠٤
لَماذا لم يستجب الله دعَائي؟ ٢٠٥
أنباء سهوان ٢٠٦
لو سقط النِّظَام: ٢٠٧
معذَّبٌ فِي أرض النيَابة: ٢٠٨
الملجاوي:(م.ع) ٢١٠
زيَارَات تستهدفه: ٢١٢
كثرة النوم ٢١٣
معَاملتهم ٢١٥

الشِعر ٢١٧
النشيد الوطني ٢١٨
تقبيل صور الطغاة ٢١٩
التدخين أَول مَا سمح به للمُعْتَقَلين!!! ٢١٩
تيمور كريمي ٢٢٠
السَّيِّد عبد النبي الموسوي ٢٢٣
السَّيِّد باقر السَّيِّد محمد الموسوي ٢٢٧
(س.م) ٢٣٣
افرَاج موهوم ٢٣٤
الشيخ محمد علي المحفوظ ٢٣٦
تربة الحسين عليه السلَام ٢٣٩
حوارَات بين الضحية والجلَاد ٢٤١
ضيوف الرحمة ٢٤٥
نحن والشُّرْطَة ٢٤٧
منهم أَو منّا؟! ٢٤٨
منّا بلباسهم ٢٥٠
نحن مقصرون ٢٥٢
أبو مريم ٢٥٤
رموز الفتنة!! ٢٥٥
خليفة رَجُل الوطن ٢٥٦
التجنيس غول ينخر فِي جسد الوطن ٢٥٦

قبل الإفرَاج ٢٥٧
توبلي.. ٢٥٧
سريع سريع ٢٥٧
ريَال مدريد ٢٥٨

الفصل السَابع: بسيوني.................................. ٢٦١
تغيرَات عجيبة غريبة متسَارعة ٢٦٣
مَا الذِي جرى ومَا الذِي يجري؟؟؟؟ ٢٦٣
المحاكم: الجلَاد هو الحاكم.............................. ٢٦٩
حفل الإفرَاج.. ٢٧٤
الشرطي الحائر ٢٧٥
لحظات ودَاع.. ٢٧٨

ملحق ٢٧٩

أدخلوني السرداب لم أكن أرى شيئاً، ولكني أتحسس كل شيء، أتحسس السُلَّم وهم ينزلوني عليه، أتحسس أرضية السرداب التي كانت مفروشة بفرشٍ من «مطاط» يشبه البطاط وفيه دوائر صغيرة. كنت أتحسس الأرض بقدميَّ الحافيتين، كان الهدوء موحشاً وصولي.

علمتُ من الحسيس الحذر، أن في تلك الليلة اعتقلوا آخرين معي ولم أكن الوحيد، أو قفوني وعيناي مغمضتين بقماش محكم الربط، مكبَّل اليدين من الخلف، كان المكيف بارداً، وكان جسمي يتصبب عرقاً، لم أكن أعلم بمكان اعتقالي، كنت أخمن أني في قاعدة عسكرية..